صفحات من التاريخ الإسلامي
في الشمال الإفريقي

الثمار الزكية للحركة السنوسية فى ليبيا

سيرة الزعيمين

إدريس السنوسي وعمر المختار

تأليف

علي محمد محمد الصلابي

مكتبة الصحابة
الإمارات - الشارقة
ت: ٥٦٣٣٥٧٥ - فاكس: ٥٦٣٧٥٤٤

مكتبة التابعين
القاهرة - عين شمس
ت: ٤٩٣٨١٤٤ - فاكس: ٤٩٣٤٣٢٥



الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

مكتبة الصحابة

الإمـارات – الشارقة .
ت: ٥٦٣٣٥٧٥ – فاكس: ٥٦٣٧٥٤٤

مكتبة التابعين

القاهرة – عين شمس .
ت: ٤٩٣٨١٤٤ – فاكس: ٤٩٣٤٣٢٥



الإهداء

إلى العلماء العاملين ، والدعاة المخلصين ،

وطلاب العلم المجتهدين ، وأبناء الأمة الغيورين :

أهدي هذا الكتاب سائلاً المولى عز وجل بأسمائه

الحسنى وصفاته العُلا أن يكون خالصًا

لوجهه الكريم

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠]



بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١] .

■ **وبعد**

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة .

أما بعد:

يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى .

فهذا الكتاب السابع في سلسلة «صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي» يتحدث عن سيرة الزعيمين محمد إدريس السنوسي، وعمر المختار، فالسيد محمد إدريس السنوسي تولى زعامة الحركة السنوسية في ظروف دولية وإقليمية ومحلية شديدة الصعوبة واستطاع أن يقود قبائل برقة بحكمة وسياسة

وحزم، ودخل في مفاوضات مع بريطانيا وإيطاليا لكي يحقق ببعض المصالح لشعبه وبلاده، فيتحدث هذا الكتاب عن تلك المفاوضات بشيء من التفصيل، وعن الأسباب التي جعلته يضطر للمباحثات مع الدولتين البريطانية والإيطالية، وعن حكومة برقة التي تزعمها الأمير إدريس، وعاصمتها، ومجالسها، والأعمال التي حققتها، ويتطرق الكتاب للأسباب التي جعلت السنوسيين يصطدمون بالأتراك، ويشير الكتاب إلى الأسباب التي جعلت ليبيا في الحرب العالمية الاولى تنقسم إلى شطرين شرقي وغربي، ولماذا تحالف الطرابلسيون مع تركيا وألمانيا ضد الحلفاء؟ ولماذا تحالف البرقاويون مع بريطانيا ضد المحور؟ وما أثر ذلك الانقسام الخطير على ليبيا؟ وما موقف الطرابلسيون من الاحداث بعد هزيمة تركيا وألمانيا في الحرب العالمية الاولى؟ وكيف ظهرت الجمهورية الطرابلسية إلى حيز الوجود؟ ومن أصحاب هذه الفكرة؟ وما العوامل التي ساعدت على ظهورها؟ وما حقيقة مجالسها الشورية، والشرعية والرئاسية والاستشارية؟ وهل استجابت الدول الكبرى لبلاغاتها؟ وما هو القانون الأساسي الذي اتفق عليه الإيطاليون والطرابلسيون؟ وما أول حزب سياسي أقامه الطرابلسيون؟ وما أول جريدة في طرابلس تؤيد الجمهورية الطرابلسية؟ وما قرارات مؤتمر غريان؟ ولماذا كان اجتماع سرت بين زعماء طرابلس وبرقة؟ وما القرارات التي توصل إليها المجتمعون؟ ولماذا بايع أهل طرابلس الأمير إدريس السنوسي؟ وهل وافق الأمير على تلك البيعة؟ ما الأسباب التي دفعت الأمير محمد إدريس لمغادرة البلاد إلى مصر؟ ولماذا عاد القتال بين إيطاليا والليبيين؟ وما العوامل التي ساعدت إيطاليا على إخماد حركة الجهاد في غرب ليبيا؟ .

ويتحدث الكتاب عن المقاومة التي قادها أحمد السويحلي وسعدون وصفي الدين السنوسي، وبشير السعداوي في غرب ليبيا حتى سكنت حركة الجهاد في غربها واستمرت جذوتها في برقة وكيف قاد كتائب المجاهدين الشيخ الجليل عمر المختار؟ .

فيترجم الكتاب سيرة الشيخ عمر المختار منذ مولده حتى استشهاده، وعبادته وتلاوته للقرآن الكريم، وشجاعته وكرمه، ودعوته وجهاده قبل الاحتلال الإيطالي،

ومعاركه الأولى ضدها، وسفره إلى مصر للتنسيق مع الأمير إدريس في أمور البلاد والقبائل واستمرارية الجهاد، ويعيش القارئ الكريم مع عمر المختار في معاركه التي خاضها كمعركة بئر الغبي، وعقيرة الدم، وعن وسائله في تموين المجاهدين، وعن تشكيلاته وخططه وقيادته لحرب العصابات التي أصبحت مَعْلَمًا لمن جاء بعده من قيادات حركة التحرير .

ويتحدث الكتاب عن فقد عمر المختار لكبار المجاهدين وآثار ذلك على مشاعره وأحاسيسه وموقفه من تلك الصدمات المتكررة، كاستشهاد أخيه في الدين حسين الجويفي البرعصي، وابن أخيه المختار بن محمد وعن حرصه للشهادة وإخلاصه لقضية الجهاد، وعزيمته النافذة، وصبره العظيم، وحكمته في القيادة، وفهمه للأمور ببصيرته النافذة ونظره البعيد .

ويوضح الكتابب حرص إيطاليا على دخول المفاوضات مع عمر المختار لكسب الوقت، وتفريق المجاهدين، وكيف كان عمر المختار منتبهًا لأغراضهم الخبيثة؟ فكان في تلك المفاوضات واسع الأفق بعيد النظر، فاتخذ مواقف صحيحة وقوية فرضت الاحترام على أعدائه قبل أصدقائه .

ويبين الكتاب حقيقة الجنرال غراسياني الذي كان عند قومه معظمًا ومقدمًا والذي اسندت إليه الحكومة الإيطالية بزعامة الدوتشي (موسليني) مهمة القضاء المبرم على حركة الجهاد مهما كلف ذلك بكل الطرق وكافة الوسائل، ولذلك أنشأ المحكمة الطائرة التي كانت تحكم على الأهالي بالموت وتصادر الأملاك لأقل شبهة وتمنحها للمرتزقة الفاشيست، فكانت تلك المحاكم تنعقد بصورة سريعة وتصدر أحكامها وتنفذ في دقائق بحضور المحكمة نفسها لتتأكد من التنفيذ قبل أن تغادر الموقع الذي انعقدت فيه لتنعقد في نفس اليوم بموقع آخر، وفتحت أبواب السجون في كل مدينة وقرية ببرقة ونصبت أعواد المشانق في كل من العقيلة وإجدابية، وبنغاري، وسلوق، والمرج، وشحات، ودرنة، وعين الغزالة، وطبرق، ولأتفه شبهة وأقل فرية يصدر حكم الإعدام وينفذ شنقًا أو رميًا بالرصاص، وقام الجنرال غراسياني بعزل الأهالي

الخاضعين لهم عن المجاهدين وأدخلهم المعتقلات الرهيبة، فيجد القارئ في هذا الكتاب حقيقة تلك المعتقلات .

وتحدث الكتاب عن عمر المختار كقائد عسكري له القدرة على تغيير خططه وتطوير أساليبه القتالية مع ما يتمشى مع المراحل التي يخوضها حتى إن عدوه غراسياني اعترف بذلك فقال: (بالرغم من إبعاد النواجع والسكان الخاضعين لحكمنا يستمر عمر المختار في المقاومة بشدة ويلاحق قواتنا في كل مكان) .

وقال أيضًا: (عمر المختار قبل كل شيء لن يسلم أبدًا؛ لأن طريقته في القتال ليست كالقادة الآخرين فهو بطل في إفساد الخطط وسرعت التنقل بحيث لا يمكن تحديد موقعه لتسديد الضربات له ولجنوده . . . عمر المختار يكافح . . . إلى أبعد حد لدرجة العجز، ثم يغير خطته ويسعى دائمًا للحصول على أي تقدم مهما كان ضئيلاً بحيث يتمكن من رفع الروح العسكرية ماديًّا ومعنويًّا حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولا وهنا يسلم أمره لله كمسلم مخلص لدينه) .

ويتعرض الكتاب للأسلاك الشائكة التي مدها الإيطاليون على طول الحدود الليبية المصرية ما يزيد عن ٣٠٠كم من البحر المتوسط إلى ما بعد الجغبوب بغية القضاء على حركة الجهاد التي كان يقودها المختار، ويجد القارئ الكريم في هذا الكتاب تفصيلاً دقيقًا موثقًا عن الأعمال الشنيعة القبيحة والمزرية والحاقدة التي قام بها الإيطاليون ضد الليبيين عندما احتلوا العاصمة السنوسية الشهيرة، وكيف اهتز العالم الإسلامي لتلك الأحداث؟ وكيف كان دور الصحافة الإسلامية؟ ويبين للقارئ الكريم وثائق تاريخية مهمة بقلم شكيب أرسلان، وجمعية الشبان المسلمين بمصر وقد وقع عليها محمد رشيد رضا صاحب مجلة «المنار» الإسلامية، وتقي الدين الهلالي، الأستاذ الأول للآداب العربية بندوة العلماء بالهند وغيرهم .

ويمضي الكتاب مع عمر المختار حتى الأيام الأخيرة من حياته، فيصف اللقاء الشهير الذي تم بين محمد أسد وعمر المختار وكيف وقع المختار في الأسر؟ ويتحدث عن مواقفه في داخل السجن التي تدل على سلامة العقيدة، ورسوخ مفهوم القضاء

والقدر في نفس ذلك الشيخ الجليل، وعن عزة الايمان التي كان يتحدث بها في لقائه مع الجنرال غراسياني وأثناء المحكمة وكيف كان يقاد إلى المشنقة وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (سورة الفجر: ٢٧-٣٠) .

إن هذا الكتاب يثبت بالحقائق التاريخية أن حياة عمر المختار مدرسة تستحق الدراسة والبحث في جوانب متعددة في شخصيته العلمية والدعوية والجهادية وصفاته الخلقيه الرفيعة .

ويوضح الكتاب أحوال ليبيا بعد استشهاد عمر المختار، وعن مصير حركة الجهاد التي قادها يوسف بورحيل والمجاهدين، وعن اضطهاد واستعباد الإيطاليين لمسلمي ليبيا بعد القضاء على الحركة .

ويصف الكتاب أحوال المهاجرين الليبيين في مصر والشام وتونس ويدون للأجيال بعض القصائد الرائعة التي نظمها الأجداد شوقًا وحبًا لديارهم، كالتي قالها الأستاذ بشير السعداوي رحمه الله:

قالوا تحن إلى البلاد وأهلها ... فأجبتهم هي بغيتي ومرادي
تالله لم أشغف بغير طلالها ... ولا منيتي مالت لغير بلادي
في حب هاتيك الديار وأهلها ... ذابت حشاشة مهجتي وفؤادي
بالله يا ريح الصبا ونسيمه ... إن زرت يومًا منزلاً لسعادي
أبسط لها شوقي وفرط صبابتي ... وأهد تحياتي لها ووادي
وأخفض جناح الذل عني وقل لها ... أسرفت في هجري وفي أبعادي
حر النوى أوها فؤادي وإنني ... متهك متمزق الأكباد
مذ غردت بالبين أغربة النوى ... من بيننا ما ذاقت طعم رقادي
أمسى سميري في الدجى بدر السما ... والبدر جسم لا يجيب مناد

فلطـــالما ناديت في غســـق الدجى   حبي فتذهـب صيحـــتي في واد
لهفـــي على تلك الديــار وأهلهــا   قوم لهـــم في المكـــرمــات أياد
لازلت أصــبو بحبهـــم ووداهــم   رغما على أنف الزمـــان العادي

ويبين الكتاب جـهود المهاجرين في ديار المهـجر حتى ضاقت بهم إيطالـيا ويجد القارئ وثيقـة تاريخية مهـمة قامت بإعدادها الجـمعية الطرابلسيـة البرقاوية وقدمـتها كورقة عمل للمؤتمر الإسلامي في القدس عام ١٩٣١م .

ويقف الباحث عند الحرب العالمية الثانية ويتحدث عن كونها آية من آيات الله في تصريف أمر الدول والشعوب والأمم وفق سننه وقوانينه في المجتمعات البشرية، ومن السنن التي وقف عندها الكاتب، أنـه عندما تتجـبر أمـة من الأمم وتعلو في الأرض ويصيبـها البطر والكبرياء يهيئ الله لهـا أسباب الانهيـار والزوال، كما يكون الزوال والانهيار بفشو الظلم، وعدم إقامة العدل .

ويتحدث الكتـاب عن الأمير إدريس في مصـر وعن دوره في جمع زعماء ليـبيا والتـشاور مـعهم ودراسـة احتـمالات الموقف ووضـع الخطط التي يجب أن يسيـروا عليها، وعن جـهوده العظيمة في تكوين الجيش السنوسي الذي كـان له أثر فعال في الحرب العالمية الثانية في شرق ليبيا، وكيف ساهم ذلك الجيش في إخراج الطليان من بلادنا؟ ويتكلم الكاتب عن اعـتراض الليبيين عن مـوقف الدول الكبرى وخصـوصًا بريطانيا من قضيتهم العادلة بعد الحرب العالمية الثانية ويأتي بوثيقة تاريخية كتبها عمر فائق شنيب عــام ١٩٤٥م وكان عنوان المقـالة (ليبيـا مهد البـطولة) وجاء فيـها . . . (وبصفتي أحد قادة الحـركة الوطنية وعضو الجمعيـة الوطنية التي ارتبطت مع بريطانيا يوم ٩ أغسطس ١٩٤٠م أصرح بأن الوضع الحالي في ليـبيا شاذ لا يتناسب في شيء مع العدل والإنصاف، ولا مع وعود الحلفاء بأي وجـه كان، بل أن ما يعانيه الشعب الليبي اليـوم لا يختلف عن الاسـتعمـار البغيض وأن الشـعب الليبي يتطلب إقـامة حكومـة وطنية شـرعيـة تحت إدارة أميـره المطاع (إدريس السنوسي) بأسرع مـا يمكن

ليحقق لها اختيار الجهة التي ترغب في الارتباط معها . أقول هذا لدول الحلفاء عامة ولدول بريطانيا العظمى خاصة قبل أن يعم الاستياء الذي أخذ يتسرب إلى النفوس وتتبدل وجهات النظر من الإخلاص والمحبة والتعاون النزيه إلى المقت والبغض والمشاكسة ويطغى اليأس؛ فتنعكس الآية ولا ينفع الندم، وإن ليبيا رغم قلة عددها وفقدان عدادها ومعرفتها بأنها لا تقوى على مقاومة الدول العظمى مع أنها جربت في حرب إيطاليا تفضل أن تضرب يومًا بألف، بل بمليون قنبلة ذرية حتى ينقطع فيها النسل والذرية على أن يطأ أرضها إيطالي أو أن تمس كرامتها أو ينتقص شيء من حريتها واستقلالها وحقها في الحياة أو يقرر مصيرها الغير بدون إرادتها وهي علمت الشعوب معنى التضحية في سبيل الحرية والاستقلال من سنة ١٩١١م إلى يومنا هذا والتاريخ شاهد عدل . . .) .

ويتحدث الكتاب عن الجمعيات التي أسست خارج ليبيا، وعن حل الأحزاب وانشاء المؤتمر الوطني في برقة واضطراب الأحزاب في طرابلس، ويأتي بنص قرار الأمم المتحدة بشأن ليبيا، وبأسماء اللجنة التحضيرية المختصة بالإعداد للجمعية الوطنية، وبأسماء الجمعية الوطنية التأسيسية والتي عرفت بلجنة الستين، ويجد القارئ نص مبايعة الجمعية الوطنية التأسيسية للأمير إدريس السنوسي ملكًا دستوريًا للمملكة الليبية المتحدة عام ١٩٥٠م، ونص الخطاب التاريخي الذي ألقاه الملك بمناسبة إعلان استقلال ليبيا يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٥١م، وقصيدة الاستقلال للشاعر أحمد رفيق المهدوي، وتعرض الكاتب في هذا الكتاب لاهتمامات الملك، فتحدث عن اهتمامه بالدين والعلم والأخلاق، وحبه للشعب وحب الشعب له، ونصحه لزعماء العرب، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وعن أدب العبارة في خطاباته وسمو معانيها وتواضعها الجم والدعوة إلى الخير والتقوى، واهتمامه بالثورة الجزائرية، وحديثه عن الوحدة العربية وحالة العرب، وعن مفهوم الأخوة الإسلامية والعروبة عند الملك، وعن نظرته للعمل الإصلاحي، وعن الزعيم الأساسي الذي يؤسس حكومة راسخة البنيان، وعن مكانة الصحافة في زمن الملك، وحرية الكلمة

في مجلس النواب وعن استقالته الأولى عام ١٩٦٥م ونقل الكاتب استقالته الثانية قبل انقلاب عام ١٩٦٩م والتي جاء فيها (... والذي اختتم به قولي بأن أوصي الجميع من أبناء وطني بتقوى الله في السر والعلن، وإنكم جميعًا في أرغد عيش وأنعم النعم من الله تبارك وتعالى فاحذروا من أن يصدق عليكم قوله تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (سورة النحل: ١١٢) .

فالله الله مما يغضب الله وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ولا تفرقوا، قال ﷺ : **«لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم»** .

وتحدث الباحث عن نزاهة ملك ليبيا وعفته وكيف كان حاله في تركيا عند حدوث الانقلاب وكيف اعتذر للمسئول المالي المرافق له عن أخذ ما تبقى من المال وقال له: (يا بني أنا بالأمس كنت ملك ليبيا، ولكني لم أعد كذلك اليوم، وبالتالي فإن هذا المال لم يعد من حقي، ويجب أن يسلم إلى خزينة الشعب) .

ويتحدث الكتاب عن أقوال المؤرخين في الملك السابق وعن وفاته بمصر ودفنه بالبقيع بالمدينة المنورة في مايو عام ١٩٨٣م .

هذا وقد تركت ما يتعلق بالمملكة الليبية بسبب قلة المصادر وندرة الوثائق التي بحوزتي واقتصرت الحديث على الملك إدريس كزعيم وقائد وإني أشعر بضعف المادة التي أمامي فيما يتعلق بتلك الأحداث؛ لأن قضايا ذلك العهد على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لملابساتها وآثارها الممتدة إلى زمننا الحاضر، وخصوصًا وإني قد بحثت في أسباب سقوط المملكة بحثًا دقيقًا وطلبت من رجال عاشوا تلك المرحلة المساهمة في دراسة وتتبع الأسباب التي أدت إلى سقوط المملكة الليبية، ولكن التفاعل كان ضعيفًا واعتذر البعض لأسباب أمنية وقد علمت بأن بعض الذين عاصروا تلك الأحداث قد كتبوا مذكرات مهمة في تلك المرحلة وينتظرون الوقت

المناسب لنشرها؛ لذلك رأيت من الحكمة والتعقل التريث حتى يأذن الله في نشرها لأنها سوف تساهم بإذن الله تعالى في توفير معلومات تساعد الباحثين على تقصي الحقائق والوصول إلى نتائج صحيحة مبنية على معلومات يقينية، فإن كان للعمر بقية وأذن الله في مواصلة هذه الرحلة الطويلة التي بدأتها من الفتح الإسلامي إلى هذا الكتاب فإنني بإذن الله تعالى سوف أواصل المسيرة وإلا فأقلام الليبيين لم تجف ولن تجف بإذن الله تعالى في تدوين تاريخها لأن شعبنا ليس بعقيم بل يملك الطاقات الكامنة في كافة مجالات الحياة، السياسية، والتاريخية والأدبية، والتربوية والاقتصادية، وكم أتمنى أن يهيئ الله الأسباب لجمع المادة عن المملكة لأحد من ابناء بلادي فيواصل المسيرة المهمة في بناء الشعوب، فيكون البناء تراكميًّا ونكون تابعين لمن سبقنا في الكتابة عن تاريخ بلادنا الحبيبة .

إن فترة المملكة الليبية من عام ١٩٥١م إلى ١٩٦٩م غنية بالأحداث على المستوى المحلي والإقليمي والدولي وتحتاج إلى دراسة واعية وباحث مدقق يتوخى العدل والإنصاف ويشمر عن سواعد الجد والاجتهاد ويعتمد على القويِّ العزيز الوهاب ثم على الوثائق والحجج والبراهين .

هذا وإني أشيد بالمجهودات القيمة التي قام بها كل من الوزرين السابقين؛ مصطفى بن حليم ومحمد بن عثمان الصيد في كتابة مذكراتهم ثم نشرها بغية استفادة الأجيال منها إن الجهود التي قاما بها الوزيران السابقان تستحق الثناء، والتقدير؛ لأنها أصبحت مرجعًا مهمًا من مراجع تلك المرحلة وتعتبر من المبادرات الرائعة والرائدة لأن أصحابها عاشوا تلك الأحداث وساهموا في صناعة بعضها، كما أنهم حطموا جدار الصمت، وكتبوا تاريخهم السياسي الذي في حقيقته أصبح ملكًا للأجيال الصاعدة بغض النظر عن اختلاف الآراء حول تلك المذكرات .

إن الاعتناء بتاريخ بلادنا وبلاد المسلمين تظهر أهميته في هذا العصر الذي استخدم فيه التاريخ كأداة لتوجيه الشعوب وتربيتها كما يريد القادة والساسة، بل استعان بهذا العلم أصحاب المذاهب الفكرية الهدامة في فلسفة مذاهبهم المادية

وتدعيمها حتى أصبح هذا العلم عند الأمم المتقدمة في مكانة سامية لا يعلوها علم آخر .

إن دراسة التاريخ بوجه عام، وتاريخ الأمة المسلمة على وجه الخصوص لا ينبغي في دراسته تحقيق الرغبات والحاجات الدونية، بل من أجل الوصول إلى القمة العليا ألا وهي إحياء الأمة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومعرفة كيفية التعامل مع سنن النهوض والصعود بالشعوب، واجتناب سنن السقوط والهبوط.

قال تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ** ﴾ (سورة غافر، آية ٨٢) .

هذا وقد قمت بتقسيم الكتاب إلى مقدمة وثلاثة فصول وخلاصة وهي كالآتي:

المقدمة .

- **الفصل الأول: محمد إدريس ويشتمل على ثلاثة مباحث:**

المبحث الأول: اسمه ونسبه وولادته وشيوخه وحجه .

المبحث الثاني: موقف الإسلام من المعاهدات مع العدو .

المبحث الثالث: الجمهورية الطرابلسية .

- **الفصل الثاني: عمر المختار - رحمه الله - نشأته وأعماله واستشهاده ويشتمل على ثلاثة مباحث:**

المبحث الأول: نشأته وأعماله .

المبحث الثاني: استمرار العمليات والدخول في المفاوضة .

المبحث الثالث: الأيام الأخيرة من حياته ووقوعه في الأسر ثم إعدامه .

- **الفصل الثالث: الليبيون بين المهجر والاستقلال ويشتمل على خمسة مباحث:**

المبحث الأول: الليبيون في المهجر .

المبحث الثاني: الحرب العالمية الثانية .

المبحث الثالث: قرار الامم المتحدة بشأن ليبيا .

المبحث الرابع: الملك إدريس - رحمه الله - وشيء من سيرته .

المبحث الخامس: نظرة في كتاب الملك إدريس في اتحاد العرب وائتلاف الموحدين وبعض المقابلات الصحفية .

هذا وقد انتهيت من كتابة هذه السلسلة التاريخية يوم الثلاثاء ١ ربيع الأول ١٤٢٠هـ الموافق ١٥ يونيو ١٩٩٩م والفضل لله من قبل ومن بعد وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل قبولاً حسنًا وأن يكرمنا برفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة فاطر، آية ٢) .

وبهذا الكتاب أضع سلسلة: صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي بين يدي قارئها، ولا أدعي الكمال فيها قال الناظم:

وما بها من خطأ ومن خلل	أذنت في إصلاحه لمن فعل
لكن بشرط العلم والإنصاف	فذا وذا من أجمل الأوصاف
والله يهدي سبل السلام	سبحانه بحبله اعتصامي

فلله الحمد على ما منّ به عليّ أولاً وآخرًا، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعل هذه السلسلة التاريخية لوجهه خالصة، ولعباده نافعة، وأن يثيبني على كل حرف كتبته ويجعله في ميزان حسناتي وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكافة ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من القارئ الكريم أن لا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه في صالح دعائه .

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢] .

«سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين» .

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته

علي محمد محمد الصلابي

* ■ *

■ الفصل الأول ■

الأمير محمد إدريس السنوسي

المبحث الأول
اسمه ونسبه وولادته وشيوخه ورحلته إلى الحجاز

أولاً: اسمه ونسبه وولادته:

هو محـمد إدريس بن مـحمد المهـدي بن علي السنوسي، ولد يوم الجمـعة في العشرين مـن شهر رجب ١٣٠٧هـ الموافق ١٢ مارس ١٨٩٠م بزاوية الجـغبوب [١]، وتوفى بمدينة القاهرة عام ١٩٨٣م تزوج والده محمد المهـدي وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره من والدته فـاطمة ابنة عمران بن بركة، وذلك سنة ١٢٧٥هـ الموافق ١٨٥٨م وقد أنجبت له عدة أولاد في حياته وتوفيت سنة ١٨٩١م [٢].

كـان مولده يوم فـرح وسـرور لأتباع الحـركـة السنوسيـة، وخـصوصًـا أهالي الجغـبوب، فعطل مـعهد الجغـبوب، والكتاتيب القـرآنية، ودور الأعمـال، ونحرت الجزر، ومـدت الموائد، وقدمت الصـدقات شكرًا لله تعـالى، وكانت زوايا الحـركة تحتـفل بقدوم هذا المولود بمجرد وصول الخـبر إليها، وجـادت قرائح شعراء الحـركة بالقصائد الشعرية التي أهديت إلى محمد المهدي بمناسبة مولد ابنه [٣]:

قال العلامة فالح الظاهري:

لاح في أفـــق الزهـــرا	كوكب الأفراح والبشـرى
وأتى المقدور مـــن غرض	بالـــذي أملتــه جهـــرًا
إن للدهـــر لــــدى يدًا	ليس إقـــراري بهـا سرًا

---

(١) انظر: المغرب الكبير، جلال يحيى، (٤ / ٣٥).

(٢) انظر: الحركة الوطنية في شرق ليبيا، مصطفى هويدي، ص (١٠١).

(٣) انظر: برقة العربية أمس واليوم، للأشهب، ص (٣٥٠).

إلى أن قال:

يهنئ المخدوم ما خوله ... اللـــه مـــن البـــشرى

بغلام اليمـــن كـــان لـه ... منكم طول البقا ذخـــراً

وبلغتـــم فيـــه بغيتكـم ... في ظـــلاله عيشـة خضـرا

ودواعي البشر لا برحت ... تنتـــحي ناديكـــم الدهـــرا (١)

وقال أبو سيف مقرب بهذه المناسبة:

هنئت بالكوكب الدري اذ سطعا ... وارج الأفـــق والأرجاء وارتفـــعا

وغصت للـدر بحراً لجـــة عظمًا ... وصغت للفـــظ نظمًا حسنة جمعًا

شنفت أسماعنا يا خيـــر مبتكـر ... للشعـــر بلغـــك اللـــه المنا جمعا

فانشر شمائلهم واذكر محاسنهم ... واهــــزج بها دائمًا لازالت مخترعا

هم آل مجد لهم ظل يظللهـــم ... قد آب بالـــذل من في شأوهم طمعا

لهم مفاخر والمهـــدي أعظمـــها ... طوبى لمن طاف في ذاك الحمى وسعى

موفق ماجـــــد للحق متبــــع ... ثبت الجنان لامــــر اللــه قد صدعا

وفرع دوحة مجد قد زكت ونمت ... أغصانها حيث بـدر الحسنى قد طلعا

لا زال تشرق في الآفـــاق بهجـته ... مخـولاً ببقـــا الأصلـين مرتضـــعا (٢)

ثانيًا: شيوخه وطلبه للعلم وبعض صفاته:

نشأ محمد إدريس في رعاية أبويه، وبعد وفـاة أمه احتضنته جدته لوالدته واهتم والده بتربيتـه تربية صالحـة، وبدأ بتحفـيظه للقرآن الكريم بنفســه مع دخوله في سن السابعة من عمره، وظل محمــد إدريس يحفظ القرآن الكريم على أبيه وبعد فترة من

(١) انظر: برقة أمس واليوم، ص (٣٥٠ إلى ٣٥١) .

(٢) انظر: برقة العربية ، ص (٣٥١) .

الزمن أرسله والده لتلقي العلم على يدي شيخ عرف بالصلاح والتقوى وبصحبته أخيه محمد الرضا، وأبناء عمه محمد الشريف، وبعد وفاة والده كفله ابن عمه أحمد الشريف، وتفرغ محمد إدريس لطلب العلم بعد ما حفظ القرآن الكريم، وتتلمذ على مجموعة من أفاضل العلماء اشتهر من بينهم، العلامة العربي الفاسي، وأحمد أبي سيف، والعربي الغماري وحسين السنوسي، وأحمد الريفي، وأحمد الشريف السنوسي [1]، فأتقن القراءات، وعلوم الحديث، كما أتقن البخاري، ومسلم ومسند أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، وموطأ مالك، ومسند أبي حنيفة، ومسند الأمام أحمد، وكتاب الأم للشافعي، وغير ذلك من كتب الفقه والحديث والتفسير واللغة، وعلوم التاريخ، وتقويم البلدان، وتحصل على إجازات عدة [2] .

ولما تقدم في السن أصبح من أعضاء مجلس شورى الحركة السنوسية ونظم لنفسه حياة خاصة، ورسم خطة سار عليها في حياته ؛ فشيد منزلاً بزاوية التاج في «الكفرة» مؤثثًا بإبداع الأثاث، والفرش وعكف على الدراسة بهمة ونشاط واهتم بتكوين مكتبة خاصة أصبحت في طليعة المكاتب العربية، واتخذ حاشية مؤلفة من خيار الإخوان وكبارهم، وأقام منازل جميلة في مزارع السنوسية التي تقع في ضواحي التاج بواحة الكفرة أعدها بجميع ما تحتاجه من الضروريات، والكماليات، فإذا اشتاقت نفسه للتريض والنزهة والترفيه خرج بحاشيته يقضي بعض الأيام في تلك البساتين .

وكان مجلسه عامرًا بالعلماء والأدباء، وكان يحب العلماء، ويجلهم ويكبر ما في نفوسهم من العلم، وينزلهم منه منزلة خاصة، ويحيطهم بعطفه، وكانت أحب العلوم إليه الحديث الشريف، وعلم التاريخ والأدب والسياسية ولا يتحدث في موضوع إلا ويعلل رأيه فيه بعد تدقيق وتمحيص ثم يأتي بالحجج الدامغة، والبراهين القاطعة، تارة من كتاب الله ومرّة من الحديث الشريف، وحينًا من أقوال السلف الصالح وأئمة المسلمين، وكان قوي الذاكرة، سريع الخاطر متين الحجة، وله اهتمام

---

(١) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص (١٠٢) .

(٢) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (١٨٣، ١٨٤) .

خاص بالفقراء والمساكين، وكان جميل المعشر، رحيمًا باتباعه وخدمه، فيعود مرضاهم بنفس متواضعة ويصفح عن المذنبين منهم ما لم يكن الذنب مغضبًا لله ولرسوله، وكان يميل إلى اقتناء جياد الخيل، وله شغف بجمع أنواع الأسلحة، وبجمع الكتب خصوصًا ما كانت حديثة، وكان كثير المطالعة، وله قلم سيال إذا كتب، كما كان خطيبًا بارعًا يرتجل الخطبة، ويسترسل في المواضيع يتدفق كالسيل الجارف، فلا يتلعثم، ولا يتردد حتى ينتهي من موضوعه مع قوة في اللهجة، وحدة في المنطق وقد تغير صوته القوي إلى هدوء بعد المرض الذي أصابه عام ١٩٢٣م [١]، وكان حريصًا غاية الحرص على وحدة الصف السنوسي أمام أعداء الإسلام، فعندما كان أحمد الشريف يقود كتائب الجهاد ضد فرنسا في السودان الغربي لم يشأ أن يطلب منه أن يتخلى عن الزعامة لصاحبها الشرعي في نظره وفاءً منه للسيد أحمد الشريف الذي كفله بعد وفاة أبيه، ويتجلى حرص محمد إدريس على جمع كلمة المسلمين ولمّ شملهم، وعدم التفرقة عندما اشتدت المحنة وقت ان بدأ الطليان هجومهم الغادر على الأراضي الليبية ورأى بعض الإخوان أن يسندوا الزعامة إلى إدريس السنوسي كحق موروث بدلاً من أحمد الشريف، فرفض إدريس السنوسي ذلك العرض وبذلك اجتمعت كلمة المجاهدين على أحمد الشريف [٢] .

لقد رأى محمد إدريس ببعد نظره، وثاقب فكره أن تغيير القيادة في أثناء المعركة ليس من مصلحة حركة الجهاد، ودفع ابن عمه لمواصلة قيادة كتائب الحركة نحو الواجب المقدس .

ثالثًا: رحلة الحج:

وقد ذكر محمد إدريس قصة رحلته إلى الحج بنفسه فقال: (في عام ١٣٣٠هـ الموافق ١٩١٢م بلغت سن الرشد في «الكفرة»، فطلب مني بعض الإخوان السنوسيين بالأصالة عن أنفسهم ونيابة عن غيرهم أن أتسلم مسئوليات المرحوم والدي

---

(١) انظر: برقة العربية، ص (٣٥٤) .

(٢) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (١٨٤) .

من السيد أحمد الشريف الذي كان يومها يتأهب للرحيل إلى الجغبوب بناء على طلب أنور باشا حتى يكون على مقربة من المجاهدين، وكان ردي على طلب الإخوان هو أن السيد أحمد مشغول بالاستعداد للسفر، وأننا على حافة الحرب مع إيطاليا، فلا أرى من المناسب أن أتسلم منه في وقت كهذا، ثم إنني أقدر خبرته الطويلة المجربة في إدارة شئون الطريقة، ولكن متى استقرت الأحوال فسوف نلبي رغبتهم، ولا شك أن السيد أحمد سوف يوافق على ذلك .

وسافر السيد أحمد إلى الجغبوب، بينما بقيت أنا في «الكفرة» عامًا كاملاً تدربت خلاله على تسيير الأمور المتعلقة بمسئولياتي المقبلة ، وفي تلك الأثناء تخلت تركيا عن البلاد لإيطاليا، وبينما كان السيد أحمد يحارب الإيطاليين، قررت أن أذهب إلى مكة لأداء فريضة الحج ثم أعود لمساعدته، وبتاريخ الرابع من شوال (الموافق أغسطس ١٩١٣م) غادرت «الكفرة» برفقة ثلاثة من الإخوان هم (الحاج محمد التواتي، والحاج فرج، والحاج على العابديه) [1]، وكان معنا أيضًا شيخ إحدى الزوايا، وثلاثة من الخدم، منهم واحد سوداني، بالإضافة إلى حداة الإبل، وكنت أركب فرسي، وتحمل أمتعتنا الجمال، وسرنا بطريق القوافل الرئيسي الذي يمر بمناطق طلاب وربيانة وبوزيمة وزيغن، وأبو عكشة، وبوطفل مؤديًا إلى جالو، فاستغرقت الرحلة إلى هنا واحدًا وعشرين يومًا منها ستة عشر يومًا من السفر الفعلي، إذ كنا نسير ليلاً ونستريح نهارًا كالمعتاد أثناء الصيف . وقضينا تسعة أيام في جالو التي كانت مركزًا تجاريًا هامًا ثم أخذت مكانتها في التدهور على أثر إغلاق طريق القوافل من الساحل إلى واداي، وبعدئذ واصلنا السير نحو الجغبوب مرورًا بخربة وقطمر، وترفاوي، وعبد السلام، واستمرت الرحلة كلها ستة عشر يومًا منها ثلاثة عشر يومًا في المسير .

ومكثت بالجغبوب سبعة أشهر من بيت أبي، وكان المعهد الذي أسسه جدي هناك لا يزال مزدهرًا . وفي شهر جمادي الثاني الموافق لأبريل ١٩١٤م غادرت الجغبوب متجهًا إلى مصر مع نفس الجماعة وكذلك الحاج يونس العابدية الذي انضم

---

(١) زعيم سنوسي معروف، ولد سنة ١٨٧٠م، وهو من قبائل الزوية .

إلينا في الجغبوب وبعد مسيرة سبعة أيام وصلنا إلى الساحل عند مكان يسمى بقبق (بالقرب من السلوم) حيث شاهدت البحر للمرة الأولى في حياتي .

ثم سافرنا إلى الضبعة (التي كانت في ذلك الوقت آخر محطة للسكة الحديدية المصرية من ناحية الغرب)، ومررنا في طريقنا بمرسى مطروح حيث رحبت بي السلطات المصرية، كما زرنا الزوايا السنوسية في كل من سيدي البراني شماس ونجيلة وأم الرخم وأبو هارون، ولدى وصولنا إلى الضبعة استقبلنا صالح حرب، وهو ضابط مصري جاء مندوبًا عن الخديوي عباس الثاني ثم سافرنا إلى الإسكندرية بقطار خصوصي، ونزلت ضيفًا على الخديوي في قصر رأس التين، ولقيت ترحيبًا حارًّا من المصريين، فهم على الرغم من حيادهم رسميًا في الحرب مع إيطاليا كانوا يؤيدون إخوانهم المسلمين يبذلون كل ما في وسعهم لمساعدة السنوسيين بإمدادات السلاح والمعدات الطبية، وفي ذلك الوقت كان اللورد كتشنر يشغل منصب المندوب البريطاني في مصر .

وبقينا في الإسكندرية تسعة أيام بانتظار باخرة بريد الخديوي إلى حيفا، ثم سمعنا أنها سوف تعرج على ميناء بور سعيد فاستقلينا قطارًا خاصًا تفضل به الخديوي أيضًا لنقلنا إلى هناك حيث ركبنا الباخرة وأبحرت بنا عند الظهر في نفس اليوم . وكانت الرحلة مريحة وصلت بعدها إلى حيفا يوم ٢٤ رجب فاستقبلني الوالي التركي استقبالاً رسميًا، وبعدها مباشرة سافرنا بقطار سكة الحجاز، وقد وضعت تحت تصرفي المقصورة الملكية الخاصة، وكان القطار إلى المدينة يقوم بثلاث رحلات أسبوعيًا تستغرق رحلته ثلاثة أيام يمر فيها بعدة محطات رئيسية، وهي درعا وعمان وتبوك ومدائن صالح ؛ وهو كان مريحًا رغم بطئه، ويضم ثلاث عربات للنوم وواحدة للأكل، كما وجدت به زريبة لفرسي وبقيت في المدينة خمسة عشر يومًا كان الجو أثناءها قائظ الحر، فداهمتني الحمى، ولذا نصحت بالانتقال إلى مكة لأن جوها ألطف قليلاً . ومع أن موسم الحج لم يكن قد حل بعد، إلا أنني امتطيت فرسي وانطلقت في رحلة المائتي ميل من المدينة إلى مكة، فقطعتها خلال أحد عشر

يومًا من السفر الوئيد أثناء الليل والراحة في ظل خيمة بالنهار . وبعد إقامة ثلاثة أيام بمكة نصحني البعض بالذهاب إلى مدينة الطائف الواقعة وسط التلال في جنوبي مكة، وكان الشريف حسين يمضي بها فصل الصيف مع ولديه عبد الله، وفيصل .

وقضيت في الطائف ٧٥ يومًا، بما فيها رمضان وشوال وكان جوها لطيفًا بالفعل، فاستعدت صحتي تمامًا . وفي تلك الأثناء حدث اغتيال أرشيدوق النمسا في ساريفيو، واندلعت الحرب العالمية الأولي . وبعدئذ توجهنا إلى مكة لأداء مناسك الحج في أكتوبر ١٩١٤م، ونزلت بالزاوية السنوسية في أبو قبيس . ثم انتقلنا إلى المدينة فاضطررنا إلى البقاء فيها مدة شهرين لانقطاع المواصلات بسبب الحرب . وكان قد انضم إلينا في مكة اثنان من عرب برقة المعروفين، وهما رشيد الكخيا وعلى العبيدي .

وفيما كنا ننتظر بالمدينة أثناء شهر نوفمبر قامت الحرب بين بريطانيا وتركيا، فحاول الأتراك المسيطرون على الحجاز أن يحملوا العرب على الوقوف في صفهم، كما أخذ البريطانيون في التقرب إلى العرب على نحو مماثل، غير أن الشريف حسين التزم موقف الحياد، متجنبًا إعطاء أي رد مباشر على الدعوة التركية إلى إعلان الجهاد. وفي ديسمبر عندما استأنفت القطارات رحلاتها العادية، سافرنا إلى حيفا استضافنا الوالي التركي أبو شاهين . وهناك اكتشفنا أن الاتصالات مع مصر شبه مقطوعة تمامًا؛ لأن البريطانيين والأتراك كانوا يتقاتلون قرب قناة السويس، وكان البريطانيون قد أعلنوا الحماية على مصر بعد خلع الخديوي عباس الثاني واستبداله بعمه حسين كامل الذي منح لقب السلطان، ولما كانت هناك باخرة إيطالية تقوم برحلات منتظمة بين حيفا ونابولي عبر ميناء بور سعيد، فقد أرسلنا واحدًا من جماعتنا لاستطلاع إمكانية السفر بهذا الطريق، وجاءنا رده مشجعًا، فحجزنا أماكن على الباخرة، غير أن القبطان قال إنه لا يضمن السماح لنا بالنزول في بور سعيد، نظرًا لأن السنوسيين كانوا حلفاء للأتراك وبالتالي فإننا نعد نظريًا من رعايا معادية . ولكن العلاقات في ذلك الوقت كانت قد تحسنت نوعًا بين السنوسيين والإيطاليين

الذين أخذوا يسعون إلى التفاهم مع السيد أحمد الشريف، فاتفقنا على دفع عربون لقبطان الباخرة بحيث يحملنا إلى نابولي في حالة ما إذا رفض البريطانيون أن يسمحوا لنا بالنزول في بور سعيد، ومن نابولي يدبر الإيطاليون أمر ترحيلنا إلى برقة متى حانت الفرصة .

وهكذا غادرنا حيفا في فبراير ١٩١٥م، وقد اضطررت للأسف إلى ترك فرسي هناك؛ لأن القبطان لم يجد لها مكانًا على الباخرة . وهي كانت من سلالة برقاوية تربت في أرياف الجبل الأخضر، وكان أهداها إليّ خليل البناني، وقد حملتني طول الطريق من «الكفرة» إلى مكة، ثم في طريق العودة كذلك، فتأسفت كثيراً لتركها في حيفا حيث ماتت بعدها بمدة قصيرة .

ولدى وصولنا إلى بور سعيد طلبنا من رفيقنا على العبيدي أن يسبقنا في النزول إلى البر حتى رأيناه مر بسلام فتبعناه كلنا في زحمة الحجاج متظاهرين بأننا مصريون، وفور وصولنا إلى الشاطئ بعثنا برقيات إلى كل من السلطان حسين والجنرال ماكماهون الذي خلف اللورد كتشنر في منصب المندوب السامي البريطاني بمصر، وتلقينا منهما استجابة ودية، فتوجهنا إلى القاهرة في ضيافة السلطان حسين، وفي أثناء ذلك قمنا بزيارة لكل من الجنرال ماكسويل، قائد القوات البريطانية في مصر، والكولونيل كلينتون، مندوب حكومة السودان المقيم بالقاهرة، وأعرب الاثنان عن رغبتهما الأكيدة في أن نقطع علاقتنا مع الأتراك ونؤيد البريطانيين في الحرب أو نبقى محايدين على الأقل . وكان ذلك أول لقاء بيني وبين البريطانيين وخرجت منه بانطباع جيد عن سلوكهم الودي وقوتهم العسكرية، ولم يكن بوسعي أن ألتزم بأي تعهد نيابة عن السنوسيين قبل استشارة السيد أحمد الشريف أولاً . ولكنني وافقت على متابعة الاتصال من خلال علاقتنا بعائلة الإدريسي في مصر، ووافقوا من جانبهم على تسهيل عودتي إلى برقة .

وبعد فترة إقامة قصيرة في القاهرة، ركبنا قطار الصباح إلى الإسكندرية، وفي نفس اليوم استقللنا باخرة لخفر السواحل وضعها البريطانيون تحت تصرفنا حتى أنزلتنا

في السلوم ومن ثم توجهنا إلى أمساعد للالتحاق بمعسكر السيد أحمد الشريف، وكانت غيبتي عن برقة استغرقت عامًا كاملاً تقريبًا) [١] .

إن رحلة محمد إدريس إلى الأراضي المقدسة كان لها أثر عميق في تفكيره حيث احتك بالحكومة المصرية، وبزعيم الثورة العربية الكبرى الشريف حسين، وقادة الإنكليز في مصر ولا شك أنه ناقش، وحاور واستمع إلى الأطراف المذكورة وتبلورت لديه قناعات مهمة فيما يتعلق بمجريات السياسة الدولية، وبطبيعة الصراع بين الأتراك والإنجليز، ورسم لنفسه تصورًا واضحًا يخدم به شعبه ووطنه ومصالح بلاده، ولذلك رأى أنه ليس من مصلحة الحركة السنوسية الدخول مع الأتراك في حربهم ضد الإنكليز وبعد رجوعه من الحج نصح أحمد الشريف بعدم الدخول في الحرب مع الأتراك ضد الإنكليز، وأعلن رأيه ذلك بصراحة .

رابعًا: محمد إدريس السنوسي في برقة:

بعد ما قرر أحمد الشريف الاشتراك مع الأتراك والألمان ضد بريطانيا على الحدود المصرية الغربية رأى أن يرتب شئون الإدارة في برقة حتى يتفرغ هو للجهاد، فقسم القطر البرقاوي إلى مناطق، وجعل إدريس على منطقة برقة ومركزه في إجدابية على أن يكون تحت إشرافه وفي دفنا محمد هلال، وفي الجبل الأخضر محمد الرضا، وأرسل محمدًا صفي الدين لمنطقة طرابلس، وأما أحمد الشريف فقد ذكرت ما قام به في الحدود المصرية في الجزء الثاني من كتابي عن الحركة السنوسية .

انتقل محمد إدريس من السلوم شرقًا حتى إجدابية غربًا في أواخر سنة ١٩١٥م وكان معه حوالي سبعون مجاهدًا من بينهم (جمعة أبو شناك، وسعيد الشامي، والشارف الغرياني، وإبراهيم الشلحي، ومحمد أحمد أبو بكر . . . .) [٢] .

وأخذ يتنقل بين القبائل وكتائب الجهاد، فمر بكتائب البراعصة، والعبيدات

---

(١) انظر: الملك إدريس عاهل ليبيا حياته وعصره، ص (١٩ إلى ٢٢) .

(٢) مكتبة دراسة الجهاد الصوتية شريط رقم (١٤ / ٣٤) محمد أحمد أبو بكر الدرس من كتاب الحركة الوطنية شرق ليبيا .

وغيرهم، وشرع في إدارة دفة الحكم في برقة بكل حزم ومهارة، فأظهر مواهبه كرجل إدارة محنك، وحاكم حازم، وكانت برقة تشكو في هذه الفترة المضطربة اختلال الأمن، وتعرض الأهالي لشرور المفسدين، فضرب محمد إدريس على أيدي المفسدين واستصدر من علماء البلاد «فتوى» لإعدام بعض السودانيين الذين وجدهم يعيثون في الأرض فساداً ينهبون الأموال ويفتكون بالأرواح [١]، فقام بشنق هؤلاء وكانوا سبعة رجال [٢] .

وقام محمد إدريس بتنظيم شئون البلاد، وتوطيد الأمن وضرب على أيدي العابثين، وقطع دابر المفسدين [٣]، كانت مهمة إدريس في برقة شاقة وعسيرة، وبخاصة بعد الفشل الذي أصاب المجاهدين بزعامة أحمد الشريف على أيدي الإنكليز، فإن برقة كانت تعاني الأمرَّين في الحقيقة من جراء انتشار المجاعة بها وقتذاك (١٩١٥م) بسبب احتباس الأمطار، وفضلاً عن ذلك فقد غزت حملات الجراد البلاد في العام التالي فأتت على الزرع، وتفشى فيها مرض الطاعون، خصوصًا عام ١٩١٧م، وظل المطر محتبسًا طول هذه المدة تقريبًا، فكان أعظم بلاء شهدته برقة في تلك الفترة هو بلاء المجاعة [٤] .

وأمام هذه الظروف السيئة (اجتمع بعض أعيان أهل برقة وتدارسوا وتشاوروا في تلك الحالة المخيفة التي حلت بالوطن وأهله، وأرسلوا وفودهم وكتبهم إلى إدريس بمقره في إجدابية، وبصفته صاحب الحق الشرعي في إمارة السنوسيين ليتدارك ما وقع فيه ابن عمه أحمد الشريف الوصي على الإمارة بمحاربته الإنكليز جريًا وراء الأتراك، خصوصًا وأنهم لم يوفوا بوعودهم التي قطعوها له، فلم يرسلوا إليه بما يسد حاجة جيشه وبلاده كما وعدوه، بل ورطوا البلاد في نكبة الحرب ضد بريطانيا وتركوا شعبها المخلص لهم يموت جوعًا) [٥] .

---

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (١٨٦) .
(٢) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص (١٠٧) .
(٣) انظر: برقة العربية، ص (٣٦٠) .
(٤) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (١٨٧) .
(٥) انظر: تاريخ حرب طرابلس، إبراهيم لطفي، ص (٥٧) .

ويلخص عبد الرحمن عزام حالة الانتظار تلك في قوله: (. . . كنا نترقب السواحل باستمرار مؤملين أن ترى الغواصات الألمانية إشاراتنا بالرايات في النهار، أو نيراننا التي كنا نشعلها في الليل، وتركزت آمالنا في أن تمدنا الغواصات بشيء من السلاح والمال والمؤونة، وقد بقينا نحو أربعة شهور وصلنا فيها إلى حالة مروعة من الفقر . . .) (١) .

كان السيد محمد إدريس متأدبًا مع ابن عمه أحمد الشريف غاية التأدب ولذلك لم يتخذ أي قرار لمعالجة الموقف الحرج الذي تمر به البلاد إلا بعد ما كتب إلى أحمد الشريف وشرح له ما كان يجري في برقة، فردّ عليه الأخير برسالة في أواخر عام ١٩١٦م جاء فيها: (. . . اعمل ما تراه مناسبًا، والحاضر يرى ما لا يراه الغائب، وأنا موافق على مطالب أهل الوطن حيث أن لهم حقًا في ذلك . . .) (٢) .

كان ظهور محمد إدريس على مسرح العمل السياسي الليبي في تلك الفترة الحرجة مهمًا للغاية لما تمتع به من صفات أهلته لزعامة البلاد، وآلت الأمور إلى أن بايعه أهل برقة بالإمارة، ثم أهل طرابلس بعد فشل الجمهورية الطرابلسية وهذا ما سوف نراه بإذن الله تعالى في هذا الكتاب .

كان من رأي إدريس أن يدخل في مفاوضات مع الإنجليز، والوصول على الأقل إلى اتفاق مؤقت من أجل فتح الطرق مع مصر، حتى يتمكن من القضاء على خطر المجاعة، ولم يكن زعماء برقة يمانعون من دخول محمد إدريس في التفاوض مع إيطاليا أو إنجلترا ما دامت تلك المفاوضات تساعدهم في القضاء على شبح المجاعة الذي هدد البلاد، ولم تكن هناك عوائق أمام تحقيق تلك المطالب وخصوصًا أن محمد إدريس تعرّف أثناء زيارته للحج على الكثير من رجالات العرب، مثل شريف مكة حسين ودرس معه القضية العربية التي كانت آنذاك في دور اليقظة (٣) كما أنه

(١) ذكريات عزام، الحلقة ٨، مجلة المصور، العدد ( ) ١٣٣٢هـ، ١٩٥٠م، القاهرة، ص (١٩) .
(٢) انظر: ليبيا اليوم، محمد الأشهب، ص (٧) .
(٣) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا .

أصبح بعد تلك الزيارة رجلاً مهمًا بالنسبة لبريطانيا وحلفائها، وشرع محمد إدريس لدفع البلاد نحو دهاليز السياسة، فأرسل رسالة إلى ممثل الملك جورج الخامس في مصر، وهو الجنرال ماكماهون في ذلك الوقت مقترحًا عقد مفاوضات للصلح، فأجاب بالموافقة على فكرة إجراء المفاوضات من حيث المبدأ بشرط أن يشارك فيها الإيطاليون أيضًا، ولم يجد محمد إدريس مفراً من قبول ذلك الشرط، وخصوصًا أن موقفه كان صعبًا حيث أن هزيمة جيش السيد أحمد الشريف في مصر جردت السنوسيين من عنصر القوة العسكرية، فأصبح محمد إدريس مضطراً إلى التفاوض من موقع ضعف عسكري، بينما كان رصيده الوحيد في ولاء قبائل برقة، وحرص الإنجليز على كسبه لصفهم وإضعاف الزعامة السنوسية الموالية للأتراك كما أن من العوامل التي ساعدت في دفع محمد إدريس نحو التقارب مع السياسة البريطانية ثورة الأتراك ضد السنوسية .

خامسًا: ثورة الأتراك ضد السنوسية:

بدأت تلك الثورة في أواخر سنة ١٩١٦م وانتشرت في جهات عديدة حتى تُوِّجت بالنصر على السنوسية في فزان خلال شهر سبتمبر سنة ١٩١٧م، وطردوا منها محمد عابد السنوسي الذي التجأ إلى «الكفرة» وترك واحة واو، وأصبحت فزان منذ ذلك الحين بيد الأتراك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى [١] .

وفي إجدابية بدأ تحرك الضباط الأتراك منتهزين فرصة انشغال إدريس بالمفاوضات بعكرمة، فبدأوا بتأليب المجاهدين ضد السنوسيين هناك، فلما علم إدريس بذلك جاء بقوات كبيرة يقودها كل من عمر المختار والذي كان سنداً قويًا لمحمد إدريس، ويقودها قجة عبد الله، وعسكر إدريس بقواته خارج مدينة إجدابية، وضرب حول معسكر الأتراك بالمدينة حصاراً، وخيَّرهم بين أمرين: التسليم أو مغادرة إجدابية إلى أراضي طرابلس، وقبلوا الأمر الثاني فغادر الكثير منهم برقة إلى طرابلس، واعتقل

---

(١) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا ، ص (١١٦) .

جماعة منهم، وأرسل بعضهم إلى الجغبوب والبعض الآخر إلى «الكفرة» (١) وبعد إخماد تلك الحركة عاد مسرعًا إلى عكرمة لإكمال مفاوضاته (٢) .

واستمر الأتراك في مضايقة محمد إدريس، وتضييق الحصار عليه وعملوا على الإطاحة به، وأرسل نوري باشا بعثته الأولى الصغيرة إلى «الكفرة» لضرب النفوذ السنوسي هناك إلا أن تلك البعثة فشلت وانتهت بوقوع أعضائها في أيدي صفي الدين السنوسي الذي استطاع أن يكشف أمرهم بسرعة، وأودعهم السجن (٣)، أما بالنسبة لفزان فقد استطاع نوري أن يشعل الثورة هناك ضد السنوسية وسيطر الأتراك عليها كما ذكرنا، وقد ودع نوري ياشا أحد زعماء الحملة واسمه الملازم محمد الأرناؤوطي فقال له: (اذهب وافعل ما تستطيع عمله واكتب لي بما تحقق من نجاح في «مصراته»، إنني أثق في شخصك ولا أستطيع أن أعطيك مالاً أكثر مما أعطيتك لأنني لا أملكه، إنك ستجد في فزان ذهبا وسلاحًا بكميات كثيرة؛ لأن الإيطاليين قد تركوا منها الكثير هناك، ولا تنسَ أنك محارب وأنك ذاهب إلى حرب مقدسة للجهاد في سبيل الله) (٤) .

وقام الأتراك بمهاجمة الجفرة التي كان بها عبد الجليل سيف النصر، وكان يتولى قيادة هذه الحملة الضابط التركي برتو توفيق، وعبد النبي بالخير، وتكونت الحملة من قسم كبير من مسلحي مصراته وزليطن برئاسة شرف الدين العمامي الزليطني والحاج محمد الروياتي المصراتي كان غرض القيادة التركية توسيع نفوذها في تلك الجهات والقضاء على شوكة السنوسية وتأمين المواصلات بين طرابلس وفزان، ووصلت الحملة إلى الجفرة، وتمكنت من طرد الأهالي (أولاد سليمان، وقذاذفة، بعض المغاربة) (٥) واضطر السنوسيون لجمع قوة مسلحة كبيرة من أنصارهم في النوفلية

---

(١) انظر: جهاد الأبطال، ص (١٣٣) .

(٢) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (١١٧) .

(٣) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص (١١٨) .

(٤) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص (١١٨) .

(٥) المصدر السابق، ص (١٢٠) .

وذلك في منتصف شهر نوفمبر من سنة ١٩١٧م، وشنوا هجومًا معاكسًا ضد الأتراك، وأعوانهم فس سوكنة واستطاعوا تحقيق نصر كبير عليهم، وطردوا القوات التركية الطرابلسية في الجفرة بعد أن خسرت الكثير، وأسرت القوات السنوسية القائمقام التركي برتو توفيق وقامت بشنقه [1] .

لقد كانت مواقف الأتراك من الحركة السنوسية مشجعة لمحمد إدريس على ضرورة المفاوضة مع الانكليز لا لتدارك المجاعة المهلكة فحسب، بل للقضاء على الأتراك الذين سعوا للقضاء على نفوذ السنوسية وإقصائهم من ليبيا وتمكين القيادات الطرابلسية الموالية لهم في البلاد .

إن محمد إدريس فقد الثقة في الأتراك وعمل على إفشال أهدافهم وأرسل إلى ابن عمه أحمد الشريف رسالة يبين له غدر الأتراك به على حد زعمه كانت الرسالة بتاريخ ٢٦ ربيع أول عام ١٣٣٥هـ (٢ يناير ١٩١٧م) تساءل فيها إدريس عن ثمرة وعود الأتراك المتكررة عندما أرسل هؤلاء (الباروني ممثلاً لجلالة السلطان في طرابلس وأعطوه أسلحة وذخيرة وزودوه بمنشورات كثيرة مقدار ما يملأ الدنيا منها، بينما أنتم - مخاطبًا السيد أحمد - تجاهدون من أجلهم، وهم لا يكتفون بعدم الاهتمام بكم، بل يغدرونكم بإرسال خائن إلى بلادكم ويبذلون له كل مساعدة في الوقت الذي يتحدث فيه - فقط وقبل كل شيء- عن طرابلس ولا يذكر السنوسية بكلمة واحدة، وفضلاً عن ذلك فإن السيد أحمد - على حد ما جاء في هذه الرسالة - كان يقول دائمًا: (إن أنور (أخبره) بأن السلطان أصدر فرمانًا بتعيينه نائبًا عن الخليفة في أفريقيا ولكن ما قيمة هذا الكلام إذا كانت الأقوال تختلف عن الأفعال؟ فإلى متى يجب علينا نحن وأتباعنا أن نقف مكتوفي الأيدي أمام هذه الوعود الباطلة الكثيرة التي سوف تنتهي من غير شك بنتيجة واحدة هي القضاء علينا وعلى أوطاننا؟ ويا لها من كوارث عظيمة تلك التي نزلت بأهل هذا الوطن [2] .

---

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٢٢٣) .

(٢) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (١٩١) .

ومن الأسباب التي جعلت محمد إدريس يتـقارب مع الإنكليز قناعته بأن نهوضه ببرقة لا بد له من دعم خـارجي؛ مادي ومعنوي، ورأى - ببعـد نظره السياسي- أن الحرب العالمية سينتصر فيها الحلفاء ولذلك حرص على التقارب من بريطانيا، صاحبة التفـوق في منطقة الشرق ولذلك سـعى إليها لتقليـل الخسائر، والمحافظة على كـيان السنوسية الذي تعمل تركيا على تحطيمه في البلاد في تلك المرحلة .

لقد حرص محمد إدريس على التقليل من الخسائر إلى أقصى حد، واتخذ قراراً بالانسحاب من الحـرب ضد إيطاليا وبريطانيا ووافقـه زعماء القبائل التـابعين للحركة السنوسية على ذلك .

❊ ■ ❊

المبحث الثاني
موقف الإسلام من المعاهدات مع العدو

قال الإمام الشافعي، في هذا الصدد ما يلي: (إذا ضعف المسلمون عن قتال المشركين، أو طائفة منهم لبعد دارهم، أو كثرة عَدَدِهم، أو خلة بالمسلمين، أو بمن يليهم منهم جاز لهم الكف عنهم، ومهادنتهم على غير شيء يأخذونه من المشركين - ثم يقول - فأحب الإمام، إذا نزلت بالمسلمين نازلة- وأرجو أن لا ينزلها الله عز وجل بهم، إن شاء الله تعالى - مهادنة يكون النظر لهم فيها . ولا يهادن إلا إلى مدة ولا يجاوز بالمدة مدة أهل الحديبية، كانت النازلة ما كانت، فإن كانت بالمسلمين قوة قاتلوا المشركين بعد انقضاء المدة . فإن لم يَقوَ الإمام فلا بأس أن يُجدد مدة مثلها أو دونها . . .) (١) .

وقال في «المهذب» - بصدد ما نحن فيه-: (لا يجوز عقد الهدنة لإقليم، أو صقع عظيم إلا للإمام، أو لمن فوض إليه الإمام، فإن كان الإمام، أو لمن فوض إليه الإمام، فإن كان الإمام مستظهراً (٢) نظرت: فإن لم يكن في الهدنة مصلحة لم يجز عقدها لقوله عز وجل: ﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ (سورة محمد: ٣٥) . وإن كان فيها مصلحة بأن يرجو إسلامهم، أو بذل الجزية، أو معاونتهم على قتال غيرهم جاز أن يهادن . . . ثم يقول: وإن كان الإمام غير مستظهر بأن كان في المسلمين ضعف وقلة، وفي المشركين قوة وكثرة، أو كان الإمام مستظهراً لكن العدو على بعد ويحتاج في قصدهم إلى مؤونة مجحفة - جاز عقد الهدنة إلى مدة تدعو إليها الحاجة ؛ وأكثرها عشر سنوات ؛ لأن رسول الله ﷺ هادن قريشًا في الحديبية عشر سنين . . .) (٣) .

يفهم مما تقدم أم مصلحة الإسلام والمسلمين هي المحور الذي ينبغي أن يدور عليه

---

(١) انظر: المغني لابن قدامة (١٠ / ٢٥٩) . (٢) أي: غالبًا .
(٣) المهذب للشيرازي (٢ / ٢٥٩-٢٦٠) هذا والجمهور على عدم تقييد المعاهدة بعشر سنوات بل يرجع تقييدها إلى المصلحة سواء زادت على عشر سنين أو نقصت عنها .

عقد المعاهدات مع العدو، وهذه المصلحة يرجع تقديرها إلى خلفية المسلمين، أو من يفوض في هذه المسألة .

ففي عصرنا اليوم، وقد تخلف المسلمون عن غيرهم من الشعوب، والدول المتقدمة في مجالات العلم، والصناعات، والأجهزة والمعدات العسكرية . . . وما إلى ذلك، قد يكون من المصلحة عقد المعاهدات مع بعض تلك الدول، بحيث تؤدي إلى نقل ما تمتلكه في هذه المجالات، إلى بلاد المسلمين، مما تتحقق معه المنفعة التي تربو على ما يمكن أن ينشأ عن تلك المعاهدات من بعض المفاسد .

كما أننا في هذا العصر، حين نجد الدول الاستعمارية، وهي تبحث عن أية ذريعة تُسوِّغُ لها - في نظر العالم - أعمالها العدوانية ضد المسلمين، وتتحين أية فرصة مناسبة للسيطرة على ثرواتهم، وتمزيق شملهم، وتدمير منشآتهم الحيوية . . . حين نجد الدول الاستعمارية على هذه الحال، فإن مصلحة الإسلام والمسلمين تحتم على المسئولين أن يتجنبوا كل ما من شأنه أن يجعل تلك الدول الظالمة تكشف لهم عن مخالبها، أو تكشر عن أنيابها، وعليهم في مثل هذه الأحوال أن يعقدوا مع العدو من المعاهدات المشروعة ما يكون نفعه أكبر من ضرره بالنسبة إلى الإسلام والمسلمين، من أجل قطع الطريق على مخاطر أكبر ومفاسد أعظم . هذا، مع وجوب السعي، في الوقت نفسه، إلى المعالجة الجادة لواقع الوهن، والهوان والخزي الذي يعيشه المسلمون بسبب ما هم عليه من عداوات وتمزق، وتجزئة، وتخلف [1] .

إن هذا المدخل يساعدنا على الإنصاف، والحكم بالعدل عندما ندخل في دراسة المفاوضات التي مارسها محمد إدريس مع بريطانيا وإيطاليا، أو التي قام بها زعماء طرابلس بعد إعلان الجمهورية الطرابلسية مع إيطاليا، وتعطي الأجيال نوعًا من الفقه المتعلق بالعلاقات الدولية في الإسلام، وتجعلها تهتم بقضية المعادلة الدولية، وعدم إغفالها أثناء سعيها الدءوب لتحكيم الإسلام في دنيا الناس، وواقع الحياة .

---

(١) انظر: الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، محمد خير هيكل، (٣ / ١٤٨١، ١٤٨٣) .

أولاً: الدخول في المفاوضات بين محمد إدريس وبريطانيا وإيطاليا:

كانت السياسة الإنكليزية في مصر ترى محمد إدريس أقرب إليها من أحمد الشريف، ووصف الوفد الإدريسي الذي بعث به الإنكليز إلى برقة قبيل نشوب الحرب الليبية الإنجليزية على حدود مصر الغربية إدريس: (بأنه أكثر اعتدالاً وأشد حزمًا وأنه من أشد المعارضين لغزو حدود مصر الغربية والاشتباك في حرب مع الإنكليز، لما تنطوي عليه من أخطار، وأنه غادر المسيعيد إلى جهة الجبل الأخضر احتجاجًا على سياسة السيد أحمد الشريف المائلة إلى الترك والألمان والتساهل معهم ....) وعلى ضوء تلك المعلومات أذن الحكام في مصر للوفد بأن يكاتب إدريس بغية الوصول إلى اتفاق معه [١]، والاستفادة من العلاقات القائمة التي كانت تربط الأسرة الإدريسية بمصر بالبيت السنوسي لكونها من أبناء وأحفاد أحمد بن إدريس الذي كان شيخًا ومعلمًا للسيد السنوسي الكبير في مكة [٢] .

واستمرت المراسلات بين أبناء البيت الإدريسي ومحمد إدريس السنوسي، وانتهت إلى الوصّول لاتفاق يقضي بسفر وفد إنكليزي وإيطالي إلى إجدابية لعقد صلح بين الأطراف الثلاثة ينهي الخلافات بينهم [٣] .

وقد أبلغ الإنكليز إدريس بصفة رسمية أنهم لن يشرعوا في دخول مفاوضات معه لأجل الصلح إلا شريطة قبوله فتح باب المفاوضة مع حليفتها إيطاليا، وقد وصل في أواخر سنة ١٩١٦م إلى الزويتينة وفد من الإنكليز والإيطاليين ومعهم من المصريين أحمد محمد حسنين أفندي، ومحمد الشريف الإدريسي وابنه محمد المرغني، وكانوا جميعًا ضمن الوفد الإنكليزي، إضافة إلى الكولونيل تالبوت الذي له دراية كبيرة بشئون الشمال الأفريقي، والضابط اللفتننت هسلم .

كان الوفد الإنكليزي قد جاء بطريق البحر من القاهرة إلى بنغازي للاجتماع

---

(١) انظر: الدولة العربية المتحدة، أمين السعيد، ص (٣١-٣٢) .

(٢) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص (١٢٦) .

(٣) المصدر السابق نفسه، ص (١٣٠) .

بالوفد الإيطالي الذي كان مكونًا من الكولونيل بيلا، والكوماندانور بياجنتيني ومترجمهم ولم يطل الوفد الإقامة في بنغازي، بل سافر إلى الزويتينة بيخت خاص، فوافاهم إليها إدريس من إجدابية وكان من بين من معه: علي باشا العابدية [١] .

بدأت المفاوضات بين الأطراف الثلاثة خلال شهري أغسطس وسبتمبر سنة ١٩١٦م [٢] . وكان الوفاق والتفاهم ظاهرًا فيما بين الجانبين الإنكليزي والسنوسي أما العلاقات الإيطالية فقد كانت مغايرة لذلك تمامًا .

وكان أول طلب للإيطاليين هو موضوع الأسرى الإيطاليين، يقول برتشارد: (. . . لكن إدريس لم يكن ينوي تسليمهم بدون واحدة بواحدة، فاتبع تكتيكه المعتاد في المماطلة، لقد توسل بأن عليه أن ينال موافقة أحمد الشريف أولاً؛ لأن الأخير هو الذي أسرهم، أما من جهته فليس بوسعه أن يصدر أوامره فيما يصدر ابن عمه أوامر مناقضة لها . . .) [٣] .

وقد أجّل بحث هذه النقطة إلى فترة أخرى قريبة، ثم قدّم الوفد الإيطالي بقية شروطه للوصول للصلح مع السنوسيين، وقد تمثلت الشروط في الآتي:

١- أن يعترف إدريس بالسيادة الإيطالية على كل برقة من (منطقة بنغازي إلى «الكفرة»).

٢- أن يسلم المجاهدون أسلحتهم فلا يبقى لديهم سوى ما يكفي للمحافظة على أنفسهم.

٣- إحلال السلام مع وقف العمليات الحربية بين الجانبين .

٤- اعتراف إيطاليا بالسنوسية زعامة وطريقة .

٥- منح «الكفرة» - مقر السنوسيين - استقلالاً إداريًا .

---

(١) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص (١٣٢) .

(٢) المصدر السابق نفسه، ص (١٣٢) .

(٣) السنوسيون في برقة ، ترجمة عمر الديراوي أبو حجلة، ص (٢٣٢) .

٦- تتعهد إيطاليا بقيام المحاكم الإسلامية الشرعية .

٧- تتعهد إيطاليا بالعمل على تحسين الأحوال الصحية في البلاد وإنشاء المستشفيات والمدارس .

إن شرط الإيطاليين الخاص بمسألة اعتراف السنوسيين بالسيادة الإيطالية في برقة كان مهدداً بفشل المفاوضات بصفة عامة، لذا فقد تأجل النظر في هذه المسألة من الجانب السنوسي، إلا أن الإيطاليين قد تمسكوا بهذا البند كثيراً، وكأن المفاوضات كانت من أجله فقط .

وتقدم محمد إدريس بوجة نظره في هذه المفاوضات، وتتلخص أهم شروطه في الآتي:

١- وجوب الاعتراف من قبل إيطاليا باستقلال السنوسيين .

٢- الاعتراف بشخص إدريس السنوسي أميراً على برقة .

٣- وضع حدود بين الأراضي الخاضعة لكل من الطرفين (السنوسي والإيطالي)، فكل طرف يحتفظ بما تحت يديه من أراضٍ تحدد بخرائط واضحة مع عدم التعدي على أراضي الطرف الآخر .

٤- الإسراع بفتح الطرق التجارية وضمان سلامتها .

لقد كان محمد إدريس يدرك جيداً بأن الاتفاق مع إيطاليا كان بالنسبة له ضرورة ملحة لا مفر منها، لكنه اتضح بدون شك بأن الاتفاق في صالح الإيطاليين أكثر مما هو في صالحه [١] .

يقول الكاتب الإيطالي فبرينثربوسيرا:

(. . . لقد ساد جو المفاوضات بعض من التذمر نتيجة لأسباب نشأت بالمناسبة أثارت اشمئزاز إدريس ونفوره، خاصة وأن الظروف التي نشأت كانت تتعارض مع

(١) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص (١٣٦) .

الأهداف التي كان إدريس يسعى إلى تحقيقها . . ويضيف قائلاً: إن المفاوضين الإيطاليين رأوا أنه ليس هناك لزوم لاتباع محادثات الخطوة خطوة وذلك بالنظر إلى عدم التأكد من إحراز أية نتيجة تذكر، كما أن طريقة التصرف في الأمور وما لازمها من حنق وغيظ، إلى جانب مجاراة الزمن دون فائدة، كل ذلك كان له أثره الفعال لدرجة انعدمت معه تلك الآمال في الوصول إلى النتيجة التي كان يحبذها، ويرغبها إدريس . . .) [١] .

واستمرت هذه المفاوضات قرابة شهرين أو يزيد وانتهت بالاتفاق على بعض الامور بين الطرفين تقوم على الأسس الآتية:

١- تنتهي حالة الحرب بين السنوسيين والإيطاليين وينادى بالسلام .

٢- يعترف الإيطاليون باستقلال السنوسيين داخل برقة .

٣- يبقى الإيطاليون في الساحل ويحتفظون بما في حوزتهم من الأراضي الساحلية .

٤- تحديد مناطق النفوذ بين أراضي الطرفين .

٥- تفتح الطرق التجارية وتعود البلاد إلى حالة السلم ويكون الدخول والخروج بتصاريح .

٦- يعترف الإيطاليون بإدريس زعيمًا للطريقة السنوسية في برقة .

وقبل أن تتفرق الوفود جرى تحديد أراضي الفريقين على الورق (خريطة) واحتفظ كل وفد بخريطة للاعتماد عليها عند الحاجة [٢] .

إلا أن الحكومة في روما نقضت هذا الاتفاق واعتبرت شروطه مذلة فنقضتها على أساس أن مفاوضيها لم يكونوا يملكون الصلاحيات لتوقيعها [٣] .

---

(١) انظر: إيطاليا والسنوسية ، ترجمة محمد السيد أبو مدين، ص (٩٠)، وما بعدها .

(٢) انظر: الدولة العربية المتحدة، ص (٣٨) .

(٣) انظر: السنوسية في برقة، إيفاتر برتشارد، ص (٢٣٢) .

وأصدر والي برقة (جيوفاني أميليد) [1] أمرًا بقطع المفاوضات وتم له ما أراد وأخفقت مفاوضات الزويتينة .

أما الوفد الإنكليزي فقد كانت مهمته يسيرة، فلم تكن هناك أية صعوبة في الوصول إلى اتفاق مع السنوسيين، ولكن الصعوبة تكمن في إصرار الكولونيل تالبوت رئيس الوفد على عدم التوقيع على أي اتفاق مع السنوسيين قبل أن ينتهي إدريس من الاتفاق مع الإيطاليين ويتم التوقيع من الطرفين على هذا الاتفاق [2] .

ويذكر عزام: (. . . إن الوفد الإنكليزي كان قد طلب إلى إدريس السنوسي المبادرة بالقبض على المتطوعين المصريين والعمل على تسليمهم إلى السلطات الإنكليزية في السلوم ولكن إدريس رفض ذلك . . . .) [3] .

كانت هناك عدة عوامل ساعدت محمد إدريس وقوّت موقفه في المفاوضات فمن أهمها:

١- عدم وجود منافس قوي له في برقة، فالغالبية تنضوي تحت زعامته وخاصة بعد فشل حملة أحمد الشريف ضد الإنكليز في مصر، بما في ذلك قادة المجاهدين، وضباطهم وشيوخ القبائل ورؤساء الزوايا الدينية، مثل : إبراهيم المصراتي، خالد الحمري، عمر المختار، موسى بولامين الحمري، الفالح محمد الدرسي، الشارف الغرياني، محمد بومليحة العبيدي، السنوسي الغزالي، محمد أبو الشويخ، عياد بالقاسم البرعصي، شعيب الخدة، حمد أبو جالي العبيدي، عمر منصور الكخيا، وغيرهم كثيرون .

٢- استمرار الحرب العالمية الأولى وانشغال الجميع بها ورغبة الجميع في عدم فتح جبهات قتالية جديدة تكلفهم المزيد، أفاد إدريس وعزز مركزه في المساومة .

٣- وجود ضباط أتراك وألمان في برقة يدعم موقف إدريس وهذا ما يخيف

---

(١) أحد القادة العسكريين الإيطاليين الكبار .

(٢) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (١٩٦) .

(٣) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص (١٣٨) .

بريطانيا وإيطاليا ويجعلهما تعملان على إنجاح التفاوض وإنهاء المشكلة بسرعة خوفًا من تغير موقفه .

٤- شجعت سياسة بريطانيا في الشرق - المتمثلة في تشجيع العرب وحصولهم على استقلالهم وتكوين دول وإمارات مستقلة - محمد إدريس على المطالبة بتكوين إمارة مستقلة في برقة لا تخضع للإيطاليين، وهو بهذا يكون مطالبًا بحقوق إمارة له مثلما حدث في الحجاز (ثورة الشريف حسين) وفي عسير (إمارة الأدارسة) وخصوصًا أن بريطانيا كانت قد شجعت كل المناهضين والثائرين ضد الحكم العثماني واعدة إياهم بالحصول على استقلالهم وسيادتهم .

وفي أوائل سنة ١٩١٧م تمت اتصالات جديدة بين الإنكليز والإيطاليين والسنوسيين، وقد لعب محمد الشريف الإدريسي وابنه المرغني دوراً هامًا في إنجاح هذه الاتصالات وموافقة جميع الأطراف على تجديد المفاوضات .

وتألف الوفد الإنكليزي هذه المرة من : الكولونيل تالبوت رئيسًا، والضابط رود ابن السفير الإنكليزي بروما [١]، وأحمد محمد حسنين ؛ أما الوفد الإيطالي فكان مكونًا من الكولونيل أرتوري برنتو رئيسًا للوفد [٢]، والكولونيل دي فيا وتراجمهما، وكان الوافدان الإنكليزي والإيطالي يقيمان في مدينة طبرق، أما إدريس ومستشاروه[٣] وأعوانه فقد أقاموا في منطقة عكرمة وبدأت المفاوضات مع بداية العام الجديد، ورغم أنها اتسمت بطابع الحذر والحيطة إلا أن جهوداً ومساعي قد بذلت فيما يبدو لإنجاحها والوصول إلى حلول يقبلها الجميع، وتقدم الوفد الإيطالي بمذكرة رقم (١) توضح وجهة نظره متمثلة في النقاط التالية:

١- حل المعسكرات السنوسية وتسريح حامياتها .

٢- يتم نزع السلاح من رجال القبائل بصورة تدريجية في فترة زمنية قدرت بسنة واحدة .

---

(٤) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (١٩٦) .

(١) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص (١٤٣) .

(٣) المصدر السابق نفسه، ص (١٤٣) .

٣- للحكومة الإيطالية تعيين شيوخ الزوايا الدينية التي تقع في مناطقها وذلك بمشورة إدريس .

إلا أن الوفد السنوسي لم يقبل كل ما جاء في المذكرة الإيطالية، وتقدم باقتراحاته في المذكرة رقم (٢) وقد جاء فيها ما يلي:

١- يقوم الإيطاليون بتنفيذ جميع طلبات الوفد السنوسي التي قدمها أثناء مفاوضات الزويتينة العام الماضي (١٩١٦م) .

٢- يرجأ البحث في نقاط المذكرة الإيطالية رقم (٢) إلى مباحثات تتم في المستقبل (١) .

إلا أن الإيطاليين تقدموا بحلول جديدة قدموها في مذكرة جديدة رقم (٣) وتنازل الوفد الإيطالي فيها عن بعض شروطه وتساهل في قبول بعض شروط إدريس حتى أن ريتشارد يقول: (... إن الحل رقم (٣) أعطى إدريس جميع مطالبه تقريبًا)(٢) وتقدم إدريس بمذكرة جديدة رقم (٤) .

لقد طالت مدة المفاوضات، فاستغرقت الفترة ما بين شهر يناير إلى منتصف أبريل تقريبًا، والجلسات معقودة والحوار مستمر، وكانت لضغوط الإنكليز أثر على الطرفين الإيطالي والسنوسي حتى تم التوصل إلى اتفاق ارتضاه الجميع وكانت بنوده تتمثل في الآتي:

١- إيقاف العمليات الحربية بين الطرفين ابتداء من تاريخ هذه المعاهدة .

٢- يقف الإيطاليون عند النقط التي كانوا يحتلونها في شهر أبريل سنة ١٩١٧م ويتعهدون بأن لا يعملوا على إقامة وتجديد مراكز عسكرية مستقبلاً، على أن يكون هذا الشرط مقيداً للسنوسيين أيضًا (٣) .

٣- لا يحق لأي من الطرفين نهب أو اغتصاب أو أخذ ممتلكات الطرف الآخر.

---

(١) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص (١٤٥) .

(٢) المصدر السابق نفسه، ص (١٤٥) .

(٣) انظر : ليبيا في العصور الحديثة، نقولا زيادة، ص (٩٠) .

٤- يعتبر كل من الطرفين مسئولاً عن الأمن والسلام في المنطقة التي تخضع لنفوذه.

٥- يسمح لكافة التجار والعاملين بالتجارة بحرية الارتحال والمتاجرة مع الدواخل فهي (طبرق - درنة - بنغازي) على أن تشمل حرية التجارة بقية الموانئ مستقبلاً .

٦- بقاء جميع الزوايا السنوسية التي سيطر عليها الإيطاليون سابقًا تحت النفوذ السنوسي .

٧- تعفى جميع الزوايا السنوسية وممتلكاتها من الرسوم والضرائب .

٨- تدفع الحكومة الإيطالية مرتبات لمشايخ الزوايا الواقعة ضمن مناطق نفوذها على أن يقوم هؤلاء بدور الوسيط بين السلطات الإيطالية وأهل البلاد حين الحاجة [١] .

٩- يطبق على السكان الليبيين القاطنين في مناطق النفوذ الإيطالي قانون الأحوال الشخصية الإسلامي [٢] .

١٠- تدريس القرآن الكريم وأصول الدين في المدارس والمساجد الليبية الواقعة ضمن مناطق النفوذ السنوسي .

١١- تعفى البضائع المستوردة للسنوسيين وطلابهم من الجمارك عدا تجارة السلاح.

١٢- تقدم إيطاليا المعونة المالية وتسمح بتوصيل الأدوار بأقرب المراكز الإيطالية بالهاتف لتسهيل الاتصال وتبادل الرأي [٣] .

١٣- يقوم محمد إدريس بإبعاد كل من يكدر العلاقات بينه وبين الإيطاليين .

---

(١) انظر: برقة الدولة العربية الثامنة، نقولا زيادة، ص (٩٢) .

(٢) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص (١٤٦) .

(٣) انظر: قضية ليبيا، محمود الشنيطي، ص (٨٣) .

١٤- يؤجل النظر في مرتبات العائلة السنوسية .

١٥- يلزم الاتفاق استعجالاً ويتفق الجميع على الاصلاح وإطفاء الفتن [١] .

وإضافة إلى هذه البنود فقد تم مسبقًا الاتفاق على نقطتين هما تبادل الأسرى، وإعادة فتح الأسواق .

أما الاتفاق السنوسي - الإنكليزي فقد تم التوصل فيه على النقاط الاتية:

١- فتح طرق التجارة عند السلوم واتخاذ ميناء السلوم مركزًا للتبادل التجاري . على أن يكون طريق الإسكندرية - السلوم الطريق الوحيد الذي تمر منه السلع إلى برقة .

٢- تسليم الضباط الأتراك وغيرهم من أعداء بريطانيا إذا وقعوا تحت قبضة إدريس مستقبلاً إلى الإنكليز .

٣- خروج جميع المسلحين التابعين للسنوسية وأعوانها من كل الأراضي المصرية.

٤- عدم قيام أية تجمعات عسكرية أو مدنية مسلحة قرب الحدود المصرية الليبية.

٥- صيانة أموال السنوسية في مصر .

٦- تسمح السلطات البريطانية في مصر بجمع المعلومات المادية من أنصار الطريقة السنوسية ومؤيديها .

٧- تخضع واحة الجغبوب إلى إدارة وإشراف السنوسيين .

٨- يكفّ السنوسيون عن إنشاء زوايا دينية لهم داخل الأراضي المصرية .

٩- إبعاد المفسدين والعابثين بالأمن ومحدثي الشغب والقلاقل من مناطق الحدود بين البلدين.

١٠- إطلاق سراح المعتقلين في مصر من أتباع السيد أحمد الشريف [٢] .

---

(١) انظر: قضية ليبيا، ص (٨٣) .

(٢) انظر: قضية ليبيا، ص (٨١) .

١١- تسليم جميع الرعايا البريطانيين والمصريين التابعين لدول الحلفاء إلى الحكومة البريطانية في مصر .

وقبل أن تنتهي المفاوضات بين الأطراف المذكورة في عكرمة طلب اللواء تالبوت رئيس الوفد الإنكليزي، ومحافظ الصحراء الغربية إلى إدريس السنوسي أن لا يبقى رجالاً مسلحين في واحة الجغبوب، وقد رد محمد إدريس على هذا الطلب رداً سياسيًا دبلوماسيًا بكتاب مؤرخ في يوم ١٠ أبريل ١٩١٧م جاء فيه ما يلي:

(... إن الجغبوب واقعة في مكان سحيق في الصحراء وهي موصلة لعدة طرق مع مصر ومع الجبهات الغربية، والآن بما أن مهمتي حفظ النظام ومنع الدسائس في مصر وقطع دابر السرقات والتهريب، فلا بد أن يكون لدي لهذا الغرض قوة يخشى الناس بأسها ....) (١) .

واستطرد إدريس واصفًا حالة العرب في الصحراء ووجوب المحافظة على الأمن فيها إلى أن قال: (... هذه هي الأسباب التي تضطرني لطلب السماح لوجود رجال مسلحين في الجغبوب) (٢) .

يرى بعض المؤرخين (٣) أن معاهدة عكرمة في طبرق كانت خير وسيلة لتحقيق السلم وصون مصالح العرب المجاهدين في برقة، كما أنه اتيحت فرصة لمحمد إدريس لتنظيم القبائل تنظيمًا من شأنه أن يجمع الكلمة ويقضي على بذور الفتنة والاضطراب، كما ساعد ذلك الاتفاق على تأييد نفوذ محمد إدريس حتى بدأ الأهالي من ذلك الحين يلقبون محمد إدريس (بالمنقذ)، وكان من أهداف الطليان من إبرام اتفاق عكرمة تمكينهم من أن يتصلوا مباشرة بالأهلين وأن يمدوا نفوذهم في داخل البلاد عن طريق هذا الاتصال المباشر ؛ وهذا ما كان السيد إدريس يدركه حق الإدراك ويعمل من جانبه على تعطيله ومقاومته، وتركزت جهود محمد إدريس في أمرين هامين بعد تلك المعاهدة:

---

(١) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص (١٤٩) .
(٢) انظر: ميلاد دولة ليبيا الحديثة، ص (١٨٦) .
(٣) منهم دكتور محمد فؤاد شكري .

أولاً: إقامة الحكومة الوطنيـة الرشيدة التي تحفظ مصالح البـلاد، وتتولى زعامة القبائل في برقة، وتطالب بكل حقوقهم .

ثانيًا: مـقاومـة نفوذ الطليـان ومنع اتصالـهم بالعرب بكل الوسـائل في داخل البلاد[1] .

واستطاع مـحمد إدريس أن يقيـم حكومة وطنية فعليـة عاصمـتها إجدابيـة عام ١٩١٧م .

ثانيًا: إجدابية عاصمة الحكومة الوطنية:

اتخذ محمد إدريس إجدابية مركزًا لقيادته، وذلك لعدة أسباب نجملها فيما يلي:

١- تتمتع إجدابية بموقع استراتيجي هـام؛ لأنها تملك حماية محدودة من البحر وابتعـادها عنه نسبـيًا، ثم أن لها مـيناءً صغـيرًا تصلها به عن طريق (الـزويتينة) كل الاحتياجات، كـما أنها كانت قريبة من مرسى البريقة الـبحري الذي كانت تصل إليه بعض الأحيان الغواصات الألمانية قادمة من تركيا باحتياجات المجاهدين .

٢- وقوعها في منتصف قاعدة مثلث رأسه في «الكفرة» وقاعدته النوفلية والجبل الأخـضر، كـمـا أنها تمثل الامـتـداد الطبيـعي لواحـات جـالوا وأوجلة، جخـرة، و«الكفرة»، وهذا يعطيها بعدًا استراتيجيًا هامًا .

٣- كونهـا من أهم المناطق في تجارة الـقوافل سواء بين طرابلـس وبرقة، أو بين الواحات الجنوبية والساحل، أو بين تشاد وبرقة وغير ذلك من الخطوط التجارية .

٤-قربها من طرابلس زاد من أهميتها السياسية والاقتصادية والاستراتيجية، فكان لها دورها الهام في مختلف الأنشطة التجارية والحربية .

٥- كانت موطنًا لمعظم القبائل التي كانت تؤيد الحركة السنوسية .

٦- كان الترتيب الإداري الذي وضعه أحمـد الشريف أثناء غيابه عن برقة خلال

---

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٢٠٥) .

الهجوم على مصر، يقضي بأن يكون إدريس مسئولاً في برقة البيضاء، ويكون مركزه في إجدابية .

لهذه الاسباب وغيرها اتخذها محمد إدريس عاصمة لإمارته الجديدة، ومقر رئاسة حكومته، ونظم بها دواوين الحكومة السنوسية، وقسم الإدارات ونظم ورتب الجيش، وشمل نفوذ هذه الحكومة جميع أراضي برقة من الحدود المصرية الليبية شرقًا إلى قصر سرت غربًا ما عدا المنطقة الساحلية التي كانت خاضعة للسيادة الإيطالية[١] .

إن الاتفاق الذي أجراه السيد محمد إدريس سواء مع الطليان أو الإنكليز لا يحمل بأي شكل من الأشكال استسلامًا أو قبولاً للواقع، وإنما هي مرحلة مؤقتة هدفها إنقاذ البلاد وتوحيد الصفوف وتقويتها، فأثبت بعمله ذلك حرص الحركة السنوسية على صيانة البلاد وحمايتها وما اتفاق عكرمة بطبرق الذي عقد في السادس من نيسان سنة ١٩١٧م إلا حل قصد منه تهدئة خواطر الأهالي وتبعه اتفاق الرجمة والتي اعترفت فيه إيطاليا بإمارة محمد إدريس وقد قصدت إيطاليا من ذلك تجزئة البلاد، إلا أن زعماء ليبيا في غربها بددوا آمالها وأفشلوا مساعيها حينما عقدوا مؤتمر غريان في تشرين الثاني ١٩٢١م وأقروا تعيين محمد إدريس أميرًا على البلاد فارسلوا البيعة له في أيلول سنة ١٩٢٢م، فحققوا بذلك الوحدة الوطنية للبلاد، ووضعوا محمد إدريس أمام مسئولية عظيمة تتطلب منه تولي زمام الأمور والسير بالبلاد إلى حريتها واستقلالها، لقد أصبحت مسئولية محمد إدريس بعد ذلك البيعة التاريخية ليست برقة فقط، كما أرادت إيطاليا وإنما ليبيا بقطريها الطرابلسي، والبرقاوي، وإن إمارته ليست منحة إيطالية، وإنما هي رغبة شعبية وإرادة جماهيرية، وضرورة شرعية وقد جاء في رده على كتاب البيعة ما يلي: (وبعد فقد تناولت بيد الشكر عريضتكم التي أظهرتم فيها رغبتكم الخالصة في تحقيق غايتكم التي أجمعتم عليها في مؤتمر غريان وجهادتم لها جهادًا صادقًا بالأنفس والثمرات في شخصي فأخذتها داعيًا الله أن يحقق آمال هذه الأمة، ويكلل مساعيها كلها بنجاح، ولما كان اتحاد الوطن وسلامته هما الغاية التي

---

(١) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص (١١١) .

طالما سعيت إليها وجدت من واجبي أن أتلقى طلبكم بالقبول وأن أتحمل المسئولية العظمى التي رأت الأمة تكليفي بها، فعلي إذن أن أعمل بجد معكم، ولكن لا تنسوا أنني بغير إقدامكم لا قدرة لي على شيء إني أعلم أن الحياة الخالدة هي للأمم لا للأفراد وكذلك الأعمال العظيمة الباقية هي التي تنصرف إلى صالح الجميع، فلذلك أدعوه سبحانه وتعالى أن يهدينا إلى كل عمل ثمرته للأمة.

إن من حق كل شعب أن يسيطر على شئونه، والناس - منذ نشئوا - أحرار، وقد أظهر شعبنا في كل أدواره مقدار محبته للحرية فدفع مهوراً غالية، فلا يصح لأحد أن يطمع في استبعاده والاستبداد بشئونه، لقد اشترطتم عليّ الشورى وهي أساس ديننا وسأعمل على قاعدتها . . .) [١] .

لقد تأثرت البلاد في بداية الحرب العالمية الأولى وانقسمت إلى معسكرين ؛ زعماء الغرب (سلمان الباروني، رمضان السويحلي، و. . .) وكذلك أحمد الشريف السنوسي وقفوا مع تركيا وألمانيا، وأما محمد إدريس فهادن الإنكلير، وبعد هزيمة تركيا وألمانيا، تغيرت موازين القوى، وآل أمر طرابلس الغرب إلى فكرة الجمهورية الطرابلسية، ثم انتهي بها المطاف إلى مبايعة محمد إدريس وهذا ما سوف نتعرف عليه عندما نشرع في دراسة الجمهورية الطرابلسية بإذن الله تعالى .

قام محمد إدريس بوضع نواة لجيش نظامي، واجتهد في تسوية الخلافات بين بعض القبائل، وتمكن من القضاء على عناصر السلب والنهب والقتل من أفراد العصابات الذين أطلقوا على أنفسهم حكومة الصلب، وكانت تتواجد بين الأبيار وتاكنس، وذلك باتباع سياسة حازمة ورادعة، وقام ببعض التنقلات، والإجراءات الإدارية، ففرّغ ابن عمه صفي الدين بعد رجوعه من الجهات الغربية (سرت) لفض النزاعات القبلية في برقة، وكلف وكيله الشارف الغرياني لاستلام الأسلحة والذخائر من الإيطاليين، وذلك لإنشاء مراكز أمنية في الحدود مع سلامة تأمين هذه المراكز[٢].

---

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٢٦١، ٢٦٢) .

(٢) انظر: الحركة الوطنية شرق ليبيا، ص (١١٢) .

وقام بتقسيم برقة إلى منطقتين مقاطعتين، فكانت المنطقة الغربية يرأس إدارتها نائب مقر إجدابية ويقال عنه (نائب المنطقة الغربية)، وكانت المنطقة الشرقية يرأسها آخر بنفس اللقب ومقره (الأبيار) وقد تولى منصب هاتين المنطقتين خيرة رجال السنوسية [1] .

وقام محمد إدريس بتشكيل مجلسين: أحدهما يضم كبار العلماء والإخوان ويقال عنه المجلس الخاص وله السلطة التشريعية والتنفيذية، وأما المجلس الثاني فكان أعضاؤه من شيوخ وأعيان القبائل ويقال له مجلس الأعيان، والمجلسان بمثابة البرلمان في بادئ الأمر وقبل أن يكون مجلس النواب في بنغازي وبجدابية قسم من الجيش النظامي يقال عنه جيش المعية وهذا مهمته حراسة القصر الأميري ومنه قسم لا يفارق الأمير محمد إدريس في تجولاته الداخلية، وقد أصبحت منطقة العقيلة والبريقة للمعسكرات الاحتياطية وللتدريب وتضم هذه المعسكرات الكثير من خيرة الضباط، وكان من تولى رئاسة هذه المعسكرات الشارف باشا الغرياني، ثم أسندت إلى حسين الجويفي وكان عدد المعسكرات السنوسية كما يلي:

١- معسكرات التدريب والاحتياطي بمنطقتي العقيلة، والبريقة، ويقال عنهما (خط النار) .
٢- المعية بجدابية .
٣- يضم قدماء المحاربين بجدابية .
٤- بالزويتينة .
٥- بالآبار .
٦- بجردس .
٧- مراوه .
٨- معسكر خولان .
٩- عكرمة .

---

(١) انظر: برقة العربية، ص (٣٦٢) .

وفي إجدابية معسكر منفصل عن المعسكرات المذكورة ولكنه مرتبط بالقيادة وهو مؤلف من الذين يحسنون القراءة والكتابة ويقال عنه: (طابور الطلبة) .

وأقام مراكز حكومية تابعة للمنطقتين المذكورتين، وجعل لكل مركز قائمقام أو مأمورًا، أو وكيلاً وفي كل مركز قاضيًا، أو نائب قاضٍ للنظر فيما يتعلق بالأحكام الشرعية ومجلسًا من المشايخ يرجع إليه حاكم المركز في كثير من الشئون حسب التعليمات الحكومية، وفي كل مركز قسمًا من البوليس للنظام، والأمن، وسلامة الناس [(١)] .

أما التعليم:

فكانت بعاصمة الحكومة الوطنية (إجدابية) مدرسة قرآنية كبرى نهجت منهج معهد الجغبوب، وكان شيخها الأكبر الحاج طاهر المراكشي ومعه سعد المنفي وأحمد ابن موسى السيوي، وشرع الأمير محمد إدريس في بناء مدرسة على الطراز الحديث أرادها أن تكون كلية ووضع الحجر الأساسي لها في حفل كبير ضم الكثير من رجال السلطة والأعيان والوجهاء، وألقيت يومذاك الخطب والقصائد، وتم بناؤها وتنسيقها وجلبت الأدوات المدرسية وما يلزم من الكتب وبدأ تسجيل أسماء التلاميذ الذين ينتسبون إليها وجلهم من تلاميذ المدرسة القرآنية، إلا أن الإيطاليين بعد احتلالهم إجدابية عام ١٩٢٣م اتخذوها مركزًا لضباط الطيران وفي عام ١٩٢٧م اتخذت ناديًا للضباط، وفي سنة ١٩٣٠م جعلت مستوصفًا مدنيًا، وبقيت هكذا إلى عام ١٩٤٢م حيث نسفها الألمان، ولم يبق منها إلا الأثر [(٢)] .

وكان مسجد إجدابية الكبير يجلس به فطاحل العلماء الذين تخرجوا من معهد الجغبوب لتدريس الفقه، واللغة، والتفسير، والحديث، والرياضيات وعلم الفلك، وكان من هؤلاء الشيوخ ؛ أحمد بن إدريس، سليمان الحوتي، المختار الغدامسي، حامد بركان الشريف، عبد العزيز الهوني، عبد العزيز العيساوي، على المحجوب،

---

(١) انظر: برقة العربية، ص (٣٦٣، ٣٦٤) .

(٢) انظر: برقة العربية، ص (٣٦٥) .

محفوظ الورفلي، وكان الأخير قاضيًا بمعسكرات الجبل، وقتل شهيدًا في ساحات الفداء، وكان الناس مقبلين على حلقات العلم، فتبدأ حلقات العلم بعد الساعة التاسعة صباحًا، وبعد صلاة العصر، وكان الطلبة يلتفون حول الشيوخ، وخلف هؤلاء طبقات الأعيان والوجهاء والكثير من ضباط الجيش يستمعون إلى الوعظ والإرشاد، والعلم، وانتشرت مدارس قرآنية أخرى بدواخل البلاد وبجميع المراكز عدا مدارس الزوايا المعروفة (١) .

وتقدمت الحياة الاقتصادية، وشرع التجار في مزاولة أعمالهم، واستتب الأمن في جميع أنحاء برقة، لقد استطاع إدريس أن يبحر بالسفينة بمهارة ويصل بشعبه إلى شط الأمان بعد أن أمضه الجوع حتى اضطر بعض الناس إلى أكل لحوم الخيل والبغال والحمير .

وكان يعمل مع إخوانه في حكومته بكل جد ونشاط لتطوير الجوانب السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية .

لقد أوجد الأمير محمد إدريس حكومة في برقة أحبتها القبائل وهابتها، عملت على نشر العدل، وأزالت الظلم، ووحدت الصف، ونبذت الخلاف، وأقرت السلام.

كان الأمير محمد إدريس يدير دفة العلاقات مع إيطاليا بمنتهى الحذر واللباقة، والكياسة، والدبلوماسية، والسياسة، وحرص على توثيق علاقته مع الوالي الإيطالي الكونت جاكومودي مارتينو، وعين عمر باشا منصور الكخيا ممثلاً له في بنغازي، وكان لعمر باشا خبرة سياسية نادرة، حيث كان نائبًا في مجلس المبعوثان العثماني في إستانبول (٢) .

ثالثًا: اتفاق الرجمة:

كان الإيطاليون غير راضين على الاتفاقات السابقة؛ لأنهم كانوا يطالبون بالسيادة

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص (٣٦٥) .

(٢) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٢٠٧) .

التامة على ليبيا، وإنهم قبلوا بالأمر الواقع مؤقتًا، لذلك حاولوا أن يتقربوا من السكان، أملاً في أن ينتهي الأمر إلى القبول بالسيادة الإيطالية، ولعل هذا ما حدا بإيطاليا أن يمنح برقة (دستوراً أساسيًّا) وقد تم ذلك في أكتوبر ١٩١٩م . وينص الدستور على أن يعين ملك إيطاليا واليًا يشرف على الشئون المدنية والعسكرية لبرقة، ويكون لبرقة مجلس نواب محلي يتألف من نواب عن القبائل والحضر، بحيث يضاف إليهم عدد من الأعضاء المعينين يجلسون فيه بحق وظائفهم أما إدارة البلاد فتتم على أساس تنظيم إدارات مدنية وعسكرية يعين رؤساؤها بأمر ملكي[1].

وكفل القانون الأساسي، حرية العبادة والدين، وحق الملكية الفردية، وحرية النشر، وإنشاء المدارس، واحترام لغة البلاد . هذا إلي تفصيل أمور كثيرة .

وقد أدرك مشايخ القبائل ما تنطوي عليه هذه المبادرة من خطر، فعقد نحو مائة من كبارهم اجتماعًا في إجدابية قرروا فيه: (أنهم لا يقبلون بالإيطاليين إلا في المدن الساحلية، على أن يقتصر عملهم هناك على التجارة) [2] .

واتضح من إعلان الدستور من جهة، وقرار المشايخ من جهة أخرى، أنه من الضروري المبادرة إلى مفاوضات جديدة، لعلها تؤدي إلى وضع الأمور في نصابها وبدأت المفاوضات فعلاً، وفي ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٢٠م وقع الاتفاق المعروف باتفاق الرجمة .

وبموجب اتفاق الرجمة تقسمت برقة إلى قسمين: الشمالي، وفيه السواحل وبعض الجبل الأخضر يخضع للسيادة الإيطالية، والجنوبي وهو داخل ويشمل الجغبوب، وأوجله وجالو، و«الكفرة»، يكوِّن إدارة مستقلة هي الإمارة السنوسية، ويتمتع السيد محمد إدريس بلقب (أمير)، على أن يكون اللقب وراثيًّا، ومع أن عاصمة الإمارة هي إجدابية، فقد اشترط في الاتفاق على أن للأمير أن يتجول ويقيم في جميع أنحاء برقة، ويتدخل في إدارة المنطقة الإيطالية متى شعر أن مصلحة

---

(١) انظر: ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال، نقولا زيادة، ص (٩١) .
(٢) المصدر السابق نفسه، ص (٩٢) .

العرب تتطلب ذلك . والحد الفاصل بين المنطقتين هو خط يمتد جنوبي خميس، والسلوق، والرجمة إلى شمال الأبيار ثم يمر بغوط ساس، وشمالي القصور وجنوبي سيدي رافع (الزاوية البيضاء) الصفصاف، ومرتوبة، وتميمي إلى طبرق .

وأدخل القانون الأساسي في صلب اتفاق الرجمة . وأعلنت إيطاليا أنها لا تنوي بحال من الأحوال نزع الأرض من أصحابها سواء في ذلك الأراضي التي يملكها الأفراد، أو أراضي الزوايا .

وتعهد سمو الأمير من جانبه في أن تحل الأدوار العسكرية وتسرح الوحدات العسكرية (في مدة ثمانية أشهر) على أن يحتفظ بألف جندي فقط يستخدمهم في شئون الإدارة وحفظ النظام، ورضيت إيطاليا بأن تقدم مساعدات مالية للإمارة السنوسية تمكنها من تنظيم أعمالها، على أن يشجع الأمير التجارة ويضمن المواصلات والأمن .

وقد تم في الواقع انتخاب مجلس نيابي في عام ١٩٢١م (نيسان، أبريل)، واختير رئيسًا له السيد صفي الدين .

لقد كان ذلك المجلس الأول من نوعه في دنيا العرب وقد عقد المجلس خمس جلسات (إلى مارس ١٩٢٣) (١) .

لقد كان اتفاق الرجمة يتكون من مقدمة، وعشرين مادة إلى جانب ملحقين، فمن أراد التوسع في هذا الموضوع فليراجع «السنوسية دين ودولة» (٢) .

مرت المدة المتفق عليها مع الأمير محمد إدريس لحل الأدوار، وهي ثمانية شهور، ولم تحل هذه الأدوار التي كانت تعمرها فلول من أفراد المقاومة السنوسية منذ سنة ١٩١٧م، وهذه الأدوار (في إجدابية والشليظيمة، ومروه وخولان والأبيار وتكنيس، وعكرمة) (٣) .

---

(١) انظر: ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال، ص (٩٢، ٩٣) .
(٢) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٢٠٨) .
(٣) انظر: ليبيا من الاستعمار الإيطالي، نقولا زيادة، ص (٩٣) .

كان يشرف على كل منها قائمقـام، وقائد جند، وقاض، وجامع ضرائب يجمع حاجاتها من العرب، ومن هنا كان كل دور وحدة عـسكرية إدارية قضائية، لا لنفسه فحسب ولكن للمنطقة المحيطة به، وكانت الأدوار واسطة لنشر النفوذ السنوسي ومن هنا كان اهتمام إيطاليا بحلها، وتعلل الأمير بأن حل هذه الأدوار قد يثير العرب علي غير فائدة، ولذلك بدأ أمـر بحثها من جديد وانتهي البـحث بالأمير والإيطاليين إلى اتفـاق جديد بشـأنها يعـرف باسم (اتفاق بو مـريم) الذي تم في ١١ تشرين الثـاني نوفمـبر ١٩٢١م . ومع أن الفـريقين جددا الاتفاق الماضي بشـأن حلها فـقد رئى أن يؤجل ذلك ليتسنى للإدارة الإيـطالية توطيد أركانها في منطقـتها، وإلى أن يتم ذلك رئى من المناسب إنشاء (الأدوار المخـتلطة) على أن يكون ثمة أربعة منهـا في عكرمة وسلطنة والأبيار وتكنس، فيكون الجنود فيها إيطاليين وسـنوسيين، بنسبة خمسة إلى أربعة، ويقـوم ضباط إيطاليـون بالإشراف على الإيطاليين وضبـاط سنوسيون بقـيادة الجند السنوسي .

والذي يبدو من هذا كله بحسب رأي الإيطاليين أنفسهم، هو أن النفوذ الإيطالي كان في سبيل التقدم من الناحية السياسية .

لكن هذا كـان في الظاهر فـقط، فهـؤلاء الإيطاليـون يعتـرفون بأن إدارة برقـة باستثناء المدن، كانت في الواقع في أيدي السنوسيين، إما مباشرة أو بالوساطة، وهذه حالة ما كان ليـرضى عنها الإيطاليون أبدًا، وإن كانوا قد قبلوا بها مـؤقتًا، وكان من الطبيعي أن يعود القتال إلى البلاد يومًا ما [١] .

❊ ■ ❊

(١) انظر: ليبيا من الاستعمار الإيطالي، نقولا زيادة، ص (٩٤) .

المبحث الثالث
الجمهورية الطرابلسية

إن تاريخ الجهاد الليبي مليء بالمحطات المهمة التي ينبغي الوقوف عندها درسًا للوقائع واستجلاء للحقائق واستفادة من العبر قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾ (سورة ق: ٣٧) .

لقد كان إعلان الجمهورية الطرابلسية محاولة مبكرة لإقامة دولة مستقلة لها دستورها، ومؤسساتها، وهياكلها، وبذلك أصبحت لهذه الحادثة سبقًا تاريخيًّا في عالمنا الإسلامي والعربي، ولذلك لا بد من تسليط الأضواء عليها والتعريف بها، ونستطيع القول إن بداية الفكرة ظهرت مع ظهور ورجوع سليمان الباروني في ساحة الجهاد الليبي مرسلاً من قبل الخلافة العثمانية التي خولته الولاية على طرابلس والقيادة، ونقصد بظهوره بعد غيابه المفاجئ من ساحة الجهاد وذهابه إلى الأستانة عاصمة دار الخلافة، حيث نزل عن طريق غواصة ألمانية بقصر (حمد) بمصراته في ١٦ أبريل ١٩١٦م [١] . كان رجوع سليمان الباروني بعد أن مهد الأتراك لهذا الإلحاق فاستصدروا (فرمانًا) مرسومًا سلطانيًا من جلالة السلطان بإلحاق طرابلس بتركية .

وقد جاء هذا القرار في وقت كان الطرابلسيون محتاجين فيه إلى المساعدة، ففرحوا به، وكانت سياسة الترك والألمان تستهدف لإذكاء نار الثورة في طرابلس واستئنافها في برقة إن أمكن من طريق وجودهم في طرابلس من شغل أكبر عدد ممكن من الجيوش الإنجليزية والإيطالية [٢] .

وقام الشيخ سليمان الباروني بمجموعة من الإجراءات الإدارية والمالية للإشراف على قيادة وتنظيم المجاهدين لمواجهة تحركات الجيوش الإيطالية، وفي إطار التنظيمات

---

(١) انظر: مجلة الإنقاذ عدد (٢٩)، بقلم سالم نوح، ص (٤٤،٤٥) .

(٢) انظر: جهاد الأبطال للزاوي، ص (٢٠٣) .

الإدارية للولاية قام بتشكيل المجلس العرفي الشرعي - وكان يتكون من مجموعة من العلماء ليتمكنوا من حل القضايا الجنائية والشرعية المعلقة بسبب الحرب- وقد ضم ذلك المجلس كلاً من:

١- الشيخ عمر المنصوري مفتيًا للولاية .

٢- الشيخ على الهمالي قاضيًا لمصراته .

٣- الشيخ محمد سعيد المسعودي قاضيًا للجبل .

٤- الشيخ الزروق أبو رخيص قاضيًا للمنطقة الغربية .

٥- الشيخ الشكشوكي قاضيًا للنواحي الأربعة .

٦- الشيخ عبد الرحمن زبيدة قاضيًا لورفلة [١] .

وفي تلك المرحلة كانت الأوضاع العسكرية تميل إلى صالح المجاهدين، فقد تصاعدت حركة الجهاد ضد إيطاليا، وقام سليمان الباروني بالاتصال بقادة البلاد، وزعمائها وعمل على نبذ الخلاف، وتوحيد الصف ويحفظ لنا التاريخ بعض الرسائل التي أرسلها سليمان الباروني من مصراته إلى الأعيان والمشايخ يخبرهم فيها بقدومه ومن هؤلاء المشايخ: الشيخ سوف رئيس المجاهدين في العزيزية: (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: عدنا ولله الحمد - والعود أحمد - إلى وطننا العزيز من دار الخلافة العظمى تحملنا عفاريت البحر السابحة فوق جبال الأمواج تارة، وتحت عمق خمسين ذراعًا في لجج اليم أحيانًا إلى أن قال: عدنا ولله الحمد، ومعنا كل ما يلزم، واستقبلنا أهل مصراته الكرام بكل سرور وابتهاج، هذا وقد تفضل أمير المؤمنين -أيده الله - فأمر حكومته بإلحاق طرابلس الغرب بلادنا بالولايات العثمانية، واقتضيت إرادته السنية إرسالي لأجل إجراء الترتيبات اللازمة

(١) انظر: مجلة الإنقاذ عدد (٢٩)، بقلم سالم نوح، ص (٤٤،٤٥) .

ملكية وعسكرية وتعهد أن يوالي المدد إلى النهاية كما تطلعون على ذلك في منشوره العالي الشأن .

وسنعرفكم من مركز مسلاته بعد المذاكرة مع البطل الغيور رمضان بك ومن معه من الأبطال عن المكان واليوم الذي يصير فيه الاجتماع العمومي إن شاء الله، فانتظروا جوابنا والسلام الأسنى على العلماء الأفاضل والمشايخ ورجالكم الكرام) [١].

١٩ ذي الحجة سنة ١٣٣٤هـ

من أخيكم سليمان الباروني

وقبل سفره إلى مسلاته أرسل كتابًا إلى محمد إدريس السنوسي يطلب منه الانسحاب من سرت قطعًا للفتنة والنزاع . وهذا نصه بعد الديباجة:

هذا وقد وصلت مصراته مرسلاً من لدن حكومتنا السنية بطلب من الأهالي بعنوان والي قومندان طرابلس . ولدى وصولي المركز وصل الخبر بأن قوة قدمت من جهة برقة تحت قيادة القائمقام موسى بك واحتلت قصر سرت بعد أن بارحتها قوة الزاندرمة التي هناك من طرف رمضان بك السويحلي باسم الدولة العثمانية، فبادرت بإرسال جواب إلى موسى بك والشيخ صالح الأطيوش؛ لأنه بلغني أنه مع القوة المذكورة، فجاء الجواب من الشيخ صالح مبينًا فيه أنه ما قدم إلا بأمر من سيادتكم ومن نوري باشا بعنوان (متصرف سرف) فتأسفت لأنه كان أول أمر أصدرته متعلقًا بتجهيز قوة لمقابلة تلك القوة المنسوبة إليكم إلا أنني أمرت قومندان القوة أن يتحاشى - ما أمكن - الدخول فيما يكدر الخواطر بين بني وطن واحد ودين واحد رجاء أن تتخلى القوة مختارة عن القصر بعد أن يبلغها المنشور السلطاني الذي أرسلناه إليكم . بناء عليه أرجو المبادرة إلى تسوية هذه المسألة إن كان أمر حركتها صادرًا منكم[٢].

٢٧-٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٣٤هـ .

---

(١) انظر: جهاد الأبطال، ص (٢٠٥) .

(٢) انظر: جهاد الأبطال، ص (٢٠٥) .

فرد عليه السيد محمد إدريس برسالة قال فيها:

(... وذكرتم نزول عساكرنا بسرت فصحيح ذلك قبل قدومكم، إذ كانت الفتن مشتعلة بين السويحلي وترهونة، فأجبرنا الحال على أن نطفأها بأي كان، قال تعالى: ﴿وإن طائفتان﴾ وذكر الآية، فأرسلنا الجيش ونزل بسرت من دون إذن أحد.. وها نحن أمرناهم بأن يقفوا بالقصر .

ونحن لا غرض لنا إلا اتحاد الإسلام وتخليص رقاب المسلمين فقط، كما أننا نأمل من جانبكم معاونتنا على إطفاء الفتن .. ونحن وأنتم لا فرق بيننا، كلنا قصدنا شريف ومحارب تحت الراية الإسلامية العثمانية [1] .

٨ محرم سنة ١٣٣٥هـ

محمد إدريس بن السيد المهدي

كانت تركيا حريصة على دعم ثورة ليبيا في تلك الأيام ولذلك أرسلت الأمير عثمان فؤاد قائدًا عامًّا بدل الباروني في مارس ١٩١٨م، وكان في صحبته البارون فريد فون توندروف الألماني الذي جاء معه فريق فني لتسيير التلغراف اللاسلكي، وكان الأمير عثمان يحمل لقب (القائد الأعلى للقوات الإفريقية) [2] .

جاء الأمير عثمان فؤاد إلى مصراته في مارس سنة ١٩١٨م لتنفيذ سياسة متفق عليها بين الترك والألمان لتغذية الثورة في طرابلس ضد الطليان، حتى إذا ما وافقوا حاولوا أن تمتد الثورة إلى برقة للإغارة على الإنجليز في مصر مرة ثانية .

وكان مما تنطوي عليه هذه السياسة إحياء فكرة جمهورية شمال إفريقية التي قامت من أجلها ثورة الحامة بتونس عام ١٩١٥م، وقد وجدوا من نشاط الطرابلسيين ما شجعهم علي المضي في العمل من أجلها .

كان الاستعمار الفرنساوي في شمال إفريقية مضرب المثل في الاستبداد بالمسلمين

---

(١) انظر: جهاد الأبطال، ص (٢٠٦) .

(٢) انظر: عبد النبي بالخير، داهية السياسة وفارس الجهاد، محمد المرزوقي، ص (١٠٢) .

والإساءة إليهم، وكان الأحرار من التونسيين، والجزائريين والمراكشيين يفكرون دائمًا في التخلص من هذا الكابوس الذي جثم على صدورهم وسلب حقوقهم، وقد انتهزوا فرصة نشوب الحرب في عام ١٩١٤م فألف جماعة منهم في الأستانة وفدًا أخذ يعمل لإنشاء (جمهورية شمال إفريقية) ينضوي تحت لوائها من حدود مصر إلى حدود بحر الظلمات، وكان في مقدمة هؤلاء السادة المجاهدين السيد علي باشا حنبه، والشيخ صالح الشريف، والشيخ إسماعيل الصفايجي، وهؤلاء الثلاثة من تونس، ومعهم جماعة من الجزائريين والمراكشيين، وزار الوفد ناظر الخارجية العثمانية، وأبلغه رغبة سكان شمال إفريقية في الاستقلال، وإنشاء جمهورية إفريقية متحدة، وطلبوا منه إبلاغ ذلك إلي ألمانيا والنمسا رسميًّا، وأن يسمح لهم بالسفر إلى برلين وفيينا لبسط مطالبهم والحصول على الوعود والمساعدات اللازمة .

وعرض اقتراح الوفد على سفير ألمانيا في تركيا، فأبلغه بأن حكومته لا تتعهد لأبناء شمال إفريقية بالاستقلال إلا إذا ثاروا على الفرنساويين الذين يحتلون بلادهم، وغادر الوفد الأستانة عقب ذلك إلى برلين وزار وزارة الخارجية الألمانية، وقدم طلباته فقبلتها وسجلتها رسميًّا، كما اعترفت بها النمسا وتركية أيضًا، فكان ذلك أول اعتراف دولي بالجمهورية الإفريقية المتحدة في شمال إفريقية . وقصد الوفد بعد ذلك إلى لهاي (مقر المحكمة الدولية)، فسجل هذا الاعتراف في سجلاتها؛ لأن عصبة الأمم لم تكن أنشئت إذ ذاك .

وتنفيذًا لرغبة الألمان في الثورة على الفرنساويين، ورجاء الوفاء بما وعدوا به الوفد من المساعدة، وإمداد الثورة بما يلزمها من المال وآلات الحرب وإنشاء جمهورية شمال إفريقية قامت ثورة الحامة سنة ١٩١٥م، فاضطرت فرنسا إلى أن ترسل من جيشها ثلاثين ألفًا لإخماد الثورة . وقد اختيرت الحامة مكانًا للثورة لقربها من الحدود الطرابلسية، وليسهل الاتصال بها والاستناد إليها، وكانت إذ ذاك على أشدها، وقد قام بهذه الثورة الشيخ سعيد دبان من أعيان جنوب تونس وممثله في الجمعية الشورية، فأغار على مراكز الفرنساويين في الحامة، وقد تداركها الفرنساويون

بجيوشهم فأخمدوها في مدة خمسة أيام، وأسفرت عن قتل الشيخ سعيد وابنه وخادمه، وجماعة من رجاله، وعن نحو مئة قتيل من الفرنساويين . وانتقم الفرنساويون ممن وقعوا في أيديهم من أنصار الشيخ سعيد بالقتل والشنق والسجن . والتجأ كثير منهم إلي الحدود الطرابلسية، وجاهدوا مع الطرابلسيين، وكانوا يسمونهم المهاجرين وكان كبيرهم الشيخ الوحيشي رحمه الله (1) .

إن هذه الثورة، وهذه الدعوة لقيام جمهورية شمال إفريقية تحتاج إلى دراسة واعية، متأنية، عميقة، لعل الأجيال تستلهم دروسًا من الماضي وتجعلها نبراسًا لها في المستقبل .

كانت الحرب إذ ذاك قائمة في جزيرة العرب بين الإنجليز والعرب من ناحية، وبين الترك من ناحية أخرى، ولم يطل الأمر حتى رجحت كفة الإنجليز على الترك، ثم اشتد الضغط عليهم من الجيوش العربية والإنجليزية في الشام، وتلاحقت عليهم الهزائم، وتحطمت جيوشهم، وضعفت عزائمهم، واضطروا للاستسلام وعقد الترك والحلفاء معاهدة جزيرة موندروس في ٣١ أكتوبر سنة ١٩١٨م تعهدت فيها بسحب جيوشها من جميع البلاد ومما جاء في هذه المعاهدة مما يتعلق بطرابلس في المادة ١٧ : (يجب على جميع الضباط الترك في طرابلس الغرب أن يسلموا أنفسهم إلى أقرب مركز إيطالي ويجب على تركية أن تقطع الأرزاق والمساعدات وكل صلة مع هؤلاء إذا لم يذعنوا ويسلموا) .

وجاء في المادة ١٩ : (تسلم جميع الموانئ في طرابلس ومصراته إلى أقرب قائد لجيوش الحلفاء) .

وكانت هذه المعاهدة آخر سلاح استعمله الحلفاء لقطع صلة الترك بالعرب، كما كانت آخر عهد العرب بدولة آل عثمان التي تفككت أوصالها، وتراخت بها الحياة، وزال ظلها بعد أن حكمتها ٤١٦ سنة، من عام ٩٢٢هـ إلى ١٣٣٨هـ لم تنقطع

(1) انظر: جهاد الأبطال، ص (٢١٨،٢١٩) .

صلتـها بهـا . حتى وصلت في آخـر عهـدها إلى أحط الدركات، وطوى التـاريخ صفحاته على مالها وما عليها [١] ولقد تعرضت للدولة العثمـانية في كتابي السادس (الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط) .

إن لله سبحانه وتعالى سننًا ثابتة في حركة الإنسان في هذا الكون، وهذه السنن- كمـا عرّفنا علـيها القـرآن الكريم ذات ارتباط وثـيق بقضيـة الإيمان، والكفـر والعدل والظلم، وقضايا السلوك الاجتـماعي والأخلاقي للمجتمعـات البشرية، والذي يحدد لنا اتجـاهات السنن الربانية هو القـرآن الكريم فهـو الذي عرفنا بالخـير والشـر وبالحق والباطل، والعدل والظلم [٢]، وقد بين لنا القرآن الكريم أن الحياة الهادئة المباركة الآمنة لا تكون إلا في ظل الإيمان والتقوى والاستقامة على منهج الله تعالى .

قال تعـالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: ٩٦) .

وإن الإعـراض عن منهج الله وترك العـمل بشريعتـه يؤدي بالأمة إلى مـدارك الهلاك وضنك الحـياة المادية منها والنفسـية، ويرفع التمكين والنصـر، وتنزل الهزيمة والخذلان بسـبب المعاصي، والذنوب، والكبـائر والابتعاد عن صـراط الله المستـقيم وحبله المتين .

لقد كـان لسقوط تركيـا في الحرب العالميـة الأولى أثر سيئ على حركة الجـهاد بطرابلس، وسـاهم خـبر سـقـوطها في إخـمـاد جذوة الحـمـاس، وبث في قلوب الطرابلسيين الوهن، وأفزعهم كثيراً على مصيرهم المظلم .

وسرعان ما انتشر خبر هزيمة تركيا في مصراته وامتد منها إلى غيرها، فاضطربت أحوال الناس، وهاجت نفوسهم، وتشوشت أفكارهم .

كان لسقوط تركـيا سبب رئيسي في ظهور فكرة الجمهـورية الطرابلسية وطرحت

---

(١) انظر: جهاد الأبطال، ص (٣١٩، ٣٢٠) .

(٢) انظر: صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامي، علي محمد الصلابي، ص (٨٣) .

على بساط البحث، واشترك فيها رمضان بك، وعزام بك، والباروني باشا، والأمير عثمان، ومختار بك كعبار، وانتهت نتائج المباحثات بالموافقة على فكرة تأسيس الجمهورية، وأرسلت الدعوة إلى رؤساء القبائل وزعمائها وشيوخها باسم الأمير عثمان لعقد اجتماع عام في مسلاته لإعلان الجمهورية، وفي يوم السبت الثالث عشر من صفر سنة ١٣٣٧هـ الموافق ١٦ من نوفمبر سنة ١٩١٨م اجتمعت الوفود الطرابلسية في جامع المجابرة بمسلاته، وهو أكبر جامع فيها، وحضر الأمير عثمان فؤاد، وأخبر المؤتمرين أن الأستاذ عبد الرحمن عزام بك سيخطب فيهم بالنيابة عنه، وأنه سيتحدث نيابة عنه وطلب منهم الموافقة على ما سيطلبه منهم .

وخطب الأستاذ عزام خطبة مؤثرة حث فيها الناس على وحدة الصف، ونبذ الخلاف، وعلى العمل الجاد للوصول إلى استقلال البلاد، وطرد الغزاة ثم طرح عليهم فكرة إنشاء حكومة وطنية تتوحد فيها الكلمة وتتولى أمور البلاد، وتنظر في شئون الأمة، فلقيت الفكرة استجابة من الجميع، وإجماعًا بدون خلاف وسميت الجمهورية الطرابلسية [1] . وأجريت الانتخابات في الحال لاختيار أعضاء الجمهورية، فأسفرت الانتخابات عن الآتي:

أولاً: تشكيل مجلس إدارة الجمهورية:

وكان أعضاء هذا المجلس أربعة من أقوى الزعماء نفوذًا على سكان منطقتهم وهم: سليمان الباروني، أحمد بك المريض، ورمضان بك السويحلي، عبد النبي بك بالخير، وكانت جميع القرارات والأوامر الصادرة من هذا المجلس، تمضي بأسماء الأعضاء، الأربعة، إظهارًا لاتحاد أصحابها وتقوية لاعتمادها بين الناس، وانتخب إلى جانب الأربعة مراقبًا ومديرًا ماليًا لمالية الجمهورية، هو زعيم غريان مختار بك كعبار، وكان ذا ثقافة عصرية عالية درسها بالمعاهد التركية، وكان أحد نواب طرابلس في البرلمان العثماني بإستنابول، وجعل الأستاذ عبد الرحمن عزام مستشارًا لشئون

(١) انظر: جهاد الأبطال، ص (٢٢٤) .

الجـمهـورية، وارتبط بمجلس الإدارة جـمـيع الموظفين، وشئـون الجـهاد، والأمـور الاجتماعية .

ثانيًا: مجلس شورى الجمهورية:

وشكلت الهيـئة الثانية وهي مجـلس شورى الجمهورية، والغـاية من إيجاده هو ليسـاند مجلس الإدارة الحكوميـة، في قيامهـا بأعمال وواجـبات تشبه إلى حـد ما، وظائف مجلس الـنواب، والشيوخ في البلدان الأخـرى، ذات الأنظمة الدسـتورية، وقد تألف هذا المجلس من أربعة وعشرين (٢٤) عضوًا، ضم كافة أعيان الجهات من فزان جنوبًا إلى العجيلات شمالاً، ومن سرت شرقًا إلى نالوت وغدامس غربًا.

واختاروا المجاهد الكبـير، الشيخ محمد بك سُـوف زعيم قبيلة المحاميـد وحفيد غومـة المحمودي صاحب الثـورة الكبيرة ضد الـترك رئيسًا لمجلس الشـورى، ونائبه يحيى بك الباروني، شقيق سليمان الباروني [١] .

وأما باقي الأعضاء فهم:

١- الشيخ عبد الصمد النعاس	عضواً	ترهونة
٢- الشيخ مفتاح التريكي	عضواً	مسلاته
٣- الشيخ علي بن رحاب	عضواً	قماطة
٤- الحاج محمد بن خليفة	عضواً	الساحل
٥- عبد السلام الجدايمي	عضواً	زليتن
٦- الحاج علي المنقوش	عضواً	مصراته
٧- محمد المنتصر	عضواً	سرت
٨- مفتاح التايب	عضواً	أرفلة

(١) انظر: رمضان السويحلي، محمد فشيكة، ص (١٩٥،١٩٦) .

٩- السيد محمد بن بشير	عضواً	أولاد أبي سيف
١٠- عبد الرحمن بن بركان	عضواً	من مرزق - فزان
١١- محمد بن أحمد الفايدي	عضواً	الشاطئ
١٢- الشيخ الحبيب عز الدين	عضواً	غدامس
١٣- إبراهيم أبي الأحباس	عضواً	الجبل
١٤- الحاج محمد فكيني	عضواً	الرجبان
١٥- الشيخ أحمد البذوي	عضواً	الزنتان
١٦- سالم البرشوشي	عضواً	الجبل - يفرن
١٧- علي بن عبد الرحيم	عضواً	ككّلة
١٨- الشيخ شطيبة	عضواً	غريان
١٩- علي بن تنتوش	عضواً	ورشفانة
٢٠- عبد الرحمن شلابي	عضواً	الزاوية
٢١- علي شلابي	عضواً	النواحي الأربع
٢٢- عبيدة المحجوبي [(١)]	عضواً	عن صرمان والعجيلات

ثالثًا: مجلس الجمهورية الشرعي:

وعرفت الهيئة الثالثة باسم (مجلس الجمهورية الشرعي) وكانت أعماله، وأحكامه القضائية وفقًا لأحكام الفقه الإسلامي، على مذهب الإمام مالك، وعرف وتقاليد البلاد، وأسندت عضويته إلى أربعة من كبار العلماء وهم:

الشيخ الزروق بوخريص (من غريان) - الشيخ محمد الإمام (من الزنتان)،

---

(١) انظر: جهاد الأبطال، ص (٢٢٥، ٢٢٦).

الشيخ عمر المساوي (من الزاوية)، الشيخ مختار الشكشوكي (من مدينة طرابلس) (١).

مؤشرات ودلائل:

كان لاختيار اسم الجمهورية دلالة واضحة على اطلاع الليبيين في ذلك الوقت على أنواع الأنظمة السائدة في العالم ومنها النظام الجمهوري، ولإطلاق لفظ الشورى دلالته الخاصة التي توحي بالتأصيل والتمسك بالمصطلح وما يضيفه ذلك المصطلح من أبعاد إسلامية وتاريخية، كما تدلنا على معرفة الأجداد لأهمية الشورى وأنها من قواعد النظام الإسلامي التي تساهم في إقامة المجتمع المسلم .

قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ (سورة الشورى، آية ٣٨) .

لقد قرنت الآية الكريمة الشورى بين المسلمين بإقامة الصلاة، فدل ذلك على أن حكم الشورى كحكم الصلاة واجبة شرعًا، فكذلك الشورى واجبة شرعًا (٢) .

إن هذه الآية قد نزلت في سورة سميت سورة الشورى، وهي مكية، ولقد جاءت مؤكدة أن تكون الشورى صفة ملازمة للجماعة الإسلامية، وسلوكًا اجتماعيًا لا يغادرهم قبل قيام الدولة الإسلامية وبعد قيامها، فإن كلمة «أمرهم» من ألفاظ العموم تشمل جميع شئونهم في الحياة العامة، والمشتركة (٣) .

كما أن اعتماد طريقة الترشيح والانتخاب كوسيلة مثلى لتولي المسئولية والوصول إلى المناصب السياسية الهامة في الدولة إشارة ودلالة على اهتمام الأجداد بهذا المبدأ رغم أن الفترة كانت فترة جهاد وحرب، واستنفار .

كما أن اختيار المسجد (جامع المجابرة) للاجتماع وإجراءات الترشيح،

---

(١) انظر: رمضان السويحلي، فشيكة، ص (١٩٩) .
(٢) انظر: النظام السياسي في الإسلام، لأبي فارس، ص (٩٠) .
(٣) انظر: فقه التمكين في القرآن الكريم، للصلابي، ص (٤٤٧) .

والانتخابات والاتفاق علي إقامة الجمهورية والتعهد بإقامة العدل، يؤكد على أن نظرة المجاهدين للجامع لا تقتصر على اعتباره مكانًا للعبادة فقط، وإنما هو محلاً للعمل السياسي، والنشاط الاجتماعي، والحكم القضائي، كانت مساجد بلادنا عامرة بالنشاطات الشاملة، ونرجو من الله تعالى أن يوفق المسلمين للعمل الدءوب حتى ترجع المساجد شعلة نور، ومحضن تربية، ومنبراً للدعوة إلى الله .

إن المساجد في بلادنا أصبحت في أحسن أحوالها مقتصرة على أداء الصلوات فيها وجردت من مهامها الأخرى .

إن ما قام به الأجداد من التقاء واجتماع في مسجد المجابرة في مسلاته دليلاً على معرفتهم لوظائف المسجد في الأمة .

لقد كان المسجد في عهد رسول الله ﷺ مكان الاجتماع العام الذي كانت جلسات الشورى تعقد فيه، وكان يتم توزيع العطايا، كما كانت التبرعات تجمع للمحتاجين . . . إلى آخره .

ومن الأدلة على ذلك:

استشارة النبي ﷺ أصحابه ﷺ في غزوة أحد، فقد استشارهم في المسجد بعد صلاة الجمعة، وكان رأيه ﷺ أن يبقى المسلمون متحصنين داخل المدينة، لكن الأغلبية من الشباب كانت تفضل ملاقاة المشركين خارج المدينة حتى لا يفوتهم أجر الشهادة في سبيل الله الذي فاتهم يوم بدر، وقد فضل النبي ﷺ النزول لرغبتهم أخيراً، فخرج لملاقاة المشركين خارج المدينة [١] .

إن الأدلة في هذا المعنى كثيرة، ومن أراد التوسع فعليه مراجعة كتاب الدكتور محمد أحمد «كيف نعيد للمسجد مكانته؟» .

كما أن تشكيل المجلس الشرعي للنظر في قضايا الجمهورية الوليدة، والمخالفات والجنايات بين المواطنين، وتحديد العلماء الذين يشرفون على هذه المهمة لدلالة قاطعة

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، (٨ / ١٦٢) .

على احترام الأجداد للعلماء والفقهاء، وعلى حرصهم على جعل الشريعة الإسلامية هي الدستور للجمهورية مما يؤكد على اجتهاد الليبيين الأصيل وعدم نجاح الغزو الفكري في ذلك الوقت في التأثير على اختيارات المواطنين النابعة من عقيدتهم ودينهم وتراثهم الإسلامي العظيم .

إن من أخطر عوائق النهوض بالأمم غياب القيادة الربانية، وذلك أن قادة الأمة عصب حياتها، وبمنزلة الرأس من جسدها، فإذا صلح القادة صلحت الأمة، وإذا فسد القادة صار هذا الفساد إلى الأمة، ولقد فطن أعداء الإسلام لأهمية القيادة في حياة الأمة الإسلامية، ولذلك حرصوا كل الحرص على ألا يمكنوا القيادات الربانية من امتلاك نواصي الأمور، وأزمّة الحكم في الأمة الإسلامية ففي خطة لويس التاسع أوصى بـ (عدم تمكين البلاد الإسلامية والعربية من أن يقوم بها حاكم صالح) كما أوصى بـ (العمل على إفساد أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية بالرشوة، والفساد، والنساء، حتى تنفصل القاعدة عن القمة) [1] .

إن العمل السياسي عندما يكون خاليًا من العلماء الربانيين لا تتحقق ثماره المرجوة. إن العلماء الربانيين هم الذين جعل الله عز وجل عماد الناس عليهم في الفقه، والعلم وأمور الدين والدنيا، والعلماء وهم: أئمة الدين، ونالوا هذه المنزلة العظيمة بالاجتهاد، والصبر، واليقين﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ (سورة السجدة، آية ٢٤) .

إن العمل السياسي في بلادنا خاليًا من العلماء الربانيين، وكأن العالم الرباني والعمل السياسي طرفي نقيض وهذا فهم خاطئ، بل تاريخ الأمة في صراعها بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والنور والظلام، لخير دليل على دور العلماء الربانيين في حركة النهوض .

ولا بد من التفريق بين العلماء، والمفكرين، والمثقفين، إن مفكري الأمة لهم

---

(١) قادة الغرب يقولون، جلال العالم، ص (٦٣) .

مكانتهم، وقد نفع الله بهم نفعًا كبيراً، ولكنهم مع ذلك لن يغنوا عن العلماء شيئًا إلا في حدود علمهم، وقدراتهم كما أن المثقفين - وهم فئة من الأخيار الصالحين- ذوو تخصصات علمية برزوا فيها، سواء في العلوم التجريبية مثل، الطب والهندسة والكمياء، أو في العلوم المسماه بـ (العلوم الانسانية) مثل علم النفس وعلم التربية وعلم الاجتماع، فهؤلاء وإن حُمِدَ لهم تخصصهم في مثل هذه العلوم فصاروا مرجعًا فيها، فإنهم غير مختصين في العلوم الشرعية، وهم في الاصطلاح العلمي الشرعي جمهور المسلمين، وعوامهم الذين يجب عليهم أن يكونوا وراء العلماء، ويجب عليهم أن يرجعوا للعلماء في أمور الشريعة، ويكونوا عونًا لهم في شرح واقع تخصصاتهم، فالطبيب يشرح الأمور الطبية، والاقتصادي يشرح الجوانب الاقتصادية العصرية، وهكذا ليفهم العلماء والفقهاء الأمور على حقيقتها، ويستخرجوا الحكم الشرعي وفق دراسة واعية ومتفتحة، إن كلام (المفكرين) والمثقفين يجب أن يكون محكومًا بالشرع، وأما إذا بني هؤلاء المثقفون والمفكرون كلامهم في أمور الشريعة، وأحوال الأمة العامة على أساس من العقول والأهواء، وإطلاق القول بالمصالح دون نظر في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وأقوال العلماء الراسخين، فإنهم بذلك يكونون أشبه بأهل الكلام [(١)] .

ولا بد من التفريق بين القارئ للعلوم الشرعية والفقيه فيها؛ إن القارئ لديه نتف وجزئيات أمسك بها من خلال قراءاته لبعض الكتب، واطلاعه على أقوال أهل العلم فهو لم يعان العلم، ولم يشافه العلماء، ولم يزاحمهم بالركب في الحلق .

أما العالم الفقيه فليس كأولئك بل هو ذو فهم شمولي عام للإسلام، واطلاع على مجمل الأحكام الشرعية، فهو لم يقرأ نتفًا، بل درس العلوم الشرعية دراسة شاملة عامة .

فمر على مسائل العلم واستطاع تخريجها على أصولها، وأصبحت لديه ملكة فهم النصوص، وعرف مقاصد الشريعة، وأهدافها العامة .

---

(١) انظر: فقه التمكين في القرآن الكريم، ص (٢٣٢) .

إن علمه لم يأته من قراءة ليلة بل من سهر الليالي ومعاناة الأيام، فشأن العلماء أنهم لا يقفون عند حد في التعليم، بل هم دائمو الطلب، دائبو التعلم (١) .

ولا بد من التفريق بين العلماء والخطباء والوعاظ . إن العالم قد يكون بطبعه قليل الكلام غير قادر على الخطابة، وقد يكون من العوام من هو بليغ اللسان يقلب الألفاظ كيف يشاء .

هذا التفريق مهم جدًّا في ما بين العلماء الراسخين وممن يشتبه بهم، ولذلك لا بد أن يقود العمل الإسلامي القادة الربانيون وعلى رأسهم العلماء الراسخون .

إن الشريعة الإسلامية أعطت اعتباراً للعلماء، وبنته على أمرين مهمين:

١- طاعتهم طاعة لله - عز وجل - ولرسوله ﷺ ، فالتزام أمرهم واجب.

٢- أن طاعتهم ليست مقصودة لذاتها، بل هي تابعة لطاعة الله ورسوله ﷺ .

والأدلة على هذه المنزلة، وهذا الاعتبار للعلماء في الشريعة غير منحصرة، فمنها: قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء: ٥٩) .

وقد اختلف المفسرون في أولي الأمر منهم على أقوال:

فقيل: هم السلاطين وذوو القدرة .

وقيل: هم أهل العلم .

يقول الإمام ابن القيم الجوزية - رحمه الله -: (والتحقيق أن الأمراء إنما يطاعون إذا أمروا بمقتضى العلم، فطاعتهم تبع لطاعة العلماء، فإن الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول ﷺ فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء، ولما كان قيام الإسلام بطائفتي العلماء والأمراء، وكان الناس لهم تبعًا، كان صلاح العالم بصلاح هاتين الطائفتين، وفساده بفسادهما) (٢) .

---

(١) انظر: قواعد في التعامل مع العلماء، ص (٣٣) .

(٢) انظر: أعلام الموقعين، (١ / ١٠) .

إن وضع الثقة في العلماء الربانيين لخطوة مباركة في ترشيد الأمة التي تسعى نحو تحكيم شرع الله والتمكين لدينه .

إن القيادة الربانية، والتي على رأسها العلماء الذين وصلوا إلى درجة النظر في فقه الإسلام من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، هم الذين يجب أن يقودوا الأمة نحو مرضات الله .

إن أعداءنا من اليهود، والنصارى، والملاحدة والعلمانيين، أيقنوا أن من أسباب قوة المسلمين التفافهم حول علمائهم وقادتهم، ولذلك شنوا هجومًا عنيفًا من أجل زعزعة ثقة الأمة في علمائها وقادتها واستعملوا أساليب متنوعة للتشويه والطعن فيهم؛ لأن العلماء هم الوصلة الحقيقة بين الأمة، وقرآنها وسنة نبيها ﷺ .

وقد لاحظ الاستعمار الأوروبي الحديث ذلك، وما الثورات التي فجرت الاستعمار إلا بقيادة العلماء، والقادة الربانيين، من المغرب إلى المشرق، وفي كل ديار المسلمين ولذلك قام اليهود، والنصارى، والملاحدة بتشويه صورة القادة والعلماء بواسطة المسرح، والتلفاز، والمجلة والجريدة، والنوادي، والغناء، وكل وسائل الإعلام، وإذا أردت أن تعرف هجومهم الإعلامي ابتداء من العقود الماضية، فلتراجع كتاب «المشايخ والاستعمار» للأستاذ حسني عثمان، فإنه أجاد .

إن القيادة الحكيمة وهي تسعى لتحكيم شرع الله تعالى، وإقامة دولة الإسلام توقن إيقانًا جازمًا أن المجتمع لن يكون إسلاميًا بجرة قلم، أو بقرار يصدر من ملك، أو رئيس، أو مجلس قيادة، أو برلمان، إنما يتحقق ذلك بطريق التدرج، والإعداد، والتهيئة الفكرية، والنفسية، والأخلاقية، والاجتماعية، وإقامة البدائل الإسلامية للأوضاع الجاهلية التي تأسست عليها مؤسسات عدة لأزمنة مديدة .

فهي تعين الهدف، وتوضع الخطة، وتحدد المراحل بوعي وصدق، بحيث تنتقل من مرحلة إلى مرحلة بتخطيط، وتنظيم، وإرادة قوية، معتمدة على الله تعالى حتى تصل المسيرة إلى مرحلة النهوض الشامل لدولة الإسلام المنشودة .

إن القيادة الربانية الحكيمة والتي تسعى لتحكيم شرع الله تعطي للعلوم بأنواعها أهمية، وخصوصًا في علوم الشرع، وتركز على علم المقاصد، وفقه الموازنات، وفقه الخلاف وفقه الأولويات، وفقه السنن الربانية، لأهميتها في زماننا هذا؛ بل هي من أفضل العدة بعد تقوى الله تعالى للعاملين من أجل تحكيم شرع الله [1].

إن القيادة الربانية الحكيمة هي التي تفجر طاقات الأمة، وهي التي تحتضن الإسلام وتنتهجه قلبًا وقالبًا، عقيدة وشريعة، ودينًا ودولة، وهي التي تصبح وتمسي وهمها عقيدتها وأمتها، وهي التي تسعى بكل ما تملك لحل المشاكل التي تواجهها، وتعمل بكل جهد، وإخلاص للقضاء على عوائق النهوض الداخلية والخارجية .

إن العمل لبناء الأمة، وإحياء الشعوب يحتاج لمعرفة بالسياسة الشرعية، وأمور الجهاد، والهدنة، والمصالح والمفاسد، وغير ذلك من الأحكام التي تتناول مظاهر الحياة، وهذه العلوم من لها إن لم يكن العلماء الربانيون لها؟ .

رابعًا: قسم الجمهورية والبلاغات:

لم يستطع بعض أعضاء مجلس الشورى الاجتماع، بل كان بعضهم غائبًا، وإنما انتخب توزيعًا للمسئولية وتحقيقًا للمساواة والوحدة بين جميع القبائل .

وقبل الانصراف من المسجد أقسم الحاضرون جميعًا يمين الولاء والإخلاص للجمهورية، وتوكيدًا لليمين أحضروا مصحفًا وكل من أراد اليمين وضع يده عليه وهذا نص اليمين:

(أقسم بالله العظيم قابضًا بيدي على هذا القرآن الكريم أن أجعل نفسي ومالي فداء لوطني، وحكومتي الجمهورية الطرابلسية ، وأن أكون لعدوها عدوًا ولصديقها صديقًا، ولقانونها الشرعي مطيعًا) [2] .

ثم وزع الأمير عثمان بعض النياشين والرتب على أعضاء الجمهورية وكثير من

---

(١) انظر: فقه التمكين في القرآن الكريم، ص (٢٤٠) .

(٢) انظر: جهاد الأبطال، ص (٢٢٦) .

الأعيان والوجهاء . ومن هذا التاريخ أصبحت الحكومة الجمهورية الطرابلسية قائمة وأصبح لها عهد في عنق كل طرابلسي يحميها مما يحمي منه نفسه وماله، وأصبح واجب عليه الالتزام بما أقسم عليه من الولاء والإخلاص [(١)] .

أ- بلاغات الجمهورية:

وكان أول ما قام به مجلس الإدارة من الأعمال أنه أذاع بلاغه الأول، على أبناء الشعب الطرابلسي، عن قيام الجمهورية الطرابلسية، وذيل بتوقيعات الأعضاء الأربعة بمجلس الإدارة وكان هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

(في الساعة الرابعة والنصف من يوم السبت المبارك، الثالث عشر من شهر رمضان سنة ١٣٣٧هـ قررت الأمة، تتويج استقلالها بإعلان حكومة الجمهورية باتفاق آراء علمائها الأجلاء، وأشرافها، وأعيانها، ورؤساء المجاهدين المحترمين، الذين اجتمعوا من كل أنحاء البلاد، وقد تم انتخاب أعضاء مجلس الجمهورية، وإن الأمة الطرابلسية تعتبر نفسها، حائزة لاستقلالها، الذي اكتسبته بدماء أبنائها وقوتها، منذ سبع سنين، وسعيدة بالوصول إلى هذه الغاية التي هي أشرف ما تصل إليه الأمم، وتهنئ أبناءها بتمام نجاحهم واتحادهم، على الثبات في الدفاع عن وطنهم وحكومة الجمهورية الجديدة والتوفيق من الله تعالى وحده) .

١٣ صفر سنة ١٣٣٧هـ

سليمان الباروني، أحمد المريض، رمضان الشتيوي، عبد النبي بالخير [(٢)]

وفي أثناء إعلانات البلاغات السياسية عن الجمهورية، كانوا قد اختاروا المتصرفين والقائمقامين، ونقل بعضهم، وعين موظفي المناطق، وعين الموظفين للعمل بمجالس الجمهورية، كما عين لقيادة الجيش الجمهوري اللواء الفخري عبد القادر

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص (٢٢٧) .

(٢) انظر: رمضان السويحلي، محمد مسعود، ص (١٩٩، ٢٠٠) .

الغناي وهو من بنغازي، ولكنه لم يكن من المقدرة القتالية المطلوبة، وبلغ من ضعفه أنه سلم الزاوية الغربية للطليان في أول يناير ١٩١٩م [١] .

ب- البلاغ الثاني:

كان البلاغ الثاني إلي الضباط الوطنيين:

(إلى حضرة .... الوطني

بما أن جنابك وطني صادق، ومجاهد في سبيل الدين والوطن، منذ ابتداء الحرب الطرابلسية فإننا ندعوك إلى تقديم طاعتك لحكومتك الجمهورية الجديدة والقيام بما نقلدك إياه من الخدمة والدفاع عن شرف الوطن حتى تنال منها شرف الاحترام، والترفيع، وتبرهن للعالم أنك ابن الوطن العزيز وأحد رجاله الذين سيحفظ لهم التاريخ ذكرهم المجيد) [٢] .

ج- البلاغ الثالث إلى رئيس الحكومة الإيطالية:

(تفتخر الأمة الطرابلسية بتتويج استقلالها بإعلان الحكم الجمهوري وانتخاب نواب عنها من كافة أنحاء القطر لمجلسي الحكومة والشورى ولا هدف لها إلا ضمان وحدتها وحريتها داخل حدودها السياسية المعروفة، ولا تقصد إلا أن يعيش عيشة هنيئة مسالمة لجميع الأمم التي لا تحاول غصب حقوقها لذلك فالحكومة الجمهورية الطرابلسية تدعو الحكومة الإيطالية إلى الاعتراف بها، وسد كل باب يضطر الحكومة الطرابلسية إلى مداومة الحرب إلى أن تحقق أملها المشروع) [٣] .

١٣ صفر سنة ١٣٣٧هـ

ملحق:

إذا قبلت المواد الآتية ووضعت موضع الإجراء فالحكومة الجمهورية الطرابلسية مستعدة للبحث مع الحكومة الإيطالية في عقد صلح طبقًا للقواعد الآتية:

---

(١) ، (٢) ، (٣) انظر: جهاد الأبطال، ص (٢٢٨) .

١- في حالة دوام المذاكرة يجب على كل من الطرفين المحافظة على مواقعه بصورة هدنة .
٢- لا تقرب السفن الحربية السواحل غير المحتلة بالعساكر الإيطالية .
٣- لا تتجاوز الطائرات حدود الاستحكامات .
٤- لا تقع مخابرة خصوصية مع أي أحد كان لا من جهة المناطق الحربية ولا من غيرها.
٥- يقطع كل ما فيه وسيلة للاختلاط بالأهالي من طرف الحكومة الإيطالية كأخذ وإعطاء البضاعة وتوزيع الإعلانات على أي صورة وبأي طريقة كانت .
٦- المخابرات الرسمية والدخول والخروج لا يكون إلا من الموقع الذي يصير تعينه في منطقة الخمس من طرف الحكومة الطرابلسية .
٧- الحكومة الجمهورية الطرابلسية مستقلة في شئونها وحركاتها تمام الاستقلال، وغير مقيدة بأي شرط أو قيد تضعه حكومة أخرى أو تتعهد به لحكومة إيطاليا في طرابلس .
٨- ضباط الترك والألمان الموجودون في داخل طرابلس هم بمنزلة ضيوف عند الحكومة الطرابلسية، ولا تسمح بسفرهم إلا بصورة تكفل منفعة وشرف الأمة الطرابلسية وحكومتها الجمهورية .
٩- بما أن الأمة الطرابلسية لها الحق في إظهار حقوقها للعالم الإنساني وبالخصوص الحكومات الموجودة قناصلها في مدينة طرابلس مثل إنكلترا، وفرنسا، وأمريكا فعلى الحكومة الإيطالية قبول وتوصيل ما يرسل من الحكومة الطرابلسية إليها بدون اطلاع عليه، وأخذ سندات من القناصل المذكورين، وإرسالها إلى الحكومة الطرابلسية حتى لا تضطر إلى اتخاذ طريقة أخرى لمواصلة مخابراتها المذكورة.
١٠- المخابرة مع الحكومة الإيطالية لا تجوز إلا تحريراً ولا يعتبر أي كلام شفهي[1] .

١٣ صفر سنة ١٣٣٧هـ

الإمضاءات

---

(١) انظر: جهاد الأبطال، ص (٢٢٨، ٢٢٩) .

د- البلاغ الرابع: إلى الرئيس ولسن:

(نتشرف بأن نعرض على فخامتكم أن الأمة الطرابلسية قد توجت استقلالها بإعلانها حكومة وجمهورية . وفي ١٦ نوفمبر ١٩١٨م تم انتخاب مجلس شوراها، ومجلس جمهوريتها .

إن قواعدكم المشهورة بالنسبة لمقدرات جميع الأمم سواء كانت في أوربا أو خارجها قد شجعتنا كثيراً على أن نضع آمالنا في مقاصدكم العظيمة ونواياكم العالمية الإنسانية .

إنه ليس هناك حد للحقوق والواجبات البشرية لذلك فإننا متأكدون من أنه لا يمكنكم أن تنظروا بعدم الاكتراث إلى استعباد أمة صغيرة بقوة السلاح مثل أمة طرابلس وهي تقاتل لثامن سنة ضد الغاصب المعتدي بكل متانة وهي متأكدة من أن بسالة أبنائها قادرة على أن ترد قوات المعتدين عليها في كل زمان .

وإننا نؤمل أن عواطفكم السامية نحو الحكومات والأمم الصغيرة الحية ستحثكم على أن تمنعوا تكرار سفك الدماء بيننا وبين الطليان بتكليفهم بالاعتراف بحكومتنا .

وفي الختام نرجو قبول احترامنا ووضع المسألة الطرابلسية على بساط مذكرات الصلح العمومي) .

هـ- البلاغ الخامس: إلى رئيس الوزراء الإنجليزي:

(نتشرف بأن نحيط فخامتكم علمًا بأن الأمة الطرابلسية قد توجت استقلالها بإعلانها الحكومة الجمهورية . وفي ١٦ نوفمبر سنة ١٩١٨م أعلنت نتيجة انتخابات مجلسي شوراها ومجلس جمهوريتها .

(ليس بين الأمم من هو جدير بحريته واستقلاله أكثر من الأمة الطرابلسية التي تقاتل إلى الآن ثماني سنوات ضد غاصب أرضها وحريتها، وإننا لا شك في أن إحساساتكم العالية نحو حرية الأمم والحكومات الصغيرة كما أن غيرتكم على حماية العرب تجبركم على العطف على جمهوريتنا الجديدة الحرة . وإننا نؤكد لكم أيضًا أن

قومنا وضعوا جلّ آمالهم في إنكلترا حامية حقوق الأمم الصغيرة، فرجاؤنا أن تتفضلوا بوضع المسألة الطرابلسية على بساط مذكرات الصلح العمومية حتى تنال جمهوريتنا ما يضمن لها مستقبلها . والمرجو قبول عظيم احترامنا) [١] .

و- البلاغ السادس: إلى رئيس الجمهورية الفرنسية:

(نتشرف بأن نحيط فخامتكم علمًا بأن الأمة الطرابلسية قد توجت استقلالها بإعلان الحكم الجمهوري . وفي ١٦ نوفمبر سنة ١٩١٨م أعلنت نتيجة انتخاب مجلسي الجمهورية والشوري .

إن ما قامت به فرنسا الحرة من نشر إعلان الحرية في العالم وتكبدها كل الصعوبات في سبيل حمايتها لا يجهله أحد، وإنه لمكتوب على صفحات القلوب بمداد الحياة تتغذى به أرواح الأحرار في كل الأقطار لا ينسخه توالي الدهور ولا تمحوه زلازل الحروب .

إن ما قام في هذا العصر بطلب حريته سواء كان بسيفه أو قلمه فإنما هو مستمد من منبع الحرية الزلال، ومقتبس من سناها الساطع، ومغترف من بحرها الطافي، ومستخرج من معدنها الصافي (قاعدة فرنسا الحرة) فلا عجب إذا قامت الآن فرنسا لحماية الأمم الصغيرة، كأمة طرابلس الغرب التي ما برحت تريق دماء أبنائها منذ سبع سنين وزيادة في سيل نيل حريتها واستقلالها ورد جيوش إيطاليا الغاصبة لأرضها المعتدية على شرفها .

إن الأمة الطرابلسية التي لا تجهل تاريخ فخرها القديم لم ترض أن تساق الآن بعصا الذل والهوان، وأن تستبعد في زمن مادت فيه الأرض شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالاً بالحروب الهائلة لأجل تحرير بني الإنسان .

إن كل من يتتبع التاريخ بإنصاف يجد أن الأمة الطرابلسية لم تملكها دولة من الدول، كما تملك البلاد ملكًا مطلقًا، بل لم تزل منذ خلقت أو عرفت بين الأمم في

---

(١) انظر: جهاد الأبطال، ص (٢٣٠) .

مناضلة كل من يقصد استعبادها سواء كان من الدول الإسلامية أو المسيحية وكانت ولا تزال تفضل الجلاء وسكنى القفار على تحمل الضيم والاحتقار .

وها هي أطلال بلادهم الخالية بادية، وأنسابها المنتشرة شرقًا وغربًا شاهدة ؛ فعسى الأمة الإيطالية وراء استعبادها الآن هو ضرب من طلب المستحيل، ولو راجعت تاريخ أجدادها وأجدادها القدماء لرأت فيه مايصدها الآن عن سفك الدماء.

لذلك تؤمل حكومة طرابلس الجديدة من جارتها الجمهورية الفرنسية أن تنظر إلى المسألة الطرابلسية بنظرة الاهتمام والاعتبار، وأن تعني بوضعها على بساط مذكرات الصلح العمومي، وأن تقنع حليفة ألمانيا القديمة وحليفتها هي الآن حكومة إيطاليا بالاعتراف بحقنا المشروع حتى يقف تيار إراقة الدماء بين الأمتين، وتستريح البلاد والعباد، وتنال البلاد الطرابلسية نصيبها من هذه الراحة أيضًا فإن منفعة البلدين ومضرتهما واحدة) [١] .

وقد أرسلت هذه البلاغات إلى الحكومات الموجهة إليها ممضاة كلها بإمضاءات أعضاء الجمهورية . وعين موظفو الإدارة في جميع أنحاء القطر، وانصرف الأعضاء والموظفون كل إلى عمله [٢] .

وهذه البلاغات تدل على اهتمام زعامة الجمهورية بالدول الكبرى، وحرصها على استمالتها والوقوف معها ومحاولة انتزاع الاعتراف بها، ولكن يبدو أن تلك البلاغات لم تجد تجاوبًا من أمريكا وفرنسا وبريطانيا وذهبت في أدراج الرياح واستنكرت إيطاليا إعلان الجمهورية الطرابلسية، وعندما تلقى الإيطاليون بلاغ الجمهورية، أعلنوا فورًا أن دولتهم ترفض بكل تصميم الاعتراف بقيام واستقلال الجمهورية الطرابلسية، ولا تسلم لها بشيء مما جاء في البلاغ الموجه إليها والمواد الملحقة به، بل ليس لها من جواب على ذلك سوى استئناف الحرب الضارية معها إلى أن تخضع البلاد لحكمها بالقوة [٣] .

---

(١) ، (٢) انظر: جهاد الأبطال، ص (٢٣٢) .

(٣) انظر: رمضان السويحلي، ص (٢٠٢) .

ومارست إيطاليا القوة ضد الطرابلسيين، ولكن بدون جدوى، وضطرت لدخول مفاوضات تمّ تتـويجها بانعقاد صلح «سواني بنيـادم» وعقد ذلك الصلح في ليلة ١٧ إبريل ١٩١٩م في قرية «سـواني بنيادم»، غرب مـدينة طرابلس نحو ١٢ كم واعتـبر الطرابلسيون ذلك الصلح انتصاراً سياسيًّا وحربيًّا على خصمهم المتـعجرف العنيد، وأصدرت إيطاليا القانون الأساسي، الذي جـعل الفرد الطرابلسي، في مصاف الفرد الإيطالي في الحقوق السياسية، والاجتماعية [٢] .

وعلق غرسياني على فوز العرب بهذا القانون فقال: (تلاشى به كل أمل لسيادتنا الفعلية على طرابلس، وأصبح السبيل ممهداً للطمات شديدة نتلقاها . . وقد كان من جانبنا تسليمًا حـقيقيًّا، وهذا الدستور يمنح عـرب طرابلس تفوقًا وامتيـازات مدنية وسياسية واسعة، دون أن يتحملوا -كمـا هو الحال في البلاد المتمدنة- أعباء واجبات ثقيلة، في مقابل ممارسة الحرية بمفهومها الحديث) [٣] .

خامسًا: القواعد الأساسية للقانون:

والقـانون الأساسي، أو الـدستـور اشتـمل على أربعين فـصـلاً ولكن قواعـده الأساسية ارتكزت في ١٦ مادة منه ونصها حرفيًّا كما يأتي:

١- تسمى الحكومة (حكومة طرابلس الغرب) .

٢- يدير أمور قطر طرابلس مـجلس حكومة، مؤلف من ثمانيـة أعضاء وطنيين ينتخبهم مجلس النواب الطرابلسي، من بين أعضائه، ومن عضوين إيطاليين ينتخبهم النائب العام .

٣- يرأس هذا المجلس حاكم عـام بيده السلطات الملكية والعـسكرية، معين من جانب ملك إيطاليا (لـم يحدد القانون جنسية الحـاكم فقد يكون عربـيًّا وقد يكون إيطاليًّا) .

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص (٢٠٧) .

(٢) انظر: نحو فزان، ص (٢٦) .

٤- يسن قوانين البلاد مجلس ينتخبه الأهالي، يتمتع بما لمجالس الدول الأخرى المتمدنة من سلطات وحقوق، وتكون مدته أربع سنوات، كلما جدد انتخابه، جدد مجلس الحكومة من بين أعضائه .

٥- لا تنفق ضرائب البلاد إلا فيها، حسبما يقرره مجلس نوابها في وصفها وتوزيعها وجبايتها .

٦- لا يطبق من القوانين الإيطالية في طرابلس إلا ما يقبله مجلس النواب الطرابلسي . ويوافق عليه لمصلحة البلاد .

٧- ينظم من أبناء البلاد جند وطني بالتطوع، حسبما تقتضيه الحاجة وقائده هو الحاكم العام .

٨- للوطنيين حق التوظف في الوظائف ملكية وعسكرية وقضائية وصحية وغيرها بالامتحان .

٩- التعليم الأهلي حر تحت إشراف الحكومة .

١٠-اللغة العربية رسمية كاللغة الإيطالية .

١١- ينتخب الأهالي رؤساء البلديات في العاصمة والملحقات .

١٢- يؤلف مجلس شرعي تستأنف إليه الأحكام الشرعية، وهو يعين القضاة.

١٣- للطرابلسيين الحائزين على شهادات عالية، الحق في مزاولة المهن الحرة كالطب، والمحاماة وغيرها في إيطاليا، كما هو في طرابلس .

١٤- الطرابلسي والإيطالي متساويان في الحقوق .

١٥- الأوقاف تدار بمعرفة هيئة إسلامية .

١٦- تراعى حرية الدين والتقاليد الوطنية الحسنة كما في السابق .

وختمت مواد الدستور أو القانون الأساسي البالغ نيفًا وأربعين فصلاً بتوقيعات الآتي أسماؤهم:

عن الطرابلسيين: سليمان الباروني - أحمد المريض - رمضان الشتيوي - أحمد الصويعي نيابة عن عبد النبي بالخير .

وعن الطليان: الجنرال ماجور تارديتي، رئيس الدائرة السياسية، الجنرال (باسكانو) رئيس هيئة أركان حرب الجيش الإيطالي [١] .

كانت إيطاليا تريد تخدير الرأي العام في إيطاليا الذي سئم من الحروب وويلاتها وأصبح الشعب بعد خروجه من الحرب العالمية الأولى محطم القوى، مهيض الجناح، لما تكبده من خسائر فادحة في إمكاناته الحربية، والعسكرية، والاقتصادية، مما جعل الرأي العام ينادي بنبذ الحروب، والاستعمار، وتزعم الحزب الاشتراكي الإيطالي هذه الدعوة، وعارض الحكومة في البرلمان .

وكانت الحكومة الإيطالية موطدة العزم سرًا على نقض العمل بالقانون الأساسي، ببث الدسائس والفتن بين الزعماء في الظروف المناسبة لذلك، ثم إخضاع البلاد لحكمها والقضاء على الجمهورية [٢] .

كان مما جاء في القانون الأساسي الاعتراف بحكومة وطنية مقرها مدينة طرابلس وقد شكلت من ثمانية أعضاء وصدر أمر من الوالي الإيطالي بتعيينهم، وهذا نصه:

(إن والي طرابلس بعد إطلاعه على فصل ٢٣، ٢٤ من قانون أساسي القطر الطرابلس الصادر بتاريخ أول جونيو سنة ١٩١٩ عدد ٩٣١ . وإنما أنه في التحرير المؤرخ ٣ سبتمبر الجاري المتقدم من أحمد بك المريض إلى الحكومة قد صار عرض الثمانية الوطنيين المنتخبين أعضاء في مجلس الحكومة . وأن هؤلاء الثمانية قد صار تقديمهم علنًا بمراسم احتفالية إلى الوالي من طرف رمضان بك شتيوي الذي كان برفقته جمع كثير من رؤساء وأعيان القطر الطرابلسي . وحيث إنه من التحرير والمبحوث ومن الاحتفال الواقع تحقق أن العرض المذكور حصل باتفاق من رؤساء جهات طرابلس المختلفة يأمر بما يأتي:

(١) انظر: رمضان السويحلي، ص (٢٠٩) .

(٢) انظر: رمضان السويحلي، ص (٢١٠) .

إن الذوات الآتي ذكرهم قد صار تعيينهم أعضاء لمجلس حكومة القطر الطرابلسي .

عمر بك أبو دبوس.	أحمد بك شتيوي .
علي بك الشنطة .	أحمد بك الفسّاطوى .
محمد الصويعي بك .	الحاج محمد فكيني بك .

محمد بك ابن الفقيه حسن .

وسيصير تعيين مخصصاتهم بأمر آخر [١] .

حرر بطرابلس في ٤ ديسمبر سنة ١٩١٩م .

صورة مطابقة للأصل		الوالي
صار الاطلاع عليه	كاتب الوالي	الولي
الوالي	طابع الحكومة	الامضاء: متير نيجر
		طابع الحكومة

واجتمع مجلس الحكومة في مدينة طرابلس وصارت مراكز القطر كلها مربوطة به، وحاولت هيئة الحكومة أن تباشر أعمالها في دائرة سلطاتها . ولكن الطليان سرعان ما شرعوا في الدسائس، وظهرت بوادر تشير إلى عزمهم على عدم الوفاء للطرابلسيين بالحقوق التي اعترفت لهم بها في القانون الأساسي ودليل ذلك:

١- أنه على الرغم من مطالبة الزعماء لهم بأن يخصصوا مكانًا للمجلس النيابي، وآخر لمحل الحكومة الوطنية، فإنهم صاروا يسوفون لاستجابته بأقوال وأعذار كاذبة .

٢- بينما أصر الأعضاء العرب في مقابلة الوالي، بأن تكون أصوات نوابهم في المجلس النيابي، قرارية حسب المادة (١٥) من القانون الأساسي، إذ الوالي يرفض التسليم لهم بهذا الرأي، ويعتبر أصواتهم فيه استشارية، ومعنى هذا أنه غير ملزم

---

(١) انظر: جهاد الأبطال، ص (٢٦٤) .

بتنفيذها، ولما استقال أربعة أعضاء من الحكومة الوطنية وهم: (مختار كعبار - أحمد الشتيوي - عمر أبو دبوس - محمد الفقيه حسن)، احتجاجًا على اعتبار أصوات النواب استشارية لا قرارية، وجد الطليان استقالتهم فرصة ذهبية، لإلغاء عضوية الأربعة الآخرين رغم رضاء هؤلاء بأن تكون أصواتهم استشارية .

٣- لما رأوا الجيش الوطني، قد تمركز مع رمضان في سواني المشاشطة، لكي يتخلصوا من مقاومته لهم في المستقبل، بذلوا كل مساعيهم وجهودهم بواسطة عملائهم، لاغرائه بالانضمام إلى الجيش الإيطالي، ونزوله معه بثكناته في المدينة، بزعم أن القانون الأساسي وحد بين الطرفين العربي والإيطالي في كل الأمور [١].

سادسًا: حزب الإصلاح وجريدة اللواء:

في ٣٠ سبتمبر سنة ١٩١٩م أعلن الطرابلسيون رسميًّا عن تأسيس حزب الإصلاح لأجل الدفاع عن مكاسب البلاد، وإيقاظ الوعي الجماهيري السياسي، وأسندوا رياسته إلى أحمد بك المريض، ورياسة شرفه إلى رمضان بك، وكان من أعضاء هذا الحزب النشيطين عبد الرحمن عزام، وخالد القرقني، وعثمان الغرياني مدير جريدة (اللواء الطرابلسي) وكانت أهم مبادئ الحزب:

١- المحافظة على حقوق الطرابلسيين الواردة في القانون الأساسي كاملة .

٢- التعجيل بتنفيذ القانون الأساسي، خصوصًا ما يتعلق بالإصلاح، وما ينص على تدريب الطرابلسيين على حكم أنفسهم حتى يصلوا إلى حريتهم في أقرب وقت.

٣- تحقيق التضامن بين العرب والإيطاليين على أساس المساواة التامة واتحاد المصالح .

٤- نشر التعليم بكل الوسائل، مع المحافظة على العادات الإسلامية، لتدعيم الأخلاق العربية .

---

(١) انظر: رمضان السويحلي، ص (٢١٩) .

٥- بذل العناية لإصلاح الحالة الاقتصادية وتوزيع الثروة الوطنية علي أساس عادل .

وأنشئوا جريدة اللواء الطرابلسي لتكون لسان حاله . وكان الحزب يستمد قوته من الشعب، واستندت الحكومة الوطنية على الحزب في تأييدها وإقناع الطليان بمطالبها، وأبدى الطليان مراوغة في انتخاب مجلس النواب الذى ينص عليه القانون الأساسي، فكان حزب الإصلاح الوطني يطالب بتنفيذه، وكانت جريدة اللواء الطرابلسي تشير إلى هذا المعنى في جرأة وشجاعة فائقة، فكانت الحكومة الوطنية، والحزب الوطني والجيش الوطني يؤيد بعضها بعضًا في المطالبة بحقوق الأمة وإلزام الطليان بتنفيذ القانون الأساسي، ورأى الطليان خطورة الموقف، فعملوا على إفساد هذا الصلح [1]، وشرع الوالي الإيطالي وأعوانه يبذرون بذور الشقاق بين الزعماء ويديرون حملة عدائية ضد القادة ويحركون كوامن الحقد والعداء [2] .

يقول الأستاذ التليسي عن تلك الفترة: (ففي مجال العمل السياسي عملت إيطاليا على إثارة الفتنة والانشقاق والانقسام بين صفوف الزعماء، وسعت إلى استمالة بعض الفئات وتأليبها على الفئات الأخرى، وكان أهم ما توخته في هذه الفترة العمل على إحداث انقسام بين مصراته وورفلة، وبين ترهونة ومصراته، ثم بين زعماء الجبل الغربي، ولا مناص من الاعتراف بأن السياسة الإيطالية التي فشلت عسكريًا في هذه المرحلة التي أعقبت القرضابية قد نجحت نجاحًا كبيرًا في إحداث الصدع بين الصفوف، بحيث لم تستأنف العمليات في عهد (فولبي) إلا بعد أن أوجدت من ذلك الانقسام قاعدة كبيرة تعتمد عليها عملياتها [3] .

لقد انتهز الإيطاليون فرصة المهادنة ليلقوا بذور الفتنة بين العرب والبربر من جهة، وبين البدو والحضر من جهة أخرى، وبين سكان البلدان المتجاورة أيضًا،

---

(١) انظر: جهاد الأبطال، ص (٢٦٦،٢٦٧،٢٦٨) .
(٢) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٢٥٢) .
(٣) انظر: معجم المعارك، ص (٥٨،٥٩) .

واشتغل بعض الزعماء المخلصين بإخماد نار الفتن ومحاولة رتق الفتوق في كل جهة، ولكن الخروق اتسعت على الراقع، وكلما حاول دعاة الإصلاح إطفاء نار الفتنة من جهة أوقد الإيطاليون نارًا أخرى من جهة أخرى، ونفخوا في جمرها من جديد (١) .

وكانت من أكبر الفتن الحرب الطاحنة بين الزنتان والبربر فقدت بها طرابلس من أبنائها ما لا يعلم عدده إلا الله، وقعت الحرب الأولى بينهم ١٩١٦م وخلفت من الضغائن بين الفريقين ما كان سببًا من أكبر الأسباب في الحرب الثانية التي دارت رحاها في سنتي ١٩٢٠م، ١٩٢١م (٢) .

استغل الإيطاليون ذلك الصراع، وتلك الفتن، وتحركت جيوشهم للقضاء على الطرابلسيين، فاحتلوا يفرن في ٣١ أكتوبر سنة ١٩٢٢م وكان معهم من الليبيين العملاء الذين انضموا إلى الجيش الإيطالي عدد كبير، وفي ١٧ نوفمبر ١٩٢٢م احتلت غريان وبدأت المدن تتساقط أمام الجيوش الإيطالية، وانتهى الصراع بين مصراته وورفله بمقتل رمضان السويحلي في عام ١٩٢٠م . لقد كانت فترة ما بعد صلح بنيادم ١٩١٩م من أتعس الفترات التي مر بها التاريخ الليبي المعاصر، فترة سواد يتحاشى المؤرخ الحديث عنها .

لم تستطع الحكومة الوطنية التي تكونت بعد الصلح، أن تصنع شيئًا، وكل ما تقرره لا ينفذ؛ لأن الزعامات كانت تتناحر داخلها، وذلك لا يستغرب من حكومة في جمهورية لها أربعة رؤساء .

وهكذا ولدت الجمهورية وفي جسمها جراثيم هلاكها، إذ أن جمهورية يحكمها أربعة، لا بد أن تغرق سفينتها بمجرد إقلاعها من الشاطئ، فتعدد الربانية مدعاة لإغراق السفينة (٣) .

وقد صور الأستاذ خليفة التليسي تلك الفترة المظلمة فقال: (يلاحظ أن هيئة

---

(١) انظر: عبد النبي بالخير، داهية السياسة وفارس الجهاد، ص (١١٢، ١١٣) .

(٢) انظر: جهاد الأبطال، ص (٢٨٥) .

(٣) انظر: عبد النبي بالخير، ص (١٠٣) .

الإصلاح المركزية لم تكن حكومة بالمعنى المفهوم للحكومة، وأن كثيراً من المناطق قد ظلت غير خاضعة لحكمها ونفـوذها، كما أن بعض الزعامات قد ظلت محافظة على موقفـها الفردي، وكانت تستقل في كـثير من الحالات بتقـدير الوضع السياسي على أساس جـهوي، وبما تقتـضيه مـصلحة منطقـتها، أو مـقاطعتـها، وأحيـانًا قبيلتـها وعشيرتهـا، مما انعدم معه عنصر الوحدة الوطنية الملزمـة بالموقف الموحد، خاصة في هذا الظرف العسـير، بحيث يعد الخروج علـيه، أو التخاذل عنه خيـانة تحسب على الخارج أو المتـخاذل، وكانت هذه هي الثغـرات التي نفذ منها الإيطاليون واسـتطاعوا استغلالها أحسن استـغلال، وقد فطن الوطنيون إلى الخطر الكامن وراء انعدام توحد القيـادة، ولكن ذلك كان بعـد فوات الأوان، وقد نتج عن ذلك تـعدد في المواقف، واختـلاف في وجهات النظر، وترك الأمر لـلاجتهاد الخـاص، يحدد الموقف ويرسم الطريق، فرأيـنا بعض الزعماء يعـارضون - عن اجـتهاد خـاص - المقاومـة المسلحة لإيطاليا عقب نزولها بقـصر أحمد، ورأينا آخرين يقفون على الحـياد، كأن الأمر لا يتصل بـهم من قريب أو بعـيد، ورأينا بعضـهم يتشـبث بأن يكون صاحب الكـلمة النهـائية في إبرام الهـدنة، نظراً لأن الاعـتداء واقع على أرضـه (بالمعنى الجهـوي)، وهكذا تحددت مواقف الزعماء في تاريخنا في كثير من الحالات على أساس جهوي، وكان لكل جـهة صاحب يتـولى أمـرها ويقرر مصـيرها ويحدد مـوقفهـا، وانعدام القاعـدة الـسياسـية قد عرض مـواقف الزعمـاء وشخـصياتهم لكثـير من الخلخلة والاهتزازات) [١] .

سابعًا: مؤتمر غريان:

بعد التطورات الخطيرة، والانشـقاقات العظيمة، التي وقـعت بين الزعماء، رأى عقلاء طرابلس ضرورة الاجتماع في مؤتمر عـام ليتدارسوا الأوضاع الراهنة، ويتخذوا حيالها موقفًا مشتركًا .

---

(١) انظر: عبد النبي بالخير، ص (١٢١) .

اجتمع المؤتمر في شهر ربيع الأول ١٣٣٩هـ، نوفمبر سنة ١٩٢٠م بعد أن اختار كل بلد من يمثله ما عدا بلاد البربر وأسفرت النتيجة عن انتخاب:

أحمد بَك المريض	رئيسًا
الأستاذ عبد الرحمن بك عزام	مستشارًا
محمد بك فرحان	عضوًا
الصادق بك الحاج	عضوًا
عمر أبو دبوس	عضوًا
صالح بن سلطان	عضوًا
التهامي قليصة	عضوًا
الشيخ أحمد الرحيبي	عضوًا
العيساوي بوخنجر	عضوًا
محمد التايب	عضوًا
عثمان القيزاني	عضوًا
علي بن تنتوش	عضوًا
مختار كعبار	عضوًا
عبد الرحمن زبيدة	عضوًا
الحاج محمد بن عمر	عضوًا
عبد السلام الجدايمي	عضوًا
نوري السعداوي	عضوًا
بشير السعداوي	عضوًا

حسين بن جابر عضواً

سالم البحباح عضواً

الصويعي الخيتوني عضواً

وقد اختار المؤتمرون أحمد بك رئيسًا للمؤتمر وكانت الظروف إذ ذاك تتطلب ذلك، فرمضان السويحلي قتل، وسليمان الباروني امتنع عن الحضور؛ لأنه كان متأثرًا بالحرب التي وقعت بين الزنتان والبربر، وأرسل إليه أحمد بك المريض بعد انتخابه رئيسًا للمؤتمر بأنه مستعد للتنازل له عن الرياسة فأبي وحاول المؤتمر إقناعه فامتنع، واستمر المؤتمر في أعماله الوطنية، وامتنع عبد النبي بالخير عن الحضور بسبب مقتله لرمضان السويحلي، ومثل أرفلة عبد الرحمن زبيدة ومحمد العيساوي[1] وأصدر المؤتمر بعد انتهاء جلساته قرارًا هذا نصه: (إن الحالة التي آلت إليها البلاد لا يمكن تحسينها إلا بإقامة حكومة قادرة ومؤسسة على ما يحقق الشرع الإسلامي بزعامة مسلم ينتخب من الأمة ولا يعزل إلا بحجة شرعية وإقرار مجلس النواب، وتكون له السلطة الدينية والمدنية والعسكرية، بأكملها بموجب دستور تقره الأمة بواسطة نوابها، وأن يشمل حكمه جميع البلاد بحدودها المعروفة) [2] .

وانفض المؤتمر، وأبلغ قراراته إلى الحاكم الإيطالي في طرابلس وقرر إرسال وفد إلى روما ليطالب بتنفيذ قراراته .

وكان الوفد يتكون من: محمد بك فرحات الزاوي رئيسًا، ومحمد نوري السعداوي، والصادق بن الحاج، وخالد القرقني، وعبد السلام البوصيري.

واستطاع هذا الوفد أن يتصل برؤساء الأحزاب في إيطاليا ومحرري الجرائد، وتمكن من إعلان قضيته في بعض الجرائد وامتنعت الحكومة، وأصحاب القرار عن الاجتماع بهم، وقام والي طرابلس بإرسال وفد ليبي مناهض لوفد غريان، وأسفرت

---

(١) انظر: جهاد الأبطال، ص (٢٩٩، ٣٠٠) .

(٢) انظر: جهاد الأبطال، ص (٣٠١) .

نتيجة الوفد الوطني عن الرجوع بخفي حنين، وتأزم الموقف بعد رجوع الوفد، وقام الطليان بنشاط عسكري، لمقاومة الروح الوطنية، واعتقلوا أناسًا من حزب الإصلاح الوطني [١] .

كانت الفتنة بين طرابلس وبرقة قد اشتدت مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، وحصل فتور بين البرقاويين والطرابلسيين استمر لمدة خمس سنوات، وترتب على ذلك تعدٍّ على الأموال والأشخاص [٢] .

وكان عقلاء طرابلس وبرقة لا ترضيهم تلك الحالة المزرية التي لا يرضي عنها عقل، ولا شرع، ولا عرف وبادر السيد أحمد المريض بإرسال رسالة لأخيه الأمير محمد إدريس السنوسي، وكانت مليئة بالمعاني الرفيعة والعبارات السامية، ورد على تلك الرسالة الأمير محمد إدريس وترتب بعد ذلك اجتماع سرت العظيم [٣].

ثامنًا: اجتماع سرت:

اجتمع الوفدان الطرابلسي والبرقاوي في سرت، وكان يمثل الوفد الطرابلسي كل من أحمد بك السويحلي، وعبد الرحمن بك عزام، وعمر بو دبوس، ومحمد نوري السعداوي، والشتيوي بن سالم، والصويعي الخيتوني، والحاج صالح بن سلطان، ويمثل برقة كل من: الشيخ صالح الأطيوش، والشيخ نصر الأعمى، والشيخ خالد القيصة، والشيخ صالح السنوسي بن عبد الهادي البرّاني، وشرع المجتمعون في استعراض الحال التي وصلت اليها البلاد، ومعالجة أسباب الخلاف وخرجوا بهذه القرارات التي اتفق عليها ممثلوا طرابلس وبرقة .

(الحمد لله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، ألف بين قلوب المسلمين وجعلهم خير أمة للعالمين، والصلاة والسلام على رسول الهدى والرحمة الذي جاء يدعونا إلى العزة والإباء، ويعلمنا كيف نقاتل الأعداء وبعد: فقد اجتمعنا نحن الموقعين على

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص (٣٠٣) .

(٢) المصدر السابق نفسه، ص (٣٠٤) .

(٣) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٢٥٦) .

هذه المعاهدة المفوضين من قبل طرابلس وبرقـة، وقررنا بعد مداولة الفكر المواد الآتية المتضمنة اتفاق القطر الطرابلسي البرقاوي على الاتحاد والتعاون في السراء والضراء:

١- يجب أن نوحد كلمتنا ضد عدونا الغاصب لبلادنا وضد المفسدين .

٢- يجب أن يكون عدونا واحدًا وصديقنا واحدًا .

٣- إن كافـة ما وقع بين الطرفين من التـجاوز لا يطالب به أحـد الآخر إلى أن تستقر الحالة في الوطن، وتتعين وضيعـة البلاد العمومية . ومع ذلك يجب أن يسعى الطرفان في المسامحة بين العربان، ومن يتعدى بعد الآن فعلى الحكومة التابعة لها أن تعاقبه بما يستحق .

٤- كل من يخالف الجمـاعة ويدس الدسائس الأجنبيـة، على الحكومة المنسوب إليها إعدامه ومصادرة أمواله حسب الشريعة الإسلامية .

٥- يرى الطرفان أن مصلحـة الوطن وضرورة الدفاع ضد العدو المشـترك تقضي بتوحيـد الزعامة على البلاد، ولذلك يجعلان غـايتهما انتخاب أمـير مسلم تكون له السلطة الدينية والمدنية داخل دستور ترضاه الأمة .

٦- يتخذ الطرفان الوسائل اللازمة لتحقيق هذه الغاية المذكورة في المادة الخامسة، وأن تكون تولية الأمير بإرادة الأمة .

٧- متى تحققت الغاية المذكورة في المادة الخامـسة يجب انتخاب مجلس تأسيسي من الفـريقين لوضع القـانون الأساسـي والنظم اللازمة لإدارة الـبلاد، وقـبل ذلك، وتمهيدًا لهذه الأعمال، يجب على الفريقين أن يرسل كل منهما مندوبًا للبلدين لأجل أن يشتركا في سياسة البلاد والتدابير المقتضاة للدفاع عن الوطن .

٨- يتعهد الطرفان بألا يعتـرفوا للعدو بسلطة، وأن يمنعوه من بسط نفوذه خارج الأماكن المتـحصن بهـا الآن، وفي حالة وقوع حـرب يتضافـر الفريقـان على حرب العدو، وألا يعقد صلحًا أو هدنة إلا بموافقة الفريقين .

٩- إذا خرج العـدو من حصونه مهـاجمًا جـهة من الجهات وجب على الجـهة

الأخرى أن تمد المهاجَم بالمهمات الحربية والمال والرجال، وأن تنذر العدو بالكف عن التجاوز وإذا لم يكف تهاجمه هي بدورها .

١٠- تجتمع هيئة منتخبة من أهالي طرابلس وبرقة مرتين في كل سنة في شهر المحرم ورجب للنظر في مصالح البلاد .

١١- يشترط أن توافق على هذه المعاهدة كل من حكومة برقة والهيئة المركزية في جهة طرابلس .

١٢- مهمة الهيئة المذكورة تأييد العلائق الودية بين الطرفين وتأييد هذه الاتفاقية[1] .

قصر سرت في يوم السبت ٢٢ جماد الأولى سنة ١٣٤٠هـ (٢١ يناير سنة ١٩٢٢م) .

كانت الحكومة الإيطالية تتابع الأخبار وما يدور بين برقة وطرابلس، وخافوا أن يترتب على اتفاق طرابلس وبرقة ما لا تحمد عقباه ، فقرر وولبي احتلال مصراته قبل أن يصل الليبيون إلى نتيجة في مؤتمر سرت، واستطاع الطليان أن يحتلوا قصر حمد وبدأ الجهاد من جديد، وأراد الطليان أن يخدعوا المجاهدين ودعوا إلى عقد المفاوضات في فندق الشريف لكسب الوقت وإعداد العدة، وانتظار المدد من إيطاليا، واستمرت المفاوضات واتضح للمجاهدين أن الطليان عازمين على الحرب، وانقطعت المفاوضات في يوم ١٠ أبريل سنة ١٩٢٢م واستعد كل من الطرفين لما تتمخض عنه الأيام المقبلة .

وكان من أقوى العوامل التي جعلت والي طرابلس وولبي يتشدد مع المجاهدين ويرفض مطالبهم ظهور الفاشستية في إيطاليا، وأصبحت وشيكة أن تستولي على مقدرات إيطاليا[2] .

---

(١) انظر: جهاد الأبطال، ص (٣٠٧) .

(٢) انظر: جهاد الأبطال، ص (٣٠٨ إلى ٣١٦) .

وكان من مبادئهم المنحرفة الوصول إلى أغراضهم بكل وسيلة ولا يجدون في نفوسهم غضاضة إذا كانت أعمالهم مخالفة للإنسانية أو للحقوق العامة متى كان فيها مصلحة لهم أو لبلادهم، ولا يستحون من أن يعلنوا صراحة بأنهم لا يعرفون الحرية، ولا يقدسون الحقوق العامة، ولا يحترمون العهود متى كان ذلك ضروريًّا لمصلحة إيطاليا [(١)] .

يقول شكيب أرسلان: (لموسوليني خطب كثيرة وكتابات بتوقيعه تؤخذ منها هذه المقاصد بدون إشكال، فلهذا لم تبق في إيطاليا لا حرية قول، ولا حرية كتابة، وكل شيء يصادم ررادة الفاشست فهو ممنوع) [(٢)] .

بعد انقطاع مفاوضات فندق الشريف في ١٠ أبريل سنة ١٩٢٢م استؤنفت الحرب من جديد، وأصبح الطليان يتوغلون في طرابلس، والمجاهدون يتراجعون أمام هجماتهم الشرسة .

فرأى الطرابلسيون إرسال وفد إلى الأمير محمد إدريس ليبايعوه بالإمارة تنفيذًا لما قررته هيئة الإصلاح المركزية في فندق الشريف، وكان ذلك الوفد يتألف من الشيخ محمد بن حسن، والشيخ محمود المسلاتي، والشيخ طاهر الزاوي، ووصل الوفد إجدابية في شوال عام ١٣٤٠هـ وقابل الأمير محمد إدريس، وأبلغه الوفد هدفه الذي جاء من أجله، فاعتذر عن الذهاب إلي طرابلس لشدة الحر، وانحراف صحته، ووعد بالسفر عندما تتحسن صحته [(٣)] .

وحرصت إيطاليا أن تستشف ما وصل إليه زعماء برقة وطرابلس، فأرسلت أمندولا وزير المستعمرات الإيطالية للدخول في مباحثات مع الأمير إدريس واشترط الإيطاليون قبل الدخول في المباحثات أن يغادر بشير السعداوي ممثل الحكومة الوطنية الطرابلسية إجدابية وكان الزمير إدريس يأمل أن يصل إلى إيقاف الحرب بين إيطاليا والطرابلسيين ولذلك طلب من بشير السعداوي وزملائه أن يخرجوا إلى الطبيل [(٤)] .

---

(١) المصدر السابق، ص (٣١٦) .

(٢) انظر: حاضر العالم الإسلامي .

(٣) انظر: جهاد الأبطال، ص (٣٢٣) .

(٤) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٢٥٨) .

وبعد ذلك حضر وزير المستعمرات الإيطالي إلى غوط الساس بالقرب من المرج، والتقى بالأمير محمد إدريس في ٢٢ يونيه ١٩٢٢م وعمل علي إقناع أمندولا بضرورة تهدئة الأحوال في طرابلس، وبعد انتهاء المباحثات أرسل الأمير إدريس إلى بشير السعداوي وزملائه كلا من صالح الأطيوش، والفضيل المهشهش وأحد أبناء الكزة وسلم هؤلاء كتابًا لبشير السعداوي من سمو الأمير أخبره فيه بمقابلته مع وزير المستعمرات في غوط الساس، وبحث القضية الطرابلسية معه ؛ وبأن المباحثات قد أسفرت عن إظهار إيطاليا استعدادها للصلح معها، وفضلاً عن ذلك فقد جاء الجماعة بكتاب آخر من الأمير موجهًا إلى رئيس هيئة الإصلاح المركزية بهذا المعنى . فبادر بشير السعداوي بأنه يعتزم العودة فورًا إلى طرابلس لإتمام البيعة ووعد بالعودة سريعًا إلى إجدابية يحمل معه البيعة (١) .

وغادر بشير السعداوي برقة إلى طرابلس، وبمجرد وصوله إلى مصراته اجتمع بالزعماء الطرابلسيين ونادى بالبيعة لسمو الأمير محمد إدريس مستندًا في ذلك إلى أنه لا سبيل إلى الخلاص البتة إلا بالاتفاق والتعاون ضد العدو الإيطالي، وكتب بشير السعداوي نص البيعة بنفسه ثم ذهب بها من مصراته إلى مسلاته ثم إلى غريان، وهناك كانت هيئة الإصلاح المركزية مجتمعة برئاسة أحمد المريض فقرأ عليهم البيعة ووافق هؤلاء عليها بالإجماع ودون مناقشة (٢) .

وما أن علم الطليان بتلك التطورات ومجيء الوفد الطرابلسي إلى إجدابية حتى ثارت ثائرتهم، وأعلمت الحكومة الإيطالية الأمير محمد إدريس بأنها لن تتواني عن مهاجمة إجدابية ذاتها، ولما أدرك الأمير إدريس خطورة الموقف بدأ يبذل قصارى جهده لإقناع الحكومة الإيطالية، بأن الطرابلسيين ما قصدوا بما فعلوه سوى حقن الدماء وفض خلافهم مع إخوانهم أهل برقة، وأن واجب الحكومة الإيطالية يحتم عليها أن توقف اعتداءاتها على الطرابلسيين فضلاً عن أن كان للأمير -على حسب

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٢٥٨) .
(٢) المصدر السابق نفسه، ص (٢٥٩) .

اتفاق الرجمة- الحق في أن يعرض ما يراه في مصلحة البلاد على الحكومة الإيطالية، كما أن معاهدة الرجـمة قد ألزمت الطليان كذلك بأن يضعوا مـوضع الاعتبار كل ما يبديه الأمير من آراء في ذلك [١] .

تاسعًا: نص البيعة بالإمارة:

تقرر أن يذهب السيد بشير السعداوي بوصفه مندوبًا من هيئة الإصلاح على رأس وفد لتسليم كتاب البيعة إلى الأمير محمد إدريس، وكان ضمن هذا الوفد كل من عبد الرحمن عزام، محمد الصادق بالحاج، نوري السـعداوي، الشيخ محمد عبد الملك . ووقع على كتاب البيعة أحمد المريض رئيس هيئة الإصلاح المركزية وعبد الرحمن عزام مستشارها، ثم أعضاء الهيئة؛ محـمد بن عمر، وبشير السعداوي، وحسين بن جابر، ومحمد فـرحات، وعبد الرحمن زبيدة، ومحـمد التائب، وسالم البحبـاح، وعثمان القيزاني، وعمر بودبوس، ومحمد صادق بن الحاج، ومحـمد مختار كعبار، ومحمد فكيني، والصويعي الخيتوني، كما وقع على البيعـة من الأعيان محمد الديب ومحمد سوف، وعمر ضيـاء، وعلي أبو حبيل، وأحمد القاضي، ومحمـد القرقني، وأحمد السني، والبغدادي بن معيوف، ومحمد الصغير وهذا نص البيعة:

(سمـو مولانا الأمـير الجليل السيـد محـمد إدريس -حفظـه الله ورعاه- أنه لا يخفى على سموه أن الخلاف ما يزال قائمًا بينهم وبين الحكومة الإيطالية؛ وذلك لأن الحكومة الإيطالية وجـهت عزمها إلى العبث بـجميع حقوقنا شرعـيها، وسياسـيها، وإداريها، وجعلت من قـوتها مبررًا للتصرف في مـصيرنا وحقوقنا الطبيـعية، ونحن خير أمة أخـرجت للناس لا نتحمل ضيمًا ولا نرضى أن تضـمحل شريعتنا ولا أن يتطرق الخلل إلى ديننا القويم كـائنًا ما كان، الأمر الذي حـملنا على ركوب الأخطار واقتحام الحروب المتوالية، معتمدين على قوة الحق إلى أن نظفر بتحقيق أمنيتنا القومية ألا وهي تأسيس حكومة دستورية يرأسها أمـير مسلم جامع للسلطات الثلاثة: الدينية

---

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٢٥٩، ٢٦٠) .

والسياسـية والعسكرية، مع مجلس نيـابي تنتخب الأمة أعضـاءه، وبهذا يسلم وطننا ويتم أمر ديننا وتصلح أحكام قـضايانا ونحفظ شرعنـا، وعنعنة تاريخنا الباهر، وهذا لا ينافي ما تدعيه إيطاليا وما دأبت عليـه من خطب رجالها من أنها تحتل ديارنا بنية الاستعمار، وإنما ساقتها دواعي السياسة الدولية في البحر المتوسط، ولو كانت صادقة في دعواها هذه لمـا عرضت بلادنا للخراب بتـوالي الهجـمات، واستـعمـال دهائها وقدرتها للتفريق والفوضى، وقد حاولت فصل الأمة بعضها عن بعض بطرق مختلفة وأبى الله إلا أن يجمع كلمـة القطرين الشقيقين بأن يلتـفا حول أمير واحـد يرضيانه وحيث كان سموكم من أشرف عائلة وأكرم بيت مع ما تجتمع في ذاتكم الشريف من المزايا العالية، والأوصاف الجليلة فإن (هيئـة الإصلاح المركزية) الحائزة للوكالة المطلقة من (موتمر غـريان) الذي يمثل الأمة الطرابلسيـة، بانتخاب واقع منها قـد وجدت في سموكم أميرًا، حـازمًا قادرًا على جمع الأمة للثقة العامة مـحبوبًا، فهي لذلك تبايع سموكم أميرًا للقطرين طرابلس وبرقة على أن تقودهما إلى ما يحقق أمانيهما الشريفة الإسلامية المنوه عنها . على أن مبايعتكم كانت مضمرة في كل نفس منذ وقع الاتحاد بين مندوبي القطرين في (سرت) وكان السبب في تأخير تحـقيقها طوارئ الحرب التي طوحت بكل واحد من أعـضاء الهيئـة، ورجال القطر في منطقة شاسـعة من المناطق الحربية . وبهذه البيعة إن شاء الله أصـبح سموكم الأمير المحبوب للقطرين المباركين، ومتى سنحـت الفرصة عند تشـريفكم إيانا حسب رغـبة الأمة تقـام لكم مظاهر هذه البيعة في موكب لائق بسموكم . والله سبحانه وتعالى يمدكم بروح من عنده ويجعل البركة في البيت السنوسي المؤسس على التقوى والصلاح) (١) .

وبادر الأمير مـحمد إدريس بمصافحـة تلك اليد الممدودة وقبل البـيعة دون تردد وأجاب على كتاب البيعـة في ٢٢ ربيع الأول ١٣٤١هـ (٢٢ نوفمبر ١٩٢٢م) فقال: (وبعد فقد تناولت بيد الشكر عريضتكم التي أظهرتم فيها رغبتكم الخالصة في تحقيق غايتكم التي أجـمعتم عليـها في مؤتمر غـريان وجهادتم لهـا جهادًا صـادقًا بالأنفس

---

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٢٦٢) .

والثمرات في شخصي فـأخذتها داعيًا الله أن يحقق آمال هذه الأمة ويكلل مـساعيها كلها بالنـجاح . ولما كان اتحـاد الوطن وسلامتـه هما الغاية التـي طالما سعيت إليـها وجدت من واجبي أن أتلقى طـلبكم بالقبول وأن أتحمل المسئـولية العظمى التي رأت الأمـة تكليفي بهـا، فعلي إذن أن أعـمل بجـد معكم، ولكن لا تنسـوا أنني بغيـر إقدامكم وجـدكم لا قدرة لي على شيء . إني أعلم أن الحيـاة الخالدة هي للأمم لا للأفراد، وكـذلك الأعمال العـظيمة البـاقية هي التي تنـصرف إلى صالح الجـميع، فلذلك أدعوه سبحانه وتعـالى أن يهدينا إلى كل عمل ثمرته للأمة . إذ من حق كل شعب أن يسيطر على شئونه، والناس - منذ نشئوا أحرار .

وقد أظهر شـعبنا في كل أدواره مقدار مـحبته للحـرية فدفع مهورًا غـالية، فلا يصح لأحد أن يطمع في استعباده والاستبداد بشئونه .

لقد اشـترطتم علي الشورى وهي أساس ديـننا، وسأعمل على قاعـدتها . هذا وقد رأيت أن أقـر الأمور على ما هي عليـه حتى تجتمع جـمعيـة وطنية لوضع نظام البلاد، فلذلك أَكِلُ إلى الهيئة المركـزية -لما أبدت من الحمية، والعدل، والدراية- أن تستمر على إدارة شئون القطر الطرابلسي، ولي الثقة العظيمة في حكمة رئيسها البطل الحازم أحمد بك المريض ورفقائه والرؤساء الكرام الـذين أيدوا مساعي الهيئة الملية أن يتحملوا مشاق المسئولية بصبـر لتثبيت دعائم البناء الوطني الذي شيدوه وأسأله تعالى أن يمد الجميع بعنايتـه ويثبت الأقدام ويقهر الأعداء ويمن بالنصـر الموعود إنه على ما يشاء قدير) [1] .

حاول مستشـار الأمير محمد إدريس عمر منصور الكيخـيا أن يوافق بين سياسة الأمير إدريس مع الطليان، وحرصه على وحدة الصف واجتماع الكلمة تحت زعامته، وانعقدت اجتماعات ومناقشات واستمر هذا الميدان مفتوحًا نحو أربعين يومًا ولم يهتد الباحثـون إلى الحل المطلوب إلا بمغادرة الأمير مـحمد إدريس إجدابيـة إلى مصر في اليوم الثـاني من جمادى الأولى سنة ١٣٤١هـ ٢١ ديسمـبر سنة ١٩٩٢م [2]، وكان

---

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٢٦٢) .

(٢) انظر: جهاد الأبطال، ص (٣٣١) .

ذلك السفر بسبب مرض ألّم به ونصحه الأطباء بالذهاب إلى مصر للعلاج، وكان قبل سفره قد تعكرت وتغيرت العلاقات السنوسية مع إيطاليا، وحدثت بعض الاشتباكات بين الطليان والعربان بسبب حرص الطليان على نزع السلاح منهم، وتمّ اعتقال الشيخ العوامي ظلمًا وزورًا، وكانت هناك محاولة أخرى للقبض على صفي الدين ولكنها باءت بالفشل بسبب الخبر الثمين الذي سربه عثمان العنيزي إلى صفي الدين محذرًا إياه من غدر الطليان به .

إن الأمير محمد إدريس اتخذ قرار الهجرة إلى مصر بعد دراية وافية للمرحلة التي مرت بها البلاد، وللتطورات السياسية والعسكرية التي حدثت على الساحة، فالحل العسكري كان يعرف باستحالته منذ البداية وكان يعمل ما في وسعه لإقناع الآخرين بذلك للمحافظة على دماء المواطنين التي كانت تهدر بدون نتيجة مما كان سيسبب في إحباط الروح المعنوية وتمكين العدو، فقد كان يرى أن المقاومة الليبية المسلحة لن يمكنها بأي حال من الأحوال دحر القوات الإيطالية .

ثم إن المجهودات الدبلوماسية التي كان يقوم بها قد أعطت كل ما يمكنها إعطاؤه في تلك المرحلة، فرحل عن البلاد ليحتفظ بحريته ويراقب الوضع الدولي ويتحين الفرص [١] .

لقد تعرض الأمير إدريس للانتقاد بدعوى أنه ترك شعبه أثناء منعطف تاريخي هام في ١٩٢٢م، لقد حاول الإيطاليون قتله بالسم [٢]، وتنامت الخلافات والمشاكل بينه وبين الحكومة الإيطالية حتى لم يجد في مقدوره التغلب عليها، فمعاهدة الرجمة لا تعدو كونها محاولة عقيمة لإقامة نوع من الحكم الثنائي يشارك فيه الإيطاليون والسنوسيون معًا، ولم يقدر لها النجاح أبدًا من الناحية العملية، ثم انقطع الرجاء في استمرارها نهائيًا عقب استيلاء الفاشست على مقاليد السلطة في إيطاليا، ولم يعد من المصلحة البقاء في وجود نظام فاشي، فلو أن الأمير محمد إدريس أصر على البقاء

(١) انظر: تعليق محمد عبد بن غلبون على كتاب الملك إدريس عاهل ليبيا حياته وعصره، ص (٤٣) .
(٢) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٢٦٢) .

داخل ليبيا في ذلك الوقت لكانوا قبضوا عليه حتمًا، وكانت أهميته القصوى بالنسبة لليبيين تمكن في سعة نفوذه وهيبته في العالم الإسلامي كزعيم للحركة السنوسية، وحنكته في أساليب التفاوض السياسي، وخبرته بالقضايا الدولية، وقد ظهر أثره في الحرب العالمية الثانية، واستفاد من الفرص التي أتيحت، وشكل الجيش السنوسي الذي خاض معارك ضارية ضد إيطاليا وألمانيا، وساعد ذلك الجيش الحلفاء مما اضطرهم بالاعتراف بالجهود التي بذلها الليبيون واستفاد الأمير محمد إدريس من تلك الأعمال الجليلة في مباحثاته ومفاوضته مع الإنجليز [١] .

إن فترة المهجر التي عاشها الأمير محمد إدريس في مصر كانت من أصعب أيام حياته فقد قال عنها: (وكانت تلك الفترة تعيسة للغاية، فقدت أثناءها الكثيرين من أخلص أصدقائي وأنصاري الذين استشهدوا في معارك الجهاد ضد الإيطاليين، كما غمرني الحزن والأسى الشديد لمعاناة أهل برقة . وعقب احتلال الكفرة دمّر المسجد الذي كان يضم رفات والدي ونهبت وبعثرت محتويات المكتبة التي كان فيها الكثير من كتبنا ومخطوطاتنا . وما كان يشد من أزري عبر تلك الظروف العصيبة سوى ثقتي بالله وتعاطف أصدقائنا في العالم العربي) [٢] .

إن الأمير محمد إدريس قبل أن يغادر البلاد حاول تنظيم أمور المقاومة ضد الاحتلال الإيطالي، وبحث الأمر مع زعماء ورؤساء برقة من جانب، ومع بشير السعداوي والوفود الطرابلسية من جانب آخر .

واستقر رأي الأمير على أن يعهد بالأعمال السياسية والعسكرية في برقة إلى عمر المختار نائبًا عنه في تنظيم معسكرات المجاهدين وعهد بالمسائل الدينية، وما يتعلق بالسنوسية وشئون الأسرة الكريمة إلى أخيه السيد محمد رضا، وكان السيد محمد الرضا في جالو نائبًا عن سموه في إدارة شئونها، وزود الأمير رجاله بالتعليمات اللازمة وأوصاهم باتخاذ الحيطة دائمًا من غدر الطليان، واتفق مع الشيخ عمر المختار

---

(١) انظر: الملك إدريس عاهل ليبيا، ص (٤٤) .

(٢) المصدر السابق نفسه، ص (٤٧) .

على بعض القـادة ليكونوا رؤساء على مـعسكرات المجاهدين فـي برقة، ومن هؤلاء القادة السيد محمد الصديق بن محمد رضا وأخيه الحسن، وقجة عبد الله السوداني، والفضـيل بو عمر، ويوسف بورحـيل، وحسين الجويفي، وعـبد الله سلوم على أن يتولى قيادة هذه الجيوش جميعًا الشيخ عمر المختار [١] .

وبحث الأمير مع بشير السعداوي مسألة استمرار الجهاد في طرابلس ضد الطليان، وقبل ذلك تـقدم بشير السعـداوي بمشروع إنشاء هيئة مـركزية في برقة من رؤساء القبائل تضطلع بأعباء الإدارة، واختار الأمير لرئاستها الشيخ مختار الغدامسي وهو من القضـاة الشرعيين ومـن أكابر علماء البـلاد، وبعد مغـادرة الأمير إجـدابية عقدت الهيئـة المركزية البرقاوية جلسات عدة للبحث في شئون البـلاد وتهيئة وسائل الجهاد ضد العدو الإيطالي النصراني الحاقد، وحضر بشير السعداوي جلسات الهيئة، وعرض على الحاضـرين تشكيل جبهة متـحدة من برقة وطرابلس لمتابعـة ضد إيطاليا دون أي إبطاء، وبعد تبادل الرأي وافق الحاضرون على رأي السعداوي .

وتأهب السعداوي للسفر إلى طرابلـس وكان معه صفي الدين السنوسي في ٢١ رجب ١٣٤١هـ (٩ مارس ١٩٢٣م) وكان في رفقتهم مـجموعة من خيار المجاهدين من أمثال أحمد باشا سيف النصـر، وعمر سيف، يقول صفي الدين (وعندما وصلنا إلى النوفلية وجدنا بهـا خالداً بك القرقني وعثمـان بك الجيزاني فارتحلنا جمـيعًا إلى سرت وفي أثناء الطريق وصلنا خبر مـشئوم مفاده أن محمد سـعدون السويحلي أخا رمضان السـويحلي قد استشهـد في القتال، وكان مـحمد سعدون من خـيرة القواد الذين تولوا قيـادة العمليات العسكرية في الحـركة الأخيرة على أننا تابعنا السـير بعد ذلك حتى بلغنا سرت، وهناك قابلنـا أحمد بك المريض، ثم ذهبنا إلى وادي نفد بين مصراتة وورفلة، وفي ورفلة وجدنا أحمد شتيوي وهو من إخوة رمضان السويحلي، وكان شتيوي متصرفًا على مصراته ثم وجدنا معسكر المجاهدين العام)[٢] .

---

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٢٦٧) .

(٢) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٢٦٨) .

وقد بذل بشير السعداوي جهوداً عظيمة لحشد جموع المجاهدين حول السيد صفي الدين وتحت زعامة السنوسية، وكان قائد معسكر المجاهدين الطرابلسيين في وادي نفد حوالي ثمانية شهور من شعبان ١٣٤١هـ إلى شهر جمادى الأولى من عام ١٣٤٢هـ (أبريل - ديسمبر ١٩٢٣م) .

وبعد فترة من الزمن بدأ زعماء المجاهدين في ترك معسكر نفد ولم يبق إلا أحمد السويحلي وكانت القوات الإيطالية تتقدم وتحتل المدن في منطقة طرابلس، وقد ذكر الشيخ طاهر الزاوي كيف احتل الطليان منطقة طرابلس ومدنها بنوع من التفصيل[1]، واضطر صفي الدين أمام انحلال المقاومة، وضعف حركة الجهاد أن يذهب إلى جالو وبعث إلى الأمير محمد إدريس بمصر يخبره بكل ما وقع فأجابه الأمير بأن له أن يختار إما البقاء في جالو وإما الذهاب إلى جغبوب، وارتحل صفي الدين إلى الجغبوب في صفر ١٢٤٣هـ، سبتمبر ١٩٢٣م .

وكان بشير السعداوي يواصل جهاده المرير بجمع كلمة المجاهدين، وعقد الاجتماعات لتحقيق هذه الغاية في القرضابية ثم في قصر بوهادي واستطاع أن يؤسس مركزاً للجهاد في المكان الأخير، وتسلم القيادة في سرت وجمع شتات المنهزمين اللاجئين إلى سرت، وكانوا حوالي خمسين أو ستين ألفًا، وثبت المجاهدون في مصراتة وترهونة أقدامهم نتيجة لهذا العمل، ولكن الطليان بقواتهم الجرارة، وطائراتهم استطاعوا القضاء على حركة المقاومة رويداً رويداً، ثم هاجموا في آخر الأمر ورفلة، وعندئذ انحلت المقاومة تمامًا، واضطر بشر السعداوي إلى مغادرة سرت في عام ١٩٢٤م بعد أن مكث بها سنة تقريبًا، وكان السعداوي رحمه الله من أشد المجاهدين تحمسًا في هذه الفترة العصيبة، ومن أعظمهم مثابرة على الجهاد وكان يتحلى برجاحة العقل، والرزانة، والهدوء، ويتصف بالقدرة علي النظر البعيد وتقليب وجوه الرأي في عواقب الأمور [2].

---

(١) انظر: جهاد الأبطال، ص (٢٣٥ إلى ٢٦٢) .

(٢) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٢٦٩) .

قال محمـد فؤاد شكري: إن خروجه كان مؤذنًا بأن الثورة قـد انتهت فعلاً وأن الأمر قـد استتب للطليـان في طرابلس أخيـرًا، وأن برقة وحدها هي التي أصـبحت تحمل على عاتقـها عبء الجهاد منفـردة ضد العدو، وكان والي برقة الجـديد بونجيو فاني قد بدأ يحل الأدوار المختلفة في برقة عنوة واقتداراً وتم له مـا أراد في الأسبوع الأول من شـهر مـارس ١٩٢٣م فحـلت الحكومة في ٦ مـارس مـعسكرات الأبيـار وتكنس وسلنطة، والمخـيلي، وعكرمة، وانتـهز بونجيـو فاني فرصـة افتـتاح الدورة البرلمانية في اليوم نفسه وهجم في البرلمان على السنوسية.

وقال: إن السنوسـيين كانوا غيـر مخلصين للحكومة الإيطاليـة ثم أبلغ سامعيه التدابير التي اتخذها للـقضـاء على السنوسية، وكانت أولى التدابير احـتلال إجدابية ذاتها في ٢١ أبـريل ١٩٢٣م وهي مقر الإمـارة السنوسية وفي ٢٤ أبريل أعلن الوالي (أن كل الاتفاقيـات التي أبرمتها إيطاليـا مع السنوسـية قد أصبـحت لاغية ولا أثر لها) [١] .

وفي أول مايو من السنة نفـسها عاد بونجيـو فاني فأكد إلغـاء هذه الاتفاقات في منشور أعلن فـيه (أن السنوسيـة قد أصبـحت مجرد طريقـة تشبه غـيرها من الطرق الإسلامية وأن نشاطها يجب أن يظل نشاطًا دينيًا محدوداً فحسب، وفي يوم ٣ مايو ذهب الدروفاندي الوزير الإيطالي في مـصر لمقابلة الأمـير محمـد إدريس وأبلغه أن الاتفاقات التي عقدتها إيطاليا معه قد أصبحت لاغية، ولا وجود لها.

يقول الأمـير محـمد إدريس: (بعد بضـعة أشهـر من قدومي إلى مـصر أبلغني الوزير الإيطالي المفوض في القاهرة بأن حكومة موسوليني ألغت كافة العهود والمواثيق المعـقودة مع السنوسـيين، وكان ذلك في مـايو ١٩٢٣م وكان الإيطاليـون قد ألـقوا القبض على عمر باشا الكخيا بتهمة التواطؤ في هروبي، فحبسوه أولاً في بنغازي ثم نقلوه إلى معتـقل في إيطاليا، وبعدها بشهور قلائل علمت أن الحكومـة الإيطالية قد طلبت من الحكومة المصرية تسليمي إليها ووعدت بعدم تعريضي لأي أذى .

---

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٢٧٠) .

وشعرت بالخطر المحقق نظراً لأن الملك فؤاد كانت أمه إيطالية وقد تربى في إيطاليا وتربطه بالإيطاليين علاقة حميمة ربما تدفعه إلى تلبية طلبهم . . .) (١) .

ومن ذلك الحين بدأ الجهاد بقيادة عمر المختار في برقة ضد إيطاليا من غير هوادة أو لين، أو ضعف، أو خوار وقبل الدخول في سيرة الشيخ عمر المختار العطرة نحاول أن نقف مع الأحداث السابقة لنتأمل في العبر والدروس لتسترشد بها الأجيال في مستقبلها .

إن من الأمور الخطيرة التي مرت بها البلاد فيما بين ١٩١٦ و ١٩٢٣م أن انقسم زعماء ليبيا إلى قسمين بالنسبة للأوضاع الدولية، في بداية الحرب العالمية الأولى مما ضاعف من توسيع هوّة الخلاف، فأهل برقة عقدوا مصالحة مع الإنجليز وإيطاليا وأهل طرابلس وقفوا مع الأتراك قلبًا وقالبًا، وحدث تنازع على النفوذ ووصل إلى حد القتال بين الأشقاء، وبعد هزيمة الأتراك والألمان، وخروجهم من ليبيا جاءت فكرة الجمهورية الطرابلسية، ولم يستطع الزعماء أن يتغلبوا على أهوائهم الشخصية، فانتهى بهم الأمر إلى مقتل رمضان السويحلي رحمه الله تعالى، وهاجر سليمان الباروني رحمه الله من البلاد، وأصبح مستشاراً لحكومة مسقط بدولة عمان وتوفي أثر مرضه ببومباي بالهند عام ١٩٤١ (٢)، وعبد النبي بالخير رحمه الله توفي في الصحراء الكبرى أثناء هجرته إلى تونس بسبب العطش (٣) وأحمد المريض رحمه الله توفي في الفيوم بمصر عام ١٩٤١م (٤) ومحمد إدريس السنوسي رحمه الله أصبح لاجئًا سياسيًّا .

أقول: لو اتفق زعماء طرابلس في بداية أمرهم على قلب رجل واحد لكانت النتائج لصالح الإسلام والمسلمين، لقد كانت البلاد في تلك الفترة في أشد الحاجة إلى توحيد الكلمة تحت قيادة رجل له مدارك الباروني، وهدوءه وحياده، وذكاء عبد النبي ودهاؤه، وصلابة رمضان وشجاعته، وحلم أحمد المريض وسعة صدره،

---

(١) انظر: الملك إدريس عاهل ليبيا، ص (٤٥) .
(٢) انظر: الأعلام للزركلي، (٣ / ١٢٩) .
(٣) انظر: عبد النبي بالخير، داهية السياسة، ص (٢٥١) .
(٤) انظر: جهاد الأبطال، ص (٣٣٣) .

وكان كل من يحاول من الزعماء أن يتطلع إلى الانفراد بالحكم في تلك الفترة المظلمة، إنما يحاول المستحيل، فكان من اللازم التضحية بنصيب من الأنانية، والنعرة القبلية، ومحاربة الأهواء، ونبذ التعصب لتوحيد الشعب نحو مقصد الجهاد ضد المحتل الحاقد، وأن يختاروا زعيمًا من بينهم ويقف الجميع لدعمه، ويقفلوا الأبواب على كل مخططات الأعداء التي تريد تمزيق الصف، وتعميق الخلاف، وضرب الزعماء ببعضهم، كما أن ما وصل إليه الطرابلسيون من وجوب توحيد جهودهم مع البرقاوين جاء متأخرًا، وبعد فوات الأوان، ولو كان قبل ذلك بسنين، أو في زمن قيادة أحمد الشريف لكان ذلك الاتحاد من عوامل النهوض، وأسباب النصر، ولقامت إمارة قوية تستطيع أن تتغلب على العدو المحتل، وتبني دولة عصرية قوية ولوجدت فيها الأجيال امتدادًا حضاريًّا وبعدًا سياسيًّا، وانتماءً حقيقيًّا لمفهوم العقيدة والدين والأمة والشعب والوطن، لقد شبه أحد المؤرخين تلك المرحلة بفترة ملوك الطوائف في الأندلس، فالنزعة القبلية لا تزال في عنفوانها، ودكتاتورية زعيم القبيلة لا يمكن محوها والتغلب عليها وإن كانت المنطقة الشرقية تغلبت عليها بالدعوة الشاملة، والتربية العميقة وبتوفيق الله تعالى ثم بسبب جهود الحركة السنوسية في قبائل برقة .

إن الدرس المهم هو أن يتغلب الزعماء على أهوائهم من أجل المصالح العليا للبلاد والعباد وإلا أصبحت بلادنا فوضى يسهل عندئذ لأعدائنا اختراقها، ومصّ خيراتها، وتشتيت رجالها، إن الخطاب لوحدة الصف، وتوحيد الجهود، نقصد به كل مسلم من أبناء ليبيا حريص على بلده وشعبه وأمته .

إن الابتعاد عن الهوى ومحاربته في النفوس من أسباب النهوض ومن الأمور التي أرشد الله تعالى لها زعماء الأمة وقادتها قال تعالى: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**﴾ (سورة ص، الآية: ٢٦) .

إن اتباع الهوى من أسباب الفرقة، والفرقة من أسباب تأخر النهوض، فإذن على

المخلصين من أبناء شعبنا الحريصين على تحكيم شرع الله تعالى، محاربة الهوى وقلع جذوره وأسبابه من النفوس، إن محاربة الأهواء طريق نحو الاجتماع والائتلاف، ونحو الأخذ بأسباب النهوض والتمكين لهذا الدين، إن العلاج الناجع والبلسم الشافي لمن ابتلى بشيء من الهوى، إلزام النفس بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، وتربية النفس باستمرار على التقوى والخشية من الله تعالى، واتهام النفس ومحاسبتها دائمًا فيما يصدر منها، وعدم الاغترار بأهوائها وتزييناتها وخداعها، والإكثار من النفس على استنصاح الآخرين وتقبل الآراء الصحيحة الصائبة وإن كانت مخالفة لما في النفس، وتعويدها على التريث وعدم الاستعجال في إصدار الأحكام، وإمضاء الأعمال، والحذر من ردود الأفعال التي قد يكون فيها إفراط أو تفريط، وغلو أو تقصير، وجهل وبغي وعدوان، وإكثار المرء من الدعاء والتضرع إلى الله تعالى بأن يجنبه اتباع الهوى ومضلات الفتن، ويسأله تعالى أن يوفقه لقول كلمة الحق في الغضب والرضا . ويكثر من الدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ لأمته: (وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب) (١) ومن قوله ﷺ : (اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء) (٢) .

إن سنة الله ماضية في الأمم والشعوب لا تتبدل ولا تتغير ولا تجامل وجعل سبحانه وتعالى من أسباب هلاك الأمم والشعوب الاختلاف قال ﷺ : (فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا) وفي رواية (فأهلكوا) (٣) .

وعند ابن حبان والحاكم عن ابن مسعود: (فإنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف)(٤) قال ابن حجر العسقلاني: وفي الحديث والذي قبله الحض على الجماعة والألفة والتحذير من الفرقة والاختلاف (٥) .

---

(١) انظر: النسائي ، كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر (٣ / ٥٥) صححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني، كما في صحيح سنن الترمذي (٣ / ١٨٣) .

(٣) انظر: صحيح البخاري بشرح العسقلاني (٩ / ١٠١،١٠٢) .

(٤) المصدر السابق نفسه (٩ / ١٠٢) .

(٥) انظر: صحيح البخاري بشرح العسقلاني (٩ / ١٠٢) .

وقال ابن تيمية - رحمه الله -: (وأمرنا الله تعالى بالاجتماع والائتلاف ونهانا عن التفرق والاختلاف) [١] .

والاختلاف المهلك للأمة هو الاختلاف المذموم، وهو الذي يؤدي إلى تفريقها وتشتتها وانعدام التناصر فيما بين المختلفين كل طرف يعتقد ببطلان ما عند الطرف الآخر، وقد يؤول الأمر إلى استباحة قتال بعضهم بعضًا [٢] .

(وإنما كان الاختلاف علّة لهلاك الأمة كما جاء في حديث رسول الله ﷺ، لأن الاختلاف المذموم الذي ذكرنا بعض أوصافه يجعل الأمة فرقًا شتى مما يضعف الأمة، لأن قوتها وهي مجتمعة أكبر من قوتها وهي متفرقة، وهذا الضعف العام الذي يصيب الأمة بمجموعها يجرئ العدو عليها فيطمع فيها، ويحتل أرضها ويستولي عليها ويستعبدها ويمسخ شخصيتها وفي ذلك انقراضها وهلاكها [٣] .

إن من الدروس المهمة في هذه الدراسة التاريخية أن نتوقي الهلاك بتوقي الاختلاف المذموم، لأن الاختلاف كان سببًا من الأسباب في ضياع بلادنا وتسلط الطليان عليها وإن أخطر ما نعاني منه الآن الخلاف في صفوف الحركات الإسلامية التي تقوم بواجب الدعوة إلى الله تعالى، وهذا الخلاف قد يؤدي إلى ضعف الحركات العاملة إذا لن تتخذ سبيل الوقاية منه .

يقول الشيخ عبد الكريم زيدان: (والاختلاف كما يضعف الأمة ويهلكها يضعف الجماعة المسلمة التي تنهض بواجب الدعوة إلى الله ثم يهلكها ولهذا كان شر ما تبتلى به الجماعة المسلمة وقوع الاختلاف المذموم فيما بينها بحيث يجعلها فرقًا شتى، بحيث ترى كل فرقة أنها على حق وصواب وأن غيرها على خطأ وضلال، وتعتقد كل فراقة أنها هي التي تعمل لمصلحة الدعوة . وهيهات أن تكون الفرقة والتشتت والاختلاف المذموم في مصلحة الدعوة أو أن مصلحة الدعوة تأتي عن طريق التفرق،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٩ / ١١٦) .

(٢) انظر: السنن الإلهية، د. عبد الكريم زيدان، ص (١٣٩) .

(٣) المصدر السابق نفسه، ص (١٣٩) .

ولكن الشيطان هو الذي يزين الفرقة والتفرق في أعين المتفرقين المختلفين فيجعلهم يعتقدون أن اختلافهم وتفرقهم في مصلحة الدعوة . والاختلاف في الجماعة لا يقف تأثيره عند حد إضعاف الجماعة وإنما يضعف تأثيرها في الناس، وتجعل المعرضين ينفثون باطلهم في الناس ويقولون: جماعة سوء تأمر الناس بأحكام الإسلام، والإسلام يدعو إلى الألفة والاجتماع وينهى عن الاختلاف، وهي تخالفه إذ هي متفرقة مختلفة فيما بينها، كل فرقة تعيب الأخرى وتدعي أنها وحدها على الحق . ثم يؤول الأمر إلى انحسار تأثير الجماعة في المجتمع ثم اضمحلالها واندثارها وقيام جماعات جديدة مكانها هي فرق المنفصلين عنها، ووقائع التاريخ البعيد والقريب تؤيد ما نقول) [١] .

* ■ *

(١) انظر: السنن الإلهية، ص (١٤٠،١٤١) .

■ الفصل الثاني ■
الشيخ الجليل عمر المختار - رحمه الله - نشأته، وأعماله، واستشهاده

المبحث الأول
نشأته وأعماله

أولاً: مولده ونسبه ونشأته وشيوخه

ولد الشيخ الجليل عمر المختار من أبوين صالحين عام ١٨٦٢م[١] وقيل ١٨٥٨م، وكان والده مختار بن عمر من قبيلة المنفة من بيت فرحات وكان مولده بالبطنان في الجبل الأخضر، ونشأ وترعرع في بيت عز وكرم، تحيط به شهامة المسلمين وأخلاقهم الرفيعة، وصفاتهم الحميدة التي استمدوها من تعاليم الحركة السنوسية القائمة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

توفي والده في رحلته إلي مكة لأداء فريضة الحج، فعهد وهو في حالة المرض إلى رفيقه السيد أحمد الغرياني (شقيق شيخ زاوية جنزور الواقعة شرق طبرق) بأن يبلغ شقيقه بأنه عهد إليه بتربية ولديه عمر ومحمد، وتولى الشيخ حسين الغرياني رعايتهما محققًا رغبة والدهما، فأدخلهما مدرسة القرآن الكريم بالزاوية، ثم ألحق عمر المختار بالمعهد الجغبوبي لينضم إلى طلبة العلم من أبناء الإخوان والقبائل الأخرى [٢] .

لقد ذاق عمر المختار - رحمه الله - مرارة اليتم في صغره، فكان هذا من الخير الذي أصاب قلبه المليء بالإيمان وحب الله ورسوله ﷺ حيث التجأ إلى الله القوي العزيز في أموره كلها، وظهر منه نبوغ منذ صباه مما جعل شيوخه يهتمون به في

(١) انظر : عمر المختار نشأته وجهاده، د. إدريس الحريري، ص (٦٥) .
(٢) انظر: عمر المختار، للأشهب، ص (٢٦) .

معهد الجغبوب الذي كان منارة للعلم، وملتقى للعلماء، والفقهاء والأدباء والمربين الذين كانوا يشرفون على تربية وتعليم وإعداد المتفوقين من أبناء المسلمين ليعدوهم لحمل رسالة الإسلام الخالدة، ثم يرسلوها بعد سنين عديدة من العلم والتلقي والتربية إلى مواطن القبائل في ليبيا وإفريقيا لتعليم الناس وتربيتهم على مبادئ الإسلام وتعاليمه الرفيعة ومكث في معهد الجغبوب ثمانية أعوام ينهل من العلوم الشرعية المتنوعة كالفقه، والحديث والتفسير ومن أشهر شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم، السيد الزروالي المغربي، والسيد الجواني، والعلامة فالح بن محمد بن عبد الله الظاهري المدني وغيرهم كثير، وشهدوا له بالنباهة ورجاحة العقل، ومتانة الخلق، وحب الدعوة، وكان يقوم بما عليه من واجبات عملية أسوة بزملائه الذين يؤدون أعمالاً مماثلة في ساعات معينة إلى جانب طلب العلم وكان مخلصًا في عمله متفانيًا في أداء ما عليه ولم يعرف عنه زملاؤه أنه أجل عمل يومه إلى غده، وهكذا اشتهر بالجدية والحزم والاستقامة والصبر، ولفتت شمائله أنظار أساتذته وزملائه وهو لم يزل يافعًا، وكان الأساتذة يبلغون الإمام محمد المهدي أخبار الطلبة وأخلاق كل واحد منهم فأكبر السيد محمد المهدي في عمر المختار صفاته وما يتحلى به من خلال[1]، وأصبح على إلمام واسع بشئون البيئة التي تحيط به وعلى جانب كبير في الإدراك بأحوال الوسط الذي يعيش فيه وعلى معرفة واسعة بالأحداث القبلية وتاريخ وقائعها وتوسع في معرفة الأنساب والارتباطات التي تصل هذه القبائل بعضها ببعض، وبتقاليدها، وعاداتها، ومواقعها، وتعلم من بيئته التي نشأ فيها وسائل فض الخصومات البدوية وما يتطلبه الموقف من آراء ونظريات، كما أنه أصبح خبيرًا بمسالك الصحراء وبالطرق التي كان يختارها من برقة إلى مصر والسودان في الخارج وإلى الجغبوب والكفرة من الداخل، وكان يعرف أنواع النباتات وخصائصها على مختلف أنواعها في برقة، وكان علي دراية بالأدواء التي تصيب الماشية ببرقة ومعرفة بطرق علاجها نتيجة للتجارب المتوارثة عند البدو وهي اختيارات مكتسبة عن طريق

---

(١) انظر: عمر المختار، للأشهب، ص (٢٦) .

التجربة الطويلة، والملاحظة الدقيقة، وكان يعرف سمة كل قبيلة، وهي السمات التي توضع على الإبل والأغنام والأبقار لوضوح ملكيتها لأصحابها، فهذه المعلومات تدل على ذكاء عمر المختار وفطنته منذ شبابه [1] .

ثانيًا: وصف عمر المختار:

كان عمر المختار متوسط القامة يميل إلى الطول قليلاً، ولم يكن بالبدين الممتلئ أو النحيف الفارغ، أجش الصوت بدوي اللهجة، رصين المنطق، صريح العبارة، لا يمل حديثه، متزنًا في كلامه، تفتر ثناياه أثناء الحديث عن ابتسامة بريئة، أو ضحكة هادئة إذا ما اقتضاها الموقف، كثيف اللحية وقد أرسلها منذ صغره، تبدو عليه صفات الوقار والجدية في العمل، والتعقل في الكلام والثبات عند المبدأ وقد أخذت هذه الصفات تتقدم معه بتقدم السن [2] .

ثالثًا: تلاوته للقرآن الكريم وعبادته:

كان عمر المختار شديد الحرص على أداء الصلوات في أوقاتها وكان يقرأ القرآن يوميًا، فيختم المصحف الشريف كل سبعة أيام منذ أن قال له الإمام محمد المهدي السنوسي يا عمر (وردك القرآن) وقصة ذلك كما ذكرها محمد الطيب الأشهب، أنه استأذن في الدخول على الإمام محمد المهدي من حاجبه محمد حسن البسكري في موقع بئر السارة الواقع في الطريق الصحراوي بين الكفرة والسودان وعندما دخل على المهدي تناول مصحفًا كان بجانبه وناوله للمختار وقال: هل لك شيء آخر تريده فقلت له يا سيدي إن الكثيرين من الإخوان يقرءون أورادًا معينة من الأدعية والتضرعات أجزتموهم قراءتها وأنا لا أقرأ إلا الأوراد الخفيفة عقب الصلوات فأطلب منكم إجازتي بما ترون فأجابني ﷺ بقوله: (يا عمر وردك القرآن) فقبلت يده وخرجت أحمل هذه الهدية العظيمة (المصحف) ولم أزل بفضل الله أحتفظ بها في حلي وترحالي ولم يفارقني مصحف سيدي منذ ذلك اليوم وصرت مداومًا على

---

(١) انظر: عمر المختار، للأشهب، ص (٢٧) .

(٢) المصدر السابق نفسه، ص (٢٨) .

القراءة فيه يوميًّا لأختم السلكة كل سبعة أيام، وسمعت من شيخنا سيدي أحمد الريفي أن بعض كبار الأولياء يداوم على طريقة قراءة القرآن مبتدئًا (بالفاتحة) إلى (سورة المائدة) ثم إلى (سورة يونس)، ثم إلى (سورة الإسراء) ثم إلى (سورة الشعراء)، ثم إلى (سورة الصافات) ثم إلى (سورة ق) ثم إلى آخر السلكة ومنذ ذلك الحين وأنا أقرأ القرآن من المصحف الشريف بهذا الترتيب [(١)] .

إن المحافظة على تلاوة القرآن والتعبد به تدل على قوة الإيمان، وتعمقه في النفس، وبسبب الإيمان العظيم الذي تحلى به عمر المختار انبثق عنه صفات جميلة، كالأمانة والشجاعة، والصدق، ومحاربة الظلم، والقهر، والخنوع وقد تحلى هذا الإيمان في حرصه على أداء الصلوات في أوقاتها قال تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا**﴾ [النساء: ١٠٣] وكان يتعبد المولى عز وجل بتنفيذ أوامره ويسارع في تنفيذها وكان كثير التنفل في أوقات الفراغ، وكان قد ألزم نفسه بسنة الضحى وكان محافظًا على الوضوء حتى في غير أوقات الصلاة، ومما يروى عنه أنه قال: لا أعرف إنني قابلت أحدًا من السادة السنوسية وأنا على غير وضوء منذ شرفني الله بالانتساب إليهم [(٢)] .

لقد كان هذا العبد الصالح يهتم بزاده الروحي اليومي بتلاوة القرآن الكريم، وقيام الليل واستمر معه هذا الحال حتى استشهاده .

فهذا المجاهد محمود الجهمي الذي حارب تحت قيادة عمر المختار وصاحبه كثيرًا، يذكر في مذكراته أنه كان يأكل معه وينام معه في مكان واحد ويقول: (لم أشهد قط أنه نام لغاية الصباح، فكان ينام ساعتين أو ثلاثًا على أكثر تقدير، ويبقى صاحيًا يتلو القرآن الكريم، وغالبًا ما يتناول الإبريق ويسبغ الوضوء بعد منتصف الليل ويعود إلى تلاوة القرآن، لقد كان على خلق عظيم يتميز بميزات التقوى والورع، ويتحلى بصفات المجاهدين الأبرار . . . .) [(٣)] .

---

(١) انظر: عمر المختار، ص (٢٨،٢٩) .

(٢) انظر: مذكرات مجاهد، محمود الجهني، محمد مناع .

(٣) المصدر السابق .

وأما الأستاذ محمد الطيب الأشهب فقد قال: (وقد عرفته معرفة طيبة وقد مكنتني هذه المصاحبة من الاحتكاك به مباشرة، فكنت أنام بخيمته وإلى جانبه وأهم ما كنت أمقته منه -رحمه الله- وأنا وقت ذاك حديث السن هو أنه لا يتركنا أن ننام يقضي كل ليلة يتلو القرآن مبكراً فيأمرنا بالوضوء بالرغم عما نلاقيه من شدة البرد ومتاعب السفر . . .) (١) .

وكأني أراه من خلف السنين وهو قائم يصلى لله رب العالمين في وديان وجبال وكهوف الجبل الأخضر وقد التف ببرده الأبيض في ظلمة الليل البهيم وهو يتلو كتاب الله بصوت حزين، وتنحدر الدموع على خدوده من خشية العزيز الرحيم .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ (سورة فاطر: ٢٩) .

لقد وصى رسول الله ﷺ أبا ذر بذلك فقال ﷺ : «عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء» وقد حذر الرسول الكريم من هجر القرآن فقال ﷺ : «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخَرِب»(٢) .

قال الشاعر:

قم في الدجي واتل الكتاب	ولا تنم إلا كنومة حائر ولهان
فلربما تأتي المنية بغتة	فتساق من فرش إلى الأكفان
يا حبذا عينان في غسق الدجى	من خشية الرحمن باكيتان
أعرض عن الدنيا الدنيئة زاهداً	فالزهد عند أولى النهى زهدان
زهد عن الدنيا وزهد في الثناء	طوبي لمن أمسى له الزهدان (٣)

إن من أسباب الثبات التي تميز بها عمر المختار حتى اللحظات الأخيرة من حياته

(١) انظر: برقة العربية، ص (٤٣٩) .
(٢) رواه البخاري .
(٣) انظر: نونية القحطاني، ص (٤٢) .

إدمانه على تلاوة القرآن الكريم والتعبد به وتنفيذ أحكامه، لأن القرآن الكريم مصدر تثبيت وهداية وذلك لما فيه من قصص الأنبياء مع أقوامهم، ولما فيه من ذكر مآل الصالحين، ومصير الكافرين والجاحدين وأوليائه بأساليب متعددة [١] .

لقد كان عمر المختار يتلو القرآن الكريم بتدبر وإيمان عظيم فرزقه الله الثبات وهداه طريق الرشاد،ولقد صاحبه حاله في التلاوة حتى النفس الأخير، وهو يساق إلى حبل المشنقة وهو يتلو قوله تعالى: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً**﴾(سورة الفجر: ٢٧-٢٨) [٢] .

رابعًا: شجاعته وكرمه:

إن هذه الصفة الجميلة تظهر في سيرة عمر المختار منذ شبابه الباكر ففي عام ١٣١١هـ (١٨٩٤م) تقرر سفر عمر المختار على رأس وفد إلى السودان يضم كلاً من السيد خالد بن موسى، والسيد محمد المسالوسي، وقرجيلة المجبري وخليفة الدبار الزوي أحد أعضاء زاوية واو بفزان (وهو الذي روى القصة) وفي الكفرة وجد الوفد قافلة من التجار من قبيلتي الزوية والمجابرة، وتجار آخرين من طرابلس وبنغازي تتأهب للسفر إلى السودان، فانضم الوفد إلى هؤلاء التجار الذين تعودوا السير في الطرق الصحراوية، ولهم خبرة جيدة بدروبها وعندما وصل المسافرون إلى قلب الصحراء بالقرب من السودان قال بعض التجار الذين تعودوا المرور من هذا الطريق إننا سنمر بعد وقت قصير بطريق وعر لا مسلك لنا غيره ومن العادة - إلا في القليل النادر - يوجد فيه أسد ينتظر فريسته من القوافل التي تمر من هناك، وتعودت القوافل أن تترك له بعيرًا كما يترك الإنسان قطعة اللحم إلى الكلاب أو القطط، وتمر القوافل بسلام واقترح المتحدث أن يشترك الجميع في ثمن بعير هزيل ويتركونه للأسد عند خروجه، فرفض عمر المختار بشدة قائلاً: (إن الإتاوات التي كان يفرضها القوي منا على الضعيف بدون حق أبطلت فكيف يصح لنا أن نعيد إعطاءها للحيوان إنها علامة

---

(١) انظر: الثبات ، د. محمد بن حسن عقيل ، ص (١٢) .

(٢) انظر: عمر المختار للأشهب، ص (١٥٩).

الهوان والمذلة ، إننا سندفع الأسد بسلاحنا إذا مـا اعترض طريقنا) وقد حاول بعض المسافرين أن يثنيه عن عزمه، فرد عليـهم قائلاً: أنني أخجل عندما أعود وأقول إنني تركت بعيراً إلى حيوان اعترض طريقي وأنا على استعداد لحماية ما معي وكلكلم راع وكلكلم مسئول عن رعـيته إنها عادة سيئة يجب أن نبطلهـا، وما كادت القافلة تدنو من الممر الضيق حـتى خرج الأسد من مكانه الذي اتخذه على إحدى شـرفات الممر فقال أحد التجار -وقد خاف من هول المنظر وارتـعشت فرائصه من ذلك- أنا مستعد أن أتنازل عن بعيـر من بعائري ولا تحاولـوا مشاكسـة الأسد، فانبـرى عمر المخـتار ببندقيته وكانت من النوع اليوناني ورمى الأسـد بالرصاصة الأولى فأصابته ولكن في غيـر مقتل واندفع الأسد يتـهادي نحو القافلة فـرماه بأخرى فصـرعته، وأصر عـمر المختار على أن يسلخ جلده ليراه أصحاب القوافل فكان له ما أراد [١] .

إن هذه الحادثة تدلنا على شـجاعة عـمر المختار وقـد تناولتها المجـالس يومذاك بمنتهى الإعجـاب، وقد سأل الأستاذ محـمد الطيب الأشهب عمر المختـار نفسه عن هذه الحادثة في معسكر المغاربة بخيمة السيد محمد الفائدي فأجاب بقوله: تريدني يا ولدي أن أفتخر بقتل صـيد قال لي ما قاله قديمًا أحد الأعراب لمنافـسه وقد قتل أسداً (أتفتخر عليّ بأنك قتلت حشرة) وامتنع عمر المختار بقول الله تعالى: **﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾** (سورة الأنفال: ١٧) .

إن جواب عمر المختار بهـذه الآية الكريمة يدل على تأثره العميق بالقرآن الكريم، لأنه تعلم أن أهل الإيمان والتوحيد في نظرتهم العميق لحـقيقة الوجود، وتطلعهم إلى الآخرة ينسبون الـفضل إلى العزيز الوهاب سبحانه وتعـالى، ويتخلصون من حظوظ نفوسهم، فـهو الذي مرّ كثيـرًا على دعاء نبي الله يوسف عليه السلام: **﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾** (سورة يوسف: الآية ١٠١) .

وهو الذي تعلم من سيرة ذي القـرنين هذا المعنى الرفيع والذي لا بد من وجوده

---

(١) انظر: عمر المختار ، للأشهب، ص (٣٩، ٤٠) .

في الشخصية القيادية الربانية في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾(سورة الكهف: ٩٨)، فعندما بنى السد، ورفع الظلم، وأعان المستضعفين نسب الفضل إلى ربه سبحانه وتعالى .

إن عمر المختار كان صاحب قلب موصول بالله تعالى، فلم تسكره نشوة النصر، وحلاوة الغلبة بعد ما تخلص من الأسد الأسطورة وأزاح الظلم وقهر التعدي بل نسب الفضل إلى خالقه ولذلك أجاب سائله بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ (سورة الأنفال: ١٧) .

إن صفة الشجاعة ظهرت في شخصية عمر المختار المتميزة في جهاده في تشاد ضد فرنسا، وفي ليبيا ضد إيطاليا، ويحفظ لنا التاريخ هذه الرسالة التي أرسلها عمر المختار ردًا على رسالة من الشارف الغرياني الذي أكرهته إيطاليا ليتوسط لها في الصلح مع عمر المختار وإيقاف الحرب .

(قال بعد البسملة والصلاة على رسول الله القائل: «إن الجنة تحت ظلال السيوف»

إلى أخينا سيدي الشارف بن أحمد الغرياني حفظه الله وهداه، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ومغفرته ومرضاته . نعلمكم أن إيطاليا إذا أرادت أن تبحث معنا في أي موضوع تعتقد أنه يهمها ويهمنا فما عليها إلا أن تتصل بصاحب الأمر ومولاه سيدي السيد محمد إدريس ابن السيد محمد المهدي ابن السيد محمد السنوسي ﷺ جميعًا، فهو الذي يستطيع قبول البحث معهم أو رفضه، وأنتم لا تجهلون هذا بل وتعرفون إذا شئتم أكثر من هذا ومكان سيدي إدريس في مصر معروف عندكم، وأما أنا وبقية الإخوان المجاهدين فلا نزيد عن كوننا جندًا من جنوده لا نعصي له أمرًا ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن لا يقدر علينا مخالفته فنقع فيما لا نريد الوقوع فيه حفظنا الله وإياكم من الزلل، نحن لا حاجة عندنا إلا مقاتلة أعداء الله والوطن وأعدائنا وليس لنا من الامر شيء إذا ما أمرنا سيدنا وولي نعمتنا ﷺ ونفعنا به بوقف القتال نوقفه، وإذا لم يأمرنا بذلك فنحن واقفون عند ما أمرنا به ولا نخاف طيارات العدو ومدافعه ودباباته وجنوده من الطليان والحبش والسبايس المكسرين

(هؤلاء الآخرين هم المجندون من بعض الليبيين) ولا نخاف حتى من السم الذي وضعوه في الآبار وبخوا به الزرع النابتة في الأرض نحن من جنود الله وجنوده هم الغالبون ونحن لا نريد لكم ما يدفعكم إليه النصارى، وظننا بكم خير والله يوفقنا ويهدينا وإياكم إلى سبل الرشاد وإلى خدمة المسلمين ورضاء سيدنا رضي الله عنه وسلام الإسلام على من تبع الإسلام .

١٣ ربيع الثاني ١٣٤٤هـ

نائب المنطقة الجبلية عمر المختار [(١)]

ومحل الشاهد من هذه الرسالة قوله: (ولا نخاف طيارات العدو ومدافعه ودباباته وجنوده من الطليان والحبش والسبايس، ولا نخاف حتى من السم الذي وضعوه في الآبار ووضعوه على الزروع النابتة في الأرض نحن من جنود الله وجنوده هم الغالبون) .

إن صفة الشجاعة ملازمة لصفة الكرم، كما أن الجبن والبخل لا يفترقان ولقد حفظ لنا التاريخ عبارة جميلة كان يرددها عمر المختار بين ضيوفه: (إننا لا نبخل بالموجود ولا نأسف لمفقود) .

لقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة بمدح الكرم والإنفاق وذم البخل والإمساك، قال تعالى:

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة السجدة: ١٦-١٧) .

لم تكن همة عمر المختار منصرفة إلى جمع المال والثروة والغنى وإن كان قد ورث عن والده بعض الماشية إلا أنه تركها في رعاية بعض أقاربه في القبيلة وترك أرضه وموطنه منذ أن كان عمره ١٦ عامًا، وكان طيلة فترة إقامته في معهد الجغبوب

---

(١) انظر: عمر المختار، للأشهب، ص (٨٧) .

تتكفل إدارة المعهد بمصروفاته وبعد أن تزوج وكوّن أسرة أصبح مورد رزقه ما يتحصل عليه من نتاج الجيوانات القليلة ولم يكن يومًا من الأيام متفرغًا لجمع المال، وإنما عاش للعلم والدعوة والجهاد، وانشغل عن جمع الأموال والثروات وقضى حياته فقيرًا مقتنعًا بما رزقه الله من القناعة والرضى بالكفاف وكان يبذل ما في وسعه لضيوفه وجنوده وينفق على أفراد جيشه إنفاق من لا يخشى الفقر، ويقدم إخوانه على نفسه وأصبح شعاره (إننا لا نبخل بالموجود ولا نأسف لمفقود) [1] .

خامسًا: الدعوة والجهاد قبل الاحتلال الإيطالي:

تفوق عمر المختار على أقرانه بصفات عدة منها، متانة الخلق ورجاحة العقل، وحب الدعوة، ووصل أمره إلى الزعيم الثاني للحركة السنوسية محمد المهدي السنوسي فقدمه على غيره واصطحبه معه في رحلته الشهيرة من الجغبوب إلى الكفرة عام ١٨٩٥م، وفي عام ١٨٩٧م أصدر محمد المهدي قرارًا بتعيين عمر المختار شيخًا لزاوية القصور بالجبل الأخضر قرب المرج، وقام عمر المختار بأعباء المهمة خير قيام، فعلمّ الناس أمور دينهم، وساهم في فض النزاعات بين القبائل وعمل على جمع كلمتهم وسعى في مصالحهم، وسار في الناس سيرة حميدة، فظهر في شخصيته أخلاق الدعاة من حلم الدعاة وتأنٍ، وصبر، ورفق، وعلم، وزهد .

ومما تجدر الإشارة إليه أن وقوع الاختيار عليه للقيام بأمور هذه الزاوية كان مقصودًا من قبل قيادة الحركة السنوسية حيث إن هذه الزاوية كانت في أرض قبيلة العبيد التي عرفت بقوة الشكيمة وشدة المراس، فوفقه الله في سياسة هذه القبيلة ونجح في قيادتها بفضل الله، وبما أودع الله فيه من صفات قيادية من حكمة وعلم وحلم وصبر وإخلاص .

إن الفترة التي قضاها في زاوية القصور تدلنا وتشهد لنا على أعماله الجليلة ؛ كداعية رباني يدعو إلى الإسلام ونشره بالفكرة والإقناع والإرشاد والتوجيه، فهو قمة

---

(١) انظر: عمر المختار، ص (٣٢) .

شامخة في هذا المجال، فهو لم يدخل مجال الدعوة والإرشاد إلا بعد أن تعلم من أمور دينه الكثير، فشق طريق الدعوة بزاد علمي، وثقافة متميزة، وتفوق روحي، ورجاحة عقل، وقوة حجة، ورحابة صدر، وسماحة نفس، لقد كان حريصًا على تعلم العلم والعمل به وتعليمه، وعندما زحف الاستعمار الفرنسي على مراكز الحركة السنوسية في تشاد، نظمت الحركة السنوسية نفسها وأعدت للجهاد عدتها، واختارت من القادة من هم أولى بهذا العمل الجليل، فكان عمر المختار من ضمنهم فقارع الاستعمار الفرنسي مع كتائب الحركة السنوسية المجاهدة في تشاد وبذل ما في وسعه حتى لفت الأنظار إلى حزمه وعزمه وفراسته وبعد نظره وحسن قيادته فقال عنه محمد المهدي السنوسي: (لو كان لدينا عشرة مثل المختار لاكتفينا) (١) .

وبقي عمر المختار في تشاد يعمل على نشر الإسلام ودعوة الناس وتربيتهم إلى جانب جهاده ضد فرنسا، فحمل الكتاب الذي يهدي بيد والسيف الذي يحمي باليد الأخرى، وظهرت منه شجاعة وبطولة وبسالة نادرة في الدفاع عن ديار المسلمين، وكانت المناطق التي يتولى أمرها أمنع من عرين الأسد، ولا يخفي ما في ذلك من إدراك القيادي المسلم لواجبه تجاه دينه وعقيدته وأمته (٢) .

وعندما أصيبت الإبل التي كانت تحمل الأثقال للمجاهدين بمرض الجرب، وكان عددها لا يقل عن أربعة آلاف بعير وكانت تلك الإبل هي قوام الحياة بالنسبة للمجاهدين واهتم السيد المهدي السنوسي بشأن علاجها ووقع اختياره على عمر المختار ليكون المسئول عن هذه المهمة التي شغلت بال المجاهدين، فأمره بأن يذهب بالإبل إلى موقع (عين كلك) نظرًا لوفرة مائه ولصلاحيته، وكان علي عمر المختار مهمة أخرى وهي الاحتياط والحرص الشديد واتخاذ التدابير اللازمة للدفاع، واختار عمر المختار من المجاهدين مجموعة خيرة، وذهب لتنفيذ أمر القيادة وكان توفيق الله له عظيمًا في مهمته العسيرة فنال أعجاب السيد المهدي (٣) .

---

(١) انظر: مجلة المسلم .

(٢) انظر: عمر المختار، للأشهب، ص (٢٧) .

(٣) انظر: عمر المختار، ص (٣٧) .

وفي عام ١٩٠٦م رجع عمر المختار بأمر من القيادة السنوسية إلى الجبل الأخضر ليستأنف عمله في زاوية القصور، ولكن ذلك لم يستمر طويلاً، فقد بدأت المعارك الضارية بين الحركة السنوسية والبريطانيين في منطقة البردى ومساعد والسلوم على الحدود الليبية المصرية . ولقد شهد عام ١٩٠٨م أشد المعارك ضراوة وانتهت بضم السلوم إلى الأراضي المصرية تحت ضغوط بريطانيا على الدولة العثمانية، وعاد الشيخ عمر المختار إلى زاوية القصور وبرزت شخصيته بين زملائه مشايخ الزوايا، وبين شيوخ وأعيان القبائل، ولدى الدوائر الحكومية العثمانية، وظهرت مقدرته في مهمته الجديدة بصورة تلفت النظر، وأصبح متميزًا في حزمه في إدارة الزاوية وفي تعاونه مع زملائه الآخرين وفي معالجته للمشاكل القبلية، وفي ميدان الإصلاح العام مضربًا للأمثال.

وكانت تربطه صلات شخصية مع عدد كبير من زعماء وأعيان القبائل في برقة، وكذلك زعماء المدن، وكان زعماء البراعصة يحبون عمر المختار حبًّا نابعًا من قلوبهم في حين أنهم لم يكونوا من القبائل التابعة لزاويته، وارتبطت علاقاته الأخوية مع شيوخ الزوايا كالسادة السنوسي الأشهب شيخ زاوية مسوس، وعمران السكوري شيخ زاوية المرج، وعبد ربه بوشناف الشيخي، والحسن الغماري شيخ زاوية دريانه [١] .

سادسًا: الشيخ عمر المختار في معاركه الأولى ضد إيطاليا:

عندما اندلعت الحرب الليبية الإيطالية عام ١٩١١م كان عمر المختار وقتها بواحة (جالو) خفَّ مسرعًا إلي زاوية (القصور) وأمر بتجنيد كل من كان صالحًا للجهاد من قبيلة العبيد التابعة لزاوية (القصور)، فأُجابوا نداءه، وأحضروا لوازمهم، وحضر أكثر من ألف مقاتل، وكان عيد الأضحى من نفس السنة الهجرية على الأبواب أي لم يبق عنه إلا ثلاثة أيام فقط، ولم ينتظر السيد عمر المختار عند أهله حتى يشاركهم فرحة العيد، فتحرك بجنوده وقضوا يوم العيد في الطريق وكانت الذبائح التي أكل المجاهدين من لحومها يوم العيد من السيد عمر المختار شخصيًّا، ووصل المجاهدون

---

(١) المصدر السابق، ص (٤٠، ٤١) .

وعلى رأسهم عمر المختار وبرفقته أحمد العيساوي إلى موقع بنينه حيث معسكر المجاهدين الذي فرح بقدوم نجدة عمر المختار ورفقائه ثم شرعوا يهاجمون العدو ليلاً ونهارًا وكانت غنائمهم من العدو تفوق الحصر [١] . وقد بينت دور الزوايا في جهادها ضد إيطاليا في الجزء الثاني عن الحركة السنوسية والذي سميته «سيرة الزعمين محمد المهدي السنوسي، وأحمد الشريف» .

ويذكر الشيخ محمد الأخضر العيساوي أنه كان قريبًا من عمر المختار في معركة السلاوي عام ١٩١١م فوصف لنا بعض أحداث تلك المعركة فقال: (.. وقد فاجأنا العدو فقابله من المجاهدين الخيالة، بينما كان العدو يضربنا بمدافعه الرشاشة واضطررنا للنزول في مكان منخفض مزروع بالشعير وكانت السنابل تتطاير بفعل الرصاص المنهمر، فكأنهما تحصد بالمناجل، وبينما نحن كذلك إذ رأينا مكانًا منخفضًا أكثر من المكان الذي نحن فيه، وأردنا أن يأوى إليه السيد عمر المختار بسبب خوفنا عليه فرفض بشدة حتى جاءه أحد أتباعه يدعى السيد الأمين ودفعه بقوة إلى المكان الذي اخترناه لإيوائه وحاول الخروج منه فمنعناه بصورة جماعية ......) [٢] .

كما أشار الشيخ محمد الأخضر إلى إعجاب الضباط الأتراك به وبشجاعته وبالآراء السديدة التي تصدر عنه فكأنما هي تصدر من قائد ممتاز تخرج عن كلية عسكرية، وكان قدومه إلى معسكرات المجاهدين مشجعًا وباعثًا للروح المعنوية في قوة خارقة، وقد تحدثت في سيرة أحمد الشريف في الجزء الثاني عن الحركة السنوسية عن حركة الجهاد في أيامها الأولى ضد إيطاليا، وكان عمر المختار من المقربين للشيخ أحمد الشريف السنوسي، وبعد هجرته لازم عمر المختار الأمير محمد إدريس وقام بواجباته خير قيام وبعد هجرة الأمير إلى مصر تولى أمر القيادة العسكرية بالجبل الأخضر، وأخذ في تهيئة النفوس لمجابهة العدو وبدأ جولاته في أنحاء المنطقة للاتصال بالأهالي وزعمائهم، بل وبالأفراد كخطوة أولى للعمل الجديد الشاق في

---

(١) انظر: عمر المختار، للأشهب، ص (٦) .
(٢) انظر: عمر المختار، للأشهب، ص (٦) .

نفس الوقت، وقام بفتح باب التطوع للجهاد، فأقبل الليبيين من أبناء قبائل الجبل بوجوه مستبشرة وقلوب مطمئنة وتلهف على مجابهة العدو الغادر، وكانت ترافقه لجنة مكونة من أعيان وشيوخ قبائل المنطقة (البراغيث، والحرابي، والمرابطين) لمساعدته في عمله العظيم وكان من بينهم ؛ بوشديق بومازق حدوث، الصيفاط بوفروة، محمد بولقاسم جلغاف، حمد الصغير حدوث، دلاف بو عبد الله، محمد العلواني، سويكر عبد الجليل، موسى بوغيضان، الغرياني عبد ربه بوشناف، عبد الله الخرساني، عوض العبيدي، رجب بوسيحة، رواق بودرمان، كريم بوراقي، قطيط الحاسي، وغير هؤلاء من علية القوم، فزار أغلب مناطق الجبل والبطنان، وكان سمو الأمير قد وصل إلى مصر (يناير ١٩٢٣م) وما كاد السيد عمر ينتهي من جولته هذه ويطمئن للنتائج حتى قرر الالتحاق بسمو الأمير في مصر ليعرض عليه نتيجة عمله ويتلقى من التوجيهات اللازمة [١] .

سابعًا: سفره إلى مصر:

سافر في شهر مارس سنة ١٩٢٣م إلى مصر بصحبة علي باشا العبيدي وترك رفقاءه عند بئر الغبي حتى يعود إليهم، واستطاع اجتياز الحدود المصرية وتمكن من مقابلة السيد إدريس بمصر الجديدة، وكان عمر المختار عظيم الولاء للسنوسية وزعمائها وشيوخها وظهر ذلك الولاء في إقامته بمصر عندما حاول جماعة من قبيلة المنفة وهي قبيلة السيد عمر المختار، وكانوا قد أقاموا بمصر، أن يقابلوا السيد عمر المختار للترحيب به، فاستفسر المختار قبل أن يأذن لهم بذلك عما إذا كانوا قد سعوا لمقابلة الأمير عند حضوره إلى مصر، فلما أجاب هؤلاء بالنفي معتذرين بأن أسبابًا عائلية قهرية منعتهم من تأدية هذا الواجب رفض المختار مقابلتهم قائلاً: (وكيف تظهرون لي العناية وتحضرون لمقابلتي وأنتم الذين تركتم شيخي الذي هو ولي نعمتي وسبب خيري . أما وقد فعلتم ذلك فإني لا أسمح لكم بمقابلتي ولا علاقة من الآن بيني وبينكم) [٢] .

(١) انظر: عمر المختار، للأشهب، ص (٥٦) .

(٢) السابق ص (٨) .

فما أن بلغ السيد إدريس ما فعله عمر المختار مع من جاء إليه من أبناء قبيلته حتى أصدر أمره بمقابلتهم فامتثل المختار لأمره [١] .

حاولت إيطاليا بواسطة عملائها بمصر الاتصال بالسيد عمر المختار وعرضت عليه بأنها سوف تقدم له مساعدة إذا ما تعهد باتخاذ سكنه في مدينة بنغازي أو المرج، وملازمة بيته تحت رعاية وعطف إيطاليا، وأن حكومة روما مستعدة بأن تجعل من عمر المختار الشخصية الأولى في ليبيا كلها وتتلاشى أمامه جميع الشخصيات الكبيرة التي تتمتع بمكانتها عند إيطاليا في طرابلس وبنغازي، وإذا ما أراد البقاء في مصر فما عليه إلا أن يتعهد بأن يكون لاجئًا ويقطع علاقته بإدريس السنوسي، وفي هذه الحالة تتعهد حكومة روما بأن توفر له راتبًا ضخمًا يمكّنهّ من حياة رغدة، وهي على استعداد أن يكون الاتفاق بصورة سرية وتوفير الضمانات لعمر المختار ويتم كل شيء بدون ضجيج تطمينًا لعمر المختار، وقد طلبت منه نصح الأهالي بالإقلاع عن فكرة القيام في وجه إيطاليا [٢]، وقد أكد عمر المختار هذا الاتصال وهو في مصر لما سئل عن ذلك وقال: ثقوا أنني لم أكن لقمة طائبة يسهل بلعها على من يريد، ومهما حاول أحد أن يغير من عقيدتي ورأيي واتجاهي فإن الله سيخيبه ومن (طياح سعد) إيطاليا ورسلها هو جهلها بالحقيقة . وأنا لم أكن من الجاهلين والموتورين فأدعي أنني أقدر أعمل شيئًا في برقة، ولست من المغرورين الذين يركبون رءوسهم ويدعون أنهم يستطيعون أن ينصحوا الأهالي بالاستسلام، إنني أعيذ نفسي من أن أكون في يوم من الأيام مطية للعدو وأذنابه فأدعوا الأهالي بعدم الحرب ضد الطليان، وإذا -لا سمح الله- قدّر عليّ بأن أكون موتورًا فإن أهل برقة لا يطيعون لي أمرًا يتعلق بإلقاء السلاح . إنني أعرف أن قيمتي في بلادي إذا ما كانت لي قيمة أنا وأمثالي فإنها مستمدة من السنوسية [٣] .

---

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٢٧١) .

(٢) انظر: عمر المختار، ص (٥٦) .

(٣) انظر: عمر المختار، ص (٥٨).

لقد استمرت عروض الإيطاليين على عمر المختار حتى بعد رجوعه للبلاد وحاولوا استمالته بالمال الطائل، والمناصب الرفيعة، والجاه العريض في ظل حياة رغيدة ناعمة ولكنهم لم يفلحوا، لقد كان عمر المختار رجل عقيدة، وصاحب دعوة ومؤمنًا بفكرة استمدت أصولها وتصوراتها من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ويفهم جيدًا معنى قول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝١٨ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ (الأسراء:١٨-١٩) .

وعندما خرج السيد عمر المختار من مصر قاصدًا برقة لمواصلة الجهاد اجتمع به مشايخ قبيلته الموجودون بمصر من المتقدمين في السن وحاولوا أن يثنوه عن عزمه بدعوى أنه قد بلغ من الكبر عتيًا وأن الراحة والهدوء ألزم له من أي شيء آخر وأن باستطاعة السنوسية أن تجد قائدًا غيره لتزعم حركة الجهاد في برقة، فغضب عمر المختار غضبًا شديدًا وكان جوابه قاطعًا فاصلاً فقال لمحدثيه: (إن كل من يقول لي هذا الكلام لا يريد خيرًا لي؛ لأن ما أسير فيه إنما هو طريق خير ولا ينبغي لأحد أن ينهاني عن سلوكها، وكل من يحاول ذلك فهو عدو لي) [١] .

لقد كان عمر المختار يعتقد اعتقادًا راسخًا أن ما كان يقوم به من الجهاد إنما هو فرض يؤديه وواجب ديني لا مناص منه ولا محيد عنه ولذلك أخلص في عمله وسكناته وأحواله وأقواله لقضية الجهاد في ليبيا وكان يكثر من الدعاء لله تعالى بأن يجعل موته في سبيل هذه القضية المباركة، فكان يقول: (اللهم اجعل موتي في سبيل هذه القضية المباركة)[٢]، وأصر على البقاء في أرض الوطن الحبيب وقال: (لا أغادر هذا الوطن حتى ألاقي ربي والموت أقرب إلى من كل شيء فإني أترقبه بالدقيقة) [٣].

---

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٢٧١).
(٢) انظر: عمر المختار نشأته وجهاده للحساوي، ص (٣٦).
(٣) المصدر السابق نفسه، ص (٣٧) .

وعندما عرض عليه أن يترك ساحة الجهاد، ويسافر إلى الحج قال: (لن أذهب ولن أبرح هذه البقعة حتى يأتي رسل بي وإن ثواب الحج لا يفوق ثواب دفاعنا عن الوطن والدين والعقيدة) [١] .

وقال: (كل مسلم الجهاد واجب عليه وليس منه، وليس لغرض أشخاص وإنما هو لله وحده) [٢] .

إن هذه الكلمات التي كتبت بماء الذهب على صفحات تاريخنا المجيد نابعة من فهم عمر المختار لقوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة التوبة، الآيات: ١٩-٢٢) .

ومن فهمه لأحاديث رسول الله ﷺ: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) [٣] .

ولقوله ﷺ: (من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد) [٤] .

إن هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، كانت المنهج العقدي والفكري الذي تربت عليها كتائب المجاهدين وقادتها الكرام الذين تربوا في أحضان الحركة السنوسية.

تم الاتفاق بين الأمير إدريس وعمر المختار على تفاصيل الخطة التي يجب ان يتبعها المجاهدون ضد العدو الغاشم المعتدي على أساس تشكيل المعسكرات، واختيار

(١-٢) المصدر السابق نفسه، ص (٣٧) .
(٣) رواه مسلم .
(٤) انظر: صحيح سنن أبي داود ، للشيخ الألباني رحمه الله .

القيادة الصالحة لهذه الأدوار، وأن تظل القيادة العليا من نصيب عمر المختار نفسه، وزوده الأمير بكتاب إلى السيد الرضا بهذا المعنى وتم الاتفاق على بقاء الأمير في مصر ليقود العمل السياسي، ويهتم بأمر المهاجرين ويضغط على الحكومة المصرية والإنكليزية بالسماح للمجاهدين بالالتجاء إلى مصر، ويشرف على إمداد المجاهدين بكل المساعدات الممكنة من مصر، ويرسل الإرشادات والتعليمات اللازمة إلى عمر المختار في الجبل واتفق على أن يكون الحاج التواتي البرعصي حلقة الوصل بين الأمير وقائد الجهاد، وبعد ذلك الاتفاق غادر عمر المختار القاهرة، وعند وصوله إلى السلوم وجد بعض رفقائه في انتظاره، فأخذ الجميع حاجتهم من المؤن الكافية لرحلتهم إلى الجبل الأخضر وغادروا السلوم إلى برقة [(١)] .

وقد حدث في أثناء وجود عمر المختار أن اشتبك المجاهدون مع الطليان في معركتين كبيرتين في بير بلال والبريقة في ذي القعدة ١٣٤١هـ / ١٩٢٣م، فانتصر المجاهدون على الطليان في معركة بير بلال بقيادة المجاهد قجة عبد الله السوداني واستشهد كل من المهدي الحرنة، والشيخ نصر الأعمى وغيرهم، وقد ساهم في هذه المعركة صالح الأطيوش، والفضيل المهشهش وكانت نفقات المجاهدين في هذه المعركة على حساب الفضيل المهشهش، ووقعة معركة البريقة بعد بير بلال بأربعة أيام واستشهد فيها من أبطال الجهاد إبراهيم الفيل [(٢)] .

ومع هذه الانتصارات إلا أن الطليان استطاعوا احتلال أماكن للمجاهدين في برقة، وزحفوا على معسكر العواقير بموقع البدين وبعد معركة شديدة كبدت الطرفين خسائر فادحة انسحب المعسكر إلى إجدابية واستمر الزحف الإيطالي يلاحق المجاهدين حتى اشتبك مع طلائع معسكر المغاربة في الزويتينة ؛ ولم يطل الدفاع عنها حتى احتلها الطليان وواصلوا زحفهم إلى إجدابية حيث احتلوها في (أبريل ١٩٢٣م) [(٣)] .

---

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٢٧٣).
(٢) المصدر السابق نفسه، ص (٢٧٣، ٢٧٤) .
(٣) انظر: عمر المختار، للأشهب، ص (٦٣) .

ثامنًا: معركة بئر الغبي:

كانت عيون إيطاليا تترصد حركة عمر المختار في دعوته إلى برقة ولكنها فشلت في اللقاء به قبل أن يصل إلى رفاقه، وما كاد يصل إلي بئر الغبي حتى فوجئ بعدد من المصفحات الإيطالية وإليك أحداث المعركة كما رواها عمر المختار بنفسه: (كنا لا نتجاوز الخمسين شخصًا من المشايخ والعساكر وبينما تجمع هؤلاء حولنا لسؤالنا عن صحة سمو الأمير، وكنا صائمين رمضان، وإذا بسبعة سيارات إيطالية قادمة صوبنا فشعرنا بالقلق لأن مجيئها كان محل استغرابنا ومفاجأة لم نتوقعها، وكنا لم نسمع عن هجوم الطليان على المعسكرات السنوسية، واحتلالهم إجدابية، فأخذنا نستعد في هدوء والسيارات تدنو منا في سير بطيء فأراد علي باشا العبيدي أن يطلق الرصاص من بندقيته ولكني منعته قائلاً: لا بد أن نتحقق قبلاً من الغرض ونعرف شيئًا عن مجيء هذه السيارات؛ كي لا نكون البادئين بمثل هذه الحوادث وبينما نحن في أخذ ورد وإذا بالسيارات تفترق في خطة منظمة المراد منها تطويقنا، وشاهدنا المدافع الرشاشة مصوبة نحونا فلم يبق هنا أي شك فيما يراد بنا فأمطرناهم وابلاً من رصاص بنادقنا، وإذا بالسيارات قد ولت الأدبار إلى منتجع قريب منا وعادت بسرعة تحمل صوفًا، ولما دنت منا توزعت توزيعًا محكمًا وأخذ الجنود ينزلون ويضعون الأصواف (الخام) أمامهم ليتحصنوا بها من رصاصنا [١] وبادرنا بطلق الأعيرة فأخذ علي باشا يولع سيجارة وقلت له رمضان يا علي باشا منبهًا إياه للصوم فأجابني قائلاً: (مو يوم صيام المنشرزام) [٢] .

وفي أسرع مدة انجلت المعركة عن خسارة الطليان وأخذت النار تلتهم السيارات إلا واحدة فرت راجعة، وغنمنا جميع ما كان معهم من الأسلحة) [٣] .

ثم استمر المجاهدون في سيرهم حتى بلغوا الجبل الأخضر ووصلوا إلى زاوية

---

(١) كان الصوف الخام الكثيف يستعمل ضد الرصاص .

(٢) هذا المثل باللهجة البدوية ومعناه: لم يكن اليوم من أيام الصيام حيث إن صوت البنادق أخذ يدوي . وكلمة المنشر هي اسم لنوع من البنادق . وكلمة زام دواء، من الأدوية .

(٣) انظر: عمر المختار، ص (٦٤) .

القطوفية (مكان معسكر المغاربة) وقابلهم صالح الأطيوش والفضيل المهشهش ووقف عمر المختار على تفاصيل معركة البريقة وحال المجاهدين، ثم واصل سيرة إلى جالو مقر السيد محمد الرضا ليبلغ التعليمات التي أخذها من سمو الأمير .

وبعد أن تم اللقاء بين عمر المختار والسيد الرضا اتفقا على تنظيم حركة الجهاد وإنشاء المعسكرات في الجبل الأخضر، واقترح عمر المختار على الرضا أن يرسل ابنه الصديق إلى معسكر المغاربة عند صالح الأطيوش ،معسكر العواقير بقيادة قجة عبد الله السوداني، وهي معسكرات قريبة من بعضها، ثم غادر عمر جالو إلى الجبل الأخضر وشرع في تشكيل المعسكرات للمجاهدين، وأنشئت معسكرات البراعصة والعبيد والحاسة، فاختار الرضا حسين الجويفي البرعصي لقيادة البراعصة، ويوسف بورحيل المسماري لمعسكر البراغيث والفضيل بو عمر لمعسكر الحاسة وأصبح عمر المختار القائد الأعلى لتلك المعسكرات .

وبدأ الجهاد الشاق والطويل واستمر متصلاً ومن غير هوادة حوالي ثمانية أعوام.

وكان عامي ١٩٢٤م، ١٩٢٥م قد شاهدت مناوشات عدة ومعارك دامية، ووسع المجاهدون نشاطهم العسكري في الجبل الأخضر، ولمع اسم عمر المختار نجمه كقائد بارع يتقن أساليب الكر والفر ويتمتع بنفوذ عظيم بين القبائل، وأخذ العرب من أبناء القبائل ينضمون إلى صفوف المجاهدين وبادرت القبائل بإمداد المجاهدين بما يحتاجون من مؤن وعتاد وأسلحة، وكان لقبائل العبيد، والبراعصة، والحاسة والدرسة والعواقير وأولاد الشيخ والعوامة، والشهيبات والمنفا والمسامير أكبر نصيب في حركة الجهاد .

كان معسكر البراغيث هو مركز الرياسة العامة ومقر القائد العام عمر المختار، وهو النواة الأولى وحجر الأساس لمعسكرات الجبل الأخضر الثلاثة، وكان عمر المختار يلقب بنائب الوكيل العام، وكان السيد يوسف بورحيل يعرف بوكيل النائب وهكذا فقد تنظم الجهاز الحكومي في هذه المنطقة الواسعة بتشكيل المحاكم الشرعية والصلحية وإدارة المالية (المحاسبة، والأرزاق، جباية الزكاة الشرعية، الخمس من

الغنائم) واستمر التعاون بين هذه المعسكرات الثلاثة وفروعها في السراء والضراء وأخذت تقوم بحركات عظيمة ضد العدو وشن الغارة عليه في معاقله؛ كما كانت تتصدى لزحفه عليها، فتهجم حينًا، وتنسحب حينًا آخر حسب ظروف الحرب[١].

أصبح تفكير إيطاليا محصورًا في برقة التي لم يتمكن الطليان منذ زحفهم على إجدابية سنة ١٩٢٣م من احتلال مواقع تذكر عدا مدينة إجدابية، ولذلك اهتمت إيطاليا ببرقة وانحصرت مجهوداتها في الفترة الواقعة بين سنة ١٩٢٣م وبين ١٩٢٧م على معسكرات عمر المختار الذي لم يخرج يومًا من معركة إلا ليدخل في معركة أخرى.

وفي عام ١٩٢٧م وقع الوكيل العام السيد رضا المهدي السنوسي في الأسر بطريق الخديعة والخيانة والغدر وسقطت مناطق برقة الحمراء والبيضاء تدريجيًا .

كانت قيادة الجيش الإيطالي في برقة قد بدلت وتولى أمرها لتنفيذ الخطة الجديدة التي تستهدف ضرب الحصار على حركة الجهاد في الجبل الأخضر (ميزتي) كما استبدل والي بنغازي الإيطالي (مومبيلي) بخلفه الجنرال (تيروتس) وهو من زعماء الحزب الفاشيستيين، وزود الجنرال ميزتي بعدد كبير من الجنرالات وكبار الضباط وأركان الحرب لمساعدته وفي نفس السنة تقدمت القوات الإيطالية من طرابلس بقيادة الجنرال غرسياني فاحتلت واحة الجفرة والقسم الأكبر من فزان، واشتبكت قبائل المغاربة بزعامة صالح الأطيوش وقبائل أولاد سليمان بزعامة عبد الجليل سيف النصر، ودور حمد بك سيف النصر، وبعض اللاجئين إلى تلك الجهات من قبائل العواقير بزعامتي عبد السلام باشا الكزة، والشيخ سليمان رقرق، ودخلت هذه القبائل في معارك بجهات الخشة وكانت الغلبة فيها للجيش الإيطالي الزاحف فالتجأ المجاهدون إلى منطقة الهاروج من الصحراء ومن ثم اشتركوا مع العدو في معارك عنيفة منها معركة الهاروج، ومعركة جبل السوداء، ومعركة قارة عافية وكان من بين

(١) انظر: عمر المختار، ص (٧٠) .

من حضروا هذه المعركة الأخيرة السيد محمود بوقويطين أمير اللواء وقائد عام قوة دفاع برقة في زمن المملكة الليبية المتحدة، والسيد السنوسي الأشهب [١] .

كانت القيادة الإيطالية حريصة على الاستيلاء على فزان فخرجت في أواخر يناير ١٩٢٨م قوتان . . إحداهما من غدامس والأخرى من الجبل الأخضر، وكان الجيش بقيادة غرسياني والتحم المجاهدون مع ذلك الجيش في معركة دامية استمرت خمسة أيام بتمامها، انهزم فيها الطليان شر هزيمة فتقهقروا تاركين ما لديهم من مؤن وذخائر ثم ما لبث أن خرجت قوة أخرى قصدت فزان مباشرة، فعلم المجاهدون بأمرها بعد خروجها بثلاثة أيام وانسحبوا إلى الداخل، حتى إذا وصل هذا الجيش الجديد إلى مكان يقع بين جبلين يعرفان بالجبال السود انقض المجاهدون على الطليان وأرغموهم على التقهقر، فعمل قواد الحملة إلى الفرار بسياراتهم تاركين وراءهم الجيش الذي وقه أكثره في قبضة المجاهدين فاستأصلوهم عن آخرهم، وعندئذ لم يجد الطليان مناصًا من أن يجددوا محاولتهم، فخرجت هذه المرة قوات عظيمة من جهات متعددة غير أن الطليان ما لبثوا أن انهزموا في هذه المعارك وتركوا وراءهم غنائم وأسلابًا كثيرة [٢]، وجدد الطليان المسعى وخرجوا من الجفرة في ٣ فبراير ١٩٢٨م بجيش كبير وزحفوا على زلة واحتلتها في ٢٢ فبراير وواصلت القوات الإيطالية سيرها واحتلت آبار تتقرفت في ٢٥ فبراير واستمرت العمليات وانتهت باحتلال مراده، وأصبحت زلة وجالو، وأوجلة ومراده تحت سيطرتهم، ومما ساعد الطليان على احتلالهم لتلك الواحات سقوط الجغبوب قبل ذلك في أيديهم، وسياستهم الرامية لتفتيت الصف بواسطة بعض عملائهم، وكان الطليان يبذلون الأموال والوعود لزعماء القبائل، لوقف القتال وقد نجحوا في ذلك نجاحًا كبيرًا .

كان احتلال الجغبوب، جالو، أوجلو وفزان وغيرها من الواحات قد جعل عمر المختار في عزلة تامة في الجبل الأخضر، ومع هذا ظل عمر المختار يشن الغارات

---

(١) انظر: عمر المختار، للأشهب، ص (٧٣) .

(٢) انظر: حياة عمر المختار، لمحمود شلبي، ص (١١٤، ١١٥) .

على درنة وما حولها حتى أرغم الطليان على الخروج بجيوشهم لمقابلته، فاشتبك معهم في معركة شديدة استمرت يومين كان النصر فيها حليفه وفرّ الطليان تاركين عدداً من السيارات والمدافع الجبلية وصناديق الذخيرة والجمال، ودواب النقل [١] .

وكانت القبائل تتعاون مع قائد حركة الجهاد تمده بالرجال، والمؤن والمعلومات، وعلى سبيل المثال كان حامد عبد القادر المبروك من شيوخ قبيلة المسامير يمد المختار بالمعلومات المهمة دون تأخر، ويشارك في عمليات الجهاد مع أبناء قبيلته بدون علم الطليان، ويرجع من كتبت له الحياة إلى موطنه ويستشهد من يستشهد، وكان زعماء القبائل التابعة للحركة السنوسية يجمعون الأعشار والزكاة ويمدون بها حركة الجهاد بالرغم من وجود الكثير منهم تحت السلطات الإيطالية وخصوصًا من كان في المدن كبنغازي، والمرج، ودرنة، وطبرق وغيرها، وكانت وسائل مد المجاهدين بأموال الزكاة والأعشار تتم في غاية السرية وعجزت المخابرات الإيطالية عن اكتشاف اللجان الخاصة بالدعم المالي للمجاهدين، ومن وقع في أيدي السلطات الإيطالية كانت عقوبته الإعدام وكانت الغنائم تمثل مصدراً مهمًّا لتمويل حركة الجهاد في فترة عمر المختار، ومعظم الغنائم تم الحصول عليها في المعارك التي تمكن فيها المجاهدون من هزيمة الإيطاليين؛ مثل معركة الرحيبة في مارس ١٩٢٧م [٢] وقد وصف حافظ إبراهيم هذا المصدر في أبياته الشعرية فقال:

حاتم الطليان قد قلدتنا ... منة نذكرها عامًا فعامًا

أنت أهديت إلينا عدة ... ولباسًا وشرابًا وطعامًا

وسلاحًا كان في أيديكم ... ذا ملال فغدا يفري العظاما

أكثروا النزهة في أحيائنا ... وربانا إنها تشفى السقاما

لست أدري بت ترعى أمة ... من بني الطليان أم ترعى سواما [٣]

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص (١١٤) .

(٢) انظر: عمر المختار، نشأته وجهاده، عقيل البربار، ص (٨٢،٨٣) .

(٣) انظر: عمر المختار، للأشهب، ص (٩١) .

وقال الأستاذ أحمد كاشف ذو الفقار:

يآل رومة تطلبون أمانيًا ... ختالة أم تطلبون منونا

جئتم تجرون الحديد ورحتم ... بحديدكم في اليم مغلولينا

ورقصتم فيه سكارى فارقصوا ... في الليلة السوداء مذبوحينا

لكن استفزكم صليل سيوفكم ... فلقد تبدل زفرة وأنينا

إلى أن قال:

هاتوا الذئاب إلى الليوث فخمسة ... منهم أبادوا منكم خمسينا

واستجمعوا حيتانكم ونسوركم ... فالصائدون هناك مرتقبونا

واستكثروا الذار الشهي فإنكم ... وسلاحكم والزاد مأخوذينا

لم يبق منهم معسر أو أعزل ... بعد الذي غنموه منتصرينا

واستكملوا المدد الكبير بفتية ... سيقوا إلى الهيجاء هيابينا

أحسبتم بطحاء برقة حانة ... لكم وغزو القيروان مجونا [1]

وكانت كل عائلة قد أخذت على عاتقها تزويد مجاهديها بما يلزم من شئون وملابس، ترسله شهريًا إلى الدور (المعسكر).

وكان الأمير إدريس يتحين الفرص لتزويد المجاهدين فقد ذكر الأشهب بأن قافلة وصلت المجاهدين قادمة من مصر وكان فيها سليمان العميري (من قبيلة أولاد علي) وبومنيقر المنفى (من رفاق عمر المختار) يحملان رسائل من سمو الأمير، وكانت القافلة محملة بالأرز والدقيق والسكر والشاي وبعض الملابس، وكان الطيب الأشهب موجودًا في معسكر المجاهدين وقت وصول القافلة [2] وقد ذكر صاحب كتاب «حياة عمر المختار» بأن القافلة استطاعت أن تخرج من السلوم محملة بمختلف العتاد والمؤن

---

(١) انظر: عمر المختار، للأشهب، ص (٩٥).
(٢) المصدر السابق نفسه، ص (٧٩).

قاصدة معسكر المجاهدين في الجبل الأخضر، فعلم الطليان بذلك وأرسلوا سياراتهم المسلحة لتعقبها، ولكنَّ المجاهدين صمدوا لهم، وأطلقوا رصاص بنادقهم على العجلات فتعطلت السيارات، وعندئذ انقض المجاهدون على القوة الإيطالية فأبادوها عن آخرها وكان ذلك في عام ١٩٢٨م [1] . وكان المجاهدون يستفيدون من تلك المصادر ويقومون بشراء حاجيات المجاهدين من الأسواق في المدن والقرى، ويشترون ما يلزمهم من المؤن والأسلحة ويجمعون المعلومات عن تحركات العدو العسكرية، كل هذه الأعمال يقوم بها أتباع عمر المختار وبمساعدة سكان المدن والقرى الذين يخفون المجاهدين في بيوتهم ومخيماتهم، وكان المتطوعون يتدفقون على معسكرات الجهاد، وكانوا يعتمدون على أنفسهم في توفير السلاح ووسيلة الركوب والتموين، وكان نظام الأدوار (المعسكرات) يتميز بالآتي:

١- يلتزم كل دور بتوفير التموين اللازم لأفراده، فهم بالإضافة إلى اشتراكهم في عمل واحد، هم أبناء عشيرة واحدة مترابطة، ويوجد بالدور أشخاص، مكلفون بجباية الزكاة وجمع الأعشار، وهؤلاء يقومون بعملهم بناء على تكليف كتابي من عمر المختار وهم بدورهم يجرون اتصالات (كوشان) بقيمة المبالغ والأشياء التى استلموها .

وقد عين لكل دور رئيس إدارة يشرف على تموين الدور من حيث التوزيع والتخزين والتدبير وتسلم الأموال والتبرعات التي تصل لقيادة الدور، فقد عين عمران راشد القطعاني رئيسًا لإدارة دور البراعصة والدرسة، وعين التواتي العرابي رئيسًا لإدارة دور العبيدات والحاسة، وعين الصديق بو هزاوي مأمورًا للأعشار ويتبع عمر المختار مباشرة، وعين داود الفسي رئيسًا لإدارة دور العواقير [2] .

٢- يقوم كل دور بتعويض الشهداء من المقاتلين بآخرين من قبائلهم وهكذا لا يتأثر الدور كثيرًا لفقد الشهداء، فبعد كل معركة يتم حصر الشهداء وإلى أي القبائل

---

(١) انظر: حياة عمر المختار، لشلبي، ص (١١٧،١١٨) .

(٢) انظر: عمر المختار ، نشأته وجهاده، ص (١٠٥) .

ينتمـون ثم يرسل إلى كل قبيلة العـدد الذي يجب أن تعوضه عن شـهدائنا، وإذا لم تجد العدد المـطلوب تدفع لقيادة الجهـاد ١٠٠٠ فرنك عن كل شهيـد لكي يجند بها العدد اللازم .

٣- تتبارى مجـموعات القبائل في تقديم البطولات والتضـحيات حتى لا تكون موضع سخرية واستهزاء أمام بقية القـبائل، وكان المجاهد الليبي يغضب غضبًا شديدًا ويحزن إذا فـاته الاشتراك فـي إحدى المعارك أو تخلف عنهـا لسبب من الأسـباب، وإبراهيم الفيل العريبي نموذج لهؤلاد فقد فاته أن يشـارك في معركة بلال فحزن حزنًا شديدًا، إلا أن قادة الجهاد طمأنوه وقالوا له: إن أيام الجـهاد كثيرة، وفي اليوم التالي جرت معركـة البريقة فاشترك فـيها وهجم بفرسه على سيـارات الأعداء وصار يقاتل حتى أكرمه الله بالشهادة .

٤- يسـهل على كل دور توفـير الحـمـاية اللازمـة لذويه عن طريق الدوريات، والرباطات التي تراقب تحركات القـوات الإيطالية أو أية تحركات غير عـادية لمعرفتهم بمسالك المنطقة ودروبهـا وأماكن المياه بها، فعندمـا يحل الدور بمنطقة ما يضع دورية في كل اتجاه لتراقب وضع القـوات الإيطالية في تلك المنطقة وتغطي أخبار تحـركاتها للمجـاهدين أولاً بأول حتى يكونوا على علم باتجـاه وتحركات العـدو، وحين يلتقي أفراد الدورية بالأعـداء يطلقون ثلاث إطلاقات وعند سـماع تلك الإطلاقات يستـعد الجميع لملاقاة الأعداء في الجهة التي سمع منها إطلاق الرصاص .

كمـا تقوم دوريات أخري تعـرف باسم (الرباط) بمراقبة الإيطاليين في مـراكزهم التي يحتلونها للحـصول على معلومات عن تحركـاتهم عن طريق الأهالي الموجودين داخل تلك المدن، وكـثـيرًا مـا يتـعـرض بعض هؤلاء الأهالى بسـبب تعـاونهم مع المجاهدين لعـقوبة الإعدام، كـما حدث مع سلـيمان بن سـعيد العـرفي الذي أدانته المحاكم الإيطالية بالتعاون مع المجاهدين وحكمت عليه بالإعدام، فأعدم شنقًا [1].

كان نظام الأدوار يقوم على أسـاس قبلي ويعتبـر الدور وحدة عسكرية وإدارية،

---

(١) انظر: عمر المختار، نشأته وجهاده، ص (١٠٦) .

واجتماعية يرأسها قائمقام، وتـتمثل فيه السلطة الإدارية والعسكرية يساعده قومانداان (قائد) أو أكثر حسب حجم الدور والقبائل المنضوية تحته .

وقد استخـدم عمر المختار النظام العسكري العـثماني، فبالإضافـة إلى القائمقام والقومانداان هناك الرتب الآتية:- بـكباشي - يوزباشي - ملازم أول - ملازم ثاني - كوجك ضابط (ضابط صغير) باش شاوش - شاوش - أمباشي .

وكانت الترقيـات تتم على أسس ميدانية بناء على ما يقدمـه الشخص من أعمال وبطولات في ميـادين المعارك والمواقف الدقيقـة، إذ يرفع إلى عمر المختـار تقرير من الرئيس المباشـر بشرح الحالة التي اسـتحق عليها المعـنيُّ الترقية، ويصـدر بذلك أمر كتابي من عمر المختار على بقية المجاهدين [١] .

وكان هـناك مجلس أعلى يرأسـه المختـار يتكون من: يوسف بورحيل، حـسين الجويفي، الفضيل بو عمر، محمد السركسي، موسى غيضان، محمد مازق، محمد العلواني، جربوع سويكر، قطيط الحاسي، رواق درمان وفي حالة غياب عمر المختار يرأس المجلس يوسف بو رحيل [٢] .

وكان لكل من الأدوار مجلس يتكون من مـشايخ القبائل وأعيـانها من المعروفين بالحكمـة وسداد الرأي: ومهـمة هذا المجلس اسـتشـارية وهو في حالة انعـقاد دائم لمواجهة الطوارئ والإسهام في حل المشاكل التي قد تحدث بالدور [٣] .

تاسعًا: معركة أم الشافتير (عقيرة الدم):

استـمر المجاهدون في الجـبل الأخضر يشنون الـهجمات على القـوات الإيطالية وحققوا انتصارات رائعة من أشهرها مـوقعة يوم الرحيبة بتاريخ ٢٨ مارس ١٩٢٧م[٤] جنوب شرقي المرج وقرب جردس العبيد، ووقعت بعد مـعركة الرحيبة معارك ضارية

(١) انظر: عمر المختار، نشأته وجهاده، ندوة علمية، ص (١٠٠) .
(٢) انظر: برقة العربية ، للأشهب، ص (٤٢٥) .
(٣) انظر: عمر المختار، نشأته وجهاده، ص (١٠٢) .
(٤) انظر: معجم معارك الجهاد، خليفة التليسي، ص (٧٩) .

في بئر الزيتـون ١٠ محرم ١٣٣٥هـ، ١٠ يوليو ١٩٢٧م، ورأس الجـلاز ١٣ محرم ١٣٣٥هـ، ١٣ يوليو ١٩٢٧م .

أراد الإيطاليون أن ينتـقموا لقـتلاهم في معـركة الرحيبـة، فشرعت تعـد العدة للانتقام لقـتلاها الضباط الستـة وأعوانهم المرتزقة البالغ عـددهم (٣١٢) في محاولة لإعادة مـعنوياتهم المنهارة نتيـجة لتلك الهزيمة الساحـقة تم إعداد الجيـوش الجرارة، لتتخذ من الجبل الأخضر قاعدة لها علي النحو التالي [١] :

١- الجنرال مازيتي القائد العام للقوات الإيطاليـة قائدًا لإحدى الفرق فوق الجبل الأخضر ٨ يوليو من مراوة:

أربع فرق أرترية - فرقة ليبية - أربع فرق - خيالة - بطارية أرترية .

٢- الكورنيل إسبيرا إنذائي: ٨ يوليـو من الجراري (جردس الجراري) أو جردس البراعصة أربع فرق أرترية - فرقة ليبية - بطارية ليبية - فرقة غير نظامية .

٣- الكورنيل منتاري: ٨ يوليو من خولان - فرق أرتريا - فرق غير نظامية .

٤- الماجور بولي: ٩ يوليـو غوط الجمل - فرقـة مهما ريسـتا - فرقة سـيارات مصفحة - نصف فرقة ليبلير - فصيلين قناصة على الدبابات .

ويضاف إلـى تلك الاستعـدادت سلاح الطيـران الذي انطلق من قواعـده بالمرج ومراوة وسلنطة .

وقد كانـت قوات الإيطاليين ضخمـة مما تدلنا على خوفهم ورهبتـهم من قوات المجاهدين .

كان عـدد المجاهدين ما بين ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ مـجاهد [٢] منهم حوالي ٢٥٪ من سلاح الفرسان ويرفقهم حوالى ١٢ ألف جمل [٣] ،ما يثقل تحركاتهم من النساء

---

(١) انظر: جذور النضال العربي، محمد عبد الرزاق مناع، ص (١٣٠) .
(٢) انظر: جذور النضال العربي، ص (١٣٧) .
(٣) انظر: مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، السنة السادسة، عام ١٩٨٤م، ص (٩) .

والأطفال والشيوخ والأثاث علمت إيطاليا بواسطة جواسيسها بموقع المجاهدين في عقيرة أم الشفاتير فأرادت أن تحكم الطوق على المجاهدين فزحفت القوات الإيطالية نحو العقيرة بعد مسيرة دامت يومين كاملين واستطاعت أن تضرب حصاراً حول المجاهدين من ثلاث جهات، وبقوات جرارة تكونت من حوالي (٢٠٠٠) بغل ٥٠٠٠ جندي، ١٠٠٠ جمل بالإضافة إلى السيارات المصفحة والناقلة .

علم المجاهدين بذلك وأخذوا يعدون العدة لملاقاة العدو فأعدوا خطة حربية وقاموا بحفر الخنادق حول أطراف المنخفض ليستتر بها المجاهدون وخنادق أخرى لتحتمي بها الأسر من نساء وأطفال وشيوخ، وتم ترتيب المجاهدين على شكل مجموعات حسب انتمائهم القبلي، ووضعت أسر كل قبيلة خلف رجالها المقاتلين، وكان قائد تلك المعركة التقي الزاهد الورع الشيخ حسين الجويفي البرعصي، وكان عمر المختار من ضمن الموجودين في تلك المعركة .

كان الشيخ حسين الجويفي ممن تجرد للجهاد في سبيل الله وطلب رحمة الله تعالى وكان يقول: (أنا لا أريد قيادة ولا منصبًا بل أريد جهاداً رغبة في ثواب الله تعالى) [١] .

كان ذلك الصنديد محل تقدير من قبل إخوانه. قال في حقه قائده الأعلى عمر المختار عقب استشهاده: أتذكر حسين الجويفي عند اللقاء مع العدو أو عند قراءة القرآن الكريم وقت الورد [٢] .

كما عرف عنه أنه لم يبرح فرسه يومًا أثناء المعركة لينال من أسلاب العدو، بل يتركها للمجاهدين لعفته وقناعته بما يملك من أموال ومواشٍ .

لقد أسندت إليه قيادة المعركة لمعرفته بشعاب ودروب المنطقة التي كان يسكنها مع كونه أحد قادة الجهاد، وأحد المستشارين لعمر المختار، وقائمقام البراعصة والدرسة في فترة سابقة، فكان في تلك المعركة فوق جواده يجوب الميمنة والميسرة والقلب

---

(١) انظر: مجلة البحوث، السنة السادسة، ١٩٨٤م، العدد الأول، ص (١٠) .

(٢) المصدر السابق نفسه، ص (١٠،١١) .

وهو عاري الرأس لا يخشى الموت يوزع صناديق الذخيرة على المقاتلين تارة ويطلق عبارات التشجيع مرة أخرى، ويقوم بتحريك جبهات القتال، وتنظيم هجومات المجاهدين، وترتيب صفوفهم .

وسقط الشهداء واشتدت المعركة، وارتفعت درجة حرارة البنادق بسبب استمرار إطلاق العيارات النارية واستعمل المجاهدين الخرق البالية لتقيهم حرارة مواسير البنادق التي لا تطيقها يد المجاهد . وكان بعض المجاهدين يملك بندقيتين يستعمل الواحدة مدة ثم يتركها حتى تبرد ويتناول الأخرى .

وخصص القائد حسين فرقة من المجاهدين للتصدي للمصفحات المهاجمة من الجنوب وعددها ثلاثون مصفحة، ولعب كومندار طابور المعية المجاهد سعد العبد السوداني دورًا بارزًا وأظهر شجاعة نادرة بأن قاد تلك الفرقة المواجهة للمصفحات الإيطالية وتمكن من تدمير أغلبها مع رجاله وانتزع المجاهد رمضان العبيدي العلم الإيطالي من على إحدى المصفحات، وبدأ الجيش الإيطالي في التقهقر ودخل الرعب نفوس ضباطه وجنوده الذين وجدوا فرصة الحياة في الهروب وبالرغم من قصف الطائرات إلا أن الإيمان القوي، واحتساب الأجر عند الله كان دافعًا مهمًا لدى المجاهدين .

كانت خسائر المجاهدين في الأرواح ٢٠٠ شهيد من بينهم القائمقام محمد بونجوي المسماري الذي استشهد في اليوم الثالث أثر إصابته بجرح مميت، وكانت له مكانة عظيمة في نفوس المجاهدين ووالد زوجة عمر المختار الذي بكاه بكاءً حارًّا وقال بعد أن سمع باستشهاده (راحو الكل يا عين الجيران وأصحاب الغلا) [(١)] .

واستشهد كل من جبريل العوامي، وستة من قبيلة العوامة، ومحمد بو معير الدرسي والشلحي الدرسي، ومحمد الصغير البرعصي وفقد المجاهدون في تلك المعركة عددًا كبيرًا من الإبل والمواشي وتم حرق بعض الخيام من جراء الغارات الجوية .

---

(١) انظر: برقة العربية، ص (٤٤٠) .

ومكث المجاهدون طيلة الليل يدفنون الشهداء وينقلون الجرحى، وقبل بزوغ الفجر رحلوا عن ذلك الموقع، بهدف الإعداد والاستعداد للقاء العدو في موقع جديد من مواقع القتال [١] وأصبحت القوات الإيطالية كما يقول تيروتسي: (أصبحت الآن منهوكة القوى تخور إعياء من شدة المعارك المستمرة منذ فترة طويلة دون توقف..)[٢] .

وكانت نتائج تلك المعركة فيما يلي:

١- كانت معركة أم الشفاتير بداية نقطة فاصلة في اتباع استراتيجية جديدة عند عمر المختار، وهي ضرورة إعادة تنظيم المجاهدين على هيئة فرق صغيرة [٣]، تلتحم مع العدو عند الضرورة، وتشغله في أغلب الأوقات مما يقلل في عدد الشهداء أثناء المعارك ويلحق الخسائر الفادحة بالأعداء وفق التكتيك الجديد لحرب العصابات (اهجم في الوقت المناسب وانسحب عند الضرورة) .

٢- لمح عمر المختار بنظره الثاقب ملامح السياسة الفاشستية الجديدة وهي الإبادة والتدمير (للمصالح والرجال)، فاتخذ إجراءات ترحيل النساء والأطفال والشيوخ إلى السلوم لحمايتهم من الغارات الجوية الإيطالية، وتيسيراً لسهولة تحرك المجاهدين وفق ما يتطلبه الموقف الجديد .

٣- كما سُمِحَ لأحد الأخوين بالهجرة للمحافظة على وريث لهما فيما بعد حتى يكون دائمًا هناك من يطالب بحقوقه ويزعج المستعمرين الطليان، وللتعريف بالقضية الليبية بتلك البلدان ونتج عنه فيما بعد تشكيل الجاليات الليبية في الخارج [٤] .

٤- أيقن الإيطاليون أنه لا جدوى من الاستمرار في العمليات العسكرية ضد المجاهدين، مما كان سببًا في توقفها طيلة سنة ١٩٢٨م [٥] . لقد تحققت لموسليني ما

---

(١) انظر: مجلة البحوث، السنة السادسة، ١٩٨٤م، العدد الأول، ص (١٦) .
(٢) المصدر السابق نفسه، ص (١٦) .
(٣) انظر: تاريخ ليبيا، جون رايت، ص (١٥٣) .
(٤) انظر: كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام، (١٩٢-١٩٥) ، تيسير بن موسى .
(٥) انظر: مجلة البحوث، السنة السادسة، ١٩٨٤م، العدد الأول، ص (١٧) .

قاله من قبل: (إننا لا نحارب ذئابًا كما يقول غـرسياني بل نحارب أسـودًا يدافعون بشجاعة عن بلادهم . . إن أمد الحرب سيكون طويلاً) [١] .

عاشرًا: استشهاد حسين الجويفي والمختار بن محمد في معركة أبيار الزوزات ١٣/ ٨/ ١٩٢٧م:

استشهد الشيخ حسين الجويفي رئيس دور البراعصة، وكان صاحب مكانة عظيمة عند المختار [٢]، كان حسين الجويفي سباقًا للخيرات، حريصًا على الشهادة في سبيل الله، وكان يحرص على الخروج للمعارك مع مرضـه حتى أن عمر المختار في إحدى المعارك طلب منه أن يبـقي حفاظًا على صحتـه وقال له (الجايات أكثـر من الفايتات) والطليان لمحاربينا ونحن لا نبطل الهجوم عليهم وستشبع من القتال فأيامه كثيرة [٣] .

لقد تأثر عمر المختار لاستشهاد القائد العظيم الجويفي ووقف عند قبره وقال:

شهير لَسَم وَاف الديـن　　　تمًّا غفير في فاهق خلا

لقد فقد عمر المختار عددًا كبـيرًا من رفاقه الأبطال الذين وقعوا شهداء في ساحة الوغى وكان من بينهم المخـتار ابن شقيـقه محـمد فشق عليه فـقده رغم أنه لا يزيد مكانة عند عمـه السيد عمـر المختار أكثر من إخـوانه المجاهدين، لقد كـان ابن أخيه عائلاً له يهتم بشئون أسرة عمر المختار ويشرف على شئونه الخاصة وخدمته الشخصية وكان بمثابة الابن حيث لم يكن لعمر ابن يتولي شـئون العائلة لأن ابنه الوحيد محمد صالح كان لا يزال طفـلاً، ثم إن السيد عمر المختـار تعود مصاحبة الفـقيد منذ سنة ١٩١٦م وإلى جانب كل ذلك فإنه من أبطال الجهاد ومن الأبناء البررة . لقد احتسب المختار وأظهر التجلد وصبر صبرًا جميلاً وكان يقول لكل من جاء لتعزيته:

إن كل فرد من رفاقي المجـاهدين هو عندي بمنزلة المختار . إنني فقدت مـختارًا

(١) انظر: عمر المختار، نشأته وجهاده، ص (١٤) .
(٢) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٢٨٤) .
(٣) انظر: عمر المختار للأشهب، ص (٨١) .

واحدًا، ولكنني أعيش بين عدد من المختارين كل منهم يملأ مكان ابن أخي وردد قول الشاعر الشعبي:

الدنيا أمفيت الله من واليها — وين الصحابا قبلنا أو نبيها

وين بون يا دم — وين الشيوخ اللي كبار مقاوم

اللّي يندهوا للعبد هو والخادم — وَنْ جاهم الطالب حاجتا يقضيها

ومعنى الأبيات:

أن الله سبحانه وتعالى ولي الدنيا ووارثها وكل ما في هذه الدنيا مصيره الفناء، فأين رسول الله وصحابته وهم أكرم خلق الله عليه، وأين السادة الكبار الذين سبقونا وكان من شمائلهم المناداة للخدم من أجل خدمة الضيف وكل من جاء يطلب حاجة تقضي له، ومما قاله عمر المختار من الشعر:

يا عين كفى راه يومك قادم — صيور البنا دم حفرتا ماليها

ومعنى البيت أنه يخاطب نفسه بأن تكفى عن البكاء لأن أجله في طريقه إليه ومصير بني آدم هو تلك الحفرة (القبر) التي يملؤها رفاته بعد الموت [١] .

* ■ *

(١) انظر: عمر المختار للأشهب، ص (١٠٠،١٠١) .

المبحث الثاني
استمرار العمليات والدخول في المفاوضة

في سبتمبر عام ١٩٢٧م غزت جموع الزاوية الجخرة ومرسي بريقة وجالو وأوجلة، وأنزلوا بالطليان خسائر فادحة، واشتدت مقاومة المجاهدين في الجبل الأخضر على الرغم من احتلال الطليان للواحات ومراكز السنوسية الهامة، فلم يعد هناك مناصًا من أن يعيد الطليان النظر في خططهم، مما أدى إلى وقوع أزمة كبيرة في روما، وبدأت الحكومة تبحث بصورة جدية وسائل إخماد المقاومة وترسم الخطط السياسية الجديدة التي ترى ضرورة التقيد بها في كل من برقة وطرابلس، وقد اضطر فيدرزوني وزير المستعمرات، وديبونو والي طرابلس وتيروتزي والي برقة للاستقالة في ديسمبر ١٩٢٨م، فعين ديبونو وزيراً للمستعمرات وأعلن موسوليني توحيد الإدارة في القطرين الليبين، وعين الماريشال بادوليو حاكمًا على طرابلس وبرقة .

كان مجيء بادوليو إلى ليبيا بداية مرحلة الجهاد الحاسمة بالنسبة للمجاهدين وكان تاريخ تعيينه في شهر يناير من عام ١٩٢٩م وكان برنامجه الجديد يتلخص في تخفيض الجيش إلى القدر الذي يكفي للقيام (بحرب العصابات) والمحافظة على هيبة الحكومة مع إنفاق الأموال المتوفرة في مد الطرق في الجبل الأخضر مما يسهل عليه التنقلات العسكرية، فإذا ما تم له ذلك قام بهجوم شامل كاسح على المجاهدين يقضي على المقاومة نهائيًا، ومن أجل ذلك سعت إيطاليا إلى مفاوضة السيد عمر المختار لتهدئه الأحوال [1]، فكان برنامج بادليو مبنيًا على كسب الوقت أولاً ثم العمل رويدًا رويدًا من أجل تقوية المراكز المحتلة .

واهتم بادوليو بكسب الرأي العام وتخويفه، فأعلن العفو عن الأفراد الذين يسلمون أنفسهم وسلاحهم مختارين للحكومة، ويتوعد كل معاند بالعقوبة الصارمة وقد أسقطت الطائرات هذا المنشور من الجو على البلدان والقرى والنجوع في أنحاء

---

(١) انظر: حياة عمر المختار، ص (١١٩) .

ليبيا جميعها وكان لهذا المنشور آثار مباشرة، فظن بعض زعماء ليبيا بمدينة طرابلس الضعف ووهن العزيمة في الحكومة وقام أحمد سيف النصر ومحمد بن الحاج حسن (من قبيلة المشاشة) بالزحف على منطقة القبلة لجمع البدو المحاربين وإرسالهم إلى الجبل الأخضر حتى يعززوا قوات المجاهدين في الجبل ويرغموا الحكومة على اتخاذ لهجة متواضعة عند بدء المفاوضات مع عمر المختار وصحبه، وشرع صالح الأطيوش ينظم في جبل الهروج جماعات من المحاربين للاشتباك مع الطليان في برقة أو في طرابلس وفي منتصف فبراير ١٩٢٩م نزلت قوات المجاهدين من الهروج الأسود للانقضاض على النوفلية من جانب وعلى إجدابية من جانب آخر، فاجتمعت من الجيفة ثم انقسمت ثلاث فرق التحمت إحداها مع الطليان في معركة عند قارة سويد في ٥ مارس، واشتبكت الثانية معهم في معركة كبيرة عن النوفلية في ١٤ مارس واتجهت الثالثة بقيادة عبد القادر الأطيوش من الجيفة صوب منطقة العقيلة في ٢٣ مارس، ثم استقر المجاهدون في جبل سلطان واضطر المجاهدون إلى الانسحاب أمام قوات العدو العظيمة صوب وادي الفارغ [(١)] .

كانت لتلك الأعمال أكبر الأثر في إقناع بادوليو بضرورة العمل فوراً من أجل استمالة المجاهدين إلى المفاوضة إذا أراد أن يضع برنامجه الواسع موضع التنفيذ فبدأ من ثم متصرف المرج الكولونيل باريلا من أوائل مارس ١٩٢٩م يطلب الاجتماع بالسيد عمر المختار للمفاوضة في شروط الصلح، وحدد باريلا موعداً للاجتماع غير أن باريلا لم ينتظر جواب المختار وأراد أن ينتهز فرصة اطمئنان المجاهدين لقرب بداية المفاوضات وانشغالهم بعيد الفطر المبارك، فانقض الطليان على المجاهدين وهم يقومون بصلاة العيد (١٣٤٧هـ) وردهم المجاهدون على أعقابهم، ولكن مناوشات صالح الأطيوش وجماعته ونشوب المعارك المستمرة اضطرت بادوليو إلى تحديد المسعى، فكلف متصرف درنة دودياشي لتمهيد المفاوضة مع عمر المختار وصحبه، فاتصل بالمجاهدين واقترح على السيد عمر أن يكون الاجتماع يوم ٢ مارس في منزل

---

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٣٢١) .

على باشا العبيدي للبحث في موضوع الصلح وأصر عمر المختار على أن تظهر الحكومة الإيطالية حسن نواياها ويكون ذلك بإطلاق السيد محمد الرضا وإعادته إلى برقة واضطرت الحكومة الإيطالية للرضوخ وأحضرت السيد محمد الرضا من جزيرة أوستيكا إلى بنغازي واجتمع بعد ذلك عمر المختار مع مندوب الحكومة دودياشي في منزل على العبيدي في ٢٠ مارس، وحضر الاجتماع عدد كبير من مشايخ البلاد وأعيانها ثم أجلت المفاوضة إلى أسبوع وانعقد اجتماع آخر في سانية القبقب ولم يستطيع المتفاوضون الوصول إلى نتيجة مجدية، واجتمع المختار مع باريلا في الشليوني في الجبل الأخضر في يوم ٦ إبريل ولم يصل المتفاوضون إلى نتيجة وفي ٢٠ إبريل عادت المباحثات في بئر المغارة (في وادي القصور)، وقد حضر هذا الاجتماع محمد الرضا والشارف الغرياني، وخالد الحمري، وعبد الله فركاش ورويفع فركاش وعلي باشا العبيدي وعبد الله بلعون مدير المرج، وحضر كل هؤلاء اجتماع المختار بالسيد رضا، ثم خير مندوب الحكومة عمر بين ثلاثة أمور:

الذهاب إلى الحجاز، أو إلى مصر، أو البقاء في برقة، فإذا رضي بالبقاء في برقة أجرت عليه الحكومة مرتبًا ضخمًا وعاملته بكل احترام ولكن المختار رفض هذه الشروط وكان السيد رضا يخضع لرقابة صارمة منعته من تبادل الرأي مع عمر المختار.

واستؤنفت المفاوضات في هذه المرة في مكان يسمى قندولة بالقرب من سيدي رويفع وحضر اجتماع قندولة باريلا، وكمباني وعدد من الضباط والأعيان وكان سيشلياني قد بيت النية على الإيقاع بالمختار وأسره، ولكن عمر المختار احتاط للأمر ولم يسفر هذا الاجتماع عن شيء .

وفي ٢٦ مايو بدأت المفاوضات من جديد، فحضر المختار إلى مكان قريب من القبقب . وفي هذا الاجتماع دارت المباحثات على أساس ما جاء في منشور بادوليو فعرض دودياشي شروط الحكومة وهي:

أولاً: عودة السيد إدريس وأحمد الشريف والسيد صفي الدين وسائر أعضاء الأسرة السنوسية إلى البلاد على أن يكونوا تحت إشراف الحكومة وأن يتم رجوعهم بترخيص من الحكومة بوصفهم مهاجرين يبغون العودة إلي أوطانهم وتعهدت الحكومة بمعاملتهم المعاملة اللائقة بهم على غرار ما تفعله مع السيد الرضا .

ثانيًا: احترام الزوايا وأوقافها ودفع المرتبات لشيوخها .

ثالثًا: إرجاع أملاك الأسرة السنوسية .

رابعًا: إعفاء الزوايا وأملاك السنوسية من الضرائب .

خامسًا: تسليم المجاهدين نصف ما معهم من أسلحة لقاء ألف ليرة إيطالية تدفع ثمنًا لكل بندقية يسلمونها، وعلى أن ينضم بقية المجاهدين المسلحين إلى المنظمات التي تنشئها الحكومة تحت إشرافها وإدارتها وذلك لمدة معينة تحددها الحكومة فيما بعد في نظير أن تعد أماكن لإقامتهم يسهل على الحكومة إمدادهم فيها بالمؤن فضلاً عن إحكام الرقابة عليهم .

سادسًا: إبعاد كل الإخوان السنوسيين من الأدوار وتتعهد الحكومة بإعطائهم المرتبات التي تناسب مراكزهم، فاعترض المختار على تسليم الأسلحة وحل الأدوار، وأصر على بقاء الأدوار تحت قيادة السيد حسن الرضا على أن يكون للحكومة نوع من الإشراف العام فحسب، وأيد رأي المختار عبد الحميد العبار، ورفض دودياشي عروض المختار وانفض الاجتماع على أن يعرض دودياشي هذا الحل - كما طلب المختار من نائب الوالي في برقة حتى يفصل فيه سيشلياني بنفسه [(١)] .

وبعد أربعة أيام فقط طلب دودياشي مقابلة المختار في قندولة (٣٠ مايو) فجاء المختار إلى نجع على العبيدي شيخ العبيدات بالقرب من القبقب، وحضر معه السيد حسن الرضا والفضيل بو عمر وعبد الحميد العبار وحامد القماص وآخرون ومعهم حرس يتألف من مائة وخمسين فارسًا وجاء من طرف الحكومة دودياشي وباريلا كما

---

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٣٩٢،٣٩٦) .

حضر هذا الاجتماع على العبيدي وخالد الحمري ورويفع فركاش، وأظهر فيها المختار استعداده للتفاهم طالما أنه يؤدي إلى المحافظة على كرامة السنوسية . وفضلاً عن ذلك فقد أصر المختار على عدم حدوث أي اتفاق بينه وبين الحكومة الإيطالية إلا إذا حضر مندوب عن الحكومة المصرية وآخر عن الحكومة السنوسية كدليل على رغبة الطرفين الصادقة في الاتفاق بصورة قاطعة ولكن دودياشي اعترض على هذا الطلب، وقال بأن الطليان معروفين بوفائهم للعهود وحفظهم للمواثيق، فرد عليه عمر المختار وذكر ما فعله الجنرال متأتي بقبيلة العبيدات، وهي من القبائل التي سالمت الطليان، عندما اغتصب هؤلاء كل ما تمتلكه هذه القبيلة حتى أنهم نزعوا حلي النساء من آذانهن، وذكر ما فعله لويللو مع أسرة إبراهيم من قبيلة العواقير، وقد سالم هؤلاء الطليان كذلك، فأخذ لويللو منهم أربعين رجلاً قتلهم رميًا بالرصاص ثم جعل السيارات تمر على جثثهم فما زالت السيارات تدهسهم ذهابًا وإيابًا حتى اختلطوا بالتراب، وتدخل بعض الحاضرين لتهدئة الموقف وتمسك المختار بحقوق الحركة السنوسية وزعامتها وأصر على أن يكون للقطر البرقاوي الطرابلسي نفس الامتيازات التي تتمتع بها جاراته مصر وتونس، وكان عمر المختار وحده هو الذي يتحدث، وأما سائر المجاهدين فقد صمتوا ثم قرر الذهاب إلى معسكره وقال: إذا أراد المتصرف دودياشي الحديث فإن موعد ذلك جلسة أخرى، وبعد أيام اتصل علي العبيدي بالسيد عمر، وقبل عمر المختار استئناف المفاوضة، فعقد اجتماع آخر في يوم ٧ يونيه حضره دودياشي وباريلا ثم سيشلياني الذي جاء الاجتماع موفدًا من قبل الماريشال بادوليو بغية الوصول إلى اتفاق حاسم مع العرب، وجدد الطليان عروضهم القديمة وتمسك المختار بمطالبه، وأصر على حضور مندوبين من قبل الحكومتين المصرية والتونسية ووعد سيشلياني بأن يحمل مطالب المختار إلى بادوليو . وفي ١٣ يونيه اجتمع نائب الوالي سيشلياني بالسيد عمر في قلعة شليوتي، وأظهر المختار رغبته الصادقة في الاتفاق إذا أقرت الحكومة الإيطالية مطالبه، وهي نفس المطالب السابقة وتأجل الاجتماع إلى يوم آخر حتى يتم الاتفاق النهائي بحضور والي طرابلس وبرقة

نفسه، وفي يوم ١٩ يونيه حضر الاجتماع سيدي رحومه المشهور بحضور بادوليو وسيشلياني وعدد من الطليان والأعيان كالشارف الغرياني، وعلي باشا العبيدي، وظل عمر المختار متمسكًا بضرورة حضور مندوبين عن الحكومتين المصرية والتونسية وعرض شروطه النهائية بحضور والي ليبيا، فقرأ الفضيل بو عمر هذه الشروط ووافق الطليان عليها، ثم تسلمها بادوليو ووعد بأن يعمل على حضور مندوبي الحكومتين المصرية والتونسية في اجتماع يحدد فيما بعد قريبًا، واتفق الفريقان على عقد هدنة لمدة شهرين حتي يتسنى لكل منهما مراسلة مرجعه (١) .

وقال بادوليو إنه على استعداد تام لقبول عودة أمير البلاد السيد محمد إدريس إلى برقة ما دام المختار والمجاهدون يصرون على ذلك .

وكانت الشروط التي عرضها المختار تكفل المحافظة على هوية الشعب وعقيدته ودينه ولغته، وتحفظ أوقاف الزوايا وتعطي عمر المختار الحق في أخذ الزكاة الشرعية من القبائل ومن أهم هذه الشروط:

١- أن لا تتدخل الحكومة في أمور ديننا، وأن تكون اللغة العربية لغة رسمية معترفًا بها في دواوين الحكومة الإيطالية .

٢- أن تفتح مدارس خاصة يدرس فيها التوحيد، والتفسير، والحديث، والفقه، وسائر العلوم .

٣- وأن يلغي القانون الذي وضعته إيطاليا والذي ينص على عدم المساواة في الحقوق بين الوطني والإيطالي إلا إذا تنجس الأول بالجنسية الإيطالية (٢) ، كما كانت شروط المجاهدين تنص على إرجاع جميع الممتلكات التي اغتصبتها الحكومة من الأهالي وإعطائهم مطلق الحرية في حمل السلاح وجلبه من الخارج إذا امتنعت الحكومة عن بيع السلاح لهم، كما نصت هذه الشروط على أن يكون للأمة رئيس

---

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٢٩٨) .

(٢) انظر: شروط عمر المختار في قضية ليبيا، ص (١١١-١١٤) .

منها تختاره بنفسها ويكون لهـذا الرئيس مجلس من كبار الأمة له حق الإشراف على مصالحهـا، كما يكون للقاضي الإسلامي وحده الفـصل بين المسلمين، وطالب عمر المختار بإعـلان العفو الشامل عن جميع من عـدتهم إيطاليا مجرمين سيـاسيين سواء كانوا داخل ليـبيا أم خارجهـا، وإطلاق سراح المسجونين، وسـحب كل المراكز التي استحدثها الطليان في أثناء الحـرب بما في ذلك مراكزهم في الجغبوب وجالو [١] كما اشترط بأن لزعماء المسلمين الحق في تأديب من يخـرج عن الدين أو يهزأ بتعاليمه أو يتهاون في القيام بواجباته [٢] . إن حرص عمر المختار على رفض الخضوع لأي إرادة أو سلطة غير سلطة الله وتضح في حياته، ويظهـر ذلك جليًا في شروطه، فقد كان دائمًا مصرًّا علي شرط تطبيق الشريعة الإسلامية بين المسلمين ورفض كل ما عداه من قوانين وضيعة في مفاوضاته [٣] .

أظهر بادوليـو قبـول الشروط ولكنه نكث بوعـوده وأخذ يستـعد للقـضاء على المجاهدين، وشرع الطليان يبذرون بذور الشـقاق في صفوف المجاهدين على أمل أن يضعـفوا من قوتهم، وفي اجـتماع سـيدي رويفع ادعى سيشـلياني أنه لا يمكن إبرام الاتفاق النهائي إلا في بنغازي [٤] .

أراد المجاهدون أن يقطعوا حجـة الطليان فاتفقوا على أن يحضر اجـتماع بنغازي السيد الحسن رضا السنوسي، وكان عمر المختـار مقتنعًا بعدم جدوى الاجتماع ولكنه اضطر مكرهًا، وعاد الحـسن يحمل شروطًا إيطاليـة مجحـفة فرفضـها عمر المخـتار والمجاهدون، وكتب المخـتار إلى نائب الوالي يخبره برفض الشـروط الإيطالية جملة وتفصيـلاً، ويلفت في هذه الرسالة نظر الحكومة الإيطالية إلى الشـروط السابقة التي تسلمها المارشـال بادوليو من السيد عمر نفـسه وقطع على نفسه عهـدًا بالإجابة عنها بعد دراستهـا إذ لا يوجد سبيل لحل المشكلة بدونها، وطلب عـمر في نفس الرسالة

---

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٢٩٨) .

(٢) انظر: عمر المختار، نشأته وجهاده، ص (٦٢) .

(٣) المصدر السابق نفسه، ص (٦٢) .

(٤) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٢٩٩) .

تحديد موعد لمقابلة الجنرال سيشلياني نائب الوالي، وفي حالة الرفض أو عدم الإجابة يكون السيد عمر المختار في حل مما قيدته به آداب المجاملة في انتظار نتيجة المفاوضات وسوف تعود الأمور لما كانت عليه، وكان جواب إيطاليا هو أنها على استعداد ولا داعي للإنذار بإعادة الحرب (١) .

لما ذهب الحسن بن الرضا إلى بنغازي تأثر ببعض أقوال الليبيين التابعين للحكومة الإيطالية وقبل أن يوقع على شروط الصلح التي خالفت ما طلبه المجاهدون، فلما رفض عمر المختار تلك الشروط عز علي الحسن أن ينقض المختار كلمته وانفصل بجماعته من البراعصة والدرسة، وكانوا يبلغون حوالي الثلاثمائة واتخذ مكانه في غوط الجبل وهو مكان قريب من مراكز الطليان في مراوة (٢) .

كان عمر المختار بجانب إيمانه الراسخ واسع الأفق عالمًا بواقعه مدركًا لما يجري حوله متابعًا له وقد كان ذلك أكبر عون له بعد الله على صحة مواقفه وقوتها التي فرضت الاحترام على أعدائه قبل أصدقائه، وما أعظم أن يجتمع الإيمان والفقه بالواقع، وما أقبح أن يتفرقا، ولئن كان هذا واضحًا جليًّا في كل المواقف التي خاضها عمر المختار رحمه الله وآرائه التي قالها إلا إنه يتجلى كأوضح ما يكون في إدراكه لعدم جدوى المفاوضات السياسية (٣) .

أولاً: النداء الأخير:

خاطب السيد عمر المختار المجاهدين وأبناء شعبة قائلاً: فليعلم إذًا كل مجاهد أن غرض الحكومة الإيطالية إنما هو بث الفتن والدسائس بيننا لتمزيق شملنا وتفكيك أواصر اتحادنا ليتم لهم الغلبة علينا واغتصاب كل حق مشروع لنا كما حدث كثير من هذا خلال الهدنة، ولكن بحمد الله لم توفق إلى شيء من ذلك . وليشهد العالم أجمع أن نوايانا نحو الحكومة الإيطالية شريفة، وما مقاصدنا إلا المطالبة بالحرية وأن

---

(١) انظر: عمر المختار للأشهب، ص (١١١، ١١٢) .

(٢) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٣٠٠) .

(٣) مجلة البيان، العدد الخامس عشر، ربيع الثاني، ١٩٨٨م، ص (٨٧) .

مقاصد إيطاليا وأغـراضها ترمي إلي القضاء على كل حركة قـومية تدعو إلى نهوض الشعب الطرابلسي وتقدمـه . . . فهيهات أن يصل الطليان إلى غـرضهم ما دامت لنا قلوب تعرف أن في سبيل الحرية يجب بذل كل مرتخص وغال، ثم ختم المختار هذا النداء بقوله: (لهذا نحن غير مسئـولين عن بقاء هذه الحالة الحاضرة على ما هي عليه حتى يتـوب أولئك الأفراد النزاعون إلى القـضاء علينا إلى رشدهم ويسلكوا السـبيل القـويم ويستـعملوا مـعنا الصراحـة بعد المداهنـة والخداع [1] . وقد نشـرت بعض الصحف المـصرية هذا النداء في ٢ يناير ١٩٢٩م . من كـان عبـدًا لله يستـحيل أن يرضى بأن يكون عبـدًا لحكومة ظالمة كافرة أو لدنيـا أو مال أو لهوى، فأكـثر الناس أحرار وتحـقيقًـا للحرية على مـفهومـها الصـحيح ذلك العبـد الذي رضى بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً .

ثانيًا: غدر وخيانة:

لقد نقضت الحكومة عهودها وغدرت بـالمجاهدين وكان السيد حسن الرضا أول من ذاق مرارة غدرهم، فقد غادر المعسكر في غـوط الجبل جماعة من عائلة عريف، وانتهـز الطليان هـذه الفرصة فـطلبوا من الحـسن أن يتقدم بـالدور إلى ناحيـة مراوة وأجاب الحسن رغبتهم، وعندئذ سيرت الحكومة قوة كبيرة على الدور لجمع الأسلحة من أتبـاعه بدعوى أن رجـاله قد (غـزوا) بعض الأهلين في مراوة . وأبـدى الحسن ورجاله معارضة شديدة، ولكن معارضتهم هذه سرعان ما أكدت للطليان - على حد قول هؤلاء - أن الدور كان مـركزًا لدعاية سنوسيـة خطيرة، وأن حل الدور قد بات لذلك أمرًا لا مناص منه ولا محيد عنه، وكـان مما جعل الطليان ينقلبون على الحسن أن امتنع في المدة الأخيرة عـن إجابة رغبتهم عندما طلبوا منـه الانتقال إلى بنغازي، وعلى ذلك فقـد اشتبكت القوات الإيطاليـة مع الدور في قتال عنيف ذهب ضحـيته كثير من المجاهدين ووقع الباقون في أسر هذه القوات، وفي ١٠ يناير ١٩٣٠م قبض الطليان على الحسن نفسه وساقوه أسيـرًا إلى بنغازي ثم ما لبثوا حتى نفوه إلى جزيرة

---

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٣٠٣) .

أوستيكا ثم إلى فلورنسه بعد ذلك وقد بقي الحسن منفيًا بهذه المدينة الأخيرة حتى وفاته في عام ١٩٣٦، وبعد ذلك اندلعت المعارك بين المجاهدين والطليان في الجبل الأخضر، وكانت الطائرات الإيطالية تلقي قذائفها على معسكرات المجاهدين ونشطت عمليات الطليان العسكرية بعد أن غدروا بالحسن وهاجموا دور المجاهدين في وادي مهجة (٢٨ يناير ١٩٣٠) وألقت الطائرات قذائفها على العرب، وانتشرت المعارك في منطقة الجبل حتى أقفلت جميع الطرق [١] .

ثالثًا: تعيين الجنرال غراسياني حاكمًا لبرقة ونائبًا للمرشال بادوليو الحاكم العام

كان الجنرال غراسياني عند قومه معظمًا ومقدمًا وقد قام بأعمال عسكرية في فزان شنيعة للغاية واستطاع أن يقضي على حركة الجهاد في فزان بدخوله غات في ٢٥ فبراير ١٩٣٠م وكان نصرانيًّا حقودًا على الإسلام والمسلمين لا يرقب في مؤمن إلاً ولا ذمة .

بعد بقائه في ليبيا لمدة تسع سنوات متتالية وبعد احتلاله الغاشم لفزان، دُعِيَ إلى إيطاليا لتشريفه وتكليفه .

ذكر في مذكراته وداعه لطرابلس فقال: (وداعًا طرابلس أرض آلامي وعذابي، غير أنه تبقى في روحي، وداخل نفسي ذكريات كل حجر مرتفع في جبالك، وفي صحرائك الواسعة، ولكن لن ينطفئ أبدًا ألمي وعذابي من أجل إفريقيا وأنت يا طرابلس ، وفي روما كانت تنتظرني الاحتفالات التي يطمع كل جندي مخلص أمين يحظى برضا وتصفيق الزعيم الدوتشي (موسليني) . . وقد نلت هذ وصفق الزعيم ومجلس الأمة الإيطالي لي في جلسة بتاريخ ٢١/ ٣/ ١٩٣٠م، هذا الاحتفاء وهذا الرضا، كان أعظم مكافأة في حياتي، فلقد جددت في نفسي حب العمل والتضحية في سبيل الواجب الكبير الذي ينتظرني في ليبيا بجسم متعب في الأعمال التي تحملها في الماضي، ولكن بالروح والقلب الحريص والحاضر للعمل . . وبعد أن

---

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٣٤) .

استملت التعليمات العليا سافرت على السفينة إلى برقة .. ويوم ٢٧/ ٣/ ١٩٣٠م وصلت بنغازي التي غادرتها سنة ١٩١٤م خلال الحرب العالمية الأولى وكانت رتبتي ملازم أول في الجيش الإيطالي) .

إن التعليمات التي صدرت عن رغبة الدوتشي، وقسمت ونظمت من قبل صاحب السيادة دي بونو (والفريق) الماريشال بادوليو، بيتوا فيها تصميم الحكومة الفاشستية القضاء المبرم على الحركة الوطنية (الثورة) مهما كلف ذلك وبكل الطرق والوسائل لأنها القضية البرقاوية [١] .

والتعليمات هي:

١- تصفية حقيقية لكل العلاقات بين الخاضعين وغير الخاضعين من الثوار سواء في قاعدة العلاقات الشخصية أو الأعمال والحركات التجارية .

٢- إعطاء الخاضعين أمنًا وحماية ولكن مراقبة لكل نشاطاتهم .

٣- عزل الخاضعين عن أي تأثير سنوسي ومنع أي كائن منعًا باتًا من قبض أي مبالغ من الأعشار والزكاة .

٤- مراقبة مستمرة ودقيقة في الأسواق وقفل الحدود المصرية بكل صرامة بحيث تمنع أي محاولة تموين لقوافل العدو (أي المجاهدين) .

٥- تنقية الأوساط المحلية التي توجد بها عناصر تدعي الوطنية ابتداءً بالمدن الكبيرة وخاصة بنغازي .

٦- تعيين عناصر غير نظامية من الطرابلسيين لكي يكونوا قوة مضادة للمجاهدين وتعني بتطهير الأقليم من كل تمرد أو ثورة .

٧- حركة دقيقة وخفية لكل قواتنا (الطليان) المسلحة في المنطقة لخلق جو مذبذب ضد كل (الأدوار)، والمعسكرات، والضغط عليها حتى تتكبد الخسائر وتشعر بأن قواتنا موجودة دائمًا وفي كل مكان مستعدة للهجوم .

---

(١) انظر: برقة الهادئة، للجنرال غراسياني، ص (٨٢، ٨٣، ٨٤) .

٨- الاتجاه السريع للاحتلال الكامل لكل أراضي مستعمرة الكفرة [١] .

هذا هو جزار ليبيا غراسياني الذي جاء محملاً لتنفيذ الأوامر السالفة الذكر من أسياده في روما الكاثوليكية الفاشستية الميكيافلية .

ومنذ عودة غراسياني إلى بنغازي، بدأ نائب الوالي الجديد يضع هذا البرنامج موضع التنفيذ من غير إبطاء معلنًا أنه سوف: (يتبع بكل إخلاص تعاليم الدولة الفاشستية ويسير على مبادئها، لأنه وإن كان قائد من قواد الجيش وأحد الرجال العسكريين إلا أنه يدين بمبادئ فاشستية محضة ويعلن هذه الحقيقة بكل وضوح وصراحة تامة) [٢] .

كان الجنرال غراسياني معروفًا بالعجرفة والطيش وبالجبروت الوهمي، وكان أول عمل قام به في الدوائر المدنية بعد وصوله هو استبدال الموظفين الإيطاليين بآخرين ممن يتمتعون بثقته عندما كان يعمل في طرابلس، كما جاء بقائد جديد للكربنير (الضابطية) هو الكولونيل كاستريوتا، وبالجنرال نازي ليكون مساعده الأول في القيادة العسكرية، واستعان بعصابة من المدنيين قد أخذوا ينفذون أهدافه الشريرة وأفكاره الشاذة بكل الوسائل ومن هذه العصابة الكمندتور موريتي (السكرتير العام) الكمندتور أجيدي متصرف لواء بنغازي، ثم بدأ زيارته للمناطق الخاضعة لنفوذ إيطاليا، وكانت السلطات تجمع لاستقباله جميع الأهالي بما في ذلك النساء والأطفال والعجزة، فيخطب فيهم متوعدًا ومهددًا [٣]، وكان يستفتح خطاباته الطائشة بقوله: (صموا أفواهكم ، افتحوا آذانكم) ليلقى الرعب في نفوس المستضعفين الذين استسلموا وخضعوا لإيطالية وكان قد ألقى كلمة تهديدية في جموع حشدتها السلطات في موقع (البريقة) استهلها بقوله:

(ما أنت إلا مثل سيجارة موقودة من الجانبين تلتهمها النار من هنا ومن هناك

(١) انظر: برقة الهادئة، ص (٨٤، ٨٥) .

(٢) انظر: عمر المختار، محمود شلبي، ص (١٢٦) .

(٣) انظر: عمر المختار ، للأشهب، ص (١٢٤) .

حتى تصبح رماداً، وها هو ذا أنا أولع السيجارة من جانبي ويوقدها عمر المختار من جانبه حتى يؤتي عليكم) [١].

وقال في خطاب ألقاه من شرفة قصره في بنغازي (تحت يدي وتصرفي باخرة تقف في الميناء وبأقل إشارة مني تنقل كل من أرى من الصواب نقله إلي إيطاليا وهذا أخف ما نعاقب به) [٢] وفي خطاب تهديدي آخر قال: (عندي لكم ثلاث حالات: الباخرة الموجودة في الميناء، وأربعة أمتار فوق الأرض مشيراً إلى - أعمدة المشنقة - ورصاص بنادق جندنا - مشيراً إلى القتل رمياً بالرصاص [٣]، لقد قام غراسياني وحكومته بحشد المجهودات الضخمة للقضاء على عمر المختار بالصورة التي كلفت الخزانة الإيطالية في سنة واحدة ما لا يقل عن النفقات التي تتكبدها دولة عظيمة لمجابهة دولة تماثلها في عدة سنوات .

فقد قال السنيور فيتيتي وكيل وزارة الخارجية في حديث له مع سماحة مفتي فلسطين الأكبر الأستاذ محمد أمين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين، وقد أورد سماحته هذا الحديث في مذكراته التي أخذت تنشرها جريدة أخبار اليوم، قال وكيل وزارة الخارجية المذكور: حقًّا أن ما وقع في ليبيا سبب لنا متاعب كثيرة، فعندما كانت السياسة الإيطالية تتأثر في الماضي كثيراً بالسياسة البريطانية قبل عهد الفاشيست خدعتنا إنكلترا وفرنسا فاستولت على أغنى وأغلى أقطار أفريقيا، وأغرتنا باقتحام ليبيا عام ١٩١١م، فلم نجنِ فيها رغم الجهود المضنية والخسائر الفادحة في الأنفس والأموال غير الرصاص والرمال، ولم نجنِ من ذلك إلا بغض العرب ومقت المسلمين لنا [٤] .

رابعًا: المحكمة الطائرة:

لم يمض على وصول غراسياني سوى أيام قلائل حتى أنشأ ما عرف في تاريخ

---

(١) انظر: عمر المختار ، للأشهب، ص (١٢٤) .
(٢) المصدر السابق نفسه، ص (١٢٤) .
(٣) المصدر السابق نفسه، ص (١٢٥) .
(٤) المصد السابق نفسه، ص (١٢٦) .

الاستعمار الإيطالي الأسود باسم المحكمة الطائرة (أبريل ١٩٣٠م)، كانت تلك المحكمة تقطع البلاد على متون الطيارات وتحكم على الأهالي بالموت ومصادرة الأملاك لأقل شبهة وتمنحها للمرتزقة الفاشست وكانت تلك المحاكم تنعقد بصورة سريعة وتصدر أحكامها وتنفذ في دقائق وبحضور المحكمة نفسها لتتأكد من التنفيذ قبل أن تغادر الموقع الذي انعقدت فيه لتنعقد في نفس اليوم بموقع آخر، وفتحت أبواب السجون في كل مدينة وقرية ببرقة وانتزعت الأموال من المسلمين بدون مبرر، ونصبت أعواد المشانق في كل من العقيلة، وإجدابية، وبنغازي، وسلوق، والمرج، وشحات ودرنة، وعين الغزالة، وطبرق، ولأتفه شبهة وأقل فرية يصدر حكم الإعدام وينفذ في حينه شنقًا أو رميًا بالرصاص، وكان مما قتل شنقًا أو رميًا بالرصاص في مدة لا تزيد عن شهرين من استلام غراسياني مقاليد الحكم في برقة: المشايخ بحيح الصبحي، على بويس العربي وابنه عبد ربه بوموصاخ، خير الله هليل، محمد يونس بوقادم، على حميد أبو ضفيرة، اثنان من قبيلة سعيد أشقاء حمد الرقيق، وهؤلاء من منطقة إجدابية، ثم محمد الحداد وابنه بنغازي، وعبد السلام محبوب من الإخوان السنوسيين، سليمان سعيد العرفي (المرج)، وخمسة عشر شخصًا بينهم الشيخ سعيد الرفادي (عين الغزالة وغيرهم كثير) [١].

خامسًا: عزل المجاهدين ووضع القبائل في معسكرات الاعتقال الجماعية:

بدأ غراسياني ينفذ سياسة عزل الأهالي الخاضعين عن المجاهدين، وشرع في جمع الإخوان السنوسيين من شيوخ الزوايا وأئمة المساجد ومعلمي القرآن بها مع ذويهم جميعًا وكل من تربطه بأحد هؤلاء أية صلة، وكذلك بمشايخ وأعيان القبائل وبكل من يربطه أي نوع من أنواع الصلات بأحد المجاهدين أو المهاجرين، جيء بهذه المجموعات يساقون إلى مراكز التعذيب ثم إلى السجون ولم يشفع في أحدهم سن الشيخوخة الطاعنة، أو الطفولة البريئة أو المرض المقعد، أو الضرر الملازم، وأنشئت معتقلات جديدة في بنينة والرجمة، وبرج توبليك، وخصص غراسياني مواقع

---

(١) انظر: عمر المختار ، للأشهب، ص (١٢٦، ١٢٧) .

العقيلة والبريقة من صحراء غرب برقة البيضاء، والمقرون وسلوق في أواسط برقة الحمراء لتكون مواقع الاعتقال والنفي والتشريد والتعذيب لجميع سكان منطقتي الجبل الأخضر والبطنان بصورة جماعية، وبغير سكان هذين المنطقتين ممن تحوم حولهم أية شبهة، أو تلفق ضدهم أقل فرية، وأمر بنقل قبائل هاتين المنطقتين المذكورتين إلى هذه المعتقلات الخاصة بهم ثمانين ألفًا، وما هي في الحقيقة إلا مقابر يدفن فيها الأحياء وأدًا، فخصص معتقل العقيلة والبريقة لقبائل العبيدات والمنفا، والقطعان، والشواعر، والمسامير، . . . ولبعض عائلات الإخوان السنوسيين بما في ذلك سكان الجغبوب، ولبعض من سكان مدينتي بنغازي ودرنه، وأسند حكم هذين المعتقلين لمثلي الظلم والجبروت والوحشية الفظيعة لكل من كسوني، باريلا (غير باريلا متصرف المرج) .

وخصص معتقلي المقرون وسلوق لكل من قبائل البراعصة والدرسا والعرفا والعبيد وأباعهم وشطر كبير من عائلات الإخوان السنوسيين الذين سبق أن أبعد غراسياني رجالاتهم إلى إيطاليا أو فرقهم بين السجون المختلفة، جيء بهذه القبائل التي بلغ تعدادها الثمانين ألف نسمة يساقون زمرًا إلى المعتقلات المذكورة، فمنهم من جاءها عن طريق البحر حيث حشروا بالمراكب حشرًا، ومنهم من جاءها عن طريق البر بعد أن أتت إيطاليا على جميع المنقولات حرقًا بالنار، كما أحرقت الزراعة ومحصولاتها، وأهلكت الحيوانات فيما عدا ما استعملته للنقل، وأحيط القسم المساق عن طريق البر بجنود من الصوماليين والإريتريين ليتعقبوا كل من يتخلف عن المساقين إلى حتفهم، ويرمي المتخلف بالرصاص، وكان الرامي غير مسئول عن عمله هذا، وأصبحت جميع مناطق الجبل والبطنان هلاكا تلعب فيه الرياح [1] .

لقد أراد غراسياني الانتقام من القبائل التي أثبتت الأيام أنها نعم العون للمجاهدين بعد الله، فجمع النواجع المنتشرة في منطقة الجبل الأخضر في أماكن أحاطها بالأسلاك، وحدث في تلك المعتقلات الجماعية ما لم يصدقه بشر ولا خطر على بال

(١) انظر: عمر المختار، نشأته وجهاده، ص (١١٣-١٤٩) .

إنسان يعقل، لقد اشتدت المحنة واعتدى الإيطاليون على الأبدان والأموال والأعراض في تلك المعتقلات ولقد قام الباحث يوسف سالم البرغثي بدراسة متميزة سماها «المعتقلات والأضرار الناجمة عن الغزو الإيطالي» وذكر فيها تفصيلاً محزنًا، ووثائق تاريخية من أفواه من عاش تلك المرحلة العصيبة التي مر بها شعبنا المظلوم[١].

لقد وصف مراسل جريدة ألمانية زار معسكرات الموت التي جمع فيها غراسياني أكثر من ٨٠ ألف نسمة فقال: إن الانتقادات التي يوجهها الآن الفرنسيين والإنكليز إلى خطة الفاشيست في برقة، موجهة في الدرجة الأولى إلى التدابير التي اتخذها الجنرال غراسياني لإجلاء ٨٠ ألف بدوي عن أراضيهم، دون أن يراعوا حالة هؤلاء البدو الروحية، أو يلاحظوا تأثير مثل هذا القيد والحصار فيهم، ولا يجوز لأحد أن يخرج من نطاق الحصار إلا في النهار، بشرط أن يرجع إلى مكانه قبل أن يخيم الظلام وكل واحد من رؤساء القبائل مسئول عن أتباعه فردًا فردًا .

يجب أن نقول: إن الحالة السيئة للغاية تفوق كل تصور، فإن معدل الأموات من الأطفال يبلغ ٩٠٪ وأمراض العيون التي ينتهي أكثرها بالعمى كثيرة جداً ومنتشرة ويكاد لا ينجو أحد من الأمراض، أما غذاء هؤلاء المساكين فالأحسن أن لا نتكلم عنه بالمرة، ومن الطبيعي أن نرى هؤلاء يتألمون أشد الألم، وفي الدرجة الأولى من هذه الأسلاك الشائكة، رمز الأسر، ورغم تلاصق الخيام، وشدة تقاربها ببعضها، فإن حصرها ضمن أسلاك شائكة، يجب أن نعتبره من المتناقضات الغريبة التي لا يتصورها العقل [٢] .

إن ما ارتكب في العقيلة والبريقة وغيرها من المعتقلات من جرائم جعل المناضلين في العالم يصرخون ويندددون بالاستعمار الفاشيستي في ليبيا فقال عبد الرحمن عزام يصف حالة المعتقلين ويلفت الأنظار إليهم: (يبحثون عن أخبار الأندلس وكيف أجرى الإسبانيون بالمسلمين هناك وما لهم والأندلس والأمور جرت

---

(١) عمر المختار، نشأته وجهاده، ص (١١٣-١٤٩) .

(٢) انظر: عمر المختار، شلبي، ص (١٨٨) .

في القرون الوسطى فأمام أعينهم طرابلس الغرب فليذهبوا ويشاهدوا بأعينهم في هذه الأيام فضائح لا تقل عما جرى بالأندلس) (١) .

وعبر غراسياني نفسه عن المأساة التي كانت أكبر من قلبه القاسي فقال: (لقد نتج عن هذا كله أن أكثر الناس هاجرت ونزحت إلى مصر وتونس والسودان تاركة وراءها أهلها وذويها . . . فإني حاسبت نفسي وضميري . . الأمر الذي جعلني لم أنم هادئًا أكثر الليالي) (٢) ويقول - مبررًا جرائمه البشعة - (لا نستطيع إنشاء حاضر جديد إذا لم نقض على الماضي القديم) (٣) .

سادسًا: عمر المختار يغير إستراتيجية الحرب:

كانت معسكرات المجاهدين قريبة من نواجع الأهالي حتى يسهل على المختار وصحبه أخذ العشور والحصول على الذخائر والأسلحة والمؤن، ولكن بعد حشر القبائل في المعتقلات الجماعية تغيرت خطة عمر المختار وطور أساليبه القتالية لما يتماشى مع المرحلة، واعتمد على عنصر المباغتة وركن إلى مفاجأة القوات الإيطالية بعد كشفها والاستطلاع عليها في أماكن متفرقة (٤) .

يقول غراسياني: (بالرغم من إبعاد النواجع والسكان الخاضعين لحكمنا يستمر عمر المختار في المقاومة بشدة ويلاحق قواتنا في كل مكان) (٥) .

وقال عنه أيضًا: (عمر المختار قبل كل شيء لم يسلم أبدًا لأن طريقته في القتال ليست كالقادة الآخرين فهو بطل في إفساد الخطط وسرعة التنقل بحيث لا يمكن تحديد موقعه لتسديد الضربات له ولجنوده، أما غيره من الرؤساء . . . . فإنهم أسرع من البرق عند الخطر، فيهربون إلى القطر المصري تاركين جنودهم على كفة القدر معرضين لخطر الفناء، عمر المختار عكس هذا فهو يكافح إلى أبعد حد لدرجة العجز

---

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٣٤٦) .
(٢) انظر: عمر المختار، نشأته وجهاده، ص (١٤٥) .
(٣) المصدر السابق نفسه، ص (١٤٥) .
(٤) انظر: عمر المختار ، لمحمود شلبي، ص (١٢٧، ١٢٨) .
(٥) انظر: برقة الهادئة، ص (٢٢٧) .

ثم يغير خطته ويسعى دائـمًا للحصول على أي تقدم مهما كان ضـئيلاً بحيث يتمكن من رفع الروح العسكرية ماديًا ومعنويًا حتى يقضي الله أمرًا كـان مفعولاً وهنا يسلم أمره لله كمسلم مخلص لدينه) (١) .

كان عمر المختار قطبًا تدور عليه رحى الأعمال، والتف المجاهدون حوله التفاف السوار بالمعصم واستمر العمل بقيادته ومساعدة معاونيه كيوسف بورحيل، والفضيل بو عمر، وعصمان الشامي، عوض العبيدي، وعيسى الوكواك العرفي، عبد الله بو سلوم، وعبد الحميد العبار، وكانت مواقف عمـر المختار تدل على شخصيته القيادية البارعة في أحلك الظروف وأثناء المحن، ففي أحد الأيام وعقب انتقام الإيطاليين من أحد المنتجعات التي كانت تقـدم مساعدات للمجـاهدين تقدم بعض زعماء الـقبائل باحتجاج إلى عمر المختار وطلبوا منه؛ إما أن يسلم إلى الإيطاليين، أو أن يرحل عن مواطنهم، أو أنهم سـوف يحاربونه لكي يتـجنبوا انتقـام الإيطاليين، وعلى إثر تسلم هذا الإنذار دعا عمر المختار إلى عقد اجتـماع في منطقة قصر المجاهير وقد ساد هذا اللقـاء حـالة من التوتر وشـدة في النقـاش في مـحاولـة لتجنب حـرب أهليـة بين المجاهدين والليبـيين الواقعين في المناطق الخاضعة للاحتـلال، فرأى بعض المجاهدين تجنبًا لهذا الوضع الحـرج أن يهاجروا إلى مصر لكي لا يتعـرض الأهالي إلى الانتقام وبعد حوار طويل، أظهـر المختار مصحـفه وأقسم عليه بأنه لن يتـوقف عن مجاهدة الإيطاليين، وأنه لن يترك الجبل الأخـضر حتى يتحقق النصـر أو الشهادة، وفي نفس الوقت أعلن للمجاهدين أنه من يريد الهجرة إلى مـصر فله مطلق الحرية في السفر، أو التـسليم للإيطاليين وعـندما رأى المجـاهدون مـوقف قـائدهم عـدلوا عن رأيهم وأطاعوه وانفض الاجتماع على وحدة صف المجاهدين (٢) .

استمر غراسياني في تدابيره العسكرية، فلم يأتِ يوم ١٤ يونيو حتى كان الطليان قد استـولوا على منطقة الفايدية، بأجمـعها واحتلوها ونزعـوا من الأهالي الخاضعين لهم ٣١٧٥ بندقية، ٦٠,٠٠٠ خرطوش .

---

(١) انظر: برقة الهادئة، ص (١٢٩) .

(٢) انظر: عمر المختار، نشأته وجهاده، ص (٧١) .

نقل عمر المختار دائرة عملياته إلى الناحية الشرقية في الدفنا نظراً لقربها من الحدود المصرية وذلك حتى يتمكن من إرسال المواشي التي يأتيه بها الأهالي إلى الأسواق المصرية في نظير أخذ حاجته من هذه الأسواق، مما جعل غراسياني يقرر إقامة الأسلاك الشائكة على طول الحدود الشرقية . قال: ... إن اطمأن على خطوط تموينه البعيدة أصدر أمره إلى قواته الموزعة في كل مكان ألا تزعج بعد الآن الليبيين الخاضعين لسلطاتنا حتى لا يكونوا سلاحًا آخر ضده وألا يغضبوا من حركته، وهكذا يصبح أمام ضميره بأنه مسلم حقيقي، ونضيف أن مد الأسلاك الشائكة المكهربة على حدود مصر كادت أن تنتهي وستضيق الخناق عليه تدريجيًّا حتى يقع في الفخ الذي سننصبه له، إن مصر هي المأوى الآمن لعدد كبير من الآلاف المؤلفة من البرقاويين الذين ينتمون إلى القبائل العمامة والتي لها إمكاناتها البشرية والمادية، وكذلك لها التأثير الكبير على كثير من النفوس التي يسهل تجنيدها وتوجيهها نحو القتال مقتنعين بأنهم يدافعون عن الدين الإسلامي وعن كيانهم معتبرين أننا مغتصبين ومعتدين على حقوقهم ... هؤلاء الخارجين عن القانون -ومن بينهم أعداؤنا- يكونون المخازن الثانية لتمويل الثورة بالأسلحة والمؤن والرجال لكل الأدوار رغم كل الاحتياطات التي اتخذتها سلطاتنا الحاكمة، زد على ذلك الأموال التي تجمع من لجان التبرعات من الاقطار العربية لمساعدة الثوار القائمين بالحرب المقدسة فوق الجبل الأخضر في برقة وحتى أن اتخذنا كل الاحتياطات ضد الخاضعين لسلطاتنا وإبعادهم، فالثوار لا يزالون أقوياء يهاجموننا في كل مكان [١].

عزم غراسياني على مد الأسلاك الشائكة في الحدود الليبية المصرية المصطنعة من قبل الاستعمار ما يزيد على ٣٠٠ كم من البحر المتوسط إلى ما بعد الجغبوب وقد كلف الدولة الإيطالية عشرين مليونًا فرنكًا إيطاليًّا . وقد حقق لهم ذلك العمل أموراً عدة ذكرها غراسياني في كتابه منها:

١- قضى على الثوار .

---

(١) انظر: برقة الهادئة، ص (٢٢٩) .

٢- قضى على التهريب وأصبح دخل الدولة الإيطالية في ازدياد من ناحية الضرائب الجمركية .

٣- قضى على حركة الإمدادات التي كانت تأتي للثوار المجاهدين من مصر عن طريق المهاجرين [١] .

سابعًا: استشهاد الفضيل بوعمر:

استمرت المعارك بين الإيطاليين والمجاهدين ومن أشهر تلك المعارك (كرسة) التي وقعت في يوم ٢٠ ديسمبر، وقد استشهد في هذه المعركة الساعد الأيمن لعمر المختار الشيخ الجليل والمجاهد الفذ الفضيل بو عمر الذي شارك في مسيرة الجهاد منذ دخول الغزو الإيطالي في ١٩١١م وشهد له بالشجاعة والإخلاص في جهاده، وقد ذكر عمر المختار تفاصيل هذه المعركة في رسالة له جاء فيها أن العدو هاجم المعسكر، وكان رئيسه السيد فضيل بو عمر وقد استشهد في هذه المعركة إلى جانب الفضيل أربعون شهيدًا، وقد وجدنا في ميدان القتال ما يزيد عن ٥٠٠ من العدو وبينهم ماجور وثلاثة ضباط، وشدد الطليان عملياتهم العسكرية في منطقة الجبل الأخضر بعد هذه الواقعة، واستمرت جموعهم تناوش المجاهدين مدة أسبوعين، ولكن دون الوصول إلى نتيجة .

وفي أكتوبر ١٩٣٠م تمكن الطليان من الاشتباك مع المجاهدين في معركة كبيرة عثر الطليان عقب انتهائها على (نظارات) السيد المختار، كما عثروا على جواده المعروف مجندلاً في ميدان المعركة، فثبت لهم أن المختار ما زال على قيد الحياة، وأصدر غراسياني منشورًا ضمنه هذا الحادث حاول فيه أن يقضي على (أسطورة المختار الذي لا يقهر أبدًا) وقال متوعدًا: (لقد أخذنا اليوم نظارات المختار وغدًا نأتي برأسه) [٢] .

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص (٢٣٢، ٢٣٣) .

(٢) انظر: حياة عمر المختار، ص (١٣٠- ١٣٣) .

ومع شدة قبضة الاستعمار الإيطالي على المدن إلا أن ذلك لم يمنع الأهالي من القيام بواجبهم المقدس، واستطاعت المخابرات الإيطالية أن تقبض على عدد من الليبيين الذين يزودون حركة الجهاد بالمؤن والمعلومات وتم إعدامهم وقد ذكر غراسياني بعض الأشخاص في كتابه فقال: وهنا أعرض بعض الأحوال الهامة لبعض الأشخاص الليبيين الذين نفذت فيهم المحكمة الخاصة حكم الإعدام في ١٤ يونيو ١٩٣٠م عقدت المحكمة الخاصة في شحات لمحاكمة المواطن حمد بو عبد ربه الدرسي في الميدان العام، باعتباره خائنًا للدولة الإيطالية، لأنه كان شيخًا لبيت من بيوت قبيلته الدرسة، وكان محترمًا من سلطاتنا ولكن اتضح لدى قسم المخابرات أنه يتعاون مع الثوار في إمدادهم بالمؤن والسلاح، وكانت مخيماته تعتبر شبه استراحة لجنود الثوار (المجاهدين) وعدد هذه الخيام يزيد عن عشرين خيمة بمنطقة (قصر بن قدين) المكان الذي يتزود منه الثوار بالمؤن والسلاح، وقد حكم عليه بالإعدام رميًا بالرصاص في الميدان بشحات وأمام الجماهير، وبعد أسبوع من هذا الحادث حصلت حركة انتقامية من الثوار (المجاهدين) . هجموا على نفس الميدان، وفي وضح النهار قتل فيه عدد كبير من جنودنا . . . وكذلك تاجر من تجار المنطقة .

وفي شهر سبتمبر ١٩٣٠م اكتشفت قوة الأمن بمنطقة البركة ببنغازي أن المواطن محمد الحداد أحد أعيان بنغازي ومن تجارها يتعاون مع الثوار وعن طريقه تتم حركة الإمدادات من المؤن والأسلحة وكان يستضيف في بيته الثوار ويمدهم بما يلزمهم، وفي الوقت والحين حضرت المحكمة الخاصة وحكمت على الأب والابن بالإعدام شنقًا أمام الجماهير التي أرادت السلطات الإيطالية إحضارهم خصيصًا لمشاهدة تنفيذ الحكم، وهذا مثال آخر سليمان سيد شيخ قبيلة الطرش، كان عضوًا في مجلس النواب، حاملاً لوسام النجمة الإيطالية للمستعمرات برتبة ضابط، وكان يرتدي برنوس الشرف الخاص بالنواب الليبيين كنا نعتمد على آرائه ولم نفكر في يوم من الأيام أن يكون ضدنا حكمت عليه المحكمة بالإعدام؛ لأنه كان يستغل نفوذه ويتعاون مع الثوار . . . ومن هذا النوع الكثير من المشاهد التي لا يمكن حصرها وقد نفذ مع

مجيء المحكمة الطائرة ٢٥٠ حكمًا بالإعدام، ونفذ فيهم الحكم في مدة وجيزة ورغم ذلك لا زال الشعب الليبي يتعاون مع الثوار إلى درجة الضياع التام (١) .

إن هذه الحقائق والمواقف التاريخية تشير إلى فاعلية أهل المدن في جمع المعلومات والأموال والمؤن والأسلحة، وتهريبها إلى قادة حركة الجهاد المبارك، وحرصهم على استمرارية جذوة الجهاد .

لقد وجد الإيطاليون أنفسهم في حرب مع شعب دفع بكافة طاقاته نحو ساحات الوغى والفداء، وشارك معظم أبنائه بكافة ما يملكون في حركة الجهاد المقدس .

ثامنًا: احتلال الكفرة:

بعد أن استطاعت القوات الإيطالية أن تعتقل قبائل برقة في معسكرات واسعة، وأخذ غراسياني في مد الأسلاك الشائكة على طول الطريق على البحر المتوسط إلى ما بعد الجغبوب ليفصل برقة عن مصر، وكان قد شرع في جمع قواته الضخمة من مختلف وحدات الجيش الإيطالي والجيوش الملونة من المرتزقة ومن المعدات الحربية لاحتلال الكفرة .

كانت نقاط الاحتشاد هي العقيلة، ومرادة وإجدابية وجالوا، وحشدت إيطاليا عددًا كبيرًا من الإبل استعدادًا لنقل المؤن إلى جانب سيارات النقل الكثيرة، هذا ما كان عن استعداد القيادة الإيطالية ببرقة، أما عن القيادة الإيطالية بطرابلس فقد جهزت هي الأخري حملة مماثلة بقيادة الكونيل فالينا، وكانت نقطة ارتكاز هذه الحملة واحة زلة وكانت القيادة العامة للحملة الموحدة تتمثل في شخص الجنرال رونكيتي تحت إشراف الجنرال غراسياني مباشرة وتحركت الجيوش الإيطالية من طرابلس وبرقة في وقت واحد وبنظام موحد تسلك طريق الصحراء إلى الكفرة، وتجمعت يوم ٢٩ شعبان سنة ١٣٤٩هـ بموقع الهواري، وهناك اشتبكت قواتهم مع المجاهدين في أولى المعارك وكانت معركة غير متكافئة، وقد اشترك قسم من الطائرات الإيطالية

(١) انظر: برقة الهادئة، ص (١٥٣، ١٥٤) .

مكون من عشرين طائرة واستمرت المعركـة ثلاثة ساعات قتل أثناءها العدد الكثير من الإيطاليين ومن المدافـعين الذين مـا كانوا يفكرون في صــد العـدوان طويلاً ولكنهم يحـاولون إيقافـه بعض الوقت ريثمـا يتمكن من يسـتطيع الفرار ليـأخذ طريقـه إلى السودان أو مصر [١]، لقد قاتل المجاهدون جميعًـا بشجاعة وبسالة نادرة، فلم يكفوا عن القتال، واستشهد العشرات ووقع في أسر الطليان ثلاثة عشر فقط، وغنم الطليان مائة بندقية، واحتلوا الكفرة، وهتكوا الأعراض وفعلوا ما لم يفعله إنسان .

لقد كـتب غراسـياني عن اهتـمامه باحـتلال الكفـرة، وعن الاسـتعدادات التي اتخذتها الحكومـة الإيطالية أكثر من خمسـة وأربعين صفحة، لقد اعتـرف غراسياني بقوة وشجاعة المجاهدين الذين تعرضوا لقتال الإيطاليين عبر الصحراء الكبرى .

قال غراسيـاني: لقد حملتنا خسائر فادحة وكنا حـريصين على تحقيق النصر بأي ثمن لكون قوات المجاهدين غير متكافئة، رغم هذا كله كانوا أشداء أقوياء صامدين، صابرين لا يتقهـقرون أبدًا حتى ولو أدي ذلك لفنائهم جميعًـا مؤمنين بأنهم أصحاب حق وشجاعة [٢] .

لقد اعـترف العدو بهم، كـان زادهم التمر والشـعير ومع ذلك دوخـوا إيطاليا، وكان من بين القادة الذين أثخنوا في الأعداء عبـد الحميد بومطاري الذي تزعم قيادة الزوية والمغاربة في تلك المرحلة في جـهادها ضد إيطاليا، وصـالح الأطيوش وسيف النصر الذي قال فيـهم غراسياني: (لقد وصل سيف النـصر، وصالح الأطيوش إلى المنطقـة وبصحـبتـهم الذين هاجروا من الـقطر الطرابلسي فأصـبح الموضوع دقـيقًـا وبالأخص صالح الأطيوش فهو مكابر وشديد المراس) [٣] .

إن المجاهد صـالح الأطيوش من المجاهدين العظام الذين سـاهموا في الذود عن حياض المسلمين، لقد شـهد له عدوه غراسياني بشدة مراسـه، فله منا الدعاء بالمغفرة

(١) انظر: عمر المختار للأشهب، ص (١٢٩، ١٣٠) .
(٢) انظر: برقة الهادئة، ص (٢١١) .
(٣) المصدر السابق نفسه، ص (١٩٨) .

والرحمة والرضوان وله ولجميع إخوانه الذين سطروا لنا صفحات من البطولة والرجولة للذود عن ديننا العظيم .

إن عائلة آل الأطيوش تعرضت لبلاء عظيم، ولقد أعطى السنوسي الأطيوش صورة حية عن ذلك البلاء الذي كابده الفارون من جحيم الكفرة في ذلك الوقت.

إن أسرة عائلة الأطيوش أسرة مشيخة أصيلة في قبيلة المغاربة، تعد نموذجًا لما قاسته مختلف العائلات الليبية البارزة عبر فترة الكفاح الطويل ضد الإيطاليين، فمن المعلوم أن الكيلاني الأطيوش، الذي عينه الوالي التركي في منصب القائمقام الكفرة سنة ١٩١٠م، توفي في العام التالي مباشرة وهو في طريقه إلى جالوا للالتحاق بقوات المقاومة التركية ضد الغزو الإيطالي، وأخوه سعيد قضى نحبه خلف أسوار معتقل إيطالي في العقيلة ومن بني أخيه واحد شنقه الطليان في سرت، وعبد الله استشهد في معركة النوفلية، كما قتل في البريقة اثنان آخران هما علي وأحمد عبد القادر الذي قتل في سرت سنة ١٩١٨م والآخر استشهد في معركة سرت بالقرب من إجدابية، وكذلك فقدت هذه العائلة ما لا يقل عن أربعة آخرين ماتوا في أثناء محاولة النجاة بأرواحهم من الكفرة .

فعندما هاجم الإيطاليون الكفرة رحل صالح باشا الأطيوش بأهل بيته، وكان من بينهم السنوسي ابن أخيه، وبضعة أشخاص آخرين، في قافلة من الإبل اتجهوا بها أولاً صوب العوينات على حدود السودان فبلغوها بعد ستة أيام، وهناك ملئوا قربهم بالماء وانقسموا إلى فريقين، توجه أحدهما إلى الشمال نحو وادي النيل، بينما عمد الفريق الآخر إلى مرقة وهي واحة صغيرة غير مأهولة تقع في ناحية الجنوب الشرقي بالسودان . ويبلغ طول هاتين المسافتين ٥٠٠ ميل و ٣٠٠ ميل على التوالي، أي مسيرة ٢٥ يومًا و ١٥ يومًا بمعدل سير الإبل العادي، ولم يكن ثمة أي أثر يمكن للمسافر اقتفاؤه ولا مورد ماء في الطريق، ولا أحد يستطيع أن يتصور مدى خطورة رحلة كهذه ما لم يكن قد جرب اجتياز تلك الصحاري على ظهر جمل، وقد حكى السنوسي الأطيوش قصة تلك الرحلة فقال: (بعد مسيرة عدة أيام أخفقنا في الوصول

إلى مرقة وعرفنا أننا تائهون في الصحراء، فرجعنا أدراجنا نقصد العوينات . لما كنا استنفدنا مؤنتنا من المياة، أصبحنا مضطرين إلى نحر ناقة أو جمل كل يوم لشرب الماء المخزون في بطون الإبل، وكان كل منا يحمل في مخلاته بعض لحم الذبيحة ويأكل أثناء السير ومع أن المسافة التي قطعناها منذ خروجنا من العوينات كانت قد استغرقت منا ثمانية أيام كاملة، فقد بلغت بنا شدة المحنة أننا في طريق العودة قطعنا نفس المسافة خلال أربعة أيام فقط، راكبين أو ماشين ليلاً ونهاراً وفي العوينات ملأنا قرب الماء من جديد، وبعد استراحة قصيرة واصلنا السفر عامدين نهر النيل رأسًا، باقتفاء آثار الفريق الآخر من جماعتنا وعثرنا في الطريق على جثث البعض، ومن بينهم أمي وأختي واثنين من إخوتي قصفتهم طائرات الطليان، أو ماتوا عطشًا . وكنا نواصل السير ليل نهار حتى وصلنا آبار كريم بعد تسعة أيام ونحن أقرب إلى الموت منا إلى الحياة، وهناك أسعفنا الحظ بلقاء بعثة استكشافية كان قد نظمها الأمير عمر طوسون بقيادة ضابط بريطاني، فحملتنا معها إلى واحة الخارجة ثم إلى الداخلة . ومنها انتقلنا إلى المنيا حيث استقر بنا المقام مع ناس من قبيلة الجوازي التي تربطنا بها صلة القرابة . ومكثنا هناك حتى عام ١٩٤٠م وعندها التحقنا بالقوات الليبية تلبية لنداء الأمير) [١] .

إن هذه القصة الحزينة تعطينا صورة واضحة عن ما كابده الليبيون الذين استطاعوا الهروب من هجمة غراسياني الوحشية على الكفرة، وتلك الغارة الهمجية، ولقد تأثر العالم الإسلامي من الأخبار التي سمعوها من العوائل الليبية التي كتب الله لها النجاة، وقد قام الأمير شكيب أرسلان بدور مشكور في توضيح تلك الأعمال، وكتب مقالات صادقة أصبحت وثائق مهمة للمؤرخ لتلك المحنة العظيمة التي مرّ بها الشعب الليبي المسلم فقد قال: (. . . . إنهم لما احتلوا واحة الكفرة في ١٣ يناير من سنة ١٩٣١م استباحوا قراها ثلاثة أيام فقتلوا من صادفوه من الأهالي وكان من جملة القتلى بعض الشيوخ الأجلاء مثل محمد عمر الفضيل، والسيد حميد الفضيل،

---

(١) انظر: الملك إدريس عاهل ليبيا، ص (٥٨، ٥٩) .

والشيخ فضيل الديفار وغيرهم ممن قتلوه صبرًا غير داخل في ذلك من قتلوا من المعركة التي جرت بين الأهالي وجيش الحملة الطليانية وهم ٢٠٠ شخص، ثم إن الطليان انتشروا في القرى والبساتين ونهبوا كل ما وقع في أيديهم ولم يرحموا الشيوخ ولا الأطفال ولا النساء، وصادفوا الشيخ مختار الغدامسي وهو شيخ فان بلغ ثلاثًا وتسعين سنة، ومن جلة علماء السنوسية فحملوه مقيدًا بالحبال علي جمل ونفوه من الكفرة فمات في الطريق . ثم اغتصبوا النساء في أعراضهن وقتلوا منهن كثيرًا ممن دافعن إلى الآخر عن أعراضهن . وكان نحو من ٢٠٠ امرأة من نساء الأشراف قد فررن إلى الصحراء قبل وصول الجيش الإيطالي، فأرسلوا قوة في أثرهن حتى قبضوا عليهن وسحبوهن إلى الكفرة حين خلا بهن ضباط الجيش الطلياني واغتصبوهن وهكذا نزلوا المعرات بسبعين أسرة شريفة من أشراف الكفرة الذين كانت الشمس تقريبًا لا ترى وجههن من الصون، والعفاف، وقد أشارت الصحف الطليانية إلى هذه الحادثة وصرحت من باب الافتخار قائلة: (إن الجيش قبض على ٢٠٠ امرأة من نساء الزعماء) وقرأنا ذلك بأعيينا ولحظنا أن مقصود البلاغ العسكري الإيطالي التبجح بكون حلائل زعماء الكفرة صرن إلى الضباط إلا أننا انتظرنا جلاء الأخبار من الجهة الثانية حتى نعلم ماذا جرى بعد التثبت، فما مضى شهر حتى وردت الأخبار من المهاجرين الذين دخلوا حدود مصر بأن هؤلاء السيدات المقصورات الناشئات في أكرم بيوت الطهارة والصون قد قُبض عليهن في الصحراء وصرن إلى أولئك الفجرة الذين لا يعرفون لصيانة العرض معنى ولا يقيمون للشرف وزنًا . وعلمنا أن بعض شيوخ الكفرة الذين احتجوا على هتك أعراض السيدات المذكورات قد أمر القائد بقتلهم ثم لما هاج هائج العالم الإسلامي من جراء هذا الخبر وأشباهه أذاعت الحكومة الإيطالية تمويهًا ظاهرًا زعمت فيه أن الجيش تأثر للنسوة المائتين المذكورات شفقة عليهن، ولأجل أن يرجعن إلى بيوتهن آمنات وغير ذلك من الأقاويل التي قصدت إيطاليا بها تخدير أعصاب المسلمين الذين بلغهم ما كان جرى بالكفرة من هذه الفضائح من هتك أعراض مخدرات المسلمين ومن استباحة الزاوية السنوسية المسماة (التاج) وإراقة

الخمور فيها، ودوس المصاحف الشريفة بالأقدام هذا منظمًا إلى ما كان بلغهم من قبل من إجلاء ٨٠ ألفًا من عرب الجبل الأخضر عن أوطانهم وأماتتهم بالجوع والعطش، وأخذ أطفالهم قهراً إلى إيطاليا لأجل تنصيرهم إلى ما كان بلغهم من فظائع كثيرة مثل حمل الشيخ سعد شيخ قبيلة (الفوائد) وخمسة عشر شيخًا من رفاقه بالطائرات وقذفهم بهم من الجو على مشهد من أهلهم حتى إذا وصل أحدهم إلى الأرض وتقطع إربًا صفق الطليان طربًا ونادوا العرب قائلين (ليأت محمد هذا نبيكم البدوى الذي أمركم بالجهاد وينقذكم من أيدينا) هذه حادثة وغيره من الأمور في هذا الشأن كثيرة جرحت قلوب المسلمين، فجرت مظاهرات بالشام، وحلب، وطرابلس الشام، وبيروت، وفلسطين، وانعقدت اجتماعات في كل مكان للاحتجاج علي أعمال إيطاليا، وأبرق المسلمون بالاحتجاجات الشديدة إلي جمعية الأمم بجنيف وإلى نفس موسليني بالعبارات القاسية وقامت قيامة الجرائد العربية وحملت على توحش الفاشيست من كل جانب، وامتلأت جرائد مصر بالاحتجاج والطعن في إيطاليا إلى أن عطلتها الحكومة المصرية إجابة لطلب الحكومة الإيطالية ووصل الصريخ إلى الهند والجاوي، وأضج المسلمون لهذه الأخبار وانعقد في الجاوي اجتماع كبير حضرة ألوف مؤلفة من المسلمين وخطبوا خطبًا شديدة ودعوا إلى مقاطعة البضائع الإيطالية، وتدخلت الحكومة الهندية في الأمر وانتصرت لإيطاليا بمقتضى قاعدة التكامل الأوروبي بوجه المسلمين، وقاعدة التكافل الاستعماري بوجه الأمم المقهورة، وأشاع قناصل إيطاليا أن كل هذه الأخبار عمّا حل بمسلمي طرابلس ملفقة لا أصل لها وبلغت بهم الوقاحة أنهم كانوا يخاطرون الناس مخاطرة على أن يذهبوا إلى طرابلس بأنفسهم ليشهدوا كذب هذه الأقاويل، وبلغ بهم البهتان أنهم أشاعوا أيضًا أن إيطاليا اقترحت على جمعية الأمم أن ترسل إلى طرابلس لجنة من عندهم للتحقيق عما ينسب إلى رجالها من الأعمال الشنيعة التي هم أبرياء منها، وكل هذا اختلاق محض قصدت به إيطاليا التموية وتخدير الأعصاب وصرف المسلمين عن مقاطعة بضائعها، وقد سكن كثير من المسلمين إلى هذه التكذيبات، وهدأ بالهم والحق خلاف ذلك،

وكل ما شاع من الأخبار عن أعمال الطليان لا سيما بعد مجيء دول الفاشيست هو دون الواقع، ولو تأمل المسلمون فيما يأتيه الفاشيست في نفس إيطاليا من الموبقات ومن اغتيال أعدائهم السياسيين، ومن حجر كل حرية ومن منع تأليف كل حزب يخالف حزبهم وأمام هذا الانتقام الرهيب من المسلمين في قتلهم وتغريبهم عن ديارهم، فلا تسأل، فقد أصبحت في حكم المتواتر الذي لا يصح فيه المراء بالاتفاق عشرات الألوف من الأهلين على روايته، فقد نزح عن طرابلس وبرقة نحو مائتي ألف نسمة وقيل ٣٠٠ ألف نسمة؛ منهم ٢٠ ألف دخلوا تونس والجزائر، ٦٠ ألفًا دخلوا مصر، ومنهم من شردوا إلى السودان، ومنهم من تفرقوا في الصحاري وقد أطبقوا بأجمعهم على صحة هذه الأخبار ومشاهدتهم تلك الأفعال بالعيان، وأنه ليستحيل اتفاق الألوف المؤلفة على الكذب هذا فضلاً كون هذه المظالم حقيقة راهنة ما كان هذا العدد الكبير من الأهالي يترك وطنه ويهيم على وجهه في البراري أو يلتمس الرزق عاملاً في أرض غيره بعد أن كان سيداً في أرضه، ومن أغرب المتناقضات -والتناقض من عادة كل كاذب- أنه بينما ممثلوا إيطاليا في بلاد الإسلام يذيعون أن من شاء أن يذهب إلى طرابلس بنفسه ليتحقق من كذب تلك الأخبار عن فظائع الطليان فيها فإن أبواب طرابلس مفتوحة لمن شاء الذهاب إلى هناك وبينما قنصلهم في بيروت يشيع ذلك في بيروت، وبينما الحكومة الإيطالية تقول هذا القول لشوكت على الزعيم المسلم الهندي إذا بقيت إيطاليا مدة طويلة بعد احتلال الكفرة وحوادثها المؤلمة تمنع كل دخول وخروج بين الحدود المصرية والحدود البرقاوية لئلا يقف أهل مصر على الحقائق والأخبار فيزدادوا هياجًا . ولكن الحقائق لا بد أن تظهر ولا يمكن إيطاليا إخفاء كل ما تأتيه من الأعمال الوحشية في طرابلس، وليس المسلمون وحدهم هم الذين شاهدوا أعمال الطليان وضجوا منها، بل ثمة كثير من الإفرنج شاهدوها وأنكروها [(١)] .

لقد قام الأمير شكيب أرسلان بدور مشكور في الدفاع عن الليبيين وإظهار

---

(١) انظر: حاضر العالم الإسلامي (٢ / ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢) .

وحشية الإيطاليين، ولقد كتب في صحف ذلك الزمان مقالات حزينة، بيّن فيها الأعمال الوحشية التي قام بها الإيطاليون ضد الشعب الليبي المظلوم وهذه وثيقة أخرى تاريخية لمقال كتبه الأمير شكيب في مجلة الدولة العربية ولقد انتشر هذا المقال شرقًا وغربًا ونص هذا المقال:

تاسعًا: دور الصحافة الإسلامية:

التعذيب الإيطالي في طرابلس

تحرير الأمير شكيب أرسلان

كانت الحركة الإسلامية تائهة عن كل ما يحدث في طرابلس من تعذيب وهمجية من البرابرة الإيطاليين الذين ما أتوا إلى هذه الأرض إلا ليؤخروها عن التقدم والمدنية، بعكس ما كانوا يقولون ويكتبون. . نعم أن الناس علمت بأن الحكومة الإيطالية الفاشيستية نقلت ما يزيد عن ٨٠ ألف عربي من الجبل الأخضر ووضعتهم في الصحراء (سرت) . . . نزعت منهم أراضيهم بحجة التعمير وأن المعمرين الإيطاليين هم أحق من أي أحد آخر، لأنهم يتقنون هذا العمل أكثر وأحسن من العرب .

إن العالم علم بأن الجيش الإيطالي احتل الكفرة وواحاتها بعد قتل السكان العزل والثوار الذين دافعوا عن وطنهم إلى النهاية، وأن الصحافة الإيطالية تتبجح وتنشر بأن جيشها أسر مائة امرأة وهن زوجات الشيوخ هناك .

وفي مجلتنا (الدولة العربية) وجهنا سؤالنا إلى الإيطاليين الفاشستيين عن معنى هذا التبجح بأسر مائة امرأة .

مع العلم بأن التقاليد والعادات العالمية وبالأخص البيئة العربية التي تنفي اضطهاد المرأة أو النساء خصوصًا أثناء قيام الحرب .

ولكن ما كنا نعتقد أن دولة تعتبر نفسها من دول البحر الأبيض المتوسط مهد الحضارة الأوروبية أن تصل إلى هذه الدرجة من الانحراف والخروج عن جادة التمدن والرقي .

لم يسبق في تاريخ البشرية، بل في تاريخ البربرية أن معاملة الجيش الإيطالي الفاشيستي للنساء هي معاملة وحشية بدرجة تتقزز منها النفوس، فهي معاملة سيئة سواء في طرابلس أو في برقة .

إن هذه الأخبار لم تكن نسيجًا من خيال أو فكرة طارئة وإنما هي حقائق يرويها من أسعده الحظ بالنجاة من المذابح التي قام بها الجيش الإيطالي الفاشيستي.

شرحوا لنا ما يلي:

١- عندما اتجهت القوات الإيطالية لاحتلال الكفرة كانت معززة بالطائرات التي تلقي قنابلها على السكان العزل من شيوخ ونساء وأطفال، وخلاف هذا سمحوا لجنودهم أن يعبثوا بالسكان لمدة ثلاثة أيام مطلقي الأيادي في البيوت والأسواق والمساجد وفي كل النواحي تصرفات وحشية لم تخطر على بال أحد؛ نهبوا وقتلوا وأحرقوا كل ما مروا به ولم يتركوا أي جريمة تخطر ببالهم إلا وارتكبوها، قتلوا العلماء والمشايخ، هتكوا حرمات البيوت وبقروا بطون النساء وأن عدد العائلات التي قضي عليها عند احتلال الكفرة يزيد عن ٧٠ عائلة من علية القوم، وعلاوة على هذا فقد اتخذوا زاوية السنوسي (التاج) كحانة شربوا فيها الخمر حتى ثمالة الجنون وشربوا نخب القضاء على المسلمين واحتلال طرابلس وبرقة . . ألقوا بالمصاحف القرآنية في الإصطبلات تحت سنابك الخيل وبالكتب العلمية أوقدوا بها النار تحت قدورهم لطهي طعامهم . وقد استشهد من الثوار في احتلال الكفرة ما يزيد عن (٢٠٠) شهيد من بينهم المشايخ الآتي أسماؤهم:

الشيخ صالح العبادية، الحاج سليمان بومطاوي، الشيخ غيث بو قنديل، الشيخ سليمان الشريف، الشيخ محمد يونس، الشيخ أحمد بو أشناك وحفيده الشيخ عمر، الشيخ حمد الحامي، الشيخ عبد السلام بوسريويل، الشيخ محمد المسحوق وحفيده على بن حسين، الشيخ محمد العربي، الشيخ محمد بو سجادة، الشيخ محمد الفايدي الجلولي، الشيخ خليفة الدلال . أما الرواية الثانية هي كيف تم احتلال الكفرة من أولئك الغاشمين المتوحشين من مشاهدين حقيقين لتلك الأحداث، قبل

دخول الإيطاليين إلى الكفرة قـامت طائراتهم بقصف واحات الكفرة بقنابلهم الفـتاكة فوق السكان العـزل حيث قتل عـدد كبير من النسـاء والشيوخ والأطفـال، وبعد أن دخلوا الكفرة أطلقوا أيدي جنودهم لمدة ثلاثة أيام للعبث والتخريب في الكفرة، فقد أطلقوا بغالهم وخـيولهم حيث دوت كل المزروعات فاستـولوا على كل المواد الغذائية وقطعان الأغنام والبقر لتموين جنودهم المحـتلين دون مقابل، وعلاوة على هذا نهبوا أثاث السكان وقسموها على إدارات الجيش الـزاحف كذلك ملابس النساء وحليهن، هذا قليل من كثير زد على ذلك اعتـداءاتهم على حرمات الناس العزل دون وازع من ضمير، وعندما اتجه بعض المشايخ إلى قائد الحملة راجين منه إصدار أمره إلى الجنود بالكف عن هذه الاعتداءات على الناس كان مصيرهم القتل رميًا بالرصاص باعتبارهم خونة، وبالاختصار إن الإيطاليين عندما احتلوا الكفرة قـاموا بأعمال وحشية لم يسبق أن حدثت في التاريخ حتى في القرون الوسطى عهد الهمجية .

إن قضية الـ ٨٠,٠٠٠ عربي الذين نقلتهم القوات الغاشمة من أراضيهم الخصبة في الجبل الأخـضر إلى مناطق جـدبة صحـراوية لا ماء فيـها ولا كلأ، هـي منطقة (سرت) كي تموت المواشي جـوعًا، وعطشًـا، أما البقـية فقـد استولى عليـها الجنود الإيطاليون، وأصـبحوا فقـراء تدفع لهم الحكومة الإيطاليـة فرنكين عن كل يوم لكل شخص مهما كان عدد عائلته . أما بالنسـبة لحلي النساء وملابسهن فقد نهبها الجنود الإيطاليون، وأصبحت العائلات في هوة الفقر سواسية . وفي أثناء مرافقة هذا العدد الضخم من رجال ونساء وأطفال، كان الجنود يسومونهم سوء العذاب وكل من يعجز عن المسير مصيره الموت فيقتلونه ويتركونه يتخبط في دمه .

إن الرجال والشـبان الذين تتراوح أعـمارهم من ١٥ إلى ٤٠ سنة أجـبروا على الانخراط في قوات الجـيش . وأما الصغار الذين تتراوح أعمـارهم من ١٤ سنة فقد أخذوا بالقوة من أهليهم وأرسلوا إلى إيطاليا بحجـة تعليمهم، ولكن في الحقيقة من أجل تنصيرهم .

وهذا ما كان يتحدث به سكان (روما) وهو تنصير الليبيين بصورة عامة والطرابلسيين بصورة خاصة ، ورغبة الإيطاليين الفاشيستيين هي القضاء المبرم على العنصر الإسلامي في ليبيا، فإذا ليبيا تصير إيطالية وبجوارها مصر، سوف تتعرض إلى أكبر خطر . وإن مصر لن تسكت عن هذا الإجراء لأن الإيطاليين في اعتقادهم المريض أن مصر ليست دولة عربية، وإنما هي خليط من عدة أجناس .. الأمر الذي يجعل إيطاليا تحكم بأن تغزو مصر وتتمكن من أرضها وشعبها كما تمكنت من طرابلس . إن الوعود المعسولة التي كانت تصرح بها السلطات الإيطالية . وتمنياتها الطيبة التي كانت تعرضها على الشعب الليبي وإنها - يعني إيطاليا - ما أتت إلا لتخلص الشعب الليبي من الاستبداد التركي . ولأجل أن تذر الرماد في أعين الناس، أتت بإدريس وقلدته لقب الإمارة ووعدته بالحكم الذاتي، ولكن كانت دائمًا وعودًا فقط . وها هي إيطاليا تلغي كل شيء وتبدأ في سفك الدماء وتطرد السكان من أراضيهم وأموالهم وأخذت أولادهم وبناتهم إلى إيطاليا من أجل تعليمهم، وفي الواقع من أجل تنصيرهم .. إني أُقل على المسلمين أن يتذكروا هذا كله وأن يتفهموه .. فإن هناك من يتفلسف ويتشدق بالقول بأن في أوروبا تسود العدالة والحرية، وأن الدول الأوروبية لا تتعرض للقضايا الدينية، وأن السبب في سقوط المسلمين هو التعصب الأعمى إن هذه الألفاظ وهذه المغالطات تنذر المسلمين جميعًا بأنهم إذا لم يتحدوا ويذودوا عن حياضهم سوف يتعرضون إلى القضاء ويفقدون قواتهم المسلحة وحرياتهم السياسية، سوف يحدث لهم كما حدث لطرابلس إذا لم يحافظوا على حريتهم واستقلالهم إن موقف إيطاليا من حضارة القرن العشرين موقف غير مشرف فقد رجعت إلى معاملات القرون الوسطى .

إن الإيطاليين المتوحشين لم يتحرجوا لا كبيرًا ولا صغيرًا فقد اعتدوا على الحريات اغتصبوا النساء وهتكوا الأعراض . كل هذه الأعمال من أجل اضطهاد المسلمين وروحهم الانتقامية .

لقد زجّ الإيطاليون في السجون الكثير من الأهالي ومشايخ القبائل وقد عارضهم

وندد بأعمالهم الشيخ سعد الفايدي شيخ قبيلة الفوايد فما كان منهم إلا أن قتلوه ومعه ١٥ من أبناء قبيلته البعض منهم ألقي من الطائرات من علو ٤٠٠ متر وكلما كانت الطائرة تلقي بواحد منهم هناك كان الهتاف يعلو وصياح الجنود يزداد .

إن الصحفي الدانماركي الشهير (كنود هولمبوي) الذي اعتنق الإسلام وقام بجولة سياحية أثناء هذه الفترة في ليبيا، قد شاهد بنفسه وعينيه كل التعذيب والاضطهاد الذي يقوم به الجنود الإيطاليون الفاشيست يقول:

شاهدت ٢٠ عربيًا مسلسلين . . شنقهم الجنود بأمر من ضابطهم دون محاكمة ولم تكن هناك محكمة . . هذا المنظر البشع أثر في نفسي ولم يكن في اعتقاده أن دولة مثل إيطاليا الفاشستية وهي إحدى دول البحر الأبيض المتوسط تقوم بمثل هذه القسوة وهذه الوحشية . إنها جرائم سيسجلها التاريخ في صفحة سوداء، وسيبقى وصمة عار في جبين الدولة الإيطالية على مدى الدهر والأزمان .

إن إيطاليا أرادت أن تحذو حذو فرنسا في تنصير المسلمين إبان حكمها في المغرب فقد عملت ووزعت المبشرين في طول البلاد وعرضها وبنت العديد من المعابد والكنائس في كل المدن والقرى لتقضى على الدين الإسلامي، وهكذا عملت إيطاليا فقد بنت المعابد في طرابلس وبنغازي وكل القرى وأمرت المبشرين بأن يسعوا بكل الوسائل لتنصير العرب مهما كان الثمن . وقد فاقت على فرنسا بطريقة أخري فأخذت الأطفال من حجور أمهاتهم وبعثت بهم إلى إيطاليا إلى تلك المعاهد المسيحية لتعليم هؤلاء الأطفال الدين المسيحي . . وعزلهم عزلاً كليًا عن وطنهم وبيئتهم . . . بحيث يشبون ويترعرعون في الجو الفاشستي والكنيسة المسيحية .

إن سياسية إيطاليا الفاشيستية هي القضاء على الدين والعقيدة وإبعاد المسلمين عن معابدهم ومساجدهم، وكم من مرة صرح موسوليني رئيس الحكومة والحزب الفاشيستي في خطاباته بعد احتلال (الكفرة) بأنه عازم على تثبيت ثلاثة ملايين من السكان الإيطاليين في الأراضي الليبية الخصبة .

وقد أيد هذا الرأي الكثير من السياسيين وأبرزها الكثير من الصحفيين على صفحات جرائدهم ومجلاتهم .

منذ أيام قرأت بالجريدة الرسمية المرسوم الملكي القاضي بمصادرة أملاك المواطنين وأوقاف المسلمين والزوايا السنوسية وأوقافها . وبهذه الطريقة الجهنمية عملت إيطاليا الفاشيستية على تملك الإيطاليين كل الممتلكات الليبية وبالتدريج وإبعاد الليبيين من كل المجالات حتى تصبح ليبيا خالية من كل العناصر ولا يبقى بها إلا الإيطالي المسيحي الكاثوليكي .

إذًا الكلام الصادر من الجنرال أو المارشال لم يكن إلا زوراً وبهتانًا وتضليلاً لتهدئة المسلمين، حتى تستطيع السلطات الإيطالية الفاشيستية تنفيذ أغراضها الاستعمارية . وهي إن استحوذت على الملايين من هكتارات الأراضي الزراعية وغيرها (من أين لها هذه الأراضي؟) فالجواب معروف . استحوذت عليها بطرد أهلها الحقيقيين ونقلهم إلى مناطق الهلاك هم ومواشيهم على السواء أمام أعين العالم المتمدن .

وأمام عصبة الأمم . وبالاختصار تبجح الإيطاليون بقولهم: إن طرابلس وبرقة كانتا رومانيتين . . فلا بد أن ترجعا رومانيتين كما كانتا - هذا هو هدف الفاشيست بدون تردد .

إننا لا نصدق ما يقولون لقد خالفوا القواعد الدولية والإنسانية، ولم ينفذوا حرفًا واحداً من تعهداتهم إلى الطرابلسيين والبرقاويين، حتى التعهدات الكتابية والاتفاقات المبرمة بينهم وبين إدريس السنوسي، كانت عبارة عن أكاذيب وكسب للوقت . نحن مقتنعون بأن كل ما كتبناه وأعلناه على الملأ أجمع ستكذبه السلطات الفاشيستية، وستوجد لنا مضابط لكي تدحض أقوالنا، ولكن كل ما كتبناه ثابت وصحيح ومصدره من جهة عاصرت الأحداث وهي هيئة التحرير الليبية في دمشق فقد أثبت الحوادث والاعتداءات بالوثائق الرسمية، وبالأخص في احتلال الكفرة فقد ارتكب الجنود الإيطاليون الفاشيست أبشع الجرائم باعتداءاتهم على النساء وقتلهم الشيوخ والأطفال، واعتدوا على حرمات المساجد والمقدسات . وقد ادعت إيطاليا بأن كل

الأعمال العسكرية التي قامت بها ما هي إلا تأديب لأناس أعلنوا العصيان على دولتهم، وهذه حجة واهية لا يقبلها العقل ولا تقوم بها دولة متمدنة كما تدعيه إيطاليا الفاشيستية . وأن الثوار في العرف الدولي لم يكونوا من العصاة على الدولة وإنما هم أصحاب حق يدافعون عنه، اغتصبه عدو دخيل .

بقي عليَّ أن أختتم مقالي هذا الذي كتبته لا أريد منه تحريض المسلمين على أن ينتقموا من الإيطاليين الذين يعيشون معهم حاشا لله نحن لسنا من الانتقاميين ولا في الجهل مثل الإيطاليين الفاشيست وليس من شيم أخلاقنا أن نستعمل القوة على من هو أضعف منا .

وأن المسلمين لن يغيروا أبدًا تراثهم الخلقي الذي ورثوه أبًا عن جد . ولكني أقترح ما هو آت:

١- جمعية الشبان المسلمين في كل بلد عليها أن تحتج على كل أساليب الاعتداء والإجرام التي ارتكبتها إيطاليا الفاشيستية في ليبيا، وأن ترسل برقية احتجاج شديدة اللهجة إلى عصبة الأمم وتنشر على الصحف العالمية .

٢- كل المدن والمقاطعات الإسلامية التي تتقد حماسًا والدم الساخن الذي يجري في عروقهم، عليهم أن يقدموا احتجاجاتهم إلى عصبة الأمم بالبرق مستعجلاً ونشرها جميعًا على صفحات مجلاتهم وجرائدهم المحلية .

٣- إن مجموعة الدول الشرقية بالقاهرة هي كذلك عليها أن تحتج وتندد بأعمال القمع والعنف التي تقوم بها إيطاليا الفاشيستية وتقدمه إلى عصبة الأمم مثل الهيئات الأخرى .

٤- كل الهيئات الإسلامية والعربية والشرقية بالقاهرة وسوريا والعراق والعربية السعودية والهند وجاوا وغيرها لا بد وأن يقوموا بواجبهم نحو القضية الليبية .

٥- عقد اجتماعات شعبية في المدن الإسلامية وإلقاء الخطب الحماسية لشرح ظلم واستبداد السلطات الإيطالية الفاشيستية وهتافات بسقوط العدو الغاصب .

٦- يجب على كل المسلمين أن يقاطعوا كل البضائع الإيطالية والسفن وكل الوسائل والأعمال وكل شيء يحمل اسم إيطاليا، وقطع كل العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وكذلك تكوين لجان شعبية خاصة بمراقبة البضائع الإيطالية .

٧- طبع المنشورات وكتيبات تبين فيها تصرفات إيطاليا الفاشيستية واضطهادها للشعب الليبي، ويكون طبعها كذلك باللغة الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية ويكون توزيعها بالآلاف في أوروبا وفي كل العالم، ومن واجب كل مسلم أن يقوم بإلصاق هذه المنشورات في كل الشوارع والميادين، وتوزيع الكتيبات في كل مكان من العالم . كذلك علي كل مسلم أن يعلق في بيته بعضًا من هذه المنشورات حتى لا ينسى ما يعانيه الشعب الليبي من اضطهاد وتعذيب .

أيها المسلمون:

لا تقولوا بأن هذا الحديث في طرابلس وليبيا فقط، وإنما الليبيون الشرفاء طُعنوا في شرفهم . . في دمائهم . . في دينهم وفي أموالهم وممتلكاتهم وكذلك سيحدث لكم أنتم مثل هذه المأساة وسيحل بكم العذاب كما حل بالليبيين الشرفاء إذا لم تدافعوا عن أنفسكم، إذا لم تبينوا أنفسكم أنكم أحياء .

أيها المسلمون:

في الوقت الحالي لن تستطيعوا الدفاع عن أنفسكم وبسلاحكم فقط؛ بل سخروا أقلامكم وكذلك باجتهادكم وبصبركم على المكائد، لتدافعوا عن كيانكم وعن أرضكم وعن مقدساتكم وتثبتوا للعالم بأنكم شعب يعرف كيف يقاوم .

لوزان ١٢ ذو القعدة

٧ أبريل ١٩٣١م

شكيب أرسلان

قال شكيب أرسلان ولما حررت المقالة التي نشرتها عن فجائع طرابلس وبرقة سنة ١٩٣١م على أثر دخول الطليان إلى الكفرة وارتجف لها العالم الإسلامي غضبًا وعلا الصراخ من كل جهة جاءني من الشهيد الأكبر بطل الجبل الأخضر السيد عمر المختار الكتاب الآتي:

عاشراً: رسالة من عمر المختار إلى شكيب أرسلان:

كانت تلك الجهود التي قام بها الأمير شكيب أرسلان وصلت أخبارها للمجاهدين، فأرسل قائد حركة الجهاد رسالة شكر واحترام وتقدير لتلك الأعمال وهذا نص الرسالة (إنه من خادم المسلمين عمر المختار إلى المجاهد الأمير الخطير أخينا في الله وزميلنا في سبيل الله الأمير شكيب أرسلان حفظه الله بعد السلام الأتم والرضوان الشامل الأعم ورحمة الله وبركاته، قد قرأنا ما دبجه قلمكم السيال عن فظائع الطليان وما اقترفته الأيدي الأثيمة من الظلم والعدوان بهذه الديار فإني وعموم إخواني المجاهدين نقدم لسامي مقامكم خالص الشكر، وعظيم المنونية. كل ما ذكرتموه عما اقترفته أيدي الإيطاليين هو قليل من كثير وقد اقتصدتم واحتطتم كثيراً ولو يذكر للعالم كل ما يقع من الإيطاليين لا توجد أذن تصغي لما يروى من استحالة وقوعه، والحقيقة والله وملائكته شهود أنه صحيح، وأننا في الدفاع عن ديننا ووطننا صامدون، وعلى الله في نصرنا متوكلون وقد قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته في ٢٠ ذي الحجة ١٣٤٩هـ) [١]

وقد علق شكيب أرسلان على تلك الرسالة فقال: وما لاحظه الشهيد المشار إليه هو عين الحقيقة فإن الناس يصعب عليهم أن يصدقوا الشناعات والدناءات والنذالات التي أقدم عليها الطليان في طرابلس ولا سيما الفاشيست منهم [٢].

إن رسالة عمر المختار للأمير شكيب أرسلان نستخلص منها فوائد جمّة، ففي قوله من «خادم المسلمين» دليل على تواضعه وافتخاره بكونه من خدّام المسلمين،

---

(١) انظر: حاضر العالم الإسلامي، (٢ / ٨٤).

(٢) المصدر السابق نفسه (٢ / ٨٤).

وهذا المعنى له مدلول عند الشيخ عمر المختار، فهو يتقرب إلى الله تعالى بخدمة المسلمين وهي من أعظم القربات عند الله تعالى، وفي قوله «إلى المجاهد الأمير الخطير» وصف الأمير شكيب بالمجاهد وهو بالفعل جاهد مع الليبيين بجانب جنود الأتراك ضد الطليان، وفيه دلالة على اهتمام عمر المختار بالمصطلحات الشرعية فلم يقل: مناضل، أو مكافح، أو ثائر . .

وإنما تقيد بوصفه مجاهداً لدلالة هذه الكلمة وعمقها في أوساط المسلمين، ووصفه بالخطير كيف لا وقد كانت مقالاته أنفذ من الرصاص في قلوب الإيطاليين، وساهمت في تشكيل تعاطف إسلامي وعربي كبير مع القضية الليبية العادلة، وفي قوله «أخينا في الله» فيه دلالة رابطة العقيدة التي جعلت المسلمين أخوة، فهي فوق كل الروابط الأرضية، وفي قوله «بعد السلام الأتم والرضوان الشامل الأعم» فيها قوة العبارة، وبلاغة الأسلوب، وروعة المدخل، وفي قوله: «قد قرأنا ما دبجه قلمكم السيال عن فظائع الطليان» دليل على متابعة المجاهدين لما يجرى خارج البلاد وله علاقة بقضية شعبنا، وأما بقية الرسالة ففيها تأكيد للأمير شكيب عن المعلومات التي وصلت إليه وقام بنشرها، وفيها إصرار قوي على مواصلة الجهاد والدفاع عن الدين والوطن، وفيها توكل على الله عظيم، هذا وقد قامت جمعية الشبان المسلمين بمصر بنشر بيان عن سياسة الإبادة والاستئصال التي اتبعتها إيطاليا في طرابلس الغرب وألقي ذلك البيان في اجتماع عظيم في نادي جمعية الشبان المسلمين ووقع عليه أهل الرأي، والمكانة في مصر ليرسل إلى جمعية الأمم، ويذاع في العالم الإسلامي وجاء في ذلك البيان الحديث عن:

١- سياسة التهجير:

لقد شهدت مصر مشهداً لا تستطيع الإنسانية أن تعرض عنه متجاهلة ما انطوى عليه من الآلام، وذلك أن مئات من بني الإنسان بين رجال ونساء وأطفال وشيوخ اضطروا تحت ضغط الجور إلى أن يتركوا أوطانهم تخلصاً من الظلم، وأن يهيموا على وجوههم في القفار، ولولا مروءة مأجور الواحات المصري الذي خرج هو

ورجاله للبحث عنهم حتى لقيهم وأنقذهم لهلكوا عطشًا وجوعًا، أولئك هم فريق من إخواننا الطرابلسيين الذين خرجوا من قسوة الحكم الإيطالي الذي لا يطاق.

٢- سياسة القتل والرمي في البحر:

ولم تكد أعيننا تكفكف الدموع على هذا المشهد الذي شهدته على اليابسة حتى حملت إلينا أمواج البحر في السلوم مشهدًا آخر أفظع من هذا وأشنع، فرمي البحر إلى هذا الساحل المصري أربع عشرة جثة من جثث هؤلاء الطرابلسيين مغلولة في سلسلة واحدة .

٣- عمل الإيطاليين في الكفرة:

ثم توالت الأخبار بأن زاوية الكفرة المنقطع أهلها للعبادة قد أمطرتها طائرات الإيطاليين بالقنابل وفتكت بأهلها فتكًا ذريعًا، وبعد ذلك هاجمها الجيش، وكاد يأتي على البقية من أهلها ولم يتعفف عن هتك الأعراض وسلب الأموال وبقر بطون الحوامل .

٤- قتلهم لأهل العلم:

وقد قتل من أهل الكفرة في هذه النازلة كثيرون منهم الشيخ أبو شنة، وابن أخيه الشيخ عمر والشيخ حامد الهامة، والشيخ عبد السلام أبو سريويل، والشيخ محمد المنشوف، وابن أخيه علي بن حسين، والشيخ محمد العربي، والشيخ محمد أبو سجادة ، والشيخ أحمد الفاندي الجلولي، والشيخ خليفة الدلاية .

٥- قتلهم لكبار شيوخ الكفرة:

ولما ذهب كبار شيوخ زاوية الكفرة إلى القائد الكبير يرجونه وضع حد لهذه المذابح أمر بذبحهم أمامه كما تذبح الشياه .

٦- قتل الأبرياء برميهم من الطائرات:

ومن الفظائع التي ارتكبها الإيطاليون في برقة، ونقلها الرواة الصادقون أنهم

وضعوا أحد مشايخ عائلة الفوائد المدعو الشيخ سعد وخمسة عشر شخصًا من العرب في الطائرات وارتفعوا بهم عن سطح الأرض ثم جعلوا يلقونهم واحدًا بعد الآخر ليموتوا ميتة لم يسبق لها مثيل .

٧- انتزاع الأراضي من أهاليها وتجويعهم:

ومن الفظائع التي ارتكبوها في الجبل الأخضر إخراج أهله منه وهم لا يقل عددهم عن ثمانين ألف عربي إلى بادية سرت القاحلة، ثم أذاعوا بواسطة قنصليتهم في بلاد الأرجنتين أن حكومة طرابلس وبرقة تعطي الأراضي الخصبة فيها لكل إيطالي يريد النقلة إليها، وبلغت مساحة الأراضي التي أخذت غصبًا نحواً من مائتي ألف هكتار، ولا تزال الحكومة الإيطالية تحث الإيطاليين على استعمار هذه الأراضي وقبل انتزاع أراضي الجبل الأخضر من أهله في هذه السنة انتزعت في سنة ١٩٢٤م ما مساحته ٤٢٠ ألف هكتار بدون مقابل، وفي بعض الأحيان كان المقابل عن المائة ألف هكتار ستة آلاف فرنك إيطالي - أي خمسين جنيهًا تقريبًا- وقد خرج أهالى الجبل الأخضر عند إجلائهم منه وهم لا يملكون ما يقتاتون به فرتبوا لكل عائلة فرنكين في اليوم وهم الآن يعيشون بهذا المرتب عيشة بؤس تفتت الأكباد، وفي أثناء نقلهم إلى صحراء سرت كان كلما عجز واحد منهم عن مواصلة المشي يرمي بالرصاص .

٨- ترحيل الأطفال إلى إيطاليا لتنصيرهم:

وفضلاً عن كل ذلك فقد جمع الإيطاليون الأطفال الوطنيين من ٣ إلى ١٤ وأخذوهم من أهلهم وأرسلوهم إلى إيطاليا بزعم تعليمهم فيها، وجمعوا الشبان من سن ١٥ إلى ٤٠ وألحقوهم بالجيش واستخدموهم في محاربة أهلهم وبلادهم.

٩- إرساليات التبشير بين الأهالي:

وبلغ الاستهتار بالشعور الإسلامي مبلغًا عظيمًا بين إرساليات التبشير المنبثة الآن بين الأهالي، ومن صدور الأوامر المشددة على الخطباء في الجوامع بالدعاء لملك إيطاليا على المنابر .

١٠- خداعها للأهالي [١]:

وقد حدث مرارًا أن الحكومة تعلن عن العفو والأمان، فإذا وقع العفو عنهم وغدو في قبضتهم غدرت بهم، وممن ذهبوا ضحية هذا الغدر من رؤساء القبائل خليفة بن عسكر، والشيخ عبيدة الصرماني، وأحمد الباشا، وإبراهيم بن عباد، والهادي كعبار وابنه محمد كعبار، والشيخ أحمد أحمد الحجاوي، والشيخ علي الشويخ، والشيخ عبد السلام بن عامر، والشيخ محمد التريكي، والشيخ شرف الدين العمامي، والشيخ أحمد بن حسن بن المنتصر، والشيخ عمر العوارني، والشيخ محمد عبد العال، ومن الضحايا الذين لا يعرف لهم ذنب؛ الشيخ صالح العوامي وهو شيخ يبلغ التسعين عامًا من أهل العلم والصلاح قبضت عليه إيطاليا سنة ١٩٢٣ وزوجته في سجن بنغازي إلى أن مات فدفن بمحل مجهول، فأرواح هؤلاء الضحايا تصيح بالإنسانية جميعها، وبجمعية الأمم بنوع خاص أن هلمي إلى إنقاذ البقية الباقية من أبناء الإنسانية المعذبة في هذه الربوع من سياسة الفتك والاستئصال والإبادة التي تتبعها إيطاليا في طرابلس المنكوبة وأن العالم الإسلامي يعتبر ما وقع ويقع في طرابلس الغرب عدوانًا مباشرًا على كل مسلم مهما كانت جنسيته ووطنه، وسيبقي عار هذه الأعمال لاصقًا لإجراء تحقيق دولي حر دقيق في نفس بلاد برقة وطرابلس عن كل ما جرى فيها وإعلان نتيجته كما تقتضيه العدالة والحق، والموقعون على هذا يطلبون من جمعية الأمم إجراء هذا التحقيق تنزيهًا للإنسانية عن لحوق هذا العار بها إلى الأبد ويرجون بإلحاح أن يكون لهم مندوب يختارونه مع لجنة التحقيق، وهم ينتظرون ما تقرره العصبة في هذا الشأن بفارغ الصبر .

التوقيعات:

١- محمد الشرقاوي .

٢- خليل الخالدي رئيس الاستئناف الشرعي بفلسطين .

---

(١) انظر: مجلة المنار (ج٩، م٣، ص ٧١٤،٧١٥،٧١٦) .

٣- محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار الإسلامية .

٤- محمد عبد اللطيف دراز من العلماء وعضو مجلس إدارة .

٥- جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة .

٦- محمد عبد الرحمن قراعة من العلماء ومدرس بالأزهر الشريف .

٧- عبد الوهاب النجار، وكيل جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة .

٨- محمد كامل القصاب .

٩- محمد تقي الدين الهلالي، الأستاذ الأول للآداب العربية بندوة العلماء بالهند .

١٠- على سرور الزنكلوني، المدرس بقسم التخصص بالأزهر .

لقد عبث الجنود الإيطاليون بالمكتبة السنوسية، التي كانت ثروة علمية ضخمة فأخذت أيدي الجنود تبددها ذات اليمين وذات الشمال وتوقد بها النيران للطعام، وأخيرًا صدرت الأوامر بجمع ما تبقي منها ونقله إلى بنغازي فنقلته أربعون سيارة شحن كبيرة وعدد كبير من الإبل، ولم تنج هذه المكتبة بعد وصولها إلى بنغازي من العبث فقد تسرب الكثير منها إلى أيدي الأفراد، ونقل قسم كبير منه إلى إيطاليا، وهكذا وصلت يد الفساد الإيطالية إلى كل شيء في ليبيا [١] .

عندما تم اعتقال جميع أهالي برقة وحصرهم، وتم احتلال واحة الكفرة لم يعد إذن أمام سفاح برقة إلا شيء واحد؛ هو إتمام وضعية مد الأسلاك الشائكة التي ستفصل بين برقة ومصر فصلاً نهائيًّا، فأخذ في سرعة تتميمها مجندًا لذلك كل ما لديه من إمكانيات، وكان قد استدعى شركات المقاولات الخاصة من إيطاليا، فتعهدت كل شركة منها بإتمام الجزء المخصص لها تحت إشراف القيادة العسكرية التي وضعت مهندسيها تحت تصرف هذه الشركات، وقد استوردت الحكومة الإيطالية معدات خاصة من ألمانيا فضلاً عما جاءت به من إيطاليا لهذا الغرض المطلوب،

---

(١) انظر: عمر المختار، ص (١٣٤) .

ووضعت تحت تصرف هذه الشركات عـشرات الآلاف من العمال الذين جندتهم من المعتـقلات تلهب ظهورهم السـياط، وهكذا امتـد خط الأسلاك الشائكة من البـحر المتـوسط إلى ما بعـد الجغـبوب فكان طوله حـوالي ثلاثمائة كـيلو متـر، ثم وضع غراسيـاني نقاطًا عسكرية مـزودة بجميع المعدات الحـربية، وربط بعضهـا ببعض من حيث الاتصـال فيـما إذا احتـاجت نقطة لمساعـدة الأخرى تهب بسـرعة، ومن هذه النقاط: مساعد، والشقة، وبئر الغبي، وقـبر صالح، وسيدي عمر، وبئر حكيم، ثم زوّد غراسـياني هذا السـياج المحكم بمولدات كـهربائيـة لمده بالنور حتى لا يسـتطاع الإفلات منه مـهما تكن الأحـوال، وإذا ما قدر لأي إنسان أن يصـل إليه فسيـواجه معركتين عسيرتين لا سبيل لإفلاته من إحداهما إذا ما تيسر له الإفلات من الأخري، وتتـمثل المعـركتان في مـحاولة تقـطيع الأسلاك، وفي الدفـاع عن النفس، وتقطيع الأسلاك يـحتاج إلى مـعدات فنيـة وإلى وقت من الزمن فكيف إذن لمن يتـمكن من الوصول إلى هذا السياج إجراء عملية التقطيع وعملية الدفاع في آن واحد [1] .

كان المجـاهدون مستمـرين في جهادهم والقوات الإيـطالية تشتبك مـعهم وهي مجـهزة بالمصفحـات والطائرات والمدفعيـة وكان القتال لا يتـوقف وقد أورد الجنرال غراسياني في كتـابه أنه التقى مع عمر المختار في مائتين وستين معركـة خلال الثمانية عشـر شهـرًا ابتداء من حكـمه في برقـة إلى أن وقع عمـر المختـار أسيراً وقـد ثبت المجاهدون في حالتي الدفاع والهجوم .

كان المجـاهدون يقضون مـعظم أوقاتهم في حـالة استعـداد قصوى ويوجـهون الضربات المحكمـة للطليان وحار سـفاح برقة في أمر المجـاهدين، ورغم الإجراءات التي اتخذها والتـي كان يثق في فائدتهـا إلا أنه أصيب بالقنوط واليـأس وأصبح كل أمله في موت عمر المختار الطبيعي قائلاً لكبـار مرؤسيه في أكثر من مناسبة: إن عمر المختار شيخ كبير ولا بد من موته عـاجلاً أو آجلاً فعلينا أن ننتظر تلك الساعة ولعلها لا تكون بعيدة، وفـكر غراسياني ذات مرة تفكيـرًا غريبًا وإن كان لا يسـتغرب على

(١) انظر: عمر المختار، ص (١٣٥) .

تفكيره أي شيء، فكر في إحراق جميع غابات الجبل الأخضر، ودرس هذا الموضوع جديًا مع مستشاريه السياسين والعسكريين [١] . إلا أن السيد صالح بك المهدوي أحد زعماء بنغازي استطاع أن يثني غراسياني عن هدفه بعد أن اجتمع به، وشرع غراسياني يتكلم عن عمر المختار محملاً مسئولية ذلك إلى جميع أهل البلاد، وقال عنهم لو أنهم صدقوا معنا لما استمر عمر المختار في موقفه اليائس يقاتل جنودنا، ثم انتقل فجأة ليتحدث عن موضوع حرق غابات الجبل الأخضر وقال: إن الحكومة الإيطالية يهمها أن تنهض بهذه البلاد، وإن عمر المختار وقف عقبة في سبيل النهوض، وحاولت الحكومة أكثر من مرة أن تنصحه للإقلاع عن محاربتنا ولكنه رفض الانصياع إلى نصائح الحكومة معتمداً على اختفائه في مغارات الجبل وغاباته، ولقد صممت أن أزيل هذه الغابة التي يحتمي وراءها ساخراً بقوة الحكومة، وسكت الجنرال قليلاً، ثم طلب من صالح بك المهدوي أن يشاركه البحث في هذا الموضوع فأجابه بقول:

إن عمر المختار سينتهي بلا شك فقاطعني عند كلمتي هذه بقوله: (إكُّو إكُّو . . . كويستا لفيريتا . . يانوتا يانوتا . . . سينتا . . . سينتا . . . ديري . . ديري . . . أوانتي . . . أوانتي . .) ومعنى هذه الكلمات الإيطالية هو: هكذا . . هكذا . . هذه هي الحقيقة (. . . اسمع يايانوتا (الترجمان) اسمع . . . اسمع . . . قل . . . قل . . . استمر . . . استمر) إنكم يا دولة الوالي اتخذتم بحزم جميع الاحتياطات التي من شأنها القضاء عليه، والمسألة وقت لا أقل ولا أكثر، وهنا تحمس الجنرال لكلماتي هذه كأنها صادفت هوى في نفسه، أو كأنني قلت له شيئًا كان يريد أن يسمعه .

وقلت له مواصلاً الحديث: إن الدولة الإيطالية في حاجة لاستثمار كل شجرة في هذه البلاد، وسوف يكون فضل هذا الاستثمار المنتظر على أيديكم فإذا ما أقدمتم على حرق الغابات -والكلمة الأخيرة لدولتكم- فسوف يمر زمن طويل وطويل جداً دون إعادتها من جديد لما كانت عليه، هذا إذا لم يكن إعادتها مستحيلاً، وإليكم

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص (١٣٧) .

يا دولة الوالي نذكر مسألة لها وجه الشبه برأيكم هذا . في عهد الدولة العثمانية قامت قبيلة البراعصة بعصيان ضد الحكومة وتعذر على الحكومة إنهاء العصيان، واعتبرت أن غابات الجبل الأخضر كانت أكبر مشجع للقبائل على العصيان فتتخذ منه مخابئ لا يقوى الجنود العثمانيون على اكتشافها فأرادت الحكومة أن تقوم بحرق جميع الغابات وسمع السلطان بذلك فاعترض على هذه الفكرة قائلاً: إذا كان الموجب لعصيان الأهالى هو تمنعهم عن دفع العشور والعوائد الحكومية فإنني أدفعها عنهم من جيبي الخاص حماية للغابات في الجبل الأخضر، ولا أوافق على حرقها . وعندما انتهيت من الحديث معه ودعني شاكراً) [١] .

لقد حرص صالح بك المهدوي على حماية الجبل الأخضر من عبث غراسياني الذي كانت في يده إمكانات إيطاليا للقضاء على حركة الجهاد، ولذلك جادل وناقش وحاول أن يقنع غراسياني بالإقلاع عن تلك الفكرة الجهنمية لقد قال صالح بك عندما سئل عن صحة ما إذا كانت الحكومة العثمانية فكرت في إحراق غابات الجبل الأخضر، فأجاب بقوله: إن المسألة التي ضربت بها المثل للجنرال غراسياني كان لها أثر في عهد قديم ، والحديث عنها يطول، والطليان لا يريدون ذكرها من وجهة سياسية محضة وعلى كل حال كنت أرمي بذكرها للجنرال غراسياني إلى حماية جبلنا من عبث هذا المجنون الذي وضعوا في يده سيفًا حاداً .

كان غراسياني يملك القوات الضخمة في البر والبحر والجو، والسلطة الغاشمة المستبدة في برقة، والخزائن المرصوفة بالأموال، والسجون والمعتقلات والمشانق، ومع هذا يضعف ويسيطر عليه العجز أمام المجاهدين وقائدهم العظيم حتى دفعه تفكيره إلى حرق الغابات بعد أن تمكن من حرق الأكباد والأفئدة والأجسام، لقد وقع تحت تأثير عصبي حاد من جراد ما أصابه من الفشل الذريع وكان في طريقه إلى الاستقالة أو الإقالة لولا تقدير الله بوقوع عمر المختار في الأسر [٢] .

---

(١) انظر: عمر المختار للأشهب، ص (١٣٩) .
(٢) انظر: عمر المختار للأشهب، ص (١٤١) .

المبحث الثالث
الأيام الأخيرة من حياة المختار ووقوعه في الأسر ثم إعدامه

أولاً: أحمد الشريف يحترق على بلاده ويرسل محمد أسد لمعرفة أخبار المجاهدين:

كان محمد أسد صاحب كتاب «الطريق إلى الإسلام» قد تعرف علي أحمد الشريف أثناء إقامته في الحجاز وقد تأثر به غاية التأثر، وأحبه حبًّا عظيمًا، يقول محمد أسد: (ليس في الجزيرة العربية كلها شخص أحببته كما أحببت السيد أحمد؛ ذلك أنه ما من رجل ضحى بنفسه تضحية كاملة مجردة عن كل غاية في سبيل مثل أعلى، كما فعل هو ، لقد وقف حياته كلها، عالمًا ومحاربًا، علي بعث المجتمع الإسلامي بعثًا روحيًا، وعلى نضاله في سبيل الاستقلال السياسي ذلك أنه كان يعرف جيداً أن الواحد لا يمكن أن يتحقق من دون الآخر) [١] .

لقد تعرف محمد أسد على أحمد الشريف بواسطة المجاهد الأندونيسى حاجي آغوس سالم الذي كان يمثل مركز القيادة في جهاد إندونيسيا ضد أعدائها، وكان قد جاء معه بقصد الحج وعندما عرف السيد أحمد الشريف أن محمد أسد حديث عهد بالإسلام، مد إليه يده وقال: (مرحبًا بك بين إخوانك، يا أخي الشاب . .)[٢] .
لقد أحب محمد أسد أحمد الشريف وتفاعل مع قضية ليبيا وكان يمضي معه وبصحبة السيد محمد الزاوي الساعات الطوال للبحث في وضع المجاهدين في ليبيا واستمرت الاجتماعات في مساء كل يوم طيلة أسبوع تقريبًا لبحث ما كان بالإمكان صنعه، وقد رأي الشيخ محمد الزاوي أن إمداد المجاهدين بين الفينة والأخرى لم يكن من شأنه أن يحل المشكلة، فقد كان يعتقد أن واحة الكفرة، في الجنوب من صحراء ليبيا

(١) انظر: الطريق إلى الإسلام، ص (٣٣١) .
(٢) انظر: الطريق إلى الإسلام، ص (٤٤٦) .

يجب أن تكون ثاني محور لكل العمليات الحربية في المستقبل وكان يظن أن الكفرة ما تزال بعيدة عن تناول الجيوش الإيطالية، وفوق ذلك فقد كانت تقع على طريق القوافل (ولو كان طويلاً وشاقًا) إلى واحتي بحرية وفرفرة المصريتين، ولذا كان يمكن تموينها بصورة جادة أكثر من أي موقع آخر في ليبيا، كما كان يمكن أن يتحول كثير من المهاجرين إلي مصر إليها لتكون مستودعًا دائمًا لإمداد عمر المختار في الشمال، وكان أحمد الشريف مستعدًا للذهاب بنفسه، لو أمكن إعادة تنظيم القتال على تلك الصورة، للإشراف على العمليات الجهادية بنفسه (١) .

لقد تحدث محمد أسد عن سبب اهتمامه بالقضية السنوسية فقال: لم يكن اهتمامي البالغ بمصير السنوسيين ناشئًا عن إعجابي ببطولتهم المتناهية في قضية عادلة مقسطة فحسب، بل إن ما كان يهمني أكثر من ذلك هو ما كان يمكن أن يحدثه انتصار السنوسيين من تأثير على العالم العربي بأكمله إذ أنني لم أستطع أن أرى في العالم الإسلامي كله إلا حركة واحدة كانت تسعى صادقة إلى تحقيق المجتمع الإسلامي المثالي: الحركة السنوسية، التي كانت تحارب الآن معركتها الأخيرة في سبيل الحياة وبسبب أن السيد أحمد كان يعرف مبلغ عطفي الشديد على القضية السنوسية، فقد التفت إلى وسدد نظره إلى عيني وسألني قائلاً: (هل تذهب يا محمد إلى برقة بالنيابة عنا، فتقف على ما يمكن صنعه للمجاهدين؟ لعلك تستطيع أن تري الأمور بأجلى مما يراها بنو قومي . . .) (٢) .

وبعد أن وافق محمد أسد على تلك المهمة الصعبة تناول أحمد الشريف من على أحد الرفوف نسخة من القرآن الكريم ملفوفة بغلاف من الحرير، وبعد أن وضعها على ركبته أمسك بيدي اليمني بين يديه ووضعها على الكتاب:

(اقسم يا محمد، بالله الذي يعلم ما في القلوب، على أنك ستبقى أمينًا للمجاهدين . . .) .

(١) انظر: الطريق إلى الإسلام، ص (٤٤٦) .
(٢) انظر: الطريق إلى الإسلام، ص (٣٤٧) .

قال محمد أسد: فأقسمت ولم أشعر في حياتي يومًا أنني كنت أكثر وثوقًا بوعدي مما كنت في تلك اللحظة (١) .

قام أحمد الشريف بترتيب أمور هذه الرحلة واتصل بأتباع الحركة في مصر ووصل الخبر إلى عمر المختار واستعد محمد أسد لهذه الرحلة المثيرة مع رفيقه زيد من قبيلة شمّر، وشرع في تنفيذ خطواته وكان رجال الحركة السنوسية يقودونه بمهارة بارعة حتى وجد نفسه أمام عمر المختار في الجبل الأخضر وقد فصل الأستاذ محمد أسد تلك الرحلة في كتابه المشهور (٢) .

لقاؤه بعمر المختار:

بعد دخول محمد أسد إلى الجبل الأخضر من جهة الصحراء الغربية المصرية بواسطة المجاهدين الذين أرسلهم عمر المختار لاستقباله وجد محمد أسد نفسه أمام قائد حركة الجهاد، ويصف لنا محمد أسد ذلك اللقاء فيقول: كان يحيط به رجلان من كل جانب، ويتبعه كذلك عدد آخر، وعندما وصل إلى الصخور التي كنا ننتظر عندها، ساعده أحد رجاله على النزول، ورأيت أنه كان يمشي بصعوبة (عرفت بعدئذ أنه قد جرح إبان إحدي المناوشات قبل ذلك بعشرة أيام) وعلى ضوء القمر المشرق استطعت الآن أن أراه بوضوح: كان رجلاً معتدل القامة قوي البنية ذا لحية قصيرة بيضاء كالثلج تحيط بوجهة الكئيب ذي الخطوط العميقة، وكانت عيناه عميقتين، ومن الغضون المحيطة بهما كان باستطاعة المرء أن يعرف أنهما كانتا ضاحكتين براقتين في غير هذه الظروف، إلا أنهما لم يكن فيهما الآن شيء غير الظلمة والألم والشجاعة .

واقتربت منه لأحييه، وشعرت بالقوة التي ضغطت بها يده على يدي (مرحبًا بك يا بني) قال ذلك وأخذ يجيل عينيه فيَّ متفحصًا: لقد كانت عيني رجل كان الخطر خبزه اليومي .

---

(١) انظر: الطريق إلى الإسلام، ص (٣٤٨) .

(٢) انظر: الطريق إلى الإسلام، ص (٣٤٨ إلى ٣٦٠) .

وفرش أحد رجاله حرامًا على الأرض فجلس سيدي عمر عليه متثاقلاً وانحنى عبد الرحمن [١] ليقبل يده ثم شرع بعد استئذانه، يوقد نارًا خفيفة تحت الصخرة التي كنا محتمين بها وعلى ضوء النار الخافت، قرأ سيدي عمر الكتاب الذي حملنيه السيد أحمد إليه. لقد قرأه باهتمام وعناية، ثم طواه ووضعه لحظة فوق رأسه - وهي أمارة الاحترام والحب لا يكاد المرء يراها في جزيرة العرب ولكنه كثيرًا ما يراها في شمالي إفريقيا - ثم التفت إليَّ مبتسمًا وقال: (لقد أطراك السيد أحمد، أطال الله عمره، في كتابه. أنت على استعداد لمساعدتنا، ولكني لا أعلم من أين يمكن أن تأتينا النجدة، إلا من الله العلي الكريم. إننا حقًّا على وشك أن نبلغ نهاية أجلنا..).

فقلت: (ولكن.. هذه الخطة التي وضعها السيد أحمد، ألا يمكن أن تكون بداية جديدة؟ وإذا أمكن تدبير الحصول على المؤن والذخائر من الكفرة بصورة ثابتة، أفلا يمكن صد الإيطاليين؟) [٢].

لم أر في حياتي ابتسامة تدل على ذلك القدر من المرارة واليأس كتلك الابتسامة التي رافقت جواب سيدي عمر: (الكفرة...؟ لقد خسرنا الكفرة، فالإيطاليون قد احتلوها منذ أسبوعين تقريبًا...) [٣].

وأذهلني الخبر، ذلك إنني والسيد أحمد، طوال تلك الأشهر الماضية، كنا نبني خططنا على افتراض أن الكفرة يمكن أن تكون نقطة تجمع لتقوية المقاومة، أما وقد ضاعت الكفرة فإنه لم يبق للسنوسيين سوى نجد الجبل الأخضر لا شيء سوى كماشة الإيطاليين التي كانوا يضيقونها بثبات واستمرار.. وخسارة نقطة بعد نقطة.. واختناق بطيء).

- وكيف سقطت الكفرة؟

---

(١) هذا من المجاهدين الذين استلموا محمد أسد ورفيقه عند الحدود المصرية.

(٢) انظر: الطريق إلى الإسلام، ص (٣٦٠، ٣٦١).

(٣) المصدر السابق نفسه، ص (٣٦١).

فأومأ سيدي عمر إيماءة متعبة إلى أحد رجاله أن يقترب: (دع هذا الرجل يقص عليك الخبر . . إنه واحد من أولئك القلائل الذين هربوا من الكفرة، ولم يصل عندي إلا بالأمس) .

وجلس الكفري على ردفيه أمامي وجذب برنسه البالي حوله وتكلم ببطء دون أن يبدو في صوته أي أثر للانفعال، ولكن وجهه الناحل كان يعكس جميع الأهوال التي شهدها .

(لقد خرجوا علينا في ثلاث فرق من ثلاث جهات، وكان معهم سيارات مصفحة ومدافع ثقيلة كثيرة. أما طائراتهم فقد حلقت على علو منخفض ورمت بالقنابل البيوت والمساجد وغياض النخيل. لم يكن لدينا سوى بضع مئات من الرجال يستطيعون حمل السلاح، أما الباقون فقد كانوا نساء وأطفالاً وشيوخًا . لقد دافعنا عن أنفسنا بيتًا بيتًا، ولكنهم كانوا أقوى كثيراً منا، وفي النهاية لم يبق إلا قرية الهواري. لم تنفع بنادقنا في سياراتهم المصفحة فطغوا علينا، وتمكن عدد قليل جدًّا من الهرب. أما أنا فقد اختبأت في حدائق النخيل، مترقبًا الفرصة لشق طريقي خلال الخطوط الإيطالية، وكنت طوال الليل أسمع ولولة النساء اللواتي كان الجنود الإيطاليون والعساكر الإريتريون يغتصبونهن وفي اليوم التالي أحضرت لي امرأة عجوز بعض الماء والخبز، وأخبرتني أن الجنرال الإيطالي قد حشد كل من تبقى على قيد الحياة أمام قبر السيد محمد المهدي وأمام أعينهم مزق نسخة من القرآن الكريم ثم رماها إلى الأرض وداس عليها بحذائه صائحًا: (دعوا نبيكم البدوي يساعدكم الآن إذا استطاع!) ثم أمر بقطع أشجار النخيل في الواحة وهدم آبارها، وأحرق كل ما كان في مكتبة السيد أحمد البدوي من كتب، وفي اليوم التالي أصدر أمره بوضع بعض شيوخنا وعلمائنا في طائرة حلقت بهم ورمتهم من علو شاهق، وطوال الليلة التالية كنت أسمع من مخبئي صرخات النساء وضحكات الجنود وطلقات بنادقهم. . وأخيرًا زحفت إلى الصحراء في ظلام الليل فوجدت جملاً شاردًا امتطيته ووليت فرارًا . .) [1] .

---

(١) انظر: الطريق إلى الإسلام، ص (٣٦٢) .

وعندما أنهى الرجل قصته المروعة قربني سيدي إليه بلطف وكرر قوله: (إنك تستطيع أن ترى، يا بني، أننا قد اقتربنا فعلاً من نهاية أجلنا) ثم أضاف: (إننا نقاتل لأن علينا أن نقاتل في سبيل ديننا وحريتنا حتى نطرد الغزاة أو نموت نحن وليس لنا أن نختار غير ذلك . إنا لله وإنا إليه راجعون - لقد أرسلنا نساءنا وأولادنا إلى مصر كيما نطمئن على سلامتهم متى شاء الله لنا أن نموت) .

قلت: (ولكن يا سيدي عمر، أليس من الأفضل لك وللمجاهدين أن تنسحبوا إلى مصر بينما لا يزال هناك طريق مفتوح أمامكم؟ فلقد يكون من الممكن في مصر جمع المهاجرين الكثيرين من برقة وتنظيم قوة أكثر فعالية وجدوى . إن القتال هناك يجب أن يوقف بعض الوقت حتى يستعيد الرجال شيئًا من قوتهم . . . أنا أعرف أن البريطانيين في مصر لا ينظرون بعين الرضى إلى وجود قوات إيطالية راسخة الأقدام على خاصرتهم، فقد يغضون الطرف، والله أعلم، عن استعداداتكم فيما إذا أقنعتموهم بأنكم لا تعتبرونهم أعداء . . .) .

فأجاب: (كلا يا بني، لم يعد هذا يجدي الآن، إن ما تقوله كان ممكنًا منذ خمس عشرة أو ست عشرة سنة، قبل إن يقوم السيد أحمد، أطال الله عمره، بمهاجمة البريطانيين كي يساعد الأتراك - الذين لم يساعدونا . . . أما الآن فلم يعد في الأمر ما يجدي . . إن البريطانيين لن يحركوا إصبعًا لكي يسهلوا علينا أمرنا، والإيطاليون مصممون على أن يقاتلونا حتى النهاية، وعلى سحق كل إمكانية للمقاومة في المستقبل، فإذا ذهبت وأتباعي الآن إلى مصر، فإننا لن نتمكن مطلقًا من العودة ثانية، وكيف نستطيع أن نتخلى عن قومنا ونتركهم ولا زعيم لهم، لأعداء الله يفترسونهم؟) .

- وما قول السيد إدريس؟ هل يشاركك الرأي يا سيد عمر؟

- (إن السيد إدريس رجل طيب، إنه ولد طيب لوالد عظيم، ولكن الله لم يعطه قلبًا يمكنه من تحمل مثل هذا الصراع . . .) [1] .

---

(١) انظر: الطريق إلى الإسلام، ص (٣٦٣) .

كان زيد الشمّري رفيق محمد أسد في رحلته بصحبة خليل أحد المجاهدين لإحضار قرب الماء، وبعدما رجع وقع بصر خليل على سيدي عمر هجم لتقبيل يده، وبعد ذلك قدم محمد أسد زيدًا إلى عمر المختار فوضع المختار يده على كتفه وقال:

(مرحبًا بك، يا أخي، من أرض أجدادي، من أي العرب أنت؟ وعندما أخبره زيد أنه من قبيلة شمر، أومأ عمر برأسه مبتسمًا: (آه، إذن أنت من قبيلة حاتم الطائي، أكرم الناس يدًا . . .) .

وقدم لهم رجال المختار بعض التمر، ودعاهم المختار إلى ذلك الطعام البسيط فأكلوا، ونهض قائد المجاهدين وقال: (آن لنا أن نتحرك من هنا ، إننا على مقربة من المركز الإيطالي في بوصفية، ولذا لا نستطيع أن نتأخر حتى الفجر . .) .

وتحرك محمد أسد مع قائد حركة الجهاد ووصل إلى معسكر المجاهدين ووقعت عيناه على امرأتين إحداهما مسنة والأخرى شابة - في المعسكر كانتا جالستين بالقرب من أحد النيران، مستغرقتين في إصلاح سرج ممزق بمخرز غليظ.

وعندما لحظ الشيخ عمر المختار دهشة محمد أسد قال: (إن أختينا هاتين تذهبان معنا حيثما نذهب، لقد رفضتا أن تسعيا إلى أمن مصر مع سائر نسائنا وأولادنا، إنهما أم وابنتها، وقد فقدتا جميع رجالهما في الحرب . . .) (١) .

اتفق عمر المختار مع محمد أسد على طريقة إمداد المجاهدين بالمؤن والعتاد والسلاح عن طريق الطريق التي جاء منها محمد أسد، مع إنشاء مستودعات سرية في واحات بحرية وفرفرة وسيوة، وكان عمر المختار يشك في إمكانية الإفلات من مراقبة الإيطاليين بهذه الطريقة مدة طويلة .

وقد تبين بعد ذلك أن ظنونه ومخاوفه كانت في محلها، ذلك أنه بعد بضعة أشهر تمكنت قافلة تحمل المؤن والذخائر من الوصول فعلاً إلى المجاهدين، إلا أن الإيطاليين اكتشفوها بينما كانت تجتاز الفجوة بين الجغبوب وجالو، وسريعًا ما أنشئوا

---

(١) انظر: الطريق إلى الإسلام، ص (٣٦٥) .

بعد ذلك مركزًا محصنًا في بير طرفاوي على نصف المسافة تقريبًا بين الواحتين، مما جعل -بالإضافة إلى الدوريات الجوية المستمرة- كل مسعى آخر من هذا النوع خطراً إلى أبعد الحدود [١] .

وكان قد تقرر رجوع محمد أسد وزيد الشمّري إلى الحجاز ورجوع من حيث أتوا بواسطة المجاهدين البواسل الذي رتبوا الأمور، وأخذوا بالأسباب، وحافظوا على ضيوفهم الكرام .

يقول محمد أسد: وودعت وزيد عمر المختار، ولم نره بعد ذلك إطلاقًا، ذلك أنه بعد ثمانية أشهر، قبض عليه الإيطاليون وأعدموه .

وقد وصف لنا محمد أسد آخر لقاء مع السيد أحمد الشريف فقال: ومرة أخرى وقفت أمام إمام السنوسية ونظرت إلى وجه ذلك المحارب القديم المرهق، ومرة أخرى قبلت اليد التي حملت السيف طويلاً جدًّا حتى أنها لم تعد تستطيع بعد أن تحمله .

(بارك الله فيك يا بني . . لقد مضت سنة منذ أن التقينا أول مرة، وهذه السنة قد شهدت نهاية آمالنا ولكن الحمد لله على كل حال . . .) .

والحق أنها كانت سنة مفعمة بالهموم والأكدار بالنسبة إلى أحمد: لقد أصبحت الأخاديد حول فمه أكثر عمقًا، وأصبح صوته أكثر انخفاضًا من أي وقت مضى .

لقد هوى النسر ، إنه يجلس منكمشًا على السجادة، وقد لف نفسه ببرنسه الأبيض كأنما يطلب الدفء، ويحدق بصمت في الفراغ وهمس: (ولو أننا استطعنا فقط أن ننقذ عمر المختار، لو أننا تمكنا من إقناعه بالهرب إلى مصر بينما كان هناك متسع من الوقت . . .) .

فقلت له: (لم يكن باستطاعة أحد أن ينقذ سيدي عمر، إنه لم يرد أن ينقذ، لقد فضل أن يموت إذا لم يستطع أن ينتصر، لقد عرفت ذلك عندما فارقته ياسيدي أحمد . . .) [٢] .

---

(١) انظر: الطريق إلى الإسلام، ص (٣٦٦) .

(٢) انظر: الطريق إلى الإسلام، ص (٣٧٠) .

إن أحمد الشريف اهتم ببلاده بمجرد هجرته منها وكان على اتصال بالمجاهدين وقد حدثني السيد عبد القادر بن علي أن أحمد الشريف قام بكتابة رسائل إلى قبائل برقة يحثهم فيها على السمع والطاعة للشيخ عمر المختار رحمهم الله .

ثانيًا: الأسد يقع أسيراً:

ظل المختار في الجبل الأخضر يقاوم الطليان على الرغم من هذه الصعوبات الجسيمة التي كانت تحيط به وبرجاله، وكانت من عادة عمر المختار الانتقال في كل سنة من مركز إقامته إلى المراكز الأخرى التي يقيم فيها إخوانه المجاهدون لتفقد أحوالهم، وكان إذا ذهب لهذا الغرض يستعد للطوارئ، ويأخذ معه قوة كافية تحرسه من العدو الذي يتربص به الدوائر في كل زمان ومكان، ولما أراد الله أن يختم له بالشهادة ذهب في هذه السنة كعادته في نفر قليل يقدر بمائة فارس، ولكنه عاد فردً من هذا العدد ستين فارسًا وذهب في أربعين فقط . ويوجد في الجبل الأخضر واد عظيم معترض بين المجاهدين اسمه وادي الجريب (بالتصغير) وهو صعب المسالك كثير الغابات، كان لا بد من اجتيازه، فمر به عمر المختار ومن معه، وباتوا فيه ليلتين، وعلمت بهذا إيطاليا بواسطة جواسيسها في كل مكان، فأمرت بتطويق الوادي على عجل من جميع الجهات بعد أن جمعت كل ما عندها من قوة قريبة وبعيدة، فما شعر عمر المختار ومن معه إلا وهم وسط العدو [1] وقرر منازلة الاعداء وجهًا لوجه فإما أن يشق طريقًا يمكنه من النجاة وإما أن يلقى ربه شهيدًا في الميدان الذي ألف فيه مصارعة الأعداء، والتحمت المعركة داخل الوادي، وحصد رصاص المجاهدين عددًا كبيرا من الأعداء، وسقط الشهداء، وأصيب عمر المختار بجراح في يده، وأصيب فرسه بضربة قاتلة، وحصلت يده السليمة تحت الفرس فلم يتمكن من سحبها، ولم تسعفه يده الجريحة وأصبح لسان حاله يقول:

أسرت وما صحبي بعزل لدى الوغى
وكم من صدى صوتي ليوث الشري فروا

---

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٣١٣) .

وما أحد في الحرب يجهل سطـوتي ولا
فرسي مهـــر ولا ربـــــه غمــــــر
ولكن إذا حـــم القضـــــاء على امرئ
يكـــــون ولا يغني من القـــدر الحـذر
ومـــن رام من أمــــر الإلــه وقايــة
فليــس له بــر يقيه ولا بحـــــــر [(١)]

والتفت المجاهد بن قـويرش فرأى الموقف المحزن وصاح في إخـوانه الذين شقوا الطريق للخروج من الحصـار قائلاً: (الحاجة التي تنفع عقـبت أي تخلفت)، فعادوا لتخليص قائدهم ولـكن رصاص الطليان حصد أغلبـهم، وكان ابن قويرش أول من قتل وهو يحـاول إنقاذ الشيخ الجليل، وهجم جنود الطليان عـلى الأسد الجريح دون أن يعرفوا شـخصيته في البـداية، وتم القبض عليه وتعرف عليه أحـد الخونة، وجاء الكمندتور داود باتشي متصرف درنة ليتعرف على الأسير وبمثل سرعة البرق نقل عمر المختار إلى ميناء سـوسة محاطًا بعدد كبيـر من الضباط والجنود الإيطاليين، وأخذت كافة الاحتياطات لحراسة جـميع الطرق والمواقع القريبة لتأمين وصول المجاهد العظيم إلى سوسة ومن ثم نقل فوراً إلى بنغازي عن طريق البحر [(٢)] .

يقول غراسـياني في مذكراته: في صبـاح يوم ١١ سبتمبـر ١٩٣١م وصل الخبر برقيًا إلى الحكومة من متصرفيه الجبل هذا نصها: (بالقرب من (سلطنة) فرقة الفرسان (الصواري) قـبضت على وطني وقع من علـى جواده أثناء المعركـة وقد تعـرف عليه عساكرنا بأنه عمر المختار ونظرًا للخبر المهم ومن أجل التأكد والتحقق أمرت الحكومة متصـرف الجبل الحكومندتور (الوجيـه داود ياتشي) فجهزت طائرة خـاصة لنقله إلى (سلطنة) على الفور للـتعرف على شخـصية الأسيـر وتثبت هويته إن كـان هو زعيم المجاهدين عمر المختار وتأكد متصرف الجـبل من أنه عمر المختار وسرى الخبر سريان

(١) انظر: عمر المختار ، للأشهب، ص (١٤٥) .
(٢) انظر: عمر المختار ، للأشهب، ص (١٤٦) .

البرق وصدرت الأوامر بنقله إلى سلطنة ومنها إلى سوسة تحت حراسة شديدة حيث وصلها عند السابعة عشر من مساء نفس اليوم سبتمبر ١٩٣١م دون أي عائق، أو حادث أثناء الطريق من سلطنة إلى سوسة مكث هناك في انتظار الطراد الحربي (أورسيني) الذي تحرك من بنغازي خصيصًا ليعود بالأسير إلى بنغازي وفي أثناء الرحلة تحدث معه بعض السياسيين التابعين لإدراتنا ووجهوا إليه الأسئلة، فكان يجيب بكل هدوء وبصوت ثابت وقوي دون أي تأثر بالموقف الذي هو فيه وفي يوم ١٢ سبتمبر ١٩٣١م عند الساعة السابعة عشر وصل الطراد أورسيني إلى ميناء بنغازي حاملاً معه الأسير عمر المختار..) [1] وقال أيضًا : هذا الرجل أسطورة الزمان الذي نجا آلاف المرات من الموت ومن الأسر واشتهر عند الجنود بالقداسة والاحترام؛ لأنه الرأس المفكر والقلب النابض للثورة العربية (الإسلامية) في برقة وكذلك كان المنظم للقتال بصبر ومهارة فريدة لا مثيل لها سنين طويلة والآن وقع أسيرًا في أيدينا [2] .

وهذا الاعتراف من غراسياني الخسيس في كتابه بأن عمر المختار قاد المعارك سنين طويلة واعترف بأنه محترم من أتباعه إلى مكانة عالية جدًّا ، ثم بأنه الرأس المفكر والقلب النابض للجهاد الإسلامي المقدس في برقة، ثم الصبر والمهارة التي لا مثيل لها فهذا اعتراف من الجنرال غراسياني خريج الكليات الحربية والأكاديمية العسكرية وله تجارب طويلة في حرب الاحتلال إلى حرب العالمية الأولى وحروبه الصحراوية حتى لقبه بنو قومه بلقب أسد الصحراء، والفضل ما شهدت به الأعداء.

ويقول الجنرال غراسياني عن عمر المختار أيضًا: «كان عمر المختار كرئيس عربي مؤمن بقضية وطنه وله تأثير كبير على أتباعه مثل الرؤساء الطرابلسيين يحاربون بكل صدق وإخلاص، أقول ذلك عن تجارب مرت بي أثناء الحروب الليبية، وكان عمر المختار من المجاهدين الكبار لما له من مكانة مقدسة بين أتباعه ومحبيه، إن عمر المختار يختلف عن الآخرين فهو شيخ متدين بدون شك، قاسٍ وشديد التعصب

---

(١) انظر: برقة الهادئة، ص (٢٧٤) .

(٢) المصدر السابق نفسه، ص (٢٦٦، ٢٦٧) .

للدين ورحيم عند المقدرة، ذنبه الوحيد يكرهنا كثيراً وفي بعض الأوقات يسلط علينا لسانه ويعاملنا بغلظة، مثل الجبليين، كان دائمًا مضاداً لنا ولسياستنا في كل الأحوال لا يلين أبداً ولا يهادن إلا إذا كان الموضوع في صالح الوطن العربي الليبي، ولم يخن أبداً مبادئه فهو دائمًا موضع الاحترام رغم التصرفات التي تحدث منه في غير صالحنا إن خيانة موقعة (قصر بنقدين) ضيعت على عمر المختار كل الفرص التي يمكن للدولة الإيطالية أن ترحمه فيها [(١)] .

وقال غراسياني في مذكراته: (أما وصف عمر المختار فهو معتدل الجسم عريض المنكبين شعر رأسه ولحيته وشواربه بيضاء ناصعة، يتمتع بذكاء حاضر وحاد، كان مثقفًا ثقافة علمية دينية له طبع حاد ومندفع، يتمتع بنزاهة خارقة لم يحسب للمادة أي حساب متصلب ومتعصب لدينه، وأخيراً كان فقيراً لا يملك شيئًا من حطام الدنيا إلا حبه لدينه ووطنه رغم أنه وصل إلى أعلى الدرجات حتى أصبح ممثلاً كبيراً للسنوسية كلها)[(٢)] وهذا وصف دقيق يدل بوضوح على عظمة المختار وإمكاناته الذاتية التي وهبه الله فتقلد بسببها أكبر المناصب وخاض أكثر المعارك وصفه عدوه بصفات الورع والتدين ومثقف ثقافة دينية وعلمية، وصفه بشدة المراس والصبر على الشدائد وهكذا يا أخي المسلم الكريم يصنع الإسلام من أتباعه.

ثالثًا: دخول المختار في سجن بنغازي:

وعندما وصل الأسير إلى بنغازي لم يسمح لأي مراسل جريدة أو مجلة بنشر أخبار أو مقابلات وكان على الرصيف مئات من المشاهدين عند نزوله في الميناء ولم يتمكن أي شخص مهما كان مركزه أن يقترب من الموكب المحاط بالجنود المدججين بالسلاح ونقل فوق سيارة السجن تصحبه قوة مسلحة بالمدافع الرشاشة حيث أودع في زنزانة صغيرة خاصة منعزلة عن كافة السجناء السياسيين وتحت حراسة شديدة وجديدة ويقول مترجم كتاب «برقة الهادئة» الأستاذ إبراهيم سالم عامر: كنت من

---

(١) انظر: برقة الهادئة، ص (٢٦٨) .

(٢) المصدر السابق نفسه، ص (٢٧١) .

الذين أسعدهم الحظ على أن يتكلموا مع بطل الجهاد عمر المختار أثناء قيامه في السجن فقد أوقفوا كل الأهالي المعتبرين في مراكز الأمن والسجون وكان نصيبي في سجن بنغازي المركزي وعندما أتى بعمر المختار غيروا الحراس المحليين بحراس إريتريين والموظفين بالإيطاليين من الحزب الفاشيستي، وبعد أن أودعوه في الزنزانة كان هناك سرير من خشب وقماش وعلى الأرض قطعة من السجاد البالي لأجل وقع الرجلين عليه فسحبها الشهيد بقرب الجدران وجلس عليها واستند على الجدران ومد رجليه إلى الأمام وعندما كان مدير السجن يتجول على زنزانات السجناء رأى الشهيد جالسًا على الأرض ولم يستطع أن يسأله لماذا هو جالس على الأرض . ولأن المدير لا يعرف العربية فناداني من بين السجناء السياسيين وطلب مني أن أترجم سؤاله فسألت الشهيد، فأجاب بصوت هادر كالأسد الهصور: قل له أنا أعرف أين أجلس لا يحمل همًّا فهذا ليس من شأنه فترجمت الكلام فانصعق المدير واصفر وجهه وقال هيا ارجع إلى مكانك بلهجة الأمر غير أن قلبي كاد يطير من صدري فرحًا عندما سمعت هذه الإجابة القاطعة . رحم الله عمر المختار كم كان عظيمًا وهو قائم وأعظم وهو أسير [١] .

ويقول غراسياني الجنرال الإيطالي السفاك الجلاد: (وأثناء الرحلة من سوسة إلى بنغازي أعطى لنا معلومات هامة عن كيفية سقوطه في الأسر والقبض عليه قائلاً: عندما ضرب جواده وسقط على الأرض فجرحت يده اليمنى مما سببت له بعض التشقق في عظام ذراعه ورغم هذا الألم حاول جر نفسه ليبتعد ويختفي في أحد الشجرات التي في الغابة، ولكن فرقة الفرسان حالت بينه وبين غرضه، وقد تعرف عليه أحد الصواري من فرقة الفرسان وسرعان ما أحاطت به قوتنا وقد تأسف كثيراً أثناء حديثه بأن رفاقه حاولوا إنقاذه بكل وسيلة، وقد ضاع منهم بعض الرفاق ولكن الكثرة حالت دون بغيتهم كذلك قلة الذخيرة لها عاملها الأصلي في عدم إنقاذي وأثبت كذلك أن وقوعه في الأسر لا يعني توقف الثورة والجهاد بل هناك أربعة من

---

(١) انظر: برقة الهادئة، ص (٢٧٤،٢٧٥) .

القادة يحلون محلي وهم: الشيخ حمد بوموسى، عثمان الشامي وعبد الحميد العبار ويوسف بورحيل المسماري، وهذا الأخير هو أقربهم إليه لأنه كان دائمًا بجانبه، ولقد بالغ كثيرًا بالنسبة لعدد الجنود فقد قال: إن دوره يتكون من ٥٠٠ مقاتل عادي، ٤٠٠ فارس . واستطرد قائلاً شارحًا أن وقوعه في الأسر لا يؤثر ولا يغير سير القتال أو وضع الدور بل سيزداد قساوة ثم أضاف: إني أحارب الإيطاليين الفاشيستيين لا لأني أكره الشعب الإيطالي، ولكن ديني أمرني بالجهاد فيكم لأنكم أعداء الوطن [١] .

قلت ما أعلم أحد من المسلمين الصادقين يجد في نفسه ودًّا للنصارى على العموم فكيف بالذين يقولون الله ثالث ثلاثة ويقولون عيسى ابن الله، لكن قول غراسياني أن عمر المختار لا يبغض الشعب الإيطالي فهذا ادعاء منه، وأما قول عمر المختار ديني أمرني بقتالكم فهذا الذي يليق بحاله وبغض المسلم للنصاري الكفرة يتدينون بها خالقهم ورازقهم، ومالكهم ومتولي أمورهم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا .

قال تعالى: **﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** (سورة المائدة، الآيات: ٧٣، ٧٤) .

وقال تعالى: **﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾** (مريم: ٨٨ - ٩١) .

فالآيات السابقة الواضحة البينة تمنع العالم الرباني والشيخ الجليل أن يقول بأنه لا يبغض أعداء الله حماة الصليب .

واستطرد غراسياني في كتابة «برقة الهادئة» قال: (لقد قال عمر المختار كلمات تاريخية: إن وقوعي في الأسر تأكيد بأمر الله وسابق في علمه سبحانه وتعالى، والآن أنا بين يدي الحكومة الإيطالية الفاشيستية وأصبحت أسيرًا عندها والله يفعل بي

---

(١) انظر: برقة الهادئة، ص (٢٧٦) .

ما يشـاء ، أخذتموني أسيـرًا ولكم القدرة أن تفعلوا بي مـا تشاءون، والذي أريد أن أقوله بكل تأكـيد لم أفكر في يوم من الأيام أن أسلم نفسـي لكم مهما كـان الضغط شديدًا، ولكن مشيئة الله أرادت هذا فلا راد لقضاء الله) [١] .

وهذه بعينها عـقيدة القضاء والقدر وهي من أركان الإيمان الـتي جاء بها الإسلام وقد تجسدت في حياة عمر المخـتار فهذه الآيات الكريمة تبين ما وقع للإنسان قد كتب فعليه ألاّ يحزن ولا ييأس لان الأمور بقضائه وقدره قال تعالى:

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (الحديد: ٢٢-٢٣) .

وقد تربي المخـتار رحمه اللـه تعالى على الآيات القرآنيـة وأحاديث المصطفى ، فعن ابن عبـاس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ : «واعلم أن الأمة لو اجتـمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتـبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف» [٢] .

وهذه العقيدة الصحيحة كانت مستقرة في قلب الشيخ الجليل رحمه الله وتحولت إلى عمل في حياته جسدته مواقف عقدية ومشاهد بطولية ولا نكون مخطئين إن قلنا كانت مواقفه وسيرته العطرة تدل علي أنه رجل عقيدة .

رابعًا: من مواقف العزة داخل السجن:

أراد الكمندتور رينسي (السكرتير العـام لحكومة برقة) في أمسيـة الرابع عشر من سبتمبر أن يقحم الشارف الغـرياني في موقف حرج مع عمر المختار وهو في السجن وأبلغ الشارف الغـرياني بأن المختار طلب مقـابلتك والحكومة الإيطالية لا ترى مـانعًا من تلبيـة طلبه، وذهب الشـارف الغرياني إلى السـجن لمقابلة الشيخ الجـليل وعندما

(١) انظر: برقة الهادئة، ص (٢٧٦) .
(٢) انظر: أصول أهل السنة والجماعة، اللالكائي، (٢ / ح١٠٩٥) .

ألتقيا خيم السكوت الرهيب ولم يتكلم المختار فقال الشارف الغرياني هذا المثل الشعبي مخاطبًا به السيد عمر (الحاصلة سقيمة والصقر ما يتخبل) وما كاد المختار يسمع المثل المذكور حتى رفع رأسه ونظر بحدة إلى الشارف الغرياني وقال له: الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه وسكت هنيهة ثم أردف قائلاً: رب هب لي من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدًا، إنني لم أكن في حاجة إلى وعظ أو تلقين، إنني أؤمن بالقضاء والقدر، وأعرف فضائل الصبر والتسليم لإرادة الله، إنني متعب من الجلوس هنا فقل لي ماذا تريد؟ وهنا أيقن الشارف الغرياني بأنه غرّر به فزاد تأثره وقال للمختار: ما وددت أن أراك هكذا ولقد أرغمت نفسي للمجيء بناءً على طلبك... فقال الشيخ الجليل والجبل الشامخ: أنا لم أطلبك ولن أطلب أحدًا ولا حاجة لي عند أحد، ووقف دون أن ينتظر جوابًا من الشارف الغرياني، وعاد الأخير إلى منزله وهو مهموم حزين وقد صرّح بأنه شعر في ذلك اليوم بشيء ثقيل في نفسه ما شعر به طيلة حياته، ولما سئل الشارف الغرياني عن نوع الثياب التي كان يرتديها عمر المختار أهي ثياب السجن أم ثيابه التي وقع بها في الأسر؟ كان جوابه هو البيتان الآتيان مستشهدًا بهما:

عليه ثياب لو تقاس جميعها ... بفلس لكان الفلس منهن أكثرا

وفيهن نفس لو تقاس ببعضها ... نفوس الورى كانت أجل وأكبرا [1]

خامسًا: عمر المختار أمام غراسياني السفاح:

أراد المولى عز وجل لحكمة يريدها أن يقف البطل الأشم والطود الشامخ الذي حير إيطاليا الكافرة النصرانية الكاثوليكية وأشاع الرعب في قلوب جيوشها، أمام الرجل التافه الحقير المدعو غراسياني هذا حقير النفسية، وضيع الأخلاق، من أولئك الذين يرتفعون في كل عهد، ويأكلون على كل مائدة وكان من قادة الجيش الإيطالي فلما جاء موسوليني ذلك البطل الأجوف، وادعّى الزعامة على إيطاليا وحشر نفسه

---

(١) انظر: عمر المختار، للأشهب، ص (١٦٦، ١٦٧).

حشـراً في صفوف الزعامـات العالمية، كان غـراسياني أول من صفق وقـرع الطبول للزعامة الجـديدة، وصار فاشيسـتيًا أكثر من الفـاشيستيين أنفـسهم، أمام هذا الرجل الحقيـر الذليل الخسيس التافـة وقف البطل الأشم والطود المنيف شيخنا عمـر المختار رحمه الـله وتستطيع أن تفكر في هذا الموقف وتطيل التفكيـر، فإن النفوس الحـقيرة الوضيعـة، لا تعرف الشرف، ولا الرجولة ولا الكرامة ولا الأخـلاق، إذا خاصمت فما يكاد عدوها يقع في يدها حتى تفعل به الأفاعيل، وتصب عليه أصنافًا وألونًا من العذاب!! يدفعها إلى ذلك، شدة إحساسهـا بحقدها وعظمة عدوها، وشدة شعورها بنقصها وكمال أسيرها (١) .

من أجل ذلك دفعت الشـماته هذا الرجل الحقيـر أن يقطع رحلته إلى باريس وأن يعود فوراً إلى بنغازي، وأن يدعو المحكمة الطائرة إلى الانعـقاد ودفعت غريزة الشماتة غراسياني أن يستدعي البطل في صبيحة اليوم نفسه، وقبل المحاكمة بقليل (٢).

يقول غراسـياني في مذكراته: (وعندما حـضر أمام مدخل مكتـبي تهيأ لي أني أرى فيه شخصية آلاف المرابطين الذين التـقيت بهم أثناء قيامي بالحروب الصحراوية، يداه مكبلتان بالسلاسل، رغم الـكسور والجروح التي أصيب بها أثناء المعركـة وجهه مضغوطًا لأنه كـان مغطيًا رأسه (بالجرد) ويجر نفـسه بصعوبة نظرًا لتعبـه أثناء السفر بالبحر، وبالإجمال يخيل لي أن الذي يقف أمـامي رجل ليس كالرجال منظره وهيبته رغم إنه يشعر بمرارة الأسر . ها هو واقف أمام مكتبي نسأله ويجيب بصوت هادئ، وواضح وكان ترجماني المخلص النقيب (كابتن) خليـفة خالد الغرياني الذي أحضرته معي خـصيـصًا من طرابلس ووجـهت له أول سؤال: لماذا حـاربت بشدة مـتواصلة الحكومة الفاشيستية؟ (٣)

ج- لأن ديني يأمرني بذلك (٤) .

---

(١) انظر: عمر المختار ، لمحمود شلبي بتصرف، ص (١٤٢) .

(٢) انظر: عمر المختار، لشلبي، ص (١٤٢) .

(٣) انظر: برقة الهادئة، ص (٢٧٩) .

(٤) انظر: عمر المختار، ص (١٤٣) .

س- هل كنت تأمل في يوم من الأيـام أن تطردنا من برقة بإمكـاناتك الضئـيلة وعددك القليل؟ .

ج- لا، هذا كان مستحيلاً .

س- إذًا ما الذي كان في اعتقادك الوصول إليه؟

ج- لا شيء إلا طردكم من بلادي لأنكم مغتصبون، أما الحرب فهو فرض علينا وما النصر إلا من عند الله .

س- لكن كتـابك يقول: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥] بمعنى: لا تجلبوا الضرر لأنفسكم ولا لغيركم من الناس، القرآن يقول هذا .

ج- نعم .

س- إذًا لماذا تحارب؟

ج- كما قلت من أجل وطني وديني [١] .

قال غراسياني: فما كان مني إلا أن قلت له أنت تحارب من أجل السنوسية تلك المنظمة التي كـانت السبب في تدمير الـشعب والبلاد على السواء وفي الوقت نفـسه كانت المنظمـة تستغل أمـوال الناس بدون حق هذا هو الحافز الذي جـعلك تحاربنا لا الدين والوطن كما قلت .

عمر المختار: نظر إليّ نظرة حادة كالوحش المـفترس: لست على حق فيما تقول ولك أن تظن ما ظننت، ولكن الحقيقة الساطعة التي لا غبار عليها أنني أحاربكم من أجل ديني ووطني لا كمـا قلت . بأن عليّ وجهه بعد أن زال الجـرد من على رأسه واستطردت في توجيه الأسئلة إليه:

س- لماذا قطعت المهادنة السارية وأمرت بالهجوم على (قصر بن قدين)؟ .

ج- لأنه منذ شهر أرسلت إلى المارشال (بادوليو) ولم يجيبني عنها وبقيت بدون رد حتى الآن .

---

(١) انظر: برقة الهادئة، ص (٢٨٠) .

يقول الجنرال: لا أنت أردت قطع المهادنة لحاجة في نفسك وهاك الدليل وقرأت له البيان الذي نشره فوق الجرائد المصرية بتوقيعه؟ ولم يرد في بادئ الأمر وحنى رأسه مفكرًا ثم قال:

عمر المختار : نعم نشرت البيان في مصر بتوقيعي ولكن ليس هذا هو الدليل وإنما هو عدم تجاوبكم معنا في تنفيذ شروط الهدنة، ولم يزد شيئًا بل حنى رأسه إعياء .

س- هل أمرت بقتل الطيارين هوبر وبياتي؟

ج- نعم: كل الأخطاء والتهم في الواقع هي مسئولية الرئيس والحرب هي الحرب .

الجنرال: قلت له هذا صحيح لو كان حربًا حقيقية لا قتل وسلب مثل حروبك.

عمر المختار: هذا رأي، فيه إعادة نظر وأنت الذي تقول هذا الكلام ولا زلت أكرر لك الحرب هي الحرب .

الجنرال: بموقفك في موقعة (قصر بن قدين) ضيعت كل أمل وكل حق في الحصول على رحمة وعفو الحكومة الإيطالية الفاشيستية .

عمر المختار: مكتوب (كلمة لتفسير معنى القضاء والقدر في العقيدة الإسلامية) وعلى كلٍّ عندما وقع جوادي وألقي القبض عليّ كانت معي ست طلقات وكان في استطاعتي أن أدافع عن نفسي وأقتل كل من يقترب مني، حتى الذي قبض عليّ وهو أحد الجنود من فرقة الصواري المتطوعين معكم وكان في إمكاني كذلك أن أقتل نفسي .

الجنرال: ولماذا لم تفعل؟

عمر المختار: لأنه كان مقدرًا أن يكون .

الجنرال: ولكن قد تحقق فيما بعد إلقاء القبض عليه كانت بندقيته فوق ظهره

وبسقوطه على الأرض لم يستطع نزعها وبالتالي لم يتمكن من استعمالها بسرعة وكذلك من أثر الجروح والكسر الذي بيده اليمنى وهذا في الحقيقة جدير بالاعتبار والتقدير [١] .

وهذا اعتراف من السفاح إبان تجبره وطغيانه ونشوة انتصاره يعترف بقوة عمر المختار ويقدر فيه بطولته وجهاده التي لم يُر لها مثيل وقال شوقي رحمه الله في رثاء عمر المختار ما يجسد هذا الموقف:

جرح يصيح على المدى وضحية   تلتمس الحرية الحمراء [٢]

عمر المختار: كما ترى أنا طاعن في السن على الأقل اتركني بأن أجلس .

الجنرال: أشرت له فجلس على كرسيه أمام مكتبي وفي هذه الأثناء ظهر لي وجهه بوضوح وقد زالت رهبة الموقف وقد تأملته جانبيًّا فرأيت بعض الاحمرار في وجهه وبدأت أفكر كيف كان يحكم ويقود المعارك ؟ وبينما هو يتكلم كانت نظراته ثابتة إلى الأمام وصوته نابع من أعماقه ويخرج من بين شفتيه بكلمات ثابتة وبكل هدوء وفكرت ثانية هذا هو القديس؛ لأن كلامه عن الدين والجهاد يدل بكل تأكيد أنه مؤمن صادق يتكلم عن الدين بكل حماس وتأثر . ثم قلت له فجأة: بما لك من نفوذ وجاه كم يوم يمكنك أن تأمر العصاة (يعني المجاهدين) بأن يخضعوا لحكمنا ويسلموا أسلحتنا وينهوا الحرب .

عمر المختار: مجيبًا أبدًا كأسير لا يمكنني أن أعمل أي شيء واستطرد قائلاً: وبدون جدوى نحن الثوار سبق أن أقسمنا أن نموت كلنا الواحد بعد الآخر ولا نسلّم أو نلقى السلاح، وأنا هنا لم يسبق لي أن استسلمت هنا على ما أظن حقيقي وثابت عندكم .

الجنرال: قلت له وأنا متماسك يمكن ذلك لو تم تعارفنا في وقت سابق والخبرة

---

(١) انظر: برقة الهادئة، ص (٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢) .

(٢) انظر: تعليق المترجم، إبراهيم بن عامر، ص (٢٨٢) .

طويلة التي أخذتها عليكم لكان علينا أن نصل إلى أحسن حال في سبيل تهدئة البلاد وازدهارها .

(عمر المختار): رفع حاجبيه بكل عمق وبصوت جهوري، وثابت قال: ولم لا يكن اليوم هو ذلك اليوم الذي تقول عنه .

الجنرال: فأجبته: لقد فات الأوان .

وعند هذا الحد رأيت أن نوقف المحادثة فيما بيننا ربما عمر المختار فكر في تلك اللحظة أن الحكومة الإيطالية ستبعثه إلى الجبل من أجل أن يسلّم أتباعه السلاح ويخضعوا إلى سلطتنا ولكن لا: لقد قالها منذ لحظات بأنهم يموتون جميعًا ولن يستسلموا وعليه لقد فات الأوان وقلتها بنفسك لا فائدة من المحاولة إن الأمل الذي لاح منذ قليل قد انهار ولم يعد . ثم قلت له: هل تعرف هذه؟ وعرضت عليه نظارته في إطارها الفضي .

عمر المختار: نعم إنها لي وقد وقعت مني أثناء إحدى المعارك وهي معركة (وادي السانية) .

(الجنرال) فأجبته: منذ ذلك اليوم اقتنعت بأنك ستقع أسيرًا بين يدي .

عمر المختار: مكتوب: هل ترجعها لي لأني لم أعد أبصر جيدًا بدونها؟ .

واستطرد يقول: ولكن ما الفائدة منها الآن هي وصاحبها بين يديك؟ .

(الجنرال) قلت له: مرة أخرى أنت تعتبر نفسك محميًّا من الله تحارب من أجل قضية مقدسة وعادلة؟

(عمر المختار): نعم وليس هناك أي شك في ذلك، قال الله تعالى: **﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾** [التوبة: ٥١] صدق الله العظيم.

إذًا استمع إلى ما أقوله لك، أمام قواتي المسلحة من نالوت إلى الجبل الأخضر في برقة كل مشايخ ورؤساء العصاة (يعني رؤساء المجاهدين) منهم من هرب، ومنهم

من قتل في ميدان القتال ولم يقع منهم أي أحد حيًّا في يدي أليس من العجيب أن يقع أسيرًا بين يدي حيًّا من كان يعتبر أسطورة الزمن الذي لم يغلب أبدًا المحمي من الله دون سواه؟

(عمر المختار) تلك مشيئة الله . . . قالها بصوت يدل على قوة وعزم .

(الجنرال) قلت له: الحياة وتجاربها تجعلني أعتقد وأؤمن بأنك كنت دائما قويًّا ولهذا فإني أتمنى أن تكون كذلك مهما يحدث لك ومهما تكن الظروف .

(عمر المختار) عندما وقف ليتهيأ للانصراف، كان جبينه وضاء كأن هالة من نور تحيط به فارتعش قلبي من جلالة الموقف . أنا الذي خاض المعارك والحروب العالمية، والصحراوية، ولقبت بأسد الصحراء، ورغم هذا فقط كانت شفتاي ترتعشان ولم أستطع أن أنبس بحرف واحد فانتهت المقابلة وأمرت بإرجاعة إلى السجن لتقديمه للمحاكمة في المساء وعند وقوفه حاول أن يمد يده لمصافحتي ولكنه لم يتمكن، لأن يديه كانت مكبلة بالحديد .

لقد خرج من مكتبي كما دخل عليّ وأنا أنظر إليه بكل إعجاب وتقدير [1].

قال شوقي رحمه الله:

وأتى الأمير يجر ثقل حديده   أسد يجرجر حية رقطاء

سادسًا: محاكمة عمر المختار رحمه الله:

في الساعة الخامسة مساءً في ١٥ سبتمبر ١٩٣١م جرت تلك المحاكمة التي أعد لها الطليان مكان بناء (برلمان برقة) القديم وكانت محاكمة صورية شكلاً وموضوعًا .

ودليل ذلك أن الطليان - قبحهم الله - كانوا قبل بدء المحاكمة بيوم واحد قد أعدوا (المشنقة) وانتهوا من ترتيبات الإعدام وتنفيذ الحكم قبل صدوره، وإنك لتلمس ذلك في نهاية الحديث الذي دار بين البطل وبين غراسياني حيث قال له: (إني لأرجو أن تظل شجاعًا مهما حدث لك أو نزل بك) .

---

(١) انظر: برقة الهادئة، ص (٢٨٥) .

وإنها لكلمات تفوح بالخبث والدناءة والشماتة، ومعناها إنك يا مختار سوف تعدم شنقًا، فلا تجبن أمام المشنقة ولا شك عندي لو كان غراسياني في موقف شيخنا لمات من الجبن قبل إن يساق للمشنقة ولكن شيخنا الجليل وأستاذنا الكريم وقائد الجهاد يزداد سموًّا بعد سمو ثم يقول: (إن شاء الله) .

ويصف الدكتور العنيزي ذلك فيقول (جاء الطليان بالسيد عمر المختار إلى قاعة الجلسة مكبلاً بالحديد، وحوله الحرس من كل جانب . . وكان مكاني في القاعة بجوار السيد عمر، وأحضر الطليان أحد التراجمة الرسميين واسمه نصرت هرمس (فلما افتتحت الجلسة وبدأ استجواب السيد، بلغ التأثر بالترجمان، حدًّا جعله لا يستطيع إخفاء تأثره وظهر عليه الارتباك، فأمر رئيس المحكمة باستبعاده وإحضار ترجمان آخر فوقع الاختيار على أحد اليهود، وهو لمبروزو، من بين الحاضرين في الجلسة (وقام لمبروزو بدور المترجم، وكان السيد عمر رحمه الله جريئًا صريحًا، يصحح للمحكمة بعض الوقائع، خصوصًا حادث الطيارين الإيطاليين أوبر وبياتي[1] .

وبعد استجواب السيد ومناقشته وقف المدعي العام بيدندو، فطلب الحكم على السيد بالإعدام .

(وعندما جاء دور المحامي المعهود إليه الدفاع عن السيد عمر وكان ضابطًا إيطاليًّا يدعي الكابتن أونتانو، وقف وقال: (كجندي لا أتردد البته إذا وقعت عيناي على عمر المختار في ميدان القتال، في إطلاق الرصاص عليه وقتله وأفعل ذلك كإيطالي أمقته وأكرهه، ولكنني وقد كلفت الدفاع عنه فإني أطلب حكمًا هو في نظري أشد هولاً من الإعدام نفسه، وأقصد بذلك الحكم عليه بالسجن مدى الحياة نظرًا لكبر سنه وشيخوخته) .

وعندئذ تدخل المدعي العمومي، وقطع الحديث على المحامي وطلب من رئيس

---

(١) انظر: حياة عمر المختار، ص (١٥٣، ١٥٤، ١٥٥) .

المحكمة أن يمنعه من إتمام مرافعته مستندًا في طلبه هذا إلى أن الدفاع خرج عن الموضوع، وليس من حقه أن يتكلم عن كبر سن عمر المختار وشيخوخته ووافقت المحكمة[١]، أمر القاضي المحامي بأن لا يخرج عن الموضوع ويتكلم بإيجاز، وهنا تكلم المحامي بحدة وقال: إن عمر المختار الذي هو أمامكم وليد هذه الأرض قبل وجودكم فيها ويعتبر كل من احتلها عنوة عدو له، ومن حقه أن يقاومه بكل ما يملك من قوة حتى يخرجه منها أو يهلك دونها هذا حق أعطته له الطبيعة والإنسانية، وهنا كثر الصياح من الحاضرين بإخراج المحامي وإصدار الحكم على المتهم الذي طالب به المدعي العام ، ولكن المحامي استمر قائلاً العدالة الحقة لا تخضع لأي سلطان ولا لأية غوغاء وإنما يجب أن تنبع من ضميرنا وإنسانيتنا وهنا قامت الفوضى خارج المحكمة، وقام المدعي العام محتجًّا على المحامي، ولكن المحامي استمر في دفاعه غير مبال بكل هذا بل حذر القاضي أن يحكم ضميره قائلاً: إن هذا المتهم عمر المختار الذي انتدبت من سوء حظي أن أدافع عنه شيخ هرم حنت كاهله السنون وماذا بقي له من العمر بعدما أتم السبعين سنة؟! وإني أطلب من عدالة المحكمة أن تكون رحيمة من (تحقيق) العقوبة عنه؛ لأنه صاحب حق ولا يضر العدالة إذا أنصفته بحكم أخف، وإنني أحذر عدالة محكمتكم حكم التاريخ؛ لأنه لا يرحم فهو عجلة تدور وتسجل كل ما يحدث في هذا العالم المضطرب وهنا كثر الضجيج في الخارج ضد المحامي ودفاعه .

ولكن المحامي استمر في دفاعه قائلاً: سيدي القاضي حضرات المستشارين لقد حذرت المحكمة من مغبة العالم الإنساني والتاريخ وليس لدي ما أضيفه إلا طلب تخفيف الحكم على هذا الرجل صاحب الحق من الذود عن أرضه ودينه وشكرًا) .

وعندما قام النائب العام لمواصلة احتجاجه قاطعه القاضي برفع الجلسة للمداولة وبعد مضي فترة قصيرة من الانتظار دخل القاضي والمستشاران والمدعي العام بينما المحامي لم يحضر لتلاوة حكم القاضي بإعدام عمر المختار شنقًا حتى الموت وعندما

(١) المصدر السابق نفسه، ص (١٥٥) .

ترجم الحكم إلى عمر المختار قهقه بكل شجاعة قائلاً الحكم حكم الله لا حكمكم المزيف - إنا لله وإنا إليه راجعون [١] .

وأراد رئيس المحكمة أن يعرف ما قاله السيد عمر . . فسأل الترجمان أن ينقل إليه عبارته ففعل وعندئذ، بدا التأثير العميق على وجوه الإيطاليين أنفسهم الذين حضروا هذه المحكمة الصورية وأظهروا إعجابهم لشجاعة شيخ المجاهدين بليبيا الحبيبة وبسالته في آن واحد .

وأما المحكمة، فقد استغرقت من بدئها إلى نهايتها ساعة واحدة وخمس عشرة دقيقة فحسب، من الساعة الخامسة مساءً إلى الساعة السادسة والربع، وكذلك قضت إرادة الله تعالى أن يتحكم الطليان في مصير البطل، لتتم الإرادة الإلهية وتمضي الحكمة الربانية [٢] . قال تعالى: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ (سورة القصص، آية ٦٨) . وقال: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ (سورة التغابن: آية ١١) .

سابعًا: إعدام شيخ الجهاد في بلادنا الحبيبة:

وفي يوم ١٦ سبتمبر من صباح يوم الأربعاء من سنة ١٩٣١م عند الساعة التاسعة صباحًا نفذ الطليان في (سلوق) جنوب مدينة بنغازي حكم الإعدام شنقًا في شيخ الجهاد وأسد الجبل الأخضر بعد جهاد طويل ومرير .

ودفعت الخسة بالإيطاليين أن يفعلوا عجبًا في تاريخ الشعوب، وذلك أنهم حرصوا على أن يجمعوا حشداً عظيمًا لمشاهدة التنفيذ فأرغموا أعيان بنغازي، وعدداً كبيراً من الأهالي من مختلف الجهات على حضور عملية التنفيذ فحضر ما لا يقل عن عشرين ألف نسمة ، على حد قول غراسياني في كتاب «برقة الهادئة» [٣] .

---

(١) انظر: برقة الهادئة، ص (٢٨٦، ٢٨٧) .

(٢) انظر: حياة عمر المختار، ص (١٥٦، ١٥٧) .

(٣) انظر: برقة الهادئة، ص (٢٨٨) .

ويقول الدكتور العنيزي: (لقد أرغم الطليان الأهالي والأعيان المعتقلين في معسكرات الاعتقال والنازلين في بنغازي على حضور المحاكمة، وحضور التنفيذ وكنت أحد أولئك الذين أرغمهم الطليان على المحاكمة، ولكني وقد استبد بي الحزن شأني في ذلك شأن سائر أبناء بلدتي، لم أكن استطيع رؤية البطل المجاهد على حبل المشنقة فمرضت، ولم يعفني الطليان من حضور التنفيذ في ذلك اليوم المشئوم، إلا عندما تيقنوا من مرضي وعجزي عن الحضور .

ويالها من ساعة رهيبة تلك التي سار المختار فيها بقدم ثابتة وشجاعة نادرة وهو ينطق بالشهادتين إلى حبل المشنقة، وقد ظل المختار يردد الشهادتين: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمد رسول الله .

لقد كان الشيخ الجليل يتهلل وجه استبشاراً بالشهادة وارتياحًا لقضاء الله وقدره، وبمجرد وصوله إلى موقع المشنقة أخذت الطائرات تحلق في الفضاء فوق ساحة الإعدام على انخفاض، وبصوت مدوٍّ لمنع الأهالي من الاستماع إلى عمر المختار إذا ربما يتحدث إليهم أو يقول كلامًا يسمعونه وصعد حبل المشنقة في ثبات وهدوء .

وهناك أعمل فيه الجلاد حبل المظالم فصعدت روحه الطاهرة إلى ربها راضية مرضية، هذا وكان الجميع من أولئك الذين جاءوا يساقون إلى هذا المشهد الرهيب ينظرون إلى السيد عمر وهو يسير إلى المشنقة بخطى ثابتة، وكانت يداه مكبلتين بالحديد وعلى ثغره ابتسامة راضية، تلك الابتسامة التي كانت بمثابة التحية الأخيرة لأبناء وطنه، وقد سمعه بعض المقربين منه ومنهم ليبيون أنه صعد سلالم المشنقة وهو يؤذن بصوت هادئ آذان الصلاة وكان أحد الموظفين الليبيين من أقرب الحاضرين إليه، فسمعه عندما وضع الجلاد حبل المشنقة في عنقه يقول: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾(سورة الفجر: آية ٢٧، ٢٨) .

لقد استجاب الله دعاء الشيخ الجليل وجعل موته في سبيل عقيدته ودينه ووطنه لقد كان يقول: (اللهم اجعل موتي في سبيل هذه القضية المباركة) [١] .

---

(١) انظر: عمر المختار ، للأشهب، ص (١٥٩، ١٦٠) .

ويقول شاعر القطرين خليل مطران:

أبيت والسيف يعلو الرأس تسليمًا وجدت بالروح جود الحر أن ضيما
لله يا عمر المختار حكمته في أن تلاقي ما لاقيت مظلوما
أن يقتلوك فما أن عجلوا أجلا قد كان مذ كنت مقدورًا ومحتوما

ولقد رثاه الشعراء وتكلم في تأبينه الأدباء والكتاب، ولو تتبعنا ذلك لوجدناها أكثر من مجلد [1] .

ونختم استشهاد عمر المختار رحمه الله بقول الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّه كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِه مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِه مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (١٤٥) وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾(سورة آل عمران: آية ١٤٥-١٤٦) .

ومن سيرة عمر المختار العطرة نستخلص دروسًا وعبرًا تفيدنا كثيرًا في حياتنا المعاصرة؛ ليس عمر المختار رحمه الله أول من جاهد ولا أول من استشهد ولكن كان حاله كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾(سورة آل عمران: آية ١٧٣) .

ومفتاح شخصيته الفذة أنه آمن بالله واستقرت معانيه في قلبه فأصبح لا يخشى إلا الله وهذا الصنف من المسلمين هو اقوى ما عرفته البشرية وهو الإنسان الحر في أعلى معاني الحرية .

جرد قلبه من الأوهام ومن الشركيات والضلال ومن الشبهات والشهوات، وخلص قلبه من كل ظلمة تحيل بينه وبين دخول التوحيد الصحيح إليه، كان كثير المراقبة لله، ومن هنا كان شديد الخوف من الله يعلم إنه شديد العقاب وخوفه من الله جعله أهلاً لتوفيق الله ولذلك كان راسخًا كالجبل الاشم [2] .

---

(١) انظر: إبراهيم سالم بن عامر، مترجم برقة الهادئة، ص (٢٨٩) .
(٢) انظر: حياة عمر المختار، ص (١٩٠) .

فالفريد في سيرته، إنه أحيا شيئًا كاد يندثر، أحيا معاني الإيمان التي كان الناس قد بدأوا ينصرفون عنها إنه بنيان أسس على التقوى فعاش مباركًا في حياته وفي مماته.

والعبرة الثانية: إنه كان داعيًا إلى الله بإذنه، تربى على أيدي دعاة السنوسية فلما اكتمل وترعرع، أدى الرسالة وبلغ الأمانة وأنذر وبشر، وخيركم من تعلم القرآن وعلمه.

والعبرة الأخرى: إنه كان على فهم صحيح لدينه، يأخذ كلاً لا يتجزأ، فلا هو بالتدين المنحرف، ولا هو بالتدين البعيد عن جوهر الدين، وإنما هو رجل مؤمن، يعلم أن الإسلام لا يصح أن يؤخذ بعضه ويترك بعضه، وإنما عليه أن يعمل به كله .

وكان في حرارة الشباب وحيويتهم رغم شيخوخته وتلك طبيعية المقاتلين في سبيل الله، الذين يخشون الله ولا يخشون أحدًا غيره.

والعبرة الأخرى، إنه لم يسع للشهرة، لأن المخلصين لا يبحثون عن الشهرة وإنما يبحثون عن رضى الله سبحانه وتعالى [١] .ولذلك جعل الله له ذكرًا في الدنيا ونسأل الله أن يتغمده برحمته في الآخرة .

إن أعداءه الأوروبيين أعجبتهم سيرته البطولية والكفاحية والجهادية فهذه صحيفة التايمز البريطانية في مقال نشرته في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٣١م تحت عنوان نصر إيطالي: (حقق الإيطاليون انتصاراً خطيراً ونجاحًا حاسمًا في حملتهم علي المتمردين السنوسيين في برقة، فلقد أسروا وأعدموا الرجل الرهيب عمر المختار شيخ القبيلة العنيف الضاري . . .) ثم تستمر الصحيفة حتى تقول: (ومن المحتمل جداً أن مصيره سيشلُّ مقاومة بقية الثوار، والمختار الذي لم يقبل أي منحة مالية من إيطاليا، وأنفق كل ما عنده في سبيل الجهاد وعاش على ما كان يقدمه له أتباعه، واعتبر الاتفاقيات مع الكفار مجرد قصاصات ورق، كل محل إعجاب لحماسته وإخلاصه الديني، إنه كان مرموقًا لشجاعته [٢] .

(١) المصدر السابق نفسه، ص (١٩٣، ١٩٤) .

(٢) من مجلة البيان، العدد الخامس عشر، ربيع الثاني، ١٤٠٩هـ، ص (٨٢) .

وقد وصفه أحد الإيطاليين قائلاً (كان عمر المختار مخلصًا وذكيًا، وكان عقل الثورة وقلبها ببرقة) .

وقال آخر: كان إنجازه رائعًا، فقد حارب إيطاليا الفاشستية تسع سنوات من حرب فدائية لم تكن ضعيفة في ذاتها وكان التحدي والتضحية والاستشهاد بالنفس عند عمر المختار وأتباعه شيئًا نبيلاً [١] .

ونحن نقول:

ومليحة شهدت لها ضراتها والفضل ما شهدت به الأعداء

لقد كانت حياة عمر المختار شيخ المجاهدين في الجبل الأخضر بليبيا مكرسة كلها للعلم والدعوة وتربية الناس على الإسلام والجهاد في سبيل الله وكان من رواد الحركة السنوسية فقضى حياته حين نادى منادي الجهاد معتليًا صهوة جواده ممسكًا سلاحه، لم يهادن ولم يستسلم بل قارع أعداء دينه مقارعة الند للند رغم قلة الإمكانات ورغم عدم التكافؤ في العدد والعدة ولكنه استعلاء الإيمان وقوة اليقين، الذي ازداد صلابة وعمقًا في ميادين الجهاد وساحات المعارك، إن جهاد عمر المختار رحمه الله سيظل معلمًا بارزًا في تاريخ ليبيا خاصة وتاريخ الأمة الإسلامية عامة وسيظل دليلاً على أن الإسلام صنع ولا يزال نماذج عظيمة من البطولات على مر العصور، وعلى أن العطاء الحقيقي إنما هو عطاء الإيمان [٢] .

إن الشيخ الجليل عمر المختار رحمه الله مدرسة تستحق الدراسة والبحث في جوانب متعددة في شخصيته العلمية والدعوية والتربوية والجهادية ويعلم الله ما أعطيت الشيخ حقه ولا حتى بعض حقه، وأحس إحساسًا عميقًا صادقًا في قرارة نفسي أنه أعظم مما كتبت وأجل مما توهمت وأفضل من عايشت من سيرة أبطال الجهاد في ليبيا الحبيبة فعليه من الله الرحمة والمغفرة والرضوان وعلى إخوانه الميامين الكرام ونفعنا الله بسيرته الزكية العطرة النقية .

---

(١) انظر: جون رايت، تاريخ ليبيا، ص (١٥٨) .

(٢) من مجلة البيان، العدد الخامس عشر، ص (٨٢، ٨٣) .

وهكذا يا أخي الكريم يصنع الإسلام من أتباعه في ميادين النزال وساحات القتال وكذلك عند الوقوف أمام الطغاة والجلاودة الظلمة؛ لأن العقيدة تحركه ورعاية الله تحفه وإن هذه الوقفات الخالدة من سيرة شيخ الجهاد في ليبيا لحريٌّ بنا أن نكتبها بحروف من ذهب ونعلمها للأجيال ونربي عليها الأشبال لغد مشرق مجيد قد بدأت بوادره تلوح في عنان السماء ومظاهرها متجسدة في رجوع شعوب المسلمين لدينها مع ما يحف هذا الرجوع من مخاطر عديدة من قبل اليهود والنصارى الملاحدة والحكام الظلمة وأنى لهم أن يطفئوا نور الله، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

فما علينا إلا أن نستعين بالله في تحقيق وتطبيق دينه على نفوسنا وأسرنا ومن حولنا ثم على الناس أجمعين .

قال تعالى:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: آية ٥٥) .

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (سورة الحج، آية ٤٠) .

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (سورة فاطر، آية ١٠) .

ثامنًا: بعض ما قيل في تأبين الشيخ عمر المختار من الشعر:

أ- قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

ركزوا رفاتك في الرمال لواء ... يستنهض الوادي صباح مساء
يا ويحهم نصبوا منارًا من دم ... يوحي إلى جيل الغد البغضاء
ما ضر لو جعلوا العلاقة في غد ... بين الشعوب مودة وإخاء
جرح يصيح على المدى وضحية ... تتلمس الحرية الحمراء
يا أيها السيف المجرد بالفلا ... يكسو السيوف على الزمان مضاء

تلك الصحاري غمد كل مهند ... أبلى فأحسن في العدو بلاء

وقبور موتى من شباب أمية ... وكهولهم لم يبرحوا أحياء

لو لاذ بالجوزاء منهم معقل ... دخلوا على أبراجها الجوزاء

فتحوا الشمال سهوله وجباله ... وتوغلوا فاستعمروا الخضراء

وبنوا حضارتهم فطاول ركنها ... دار السلام وجلق الشماء

خيرت فاخترت المبيت على الطوى ... لم تبن جاها أو تلم ثراء

إن البطولة أن تموت على الضما ... ليس البطولة أن تعب الماء

إفريقيا مهد الأسود ولحدها ... ضجت عليك أراجلا ونساء

والمسلمون على اختلاف ديارهم ... لا يملكون مع المصاب عزاء

والجاهلية من وراء قبورهم ... يبكون زيد الخيل والفلحاء

في ذمة الله الكريم وحفظه ... جسد ببرقة وسد الصحراء

لم تبق منه رحى الوقائع أعظما ... تبلى، ولم تبق الرماح دماء

كرفات نسر أو بقية ضيغم ... باتا وراء السافيات هباء

بطل البداوة لم يكن يغزو على ... (تنك) ولم يك يركب الأجواء

لكن أخو خيل حمى صهواتها ... وأراد من أعرافها الهيجاء

لبى قضاء الأرض أمسى بمهجة ... لم تخش إلا للسماء قضاء

وفاه مرفوع الجبين كأنه ... سقراط جر إلى القضاة رداء

شيخ تمالك سنه لم ينفجر ... كالطفل من خوف العقاب بكاء

وأخو أمور عاش في سرائها ... فتغيرت فتوقع الضراء

الأسد تزأر في الحديد، ولن ترى ... في السجن ضرغامًا بكى استخذاء

وأتى الأسير يجر ثقل حديده ... أسد يجرجر حية رقطاء

عضت بساقيه القيود فلم ينوء ... ومشت بهيكله السنون فناء

سبعون لو ركبت مناكب شاهق ... لترجلت هضباته إعياء

خفيت عن القاضي، وفات نصيبها ... من رفق جند قادة نبلاء

والسن تعطف كل قلب مهذب ... عرف الجدود وأدرك الآباء
دفعوا إلى الجلاد أغلب ماجدا ... يأسو الجراح ويطلق الأسراء
ويشاطر الأقران ذخر سلاحه ... ويصف حول خوانه الأعداء
وتخيروا الحبل المهين منية ... لليث يلفظ حوله الحوباء
حرموا الممات على الصوارم والقنا ... من كان يعطي الطعنة النجلاء
إني رأيت يد الحضارة أولغت ... بالحق هدما تارة وبناء
شرعت حقوق الناس في أوطانهم ... إلا أباة الضيم والضعفاء
يا أيها الشعب القريب أسامعٌ ... فأصوغ في عمر الشهيد رثاء
أم ألجمت فاك الخطوب وحرمت ... أذنيك حين تُخاطبُ الأصغاء؟
ذهب الزعيم وأنت باق خالدٌ ... فانقد رجالك واختر الزعماء
وأرح شيوخك من تكاليف الوغي ... واحمل على فتيانك الأعباء[1]

ب- قال الأستاذ نعمان عبد الوهاب ناظر مدرسة مللوم بمغاغة بمصر وذلك بمناسبة أول ذكرى للشهيد قام بها الليبيون أثناء الحرب العالمية الثانية:

ذكرى بها ألم النفوس دفين ... وأسى له صلد الصخور يلين
وسقام شعب في رفاة ضحية ... ونداء قطر بالفلاة سجين
ودموع ثكلى من دم أذراعها ... (سفاح برقة) والرحاب أمين
صاحت على بطل يساق مكبلاً ... إذ قال: عرضي، والحمى، والدين
فارتاع شعب أعزل لكما ... في كل ركن في البلاد عرين
من واحة الجغبوب قامت أسرة ... بالله يربطها هدى ويقين
بيت الإمارة والمهابة والتقى ... والعزم ما جدت هناك شئون

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة، أحمد شوقي، (٢ / ١٨، ١٩) .

فاصطفت الأبطال تحت لوائها   وتجرد الهندي والمسنون
والسيد المهدي يذكي نارها   بالحزم والإقدام ضل يبين
يستنهض الفرسان في ساحتها   والشعب منقاد له ورهين
يستعذبون الموت في إرضائها   في حب برقة يضحك المطعون
عشرون عامًا في الجهاد بهمّةٍ   لم تكتحل فيها المنام جفون
صبر الألى فتحوا ممالك قيصر   وتسوروا الإيوان وهو حصين
لو كان للإسلام سالف عهده   والجار للجار الضعيف معين
ما بات أبطال الجهاد على الطوى   يستنجدون الشرق وهو ضنين
يا لهف نفسي كيف سار بغله   من كان للسرج الرهيب يزين
عمر بن مختار الشهيد ومن له   في كل قلب لوعة وحنين
فختامه يحكي نهاية (جعفر)   حتى حلي لي فيهما التأبين
عيناه قد رأت الحصان مجندلا   والجو أطبق والرصاص هتون
والسيف في اليمنى وإن قطعت فما   يلقيه حتى أن يحين الحين
من كان الله القدير جهاده   والحق يعلم أنه المغبون
لا ينثني عن عزمه والموت في   حبل المشانق جاثم مرهون
ما ردَّ إلا حيث قال قضاتهم   نعم، وفي الصوت الجهور رنين
فاضت على حبل المظالم روحه   والله قدر ما عليه تكون
دار السنوسي لقنت أشبالها   موت المعزة بالكماة قمين
فالصبر يا شعب الجهاد فضيلة   يا مرسل الشكوى وأنت حزين
لا زال رب الدار ليثًا رابضًا   إن غاب عنها ليس عنك يبين
لا زال إدريس الوفي بعهدكم   والحر للعهد النزيه يصون
لا زال يسعى للخلاص بفتية   منكم، وقد سهرت عليه عيون [1]

---

(١) انظر: عمر المختار للأشهب، ص (١٨٧، ١٨٨) .

ج- وقال أحد الشعراء الليبيين الأستاذ أبو الخير الطرابلسي:

دك طود الجـهــاد بـاسم الســلام ... وثوى الحــر في مــهــاوي الظلام

وأبيـــدت مـــعــالم الحق لما ... زلــزل الأمـن فـــي ربـوع الأنــام

وأمـيـــتت مـبـادئ الدين كـفـراً ... وأزيـلــت منارة الإســـلام

وأقـيـمت مـجـازر الإثم والـبـغـ ... ـــي، وزلت مـــواطئ الأقـــدام

وتحــامت عناصــر الظلم والعـدوا ... ن، فــهـــدت دعــائم الأقــدام

ليت تلـك السـمـاء تحكي فـتـروي ... كــيف حكيت مــؤامـرات اللئــام

لـيـت هـذا الأديم ينـشـق تـوّاً ... فـيــواري مــخلـفــات الطغــام

أيهــذا الشــهــيـد! . مــا أنت إلا ... طارف العز . . تالد المجد . . سامي

أيهــذا الشــهــيـد! . مــا أنت إلا ... قـدوة لجيش . . في اللواء الأمـامي

خــصك الله بالـعـزيـمة والصبـــ ... ـــر ، وخـص الطغـاة بالإحــجـام

خـصك اللـه بالعـقـيـدة والطـهـــ ... ـــر، وخـص الـدنـاة بـالآثــام

أمم الأرض . . . طأطأت في احترام ... رأسـهــا . . يا جـلال هذا المـقـام

أمم الأرض . . . قـلـدتهـم هـوانـا ... وازدراء بـهـم أحـط وســـــام

أيهــذا الشـهــيـد قـــدمت شنقًـا ... بيـد الغـدر . ذقـت كـأس الحـمـام

فـــتـوارت غـــزالة الصــبح حــزنًا ... واخـتـفى البـدر في ليـالي التـمـام

خـــالـد أنت . . . رغم أنف المـنايا ... (عـمـر) أنت . . . والردى تتـعـامي

إن تناسـوك، فـــالثـمـانون عـــامًـا ... ليس ينسى على مــدى الأعــوام

كللـت كـــاهليـك بالعـــزم تـاجــا ... فـــتـوثبت قــاهراً في اعـــتـصـــام

مـــا تحــدوك . . إنما قـــد تحــداك ... القـضـــا . . بالـردى ونصل الخـتـام

إنهــم ألبـــســوك حلـة فــخــــر ... ثم أعلـوك فـوق أســمى مــقــام

طوقـــوا جـــيـــدك الأغـــر وغطوا ... جــسـمك الحـر . . خـيـفـة الإيلام

سنة الغـدر . . رحمـة الذئب بالشـا ... ة وخــبث الجــبـــان فـي الإيهــام

أرجحوا جـسـمك الضعيف فـضجت ... في الأعـــالي مــــلائك الســلام

وعووا كالذئاب: هيا تعالوا ... فاشهدوا مصرع الزعيم الهمام
فأبوا . ثم سيق قهرًا وجلدًا ... من تأبى حضور ملقى الزؤام
ثم دقوا الطبول للموت تدوي ... صارخات على العدا كل عام
لعنة الله . . لعنة الحق صبي ... بشواظ على الكوافر جامي
لعنة الكهل . . لعنة الطفل والخدر ... ولعنة الثاكلات الدوامي
لعنات على الجناة السفالى ... دائمات إلى نشور العظام
يا أخي! عبرة الخطب هاجت ... فأفاضت لنا الدموع الهوامى
ولغ القوم في الدما فأثاروا ... ديدان الحقد، مبعث الانتقام
ردد اللحن هائجًا مائجًا مســـ ... ـــتفيض الشعور صاحب الأنغام
ياجهاد الشيوخ يا فداء الشبا ... ب يا حثيث النساء للإقحام
يا دعاة السلام صمتًا فإنا ... قد شهدنا مقاصل الإعدام
قد شهدنا قذائف الموت تعوي ... هاويات على رءوس الشهام
فشهيد يميل فوق شهيد ... ودماء تفور فوق رغام
يا رياح الفناء! هبي وذري ... في المآقي قذى القنا والسهام
وارقصى ثورتي وميدي جنونًا ... واطربي يا فتوتي! لن تضامي
وتمطي عزيمتي للعلا واستـــ ... زري ناطح السحب شاهق الآكام
رب شعب عن المعالي قعيد ... خانه العزم بالوغى والسقام
ورمته الخطوب لما توانى ... وارتضى بالقيود والألجام
فعلت من ثراه صيحات جد ... داعيات إلى البنا والقيام
ونمت فيه بنته النهضة الغضـــ ... ـــى على مصرع الأبناء المسام
وتقوت سواعد النشء لما ... صقلتها يد العرمى بالنظام
أمة المجد! . إن المجد صعب ... والخنى مستسر قد استضام
سائلي الأمس . . كيف أنَّا ولدنا ... ونشأنا في أحلك الأيام
ولبثنا سنين جهلاً عبيدًا ... واستنمنا لباطل الأحلام
وقعدنا عن النهوض ففات الركـــ ... ـــب وتهنا بمهمة الأوهام

فـالمضـاء المضـاء يافـتيـة النـصـــ ــر! فـقـد طال . طال عـهـد المنام
والبـــدار البـــدار يا إمـــة الفـخـــ ــر! فـحسـب الحصـاد . نيل المرام

د- وقال الأستاذ حسين الغناي أحد شعراء الشباب الليبيين:

يبـــيـــد الزمـــان ومـــدته وتـفنـى الخـــلائق جـــدتـه
وتطوى الـدهور سـجل الحـيـاة وتبـــقى مـن المرء ســيــرته
ومن أخـلد الذكـــر في العــالمين مـــضـاء الـفـتى وعـــزيمتــه
ووقـــفــتـــه عند قـــرع السـلاح تذود عـن الحق مـــهــجــتـــه
إذا عـــجـمـتـــه شـــداد الخطوب تدرع بالـصـبـر مـهـجـتـه
ســواء لديـه اعــوجــاج الزمـان كـذا عـدله واسـتـقـامـتـه
ومـن أبرز الـذائـدين فــتــى إلى أرض بـرقـة نسـبـتـه
من العـرب الـشـوس والفـاتحين جـبـلـتـه وأرومـتـه
إذا عـد (عـمـر) و (ابن الوليـد) و (عـقـبـة) ثم صـحـابتـه
وأمـثـالهم نخـبـة المسـلمين رجـال الـفـتـوح وقـادته
فـ (مـخـتـار) بـرقـة ذاك الأبي الذي طـافت الأرض شـهـرته
لصنو لـهم في قـيـاس الفـحـول وتمتـار عـنهـم صـلابتـه
عـقـيـدته في الحـيـاة الجـهـاد لتـحـفظ للشـعب حـرمـتـه
وتلقـاه في اليـأس والمكرمـات له فـضـله ومـهـابتـه
إذا اتصـفت بالـدهاء الـرجـال وبانت مـن العـدل وجـهـتـه
فـقـول الكتـاب له مـبـدأ وصـوت السـلاح سـيـاسـتـه
أبى شـرفـًا أن يفك الركـاب وأن تلـقى السـيـف راحـتـه
ومـا زال في السرج شـاكي السـلاح توشـحـه بنـدقـيـتـه
يصـادم في طـلعـة الهـاجـمين وأول طلـق رصـاصـتـه
ويغـزو علـى القـوم فـي دارهم فـتـقـضـي إلى النصـر غـزوته

إلى أن قـضى تحت حـكم القـضـاء — شـهـيـداً فكانت نـهـايتـه
لئن مـات شـهم الوغى عـمـر — ولما تحـقق رسـالتـه
فـقـد أوجدت في شـعـور العـروبة — نوراً يـشع عـقـيـدته
يسـيـر بـهـا في دروب الـظلام — فـتـهـدي إلـى الحق لمعـتـه
كـمـا علم الروم أن الجـهـاد — مُنـى العـربي وبغـيـتـه
وعلـمـهم أن وكـر الـنسـور — حـرام علـى البـوم وطـأته
حـديثك يـا عـمـر الخـيـرين — تغـذى الـنفـوس روايتـه
وذكـرك بـاق مع الخـالـدين — به تخـتم المجـد صـفـحـتـه [1]

تاسعًا: آخر وثيقة من أحمد الشريف وصلت للمجاهدين في ليبيا:

وكانت آخر وثيقة أرسلها أحمـد الشريف ردًا على رسالة المجاهد الكبير يوسف بو رحيل الذي تولى الأمر مؤقتًا بعد استشهاد عمر المختار رحمه الله تعالى وقد أعلم في رسالته أحمـد الشريف باستشهاد عمر المخـتار وطلب منه أن يعين من يقوم بهذا الدور العظيم .

نص الرسالة التي بعث بها أحمد الشريف رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

من عبد ربه سبحانه، خادم الإسلام، أحمد الشريف السنوسي .

إلى حـضرة الفـاضل المحـترم، والجليل المفـخم، المجـاهد الصادق، واللبـيب الحاذق، قـائم مقام دور العـواقير ولدنا الـشيخ عبـد الحميـد العبار، وكـافة أولادنا العواقير حفظهم الله ورعاهم وحرسهم وحماهم آمين آمين .

السلام عليكم ورحـمة الله تعالى وبركـاته ومغفـرته ومرضاته وتحيـاته ورضوانه وعميم فضله وإحـسانه، وبعد، فالمرجو من الله تعالى أن تكونوا جمـيعًا على أيسر الأحوال محـفوظين بالله ومنصورين به وإننا لن نغـفل عنكم وقت من الأوقات من

(١) انظر: عمر المختار، ص (١٩٠، ١٩١) .

الدعاء لكن عند بيت الله الحرام وفي حضرة مولانا رسول الله عليه الصلاة والسلام، وعلى الله القبول، إنه أكرم مسئول، وخير مأمول، هذا وقد بلغنا ما أزعجنا وكدرنا غاية الكدر، وهو استشهاد حضرة النائب العام سيدي عمر المختار رحمه الله ورضي الله عنه وجعل جنة الفردوس مسكنه ومحله، وجزاه الله عنا وعن الإسلام أحسن الجزاء، فإنه كان عاملاً صادقًا ناصحًا، وأننا لم نتكدر على نيله للشهادة بل نحمد الله على ذلك ولا نقول إنه مات، بل إنه حي لقول الله: **﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾** (البقرة:١٥٤) وإنما كدرنا فقدانه من بينكم وغيابه عنكم، ولكن هذا أمر الله الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فلا يمكننا إلا تسليمنا لله ورجوعنا إليه، ولا نقول إلا ما يقول الصابرون، إنا لله وإنا إليه راجعون، نعم استشهد سيدي عمر المختار ولكنه أبقى العمل الطيب والذكر الحسن إلى يوم القيامة فهذا ليس بميت ولن يموت أبدًا، ما دامت الدنيا أنه شهيد، والشهيد ليس بميت لقوله تعالى: **﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** (آل عمران:١٦٩-١٧١) فالله يا أولادي في التمسك وإياكم واليأس إياكم والقنوط، إياكم وأقاويل الناس الفاسدة فجدوا واجتهدوا كما كنتم، واجعلوا أعمالكم لله؛ لأنه لنا ولا لغيرنا لأن من قاتل لله، فالله حي باقي، ومن قاتل لغير الله فعلمه لا يفيده شيئًا، واعلموا أن الله معكم، ولن يتركم أعمالكم، فاصبروا وصابروا واعلموا أن العاقبة للمتقين، وأن الله مخزي الكافرين، وما ترونه من الأهوال، فإنه والله ثم والله زائل عن قريب وسترون ما يسركم دنيا وأخرى، ففي الدنيا سترون بحول الله العز والنصر والفتح الذي لا يخطر لكم على بال، وفي الآخرة رضاء الله ورسوله والنعيم المقيم، فأنتم في الخير أحياء وأموات، وها نحن نوبنا عنا عليكم حضرة أخيكم المجاهد الغيور الصادق، ولدنا السيخ يوسف بو رحيل، فإنكم ستلقونه بعون الله وقوته، مثل السيد عمر وأكثر، ونحن ما قدمناه إلا

بتقديم سيدي عمر له في حياته، وامتثلوا أمره واسمعوا كلامه، وكونوا له عونًا معينًا، ومن خالفه منكم فلا يلومن إلا نفسه، ومن تبعه وامتثل أمره، فهو الذي منا وعلينا، وولدنا الشيخ يوسف المذكور هو النائب عنا عمومًا، فلا تروه إلاّ بالعين التي تروننا بها، وبذلك يتم بالله أمركم، وتجتمع كلمتكم وتقهرون عدوكم، وإياكم ثم إياكم والمخالفة والنزاع، قال الله تعالى: ﴿**وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ (الأنفال: ٤٦) واعلموا يا أولادي أن العدو خيبه الله ساعٍ بكل جهده في القضاء عليكم في هذه المدة القريبة، لا بلغه الله مناه، لأنه بعد مدة قليلة يقوم معه حرب عظيم يشغله عنكم وهو مع الفرنسيين، والدول الأخرى، فعند ذلك لا يقدر على دوام القتال معكم، والحرب قريب النشوب، فجدوا في عملكم، واصبروا وأبشروا بالنصر والفتح ولا تيأسوا من روح الله، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون قال تعالى: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**﴾ (يوسف: ١١٠) ولا نشك يا أولادي أن الله منجز وعده؛ لأن الله لا يخلف الميعاد، وإني والله ثم والله ما يمنعني من الوصول إليكم إلا عدم الطريق، ولكن بحول الله، لا زلت مجتهدًا بكل جهدي في وصولي إليكم وعن قريب يتم ذلك بحول الله وقوته، هذا وسلموا منا على عموم أولادنا المجاهدين والبارئ يحفظكم وينصركم ويجمعنا بكم عن قريب [1].

١٦ جمادى الثاني سنة ١٣٥٠هـ

عاشرًا: إيطاليا تحاول أن تستفيد بعد مقتل عمر المختار:

يقول غراسياني عن عمر المختار في كتابه «برقة الهادئة»: إن خبر القبض على عمر المختار وإعدامه سرى في كل مكان وفي الأوساط المحلية بين الأهالي والخاضعين لسلطاتنا، وبين الثوار الخارجين عن طاعتنا والمهاجرين في مصر وفي كل البلدان من المشرق إلى المغرب، كلها تأثرت من هذا الحادث الجلل، وإعدام عمر المختار ولكي

---

(١) انظر: مجلة الإنقاذ، العدد (٣٩)، ١٤١٢هـ، ديسمبر، ١٩٩١م، ص (٢٥) .

ننتهز هذه الفرصة في هذا الظرف الدقيق من أجل إثارة الفوضي بين القادة الذين خلفوا عمر المختار في القيادة رأينا أن ننشر بيانًا إلى كافة أو البقية من العصاة نعلن لهم فيه أن الحكومة الإيطالية الفاشيستية مستعدة أن تقبل استسلامهم وتسليم السلاح وتضمن لهم الحياة وفي ١٧ سبتمبر ١٩٣١م نشرت التعليمات الآتية من أجل توزيعها وهي:

١- أن نعطي للثوار الاحساس بسخاء الدولة الإيطالية الفاشيستية وكذلك للسكان المحليين .

٢- إفراد الحالة أمام العالم الإسلامي وغير الإسلامي بكل دقة وأن تصرفاتنا لا لبس فيها، فهي من اختصاصنا وكذلك من مسئولياتنا في كل العمليات الحربية التي أجريت في برقة، ولهذا فقد قامت طائرتنا بقذف المنشورات على المناطق الجبلية وعلى المدن والقرى وبها البيان الآتي:

إلى أدوار عمر المختار

إن الرئيس العظيم رئيس الثوار عمر المختار يحارب منذ عشرين سنة كان يقودكم فيها إلى الخراب والدمار والتأخر والانحطاط قبضت عليه قواتنا المظفرة قوات إيطاليا الفاشيستية وقد حكمت عليه المحكمة الخاصة بالإعدام وهذا انتقام من الله من أجل المساكين الذين بسببه تركوا أراضيهم ومسقط رأسهم (١) .

قال مترجم كتاب «برقة الهادئة» إبراهيم بن عامر عن هذا المنشور: سبحان الله يا جنرال من الذي شرد الناس من أراضيهم؟ ومن الذي أفنى ثمانين ألفًا من المواطنين في المعتقلات ألم تكن أنت الذي قضى على الناس وأموالهم؟ وفي نفس الصفحة تعترف بأن عمر المختار منذ عشرين سنة يحارب من أجل من؟ من أجل أن يطردك ويطرد قوات إيطاليا الغاصبة (٢) .

واستمر غراسياني في المنشور: يا أهل الدور إن الحكومة الإيطالية الفاشيستية القوية والسخية تحذركم مرة أخرى إنه بعد وفاة واختفاء عمر المختار أنها مستعدة بأن

---

(١) انظر: برقة الهادئة، ص (٢٩٤، ٢٩٥) .

(٢) انظر: برقة الهادئة، ص (٢٩٤،٢٩٥)

تعفو عن كل الذين يخضعون لحكمنا ويسلمون أسلحتهم، ومن غير هذا فالحكومة كما قضت على عمر المختار ستقضي على كل الذين يواصلون العصيان إما عاجلاً وإما آجلاً . اسمعوا كلامي وسلموا أنفسكم وفي نفس الوقت أصدرت الأوامر إلى قوات الجيش بعد أن قذفت الطائرات المنشورات بالاستمرار في القتال دون توقف، بل بذل أكثر من الجهد دون تردد حتى نجعل أمام العصاة (يعني الثوار) الطريق الوحيد هو الاستسلام دون قيد أو شرط وخلاف إلقاء البيان بالطائرات ما يزيد عن ٣٥,٠٠٠ منشور وأكثر منها وزعت من الدوريات الكشافة على كل بئر وفي كل حقل ومرعى وكل هذه الأماكن التي يمر بها العصاة (يعني المجاهدون) أما (المريشال بادوليو) من جانبه وجه إلى قوات الجيش البرقية التالية:

أوجه إلى قوات الجيش الشجاعة ببرقة أعظم الثناء وأحر تهنئتي على كل ما قاموا به من عمل مجيد وانتصار باهر في هذه الحروب، والنتيجة المرضية التي كنا نتمناها أن نهاية عمر المختار يجب أن لا تؤثر على السير فوق الطريق التي رسمناها وهي مطاردة العصاة أينما وجدوا واقتفاء أثرهم وضربهم بكل شدة ودون هوادة أو رحمة إلى آخر واحد منهم وليكن شعارنا ؛ لا توقف ولا ارتخاء واصلوا الزحف بكل حماس متجرد ولسوف نقضي على العصاة نهائيًا [(١)] .

انظروا إخواني إلى هذا الحقد والبغض والكيد والمكر الذي ظهر من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر وصدق الله حيث قال: **﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾** (سورة البقرة، آية ٢١٧) .

الحادي عشر: تعيين يوسف بو رحيل قائدًا للحركة الجهادية:

وبعد سقوط عمر المختار رحمه الله في الأسر تجمع المجاهدون بين يوم وليلة وأجمعوا على تنصيب الشيخ المجاهد (يوسف بو رحيل) قائدًا للجهاد الإسلامي ووكيلاً عامًا للجهاد، وعلى أثر هذا التنصيب كلف الشيخ عبد الحميد العبار بالرحيل نحو شرق البلاد للقيام بحث الناس على الانخراط في جيش المجاهدين وحمل

---

(١) انظر: برقة الهادئة، ص (٢٩٦) .

السلاح لمكافحة الجيوش والجهاد في سبيل العقيدة الإسلامية والدين، واستقبل المجاهدون خبر استشهاد قائدهم العظيم بالعزيمة والاستمرار ومواصلة السير، إما الشهادة أو النصر على النصارى الحاقدين .

وواصلت الحكومة الإيطالية حملات الانتقام ضد أولئك الأبطال، وبرز في تلك المرحلة الحاسمة والتي ندر فيها وجود الرجال الشيوخ الفرسان والقادة الأبطال والميامين الكرام أجدادنا البواسل كل من عبد الحميد العبار ويوسف بو رحيل وعصمان الشامي وحشدت إيطاليا قواتها وواصلت شن حملاتها بشراسة منقطعة النظير . وبعد قتال عنيف عند الحدود المصرية قرب الأسلاك الشائكة اجتاز الأسلاك بعض المجاهدين ببطولة منقطعة النظير وفروسية عالية القياس، وقتل من قتل وأسر من أسر وبقي الزعماء الأربعة يقاومون فقتل حمد بو خير الله أحد الزعماء وقتل يوسف بو رحيل وجرح عصمان الشامي فأخذ أسيرًا وأما الفارس المغوار عبد الحميد العبار فاستطاع أن يجتاز الأسلاك الشائكة بجواده رغم مطاردة القوات الإيطالية له [1] .

وبهذه النهاية المؤلمة الحزينة انكسرت شوكة المجاهدين وتعثرت خطواتهم وأخمدت حركة الجهاد وذهب الأجداد تاركين خلفهم تاريخًا بطوليًا كفاحيًا جهاديًا رائعًا من أجل العقيدة والدين والشرف والكرامة، فعلى طريق الإسلام نحن سائرون ومن أجل إعزاز دين الله عاملون ورفع راية التوحيد مجاهدون، ونسأل الله المغفرة والرحمة والرضوان للأجداد والأبطال الكرام من أمثال رمضان السويحلي، وسليمان الباروني، والفضيل بو عمر، وأحمد الشريف السنوسي، وصالح الأطيوش، وإبراهيم الفيل، وأحمد سيف النصر وسعدون وعبد الحميد العبار وغيرهم كثير .

إن عبد الحميد العبار قد أمد الله في عمره وقد شاهدته مرات عديدة وأنا طفل لم أتجاوز الرابعة، وكنت أراه كل يوم بعد صلاة الفجر أمام بيته في الحي الذي كنت أسكن فيه بمدينة بنغازي والذي يسمى مدينة الحدائق بقرب مسجد السيد بالقاسم أحمد الشريف السنوسي المعروف بمسجد الأنصار، وكان منظره وهو يتلو كتاب الله

---

(١) انظر: برقة الهادئة، ص (٣٠٤) .

وقد تقدمت به السن مؤثرًا في نفسي وبلادنا في تلك الفترة عمّها الفساد وما كنا نرى ونحن أطفال من يحافظ علـى تلاوة القرآن الكريم بالكيفية المذكـورة وأخبرت والدي عن ذلك الذي أسـر قلبي بتلاوته القـرآن الكريم فقـال لي: يا بني ذاك الشيخ عـبد الحميد العبار من كبار المجاهـدين وبدأت جدتي وهي من قبائل برقة من قبيلة الدرسة وقد كانت ضمن المعتقلين بمعتقل المقرون تسرد لي أمـورًا عجيبة عن جهاده وفروسيته وشجاعـته ونجدته، ولا زالت صورته في ذهني إلى وقت كتـابتي هذه وعندما توفى رحمه الله كان لوفاته مأتم مشهود وحضـرت جموع غفيرة من شرق البلاد وغربها، واستمر المأتم أيامًا عديدة فرحمة الله على أولئك الأبطال .

الثاني عشر: اضطهاد الشعب:

وباستـشهاد عمـر المختار ويوسف بو رحـيل وأسر عصـمان الشامي بعد جـرحه وهجرة عـبد الحميد العـبار إلى مصر وقـتل كثير من المجـاهدين انتهت حركـة الجهاد الفعلية، ومع وجود معظم السكان في معـسكرات الاعتقال حكم الإيطاليون البلد من الحصـون المحاطـة بالأسلاك الشـائكة والدوريات والمصفـحات والسـيارات المسلـحة والرشاشات والأنوار الكاشفة والطائرات، وفي يناير ١٩٣٢م أعلن بـادوليو حاكم ليبيا العسكري الإيطالي أن الثـورة قد انتهت كليـة وتمامًا وأصرت إيطاليـا على جعل ليبـيا الشـاطئ الرابع لإيطـاليـا، وأعلن مـوسليني ذلك الطـبل الأجـوف سنة ١٩٣٤م بأن الحضارة الحقـيقية هي ما تخلقهـا إيطاليا على الشاطئ الرابع لبحرنا (الحـضارة الغربية بصفة عامة، والحضارة الفاشيستية بصفة خاصة) وأخذ الرأسماليون الإيطاليون يقسمون ممتلكات الشـعب المسلم على بعـضهم البـعض ويرحّلون الأسر الإيطاليـة لاستـيطان الكامل في ليبيا المسلمة وأصـبح الليبيون عمالاً مستأجـرين وخدامًا للعائلات الإيطالية في مزارعـهم التي نزعت من أيديهم وسلمت للإيطاليين، وأصـدرت وسنت القوانين التي تخدم مصالح الحكومة الإيطالية في مصادرة الأملاك والاستيلاء عليها ونزعها من المواطنين بمبالغ زهيدة باسـم المصلحة العامة، واهتمت إيطاليـا بليبيا اهتمـامًا بالغًا من أجل جعلها قطعة إيطالية لها دورها في توسيع مسـتعمراتها نحو الجزائر ومالطا وجبل

طارق وشجعت إيطاليا هجرة الألوف من العائلات الإيطالية ضمن شروط لا بد من توفرها في الراغبين بالاستيطان في ليبيا المسلمة ،ومن هذه الشروط: كثرة عدد أفراد الأسرة بحيث تكون أكثر من سبعة، وأيضًا الصحة، والقراءة والكتابة وأن تكون هذه الأسرة من أعضاء الحزب الفاشيستي، أو ذات الوعي السياسي، وكان معظم القادمين هم من المناطق الفقيرة في شمال إيطاليا وخرجوا من إيطاليا وسط دعاية عالمية، واستقبلوا في طرابلس وبنغازي استقبال الأبطال ونقلوا في سيارات الجيش إلى القرى التي كانت جاهزة لهم وكان بالبو يرافقهم من نابولي حتى القرى التي اغتصبوها من الشعب المسلم المسكين، وأعطيت كل أسرة منزلاً ومزرعة جاهزة للعمل وكانت الحقول قد زرعت وفي كل إسطبل كان يوجد بقرة وبغل، وأدوات وحبوب وعلف وكذلك عربات وخشب للوقود وفي كل بيت كان هناك طعام يكفي لأسبوع [1]، حتى الكبريت والشمع كان موجودًا جاهزًا، وسخر الشعب الليبي المسلم لخدمة النصارى واستعبد النصارى الحاقدون المسلمين في حربهم لليبيا واهتموا بطرابلس ولبده وصبراته وشحات لجعلها دعاية للحكومة الإيطالية ودعوة انحلالية للخمور والدعارة في حوض البحر المتوسط على مستوى عالمي، وكانت أهداف الإمبراطورية الفاشيستية حسب تعبير الطبل الأجوف موسليني (تغييرًا أقليميًّا حربيًّا تجاريًّا فحسب بل تغييرًا روحيًّا وأخلاقيًّا أيضًا) وعمل على انسلاخ المسلمين من أخلاقهم ودينهم ورضوا بأن يحصر دين المسلمين في الشعائر التعبدية . وقد أعلن بالبو مرة أنه (لن يكون في ليبيا حكام ومحكومون، وبدلاً من ذلك سيكون فيها إيطاليون كاثوليك، وإيطاليون مسلمون، متحدين من جماعة مشتركة كعناصر بناءة في تنظيم جبار للأمبراطورية الفاشيستية) وحرموا الشعب الليبي المسلم من كل حقوقه الطبيعية فلا فرصة في التعلم والتعليم والثقافة والتثقيف، ولم يكن الفاشيستيون يرون نهاية لوجودهم في بلادنا العزيزة وكانت الطبقة المثقفة الصغيرة إما في المنفى، أو لا صوت لها . وقد أخمدت كل معارضة بقسوة بالغة وأضعف البناء القبلي التقليدي بتعيين زعيم لكل عدد من القبائل

---

(١) انظر: تاريخ ليبيا، ص (١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٣) .

والفاشيستيون يأمرون والشعب المستضعف ينفذ بدون سؤال أو تعليل وكان التعليل الكافي الذي ربي عليه الشعب (يجب عليك لأنه يجب عليك أن تفعل كذا وكذا) وكانت السياسة التعليمية الإيطالية رسمت من أجل تخريج عدد كبير من التلاميذ الليبيين الذين يتكلمون الإيطالية ويخلصون الولاء لإيطاليا [١] .

وعملوا على القضاء على الأخلاق الإسلامية وبث روح الكثلكة في المدارس بين الأطفال، والقضاء على مصارف أهل البلاد والتعليم الديني وأغلقوا الكتاتيب ودور العلم الوطنية، وأكثروا من إقامة دور الفحش ومنعوا الليبيين من أداء فريضة الحج وازداد امتهانهم للدين الإسلامي بدرجة شنيعة فكان من سوء فعالهم، أن ألقى قائد طبرق الإيطالي بالمصحف الشريف إلى الأرض، ثم أخذ يطأ عليه بقدمه على مشهد من جماعة من المسلمين (إنكم معشر المسلمين لا يمكن أن تصيروا بشراً ما دام هذا الكتاب بين أيديكم) .

وسخروا المسلمين واستعبدوهم في بناء الطرق والقلاع والمزارع والقرى ونشط المبشرون الطليان في دعوتهم، وعمدت الحكومة إلى تشجيعهم وأرغمت النساء على التنصير والزواج من الطليان .

وزاحموا أهالي البلاد في الصناعة والتجارة وسيطروا عليها سيطرة كاملة ومنعوا الناس من التظلم، وقيدوا حرياتهم، فمنعوهم من محادثة بعضهم بعضًا، ومن قراءة الصحف والمجلات والكتب، ومن مراسلة أقاربهم في الخارج، حتى صاروا في سجن داخل بلادهم محرومين من كل صلة تربطهم بالعالم العربي والإسلامي .

لقد كان من أحلام الفاشيست إعادة الإمبراطورية الرومانية الغابرة فقرروا لذلك امتلاك البلدان الإسلامية القائمة على شواطئ البحر الأبيض المتوسط، ثم إبادة أهل هذه البلاد وإفنائهم وتحويلها إلى رقعة لاتينية، وإنها لوقاحة منقطعة النظير أن يعمل شعب على إبادة شعوب ليحل محلها بالقوة، ولكن هذا هو منطق الصليبيين الحاقدين وبلغ استهتارهم، أنهم ألزموا خطباء الجمعة بالدعاء على المنابر لملك إيطاليا، عم نويل

---

(١) انظر: تاريخ ليبيا، ص (١٦٤، ١٦٧، ١٧٠) .

الثالث، وعندئـذ امتنع المسلمون عن صـلاة الجمعـة فلما هاج الرأي العـام الإسلامي على هذا الفعل، استكتبـوا الأئمة تكذيبًا بتوقيعاتهم، جاء فـيه أن الدعاء كان بمحض إرادتهم ومن تلقاء أنفسهم، ومن غير تدخل من جانب الحكومة الفاشيستية!!

فهل رأيت وقاحة أبلغ من هذه؟

وفي عـهد بادوليـو صاروا يمنعـون الناس من أداء الحج ويضعـون العراقـيل في سبيلهم، حتى يجبروا على تركه .

كان أقبح ما فعل المارشال بادوليو إنه أمر بأن ترصف (الصالة) في قصره بالبلاط المنقوش عليـه (محمد) ﷺ ، وبعـد انتهاء مرحلـة الحرب المسلحة كمـا علمنا نفذ الشطر الثاني من برنامج إبادة الليـبيين وإفنائهم، ونعني ذلك ما اغتصـبه الطليان من الأراضي والمزارع وإعطائهـا للعائلات الفـاشيسـتيـة بالقوة، وترك أصـحاب الأرض الحقيقين وأبناء البلاد يتضورون جوعًا ويخدمون هؤلاء الحاقدين كخدمٍ وعبيدٍ [(١)]

وأراد الله أن ينتقـم للمجاهدين من الطليـان بقدرته وجـبروته وعزته وحكمـته النافذة التي لا يعلمها كثير من عـباده، وبعد أن اطمأن النصـارى الكاثوليك في ليبيا جاءت الحـــرب العالمية الثانية قدرًا من الله وتسليطًا من الله مــــن ظالم على ظالم ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (سورة الأنعام، آية ١٢٩) .

وبعد أن اطمأنت الإمبراطورية الإيطالية إلى سـلطانها، ودانت لها الأقطار الليبية من أقصاها إلى أقصاها من بعد استشهاد المختار عام ١٩٣١م حتى عام ١٩٤٢م .

أحد عـشر عـامًا من اليـأس المطلق الذي لا يبشـر بشيء من الأمل، أهل الحل والعقد الليبيين بعيدين عن البلاد .

نصف الشعب أو يزيد أهـلكوا، أو أخرجوا من ديارهم ظلمًـا وعدوانًا، البقـية الباقية مستضعفة في بلادها لا حول ولا قوة لها .

غراسياني ينفخ أوداجه، ويختال على أرض المسلمين يمنه ويسرة حيث شاء [(٢)] .

---

(١) انظر: حياة عمر المختار، ص (١٧٢) .

(٢) حياة عمر المختار، ص (١٨٥) .

ثم جاء من ورائه بادوليو المارشال العجوز ليتم قصة إبادة الشعب الليبي ويسلم الأراضي إلى رعاع الطليان .

ليل هنا وليل هناك وظلام دامس وظلم مخيم ويأس مرير وذلة أصابت المسلمين وعزة زائفة سيطرت على النصارى الحاقدين وكانت قصة خروج الطليان من بلادنا غريبة جدًا ينبغي أن يتدبر فيها ليعلم الناس وليطمئنوا إلى عدل الله المنتقم الجبار ولو بعد حين، وكانت قصة هزيمة إيطاليا في ليبيا بدأت في الحرب الثانية في سبتمبر وحرصت إيطاليا أول الأمر على عدم دخولها حتى إذا رأت فرنسا تنهار على أثر الزحف الألماني الخاطف عليها أعلنت إيطاليا الحرب على إنكلترا وفرنسا في ١٠ يوليو ١٩٤٠م وبدأ الجبل الأخضر يضيق حول عنق الإمبراطورية الجوفاء العرجاء ودخلت إيطاليا الحرب بقيادة زعيمها موسوليني الطبل الأجوف طمعًا في الغنائم، وكانت توقن أن الأرض قد دانت لحليفتها ألمانيا فأخلف الله ظنها وأفضى الأمر إلى زوالها نهائيًّا من الوجود كإمبراطورية صاحبة مستعمرات واندحرت إيطاليا باندحار ألمانيا في شمال إفريقيا، ولم تغرب شمس يوم ٧ أبريل عام ١٩٤٣م حتى كانت جيوش ألمانيا وإيطاليا بقيادة روميل المنهزمة قد أخلت القطر الطرابلسي بأجمعه .

وكانت فرحة عظيمة شاملة عمت قلوب الناس وعبر عنها الملك السابق بقوله: (إني أحمد الله الذي جعلني أشهد خروج هؤلاء الطليان الظالمين من بلادنا) وتدفق الليبيون إلى بلادهم التي ترعرعوا فيها وأخرجوا منها ظلمًا وزورًا وهكذا استدار الزمان وسلط الله الإنكليز على الطليان ونزل العار بهم [1] .

لقد أرادت إيطاليا إبادة المسلمين في ليبيا فبادوا هم وبقي المسلمون في ليبيا، وأراد غراسياني إعدام المختار فهلك وبقي المختار علمًا وقدوة لأجيال المسلمين .

* ■ *

(١) انظر: حياة عمر المختار، بتصرف، ص (١٨٥ إلى ١٨٨) .

■ الفصل الثالث ■

الليبيون بين المهجر والاستقلال

المبحث الأول

الليبيون في المهجر

هاجر الليبيون إلى تونس والجزائر، وتشاد، وسوريا، والأردن ولبنان، ومصر، والحجاز، وتركيا وتركوا أوطانهم بسبب الظلم والجور الذي وقع من الطليان، وشرعوا في جمع شتاتهم في المهجر استعداداً ليوم قريب تتاح لهم فرصة تخليص بلادهم من الاحتلال الطلياني البغيض، وكانت قلوبهم تتقطع شوقًا للرجوع إلى ديارهم وتفجرت ملكاتهم الشعرية وتركوا لها بعض القصائد المعبرة عن الشوق للأوطان .

أولاً: قال الشاعر أحمد رفيق في هذه المعاني:

كادت تطير بأضلعي أشواقي ... يوم الفراق فهل يكون تلاقِ

ودعته والله يعلم أنني ... ودعت راحة قلبي الخفاق

لو كان قبل يوم قيامة ... كان الفراق قيامة العشاق

وطني من الإيمان حبك ليس لي ... من عليك وأنت ذو استحقاق

ويقول أيضًا:

يا أيها الوطن المقدس عندنا ... شوقًا إليك فكيف حالك بعدنا؟

كنا بأرضك لا نريد تحولا ... عنها ولا نرضى سواها موطنا

في عيشة لو لم تكن ممزوجة ... بالذل كانت ما ألذ وأحسنا

عفنا رفاة العيش فيك مع العدا ... وأبى شمم النفوس وعزنا

إلى أن يقول:

جعلوك مسخـرة يايدي صبية ... لا يعـدون عن الحميـر تمدنا

قالوا لنا جئنا نمـدن أرضكم ... أين التمـدن والذي قالـوا لنا؟

هدموا من الأخلاق في أوطاننا ... أضعاف ما شادوه فيهـا من بنا [1]

ثانيًا: وقال الأستاذ محمد الطيب قصيدة فاضت من الشعور لا من الشعر:

كما قال رحمه الله:

ماجنـة الحـسن إلا في طـرابلس ... عهـدي به وسـناها مشتـرق عـال

يا برقة الخيـر يادار الأحـبة مـا ... أقسى الفـراق بقلبي يـوم ترحـال

وصـوت ذكرك (يا برقا) يـردده ... قلبي فيشغـلني عـن كـل أشغـالي

نار الفـراق لهـا في مهجتي شرر ... لولا الدموع لأوهـت جسمـي البالي

دار الأحبـة لا أبغي بـهـا بدلاً ... فـلا بمصـر ولا بالشـام آمالي

ولا العـراق ولا صنـعا تغيـرني ... عن حب (برقة) ولا الخضـراء تحلو لي

ولا دمشـق ولا الدنيـا بأجمعها ... أنسى بهـا برقة الفيحـاء من بـالي

فهي النعيـم إذا ما جئـت أذكرها ... طاب المقام بها في عصـري الخـالي

حصباؤها ذهب والتبـر تربتهـا ... وماؤها من رحيـق الشهـد سيال

وأهلهـا عـرب قعسـاء همتهـم ... شـادوا المفاخـر جيلاً يعد أجيـال

الدهـر يعرفهـم أسـداً غطـارفة ... في حـالة الجـد لا في القيـل والقال

عرّج بـهـا يا رعـاك اللـه في أسف ... وأروي الربـوع بدمـع منـك شتال[2]

(١) انظر: برقة العربية، ص (٥٣١، ٥٣٢) .

(٢) انظر: برقة العربية، ص (٥٣٢، ٥٣٣) .

ثالثًا: وأما الجهاد بشير بك السعداوي فقد قال:

قالوا: تحن إلى بلاد وأهلها؟ فأجبتهم هي بغيتي ومرادي
تالله لم أشغف بغير طلالها ولا منيتي مالت لغير بلادي
في حب هاتيك الديار وأهلها ذابت حشاشة مهجتي وفؤادي
بالله يا ريح الصبا ونسيمه إن زرت يومًا منزلاً لسعادي
أبسط لها شوقي وفرط صبابتي وأهد تحياتي لها ووداي
وأخفض جناح الذل عني وقل لها أسرفت في هجري وفي إبعادي
حر النوى أوهى فؤادي وإنني متهتك متمزق الأكبادي
مذ غردت بالبين أغربه النوى من بيننا ما ذقت طعم رقادي
أمسى سميري في الدجى بدر السما والبدر جسم لا يجيب منادي
فلطالما ناديت في غسق الدجى حبي فتذهب صيحتي في وادي
لهفي على تلك الديار وأهلها قوم لهم في المكرمات أياد
لا زلت أصبو بحبهم ووداهم رغم على أنف الزمان العادي[1]

وقال أيضًا:

يا حاد الركب حث السير في عجل نحو المواطن بين السهل والجبل
وقف بذاك الحمى والأربع الدرس وجول الطرف الآكام والقلل

إلى أن يقول:

عهدي بها وأسود الليل رابضة حول الكنائس لها غاب من الأسل
واليوم قد أصبحت والذل رائدها وتشتكي دولة الأوغاد والسفل
قوم أحلو بها لا أصل يردعهم ولا خلاق سوى الفحشاء والزلل

---

(١) انظر: برقة العربية، ص (٥٣١).

ظنوا بأن وعدوا أنا نصدقهم وعندنا وعدهم كذبًا بلا خجل
لا تيأس يا ربوع العز وانتظري فإن دولتهم من انقص الدول[١]

لقد ذاق المهاجرون ألوان العذاب في المهجر، ومع ذلك فقد واصلوا الجهاد وهم في ديار الهجرة حتى ضاقت بهم إيطاليا ذرعًا وبرز من المجاهدين في مصر السيد إدريس السنوسي الذي قال في حقه الجنرال غراسياني: (إذا أردنا أن نقضي مرة واحدة على العصيان يجب أن يغيب إدريس من عالم الوجود، فإذا مات هو مات معه التمرد والعصيان، يجب لتحقيق هذا أن نضغط على مصر حتى تسلمه لنا أو نقضي المهمة وراء ستار) [٢] وأما في بلاد الشام فقد ظهرت جهود بشير السعداوي واضحة العيان، فقد قام مع إخوانه الميامين بصور شتى من صور الجهاد، فقد شمروا عن ساعد الجد والعمل، فتأسست في دمشق في عام ١٩٢٨م (جمعية الدفاع الطرابلسي والبرقاوي بالشام) وانتخب بشير السعداوي رئيسًا لها وكانت هذه الجمعية تضم إليها مجموعة من المجاهدين كسكرتير الجمعية عمر فائق شنيب (بك)، وأمين الصندوق فوزي النقاش ثم عبد الغني الباجقمي، وكامل عياد، وعبد السلام أدهم، والبمباشي طارق، ومحمد ناجي التركي، ومصطفى بن نوح، وأحمد راسم، وأبو بكر قدوره، وأبو بكر التركي، وخليفة بن شعبان، وعمل هؤلاء الأخوة الأبطال جميعًا على إعداد البحوث التي تكشف عن أعمال الطليان وفظائعهم في القطر الليبي، وصاروا ينشرونها في الصحف والجرائد، والمنشورات، وأظهر بشير السعداوي نشاطًا واسعًا ونشر بحوثًا ومقالات كثيرة، وسار عمر فائق شنيب على نفس المنوال، وفي عام ١٩٢٩م وضعت الجمعية الميثاق الوطني المشهور للشعب الطرابلسي البرقاوي ؛ فنصت المواد على التالي:

المادة الأولى: تأليف حكومة وطنية ذات سيادة قومية لطرابلس وبرقة يرأسها زعيم مسلم تختاره الأمة .

---

(١) انظر: برقة العربية، ص (٥٣١) .
(٢) انظر: برقة العربية، ص (٥٣١) .

المادة الثانية: دعوة جمعية تأسيسية لسن دستور البلاد .

المادة الثالثة: انتخاب الأمة مجلسًا نيابيًّا حائزًا على الصلاحية التي يخوله إياها الدستور .

المادة الرابعة: اعتبار اللغة العربية اللغة الرسمية في دواوين الحكومة والتعليم .

المادة الخامسة: المحافظة على شعائر الدين الإسلامي وتقاليد القطر في جميع أرجائه.

المادة السادسة: العناية بالأوقاف وإدارتها من قبل لجنة إسلامية منتخبة .

المادة السابعة: العفو العام عن جميع المشتغلين بالسياسة داخل القطر وخارجه.

المادة الثامنة: تحسين العلاقات والمصالح بين الأمة الطرابلسية البرقاوية والدولة الإيطالية بمعاهدة خاصة يعقدها الطرفان ويصدقها المجلس النيابي [١] .

وقامت الجمعية بفتح فرع لها في تونس عام ١٩٣٠م برئاسة محمد عريقيب الزليطني، وحققت الجمعية بعض النجاحات الكبيرة، وكان الأمير إدريس السنوسي قد أولى عنايته الخاصة، وأمدها بالمساعدات القيمة، فيرسل لها الإعانات المالية حينًا وبالمعلومات والأخبار الجديدة عن القطر الليبي حينًا آخر، وتمكنت الجمعية من دعم مركزها ومتابعة النشر والقيام بحملة صحفية واسعة تهيب بالأمة الإسلامية والعربية أن تنهض للوقوف بجانب الشعب الليبي بكل الطرق . ونشرت اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية نص الميثاق وقدمت له بنداء خاطب فيه مواطنيها في الأقطار العربية، جاء فيه: (أيها الإخوان الأعزاء: إن الواجب يقضي عليكم أن تعملوا لخير بلادكم وذلك بتنظيم صفوفكم وجمع كلمتكم وأن تؤلفوا في كل قطر تسكنونه (جمعية) تلم شعثكم وتجمع شملكم وأن توطنوا نفوسكم على التضحية والقيام بالواجب الوطني ؛ فالله لا يضيع أجر من أحسن عملا ؛ وارفعوا أصواتكم بالشكوى مما تلاقيه أمتكم البائسة من مظالم الإيطاليين واملئوا الصحف بالمقالات

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٣٧٣) .

والفضاء بالاحتجاجات وانشروا النشرات وقفوا للحوادث بالمرصاد وانتهزوا الفرصة وفكروا فيما يعود على وطنكم بالنفع ؛ فالفكرة الناضجة تكوّن الأمم وتبعث فيها روح اليقظة والانتباه ؛ ثم ربوا نشأكم على حب الوطن، والحرية والاستقلال، أرضعوهم هذه المبادئ مع اللبن وانفثوها في صدورهم منذ عهد الصبا ونعومة الأظفار، علموهم مناقب السلف الصالح وأبطال التاريخ والفتح الإسلامي فإنها تبث في نفوسهم علو الهمة وروح الشهامة والمبادئ الوطنية، وليكن شعاركم الاستقلال وتخليص وطنكم من الأغلال، وفكروا في الوسائل التي تقربكم من هذه الغاية الشريفة ؛ فإن الدولة الإيطالية مهما اشتد بها الصلف والغرور إذا رأتنا أمامها أمة ناهضة منتشرة في الآفاق واقفة لها بالمرصاد تحارب الظلم والاستبداد ولا تدين لسنن الاستعمار والاستعباد لا بد أن تذعن لمطالبنا الحقة ولميثاقنا القومي الذي عاهدنا الله على تحقيقه ببذل النفس والنفيس والله مع الصابرين) [1] .

لقد استطاعت الجمعية أن توسع دائرة نشاطها، وطلبت من شكيب أرسلان في عام ١٩٢٩م أن يقف معها لما كان بالحجاز، ولبى الأمير شكيب نداء الليبيين وشرع في نشر مخازي ومظالم الطليان في الصحف والمجلات العالمية والعربية وفي نشرات صغيرة حتى يسهل تداولها وحققت مقالات شكيب هدفها وانتبه العالم الإسلامي لما يفعله الطليان في ليبيا بسبب مقالاته الرائعة التي دبجها بقلمه السيال.

واستمرت الجمعية في نشاطها وتوالت نشراتها تصف فظائع الطليان، وتحذر الأمة من تصديق دعاياتهم الكاذبة المغرضة وتسوق الحجج والبراهين والأدلة على انتهاك أبسط حقوق الإنسان في ليبيا، وتفننت في ابتكار وسائل عدة لإيصال هذه النشرات إلى داخل ليبيا وبذلت جهوداً عظيمة لتوزيع نشراتها في جميع أنحاء العالم العربي، لقد نجحت في حرب الأقلام وشاركت في المؤتمر الإسلامي في القدس وعرضت قضيتها وهذا نص الوثيقة التاريخية التي قدمتها:

---

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٣٧٤) .

رابعًا: وثيقة تاريخية عن القضية الطرابلسية البرقاوية تقدمت بها الجمعية الطرابلسية البرقاوية للمؤتمر الإسلامي في القدس:

بسم الله الرحمن الرحيم

منذ أن أخذ الأوروبيون يشنون الغارة على البلاد الإسلامية بحجة الاستعمار لم تفجع بلاد إسلامية - بعد الأندلس - بمثل ما فجعت بطرابلس - برقة- تلك البلاد التي منذ سطا الإيطاليون وسيوف نقمتهم لم تبرح أعناق أهلها بدون رحمة ولا شفقة، حتى آلت إلى مجزرة بشرية تمثل فيه أفظع الأدوار الهمجية .

لا نريد أن نطيل البحث في مناقشة الوسائل التي تذرعت بها الدولة الإيطالية لاحتلال طرابلس - برقة- التي لا تربطها بها أية علاقة، ونكتفي هنا بنظرة عامة في تطور القضية الطرابلسية منذ الاحتلال الإيطالي إلى يومنا هذا، إذ أن المجال لا يسمح بسرد جميع الحوادث مفصلة:

لقد أغارت الدولة الإيطالية على القطر الطرابلسي - البرقاوي في ٥ تشرين الأول سنة ١٩١١م على حين غفلة من أهلها، وكان مع خلوه من المعدات الحربية لم يكن به من الحماية العثمانية سوى ثلاثة آلاف جندي مبعثرين في عدة مناطق، بيد أن سكان تلك البلاد الذين كلهم كتلة عربية - إسلامية واحدة قد فطروا على عزة النفس والإباء ولذلك قاموا في وجوه الغاصبين قومة رجل واحد يدافعون عن أوطانهم ويذودون عن حياتهم بقلوب ملؤها الإيمان بالله والاعتماد عليه .

واستمرت الحرب سنة كاملة لم تتمكن من خلالها الجنود الإيطالية من التقدم شبرًا عن مرمى مدافع أسطولهم، إلى أن اضطرت الدولة العثمانية إلى عقد صلح مع الإيطاليين منحت فيها الطرابلسيين استقلالهم الإداري وسحبت جنودها وهي مرغمة.

وعقب ذلك أخذ الإيطاليون يدعون أهالي البلاد إلى السكينة ويظهرون لهم حسن النية لخير تلك البلاد فوضعت الحرب أوزارها وألقى أكثر أهالي طرابلس وبرقة السلاح وعادت السيوف إلى أغمادها ، ولكن رجال الدولة الإيطالية ما كادوا

يظفرون بتجريد الأهالي من السلاح حتى قلبوا لهم ظهر المجن وأخذوا يسومونهم سوء العذاب وينتقمون من كل من حرض الناس على قتالهم فيخلقون لهم تهمًا واهية ويزجون بعضهم في أعماق السجون ويرمون بالبعض إلى جزر إيطاليا .

فثارت ثائرة القوم من تلك الأفعال المنافية للعهود والمناقضة للوعود، فانقضوا على إيطاليا، وكان أول وقعة دموية جرت وقعة تسمى بوقعة (القراضابية) وهو مكان قرب خليج سرت ، جرت تلك الوقعة في أوائل سنة ١٩١٤م أضاع فيها الإيطاليون ما ينيف على (٨٠٠٠) جندي ، وعقب ذلك ازداد حقد الإيطاليين على الأهلين فانهالوا على العرب بالقتل والتعذيب فقتلوا في يوم واحد من الأعيان ورؤساء القبائل رميًا بالرصاص ٣٠٠ نسمة في فضاء سرت وأخذوا يقتلون الأبرياء والشيوخ والأطفال والنساء والرجال .

وعلى أثر ذلك اشتعلت في بلادنا حرب سرى لهيبها في كل ناحية من النواحي وظلت الفتن تتقد إلى أن نشبت الحرب العالمية فأرسلت الحكومة العثمانية بعض القواد العسكريين منهم نوري باشا شقيق أنور باشا الشهير، عندئذ اضطرت الجنود الإيطالية أن تنسحب من كل المواقع التي أشغلتها أثناء السلم وتتحصن في مدينة طرابلس، زواره، الخمس، بنغازي، درنة، طبرق، إلى أن انتهت الحرب الكبرى فخرجت إيطاليا منها وعسكرها منهوك القوى لما لاقى من الهزيمة تلو الهزيمة في ساحات أوروبا .

ورغم ذلك ساقت عدة فيالق من جيوشها إلى طرابلس - برقة- وجهزت منهم مائة ألف جندي زحفت بهم على خطوط المجاهدين في منطقة طرابلس .

وما كادت تدور رحى الحرب بين الفريقين حتى انهزم ذلك الجيش العرموم شر هزيمة، وغنم المجاهدون منهم أسلحة ومعدات حربية كثيرة .

ولما باءت الدولة الإيطالية في تلك التجربة بالفشل وعلمت أنها غير قادرة على إخضاع الشعب بقوة الحديد والنار عمدت إلى التضليل والتمويه فسنت قانونًا سمته

«القانون الأساسي» وأعلنته في سنة ١٩١٩م، ومع أنه جاء غير ضامن لحقوق الأهلين فقد قبلوا به بغية حقن الدماء وراحة الفريقين وانتظروا من رجال الحكومة الإيطالية تنفيذه ثم ما لبث أن ظهر أنهم اتخذوه غشاوة على أعين الناس وأخذوا يبثون بذور الفساد من وراء الحجب ويوزعون على بعض سخفاء العقول المبالغ الطائلة من الأموال والسلاح والذخائر الحربية لإيقاد نار الفتن بين الأهلين والتفريق بين الوطن وبين الأخ وأخيه .

وكادوا يصلون إلى رغائبهم ويوقعون البعض في تلك الحبائل التي نسجتها أياديهم الأثيمة، لولا أن عقلاء البلاد أدركوا تلك الدسائس وتلاقوا الأمر بعقد مؤتمر عام في مدينة غريان ضم نخبة من رجالات البلد في سنة ١٩٢٠م فتبادلوا الآراء وفكروا فيما ينقذ البلاد من الفتن والفوضى .

وكان الجيش الإيطالي وقتئذ كما ذكرنا منحصراً في بعض المدن الساحلية وبعد المداولة في جلسات متوالية قرروا بالإجماع ما يلي:

(إن الحالة التي آلت إليها البلاد لا يمكن تحسينها إلا بإقامة حكومة قادرة ومؤسسة على ما يحتمه الشرع الإسلامي من الأصول تحت زعامة رجل مسلم منتخب من الأمة، لا يعزل إلا بحجة شرعية وإقرار مجلس النواب، وتكون له السلطة الدينية والمدنية والعسكرية بأكملها بموجب دستور تقره الأمة بواسطة نوابها وأن يشمل حكمه جميع البلاد بحدودها المعروفة .

وقد تناقش المؤتمر في ذلك لا يتنافي منافع دولة إيطاليا التي جاءت إلى وطننا من أجلها مع اللزوم القطعي لراحتنا وسلامتنا وبين ثقته في أن الشعب الإيطالي لا يرضى في هذا الزمن الذي تنال فيه كل الأمم أكبر أمانيها، أن يقيم نفسه من أجل مطامع وأوهام فئة المستعمرين عقبة في سبيل النظام والأمن والعدل في طرابلس الغرب ولذلك لا تزال للأمة ثقة في أن تسعف بضرورياتها وأن لا تصادم في أمنية لا ترضى ولا يستقر لها حال بغيرها .

وقد أنبنا للمطالبة بذلك وفدًا من حضرات نوري بك السعداوي ومحمد خالد بك القرقني ومحمد فرحات بك ومحمد الصادق بك ابن الحاج ليراجع كل مصدر يرى ضرورة مراجعته لتحقيق الغاية المذكورة في القرار المبين أعلاه داعين المولى جل شأنه أن يوفقهم وأن يحقق أماني أمتنا .

حرر في ٦ ربيع الأول سنة ١٣٣٩هـ

ثم انتخب المؤتمر هيئة حكومية عهد إليها إدارة شئون البلاد الداخلية التي عمت فيها الفوضى؛ بسبب الفتن التي خلقها رجال الحكومة الإيطالية، وذهب الوفد المشار إليه في ذلك الحين إلى رومية ليبلغ حكومتها ما أجمع عليه الشعب من المطالب وأخذ يراجع المقامات الرسمية وغير الرسمية فلم يكن حظه من رجال الحكومة الإيطالية سوى الأعراض والاستخفاف بمهمته .

أما هيئة الحكومة الوطنية التي عهدت إليها إدارة شئون البلاد فإنها أخذت في إقرار دعائم الأمن وتنظيم الشئون الإدارية كالدوائر المالية والقضائية وتنظيم الجيش لما سيحدث من الطوارئ فساد الأمن ورجعت الطمأنينة بعد الخوف الذي استولى على النفوس وانصرف الأهلون إلى معائشهم ومصالحهم .

أما منطقة بنغازي فإن نوري باشا الذي أوفدته الحكومة العثمانية إليها خلال الحرب العالمية حمل الأهالي على التعرض على القطر المصري وهي خطة رسمتها وزارة الحربية العثمانية فجهز جيشًا مؤلفًا من (٥٠٠٠) مجاهد بالاتفاق مع السيد أحمد الشريف السنوسي وتجاوزا به الحدود المصرية وترك السيد أحمد الشريف وكيلاً عنه في برقة ابن عمه السيد إدريس السنوسي .

ولما دخل المجاهدون الحدود المصرية اصطدموا بالجيوش الإنكليزية وبعد حروب بين الفريقين تراجع المجاهدون بصورة غير منظمة وخلال ذلك عمت الفاقة منطقة برقة واشتدت المجاعة .

فرأى السيد إدريس من الحكمة أن يعقد هدنة مع الإيطاليين وأوقفت رحى

الحرب وبعد انتهاء الحرب الكبرى بايعه الشعب البرقاوي بالإمارة ووافقت على ذلك الحكومة الإيطالية بمقتضى معاهدة عقدت بين الفريقين .

بيد أن رجال الحكومة الإيطالية كعادتهم في كل عهد يعقد معهم أخذوا ينقضون العهود، فاضطر الأمير السيد إدريس أن يوحد مساعيه مع حكومة طرابلس الوطنية وعقدت الاتفاقية بين الفريقين المعروفة باتفاقية (سرت) المتضمنة توحيد القطرين الشقيقين والتضامن على المطالبة بحقوقهما معًا، وتنص المادة الخامسة من هذا الاتفاق على توحيد الزعامة وتنصيب أمير واحد للقطرين .

وما كادت هذه الاتفاقية تتم حتى هاجم الإيطاليون سواحل مصراته في منطقة طرابلس سنة ١٩٢٢م فأعلنت الحكومة الوطنية الحرب في كل المناطق واستمرت الحرب بشدة هائلة ثلاثة أسابيع عجز الإيطاليون خلالها عن التقدم ولو كيلو مترًا وضحت البلاد بألوف الخلق في سبيل الدفاع، كما أن الإيطاليين خسروا أضعاف ذلك؛ لأنهم كانوا المهاجمين، ولما أيقنوا بالخيبة والفشل طلبوا توقيف القتال بغية التفاهم وانتدبوا للمذاكرة السنيور (بيلا) والسنيور (رابكس) وخرجا في الموعد المضروب الذي قررته الحكومة الوطنية في مكان يسمى (فندق الشريف) وقد كتبت الحكومة الوطنية للوالي الكتاب الآتي:

(باندفاع أسلافكم مع تيار الفتنة والتفريق حدثت في البلاد حالة فوضوية وقفت الحكومة الإيطالية أمامها موقف المتفرج فاضطرت الأمة إلى عقد مؤتمر في غريان بلغت مقرراته الصائبة إلى الحكومة وأرسلت وفدها للمطالبة بما أجمع عليه المؤتمر فلم يكن حظه إلا الإعراض والاستخفاف بمهمة ذلك الوفد مع استمرارها على خطة المراوغة والتفريق .

ولما حال الحوار على وفدنا وهو يستعطف المصادر الرسمية وغير الرسمية والحكومة مصرة على تلك السياسة المنفردة . وتحقق أهل القطرين طرابلس - برقة- أن حياتهما محفوفة بالخطر في الحال والاستقبال، وأن ما داهم أحد القطرين لا بد أن يحيق بالآخر لما بينهما من العلائق المادية والمعنوية لا سيما أن إدارتهما إلى عهد

الاحتلال واحدة عندئذ تبادل عقلاء الفريقين المراسلات والآراء فيما يضمن الراحة ويفسح مجال الإخاء ويسهل سير الأمتين العربية والإيطالية في سبيل الحياة الاقتصادية مع المحافظة على حق إيطاليا السياسي .

فقرر الفريقان بالإجماع في سرت اتفاقية من جملة فصولها المطالبة بتوحيد إدارة القطرين وهو الحل النهائي الذي لا يبقى معه ريب لهذه القضية المعضلة التي لا تريدها سياسة المراوغة والتفريق وطول الأمد إلا تحكيمًا في عقد الخلاف فتصبح من الأمراض المزمنة ويعسر حلها فضلاً عما تصاب به الأمتان من الخسارة وما يفوتهما من المنافع كما لا يخفى، أما نحن أهل القطرين فإن الأدوار المحزنة والتجارب المؤلمة أرشدتنا إلى صورة حل هذه المشكلة حلاً لاحظنا فيه المنافع الإيطالية سياسية كانت أو اقتصادية، وهو أن تؤسس حكومة نيابية للقطرين يرأسها رجل مسلم تنتخبه الأمة وتكون له السلطات الإدارية جميعها مع السلطة الدينية، ولا نظن أن الحكومة لا تستحسن هذا الحل المفيد إن تجردت عن ملاحظة الأشكال والاعتبارات ووجهت دقيق نظرها إلى الحقائق والجوهريات، كنا قررنا مهادنة للتفاهم والمفاوضة وعلمنا خلالها أن سفركم إلى روما بقصد التفاهم مع حكومة جلالة الملك والحصول على إذن وصلاحية واسعة تخول لكم المفاوضة معنا للوصول إلى ما يرفع الخلاف الذي لا تتحمل البلاد دوامه، ورعاية لأحكام اتفاقية سرت المذكورة فإنا في انتظار مندوبي برقة الذين قرب وصولهم بالنظر لإشعار سمو الأمير السيد محمد إدريس ومتى وصلوا يتعين الزمان والمكان للمذاكرة التي لا تشك أنها ستبنى على أساس الإخلاص وحسن النية، والأمل وطيد في أن دولتكم ستضم إلى تاريخ حياتكم السياسية فخرًا آخر في حل المشكلات واقبلوا يا دولة الوالي عاطر التحية وفائق الاحترام .

وبعد استمرار المذاكرة ثلاثة أشهر والإيطاليون يراوغون في أحاديثهم مراوغة الثعالب تبين أن الغاية من توقيف القتال وتلك المذاكرة الاستفادة من الوقت لإعداد العدة للحرب، وقد تجلت فكرتهم هذه في تكليفهم الأخير وهو طلبهم تسليم السلاح الذي بيد الأهلين قبل أي حل وإلا الحرب، عندئذ لم تر الحكومة الوطنية بدًّا

من رفض هذا الطلب وخوض غمار الحرب، واستؤنف القتال الذي لم يزل شرره يستطير من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا .

إن الحكومة الإيطالية بعد أن اتخذت كل ما في وسعها من الوسائل لتفريق كلمة أبناء البلاد ولم تنجح ورأت ذلك الشعب متضامنًا مستميتًا في سبيل الشرف والمطالبة بحقوقه عمدت إلى تنفيذ سياسة الشدة والإرهاق خصوصًا بعد استلام الفاشيست زمام الحكم فإنهم أضافوا إلى تلك الشدة فكرة إبادة ذلك الشعب وإمحائه لتخلو لهم الديار ويستخلفوا فيها المستعمرين من أبناء بلدتهم الذين ضاقت بهم أرضهم، وهكذا أخذ الفاشيست في تنفيذ سياستهم الغاشمة وما برحوا ينزلون بذلك الشعب العربي ضروب العذاب فلا يرحمون طفلاً صغيرًا ولا شيخًا كبيرًا .

فإنهم يحكمون البلاد بأحكام عسكرية، وأعمدة المشانق منذ الاحتلال حتى يومنا هذا لم تزل منصوبة في كل بلد من ذلك القطر فإدارة البلاد تحت حكم عسكري مطلق اليد لا يسأل عما يفعل وله في كل لواء وقضاء وناحية حاكم إداري وجميع الدوائر المالية والعدلية والبلدية يديرونها بمعرفتهم، وليس للأهلين مشاركة في شئون بلادهم ولا يستخدمون منهم حتى الخدم ولا الحجاب أيضًا الذين يقفون على الأبواب وجميع المعاملة باللغة الإيطالية والأغرب من هذا كله أن جباة الأموال من الفاشيست فيطرحون الضرائب ويجبونها من المكلف وهو لا يدري ما عليه ولا يعرف بأية نسبة تجبى منه تلك الضريبة؛ بل إنه مرغم على أدائها عن يد وهو صاغر وإذا سأل سائل عن أساس الضريبة يعد خائنًا ويعاقب العقاب الأليم .

وبالجملة فإن السياسة المرهقة التي تتمشى عليها الحكومة الفاشيستية لم يسبق لها مثيل منذ أن عرف التاريخ، فسفك الدماء، وقتل النفوس البريئة، والتجاوز على الأعراض، والنفي والحكم بالسجن المؤبد، وسلب الأموال، وغصب الأملاك والأراضي من أيدي أصحابها، وقذف البشر من الطائرات، وإلقاء بعضهم مكبلين بالأغلال في لجج البحر، وقتل الأسرى، وهتك حرمات الدين، ودروس القرآن الكريم تحت الأقدام أمام جماهير من المسلمين وهدم أضرحة بعض الصحابة الكرام

والأولياء واتخاذها إصطبلات للحيوانات والترنم بالأناشيد في الطعن بالدين الإسلامي فحدث عن ذلك ولا حرج، ولا نريد أن نأتي في هذه العجالة على ذكر الفظائع التي كتب فيها تأليف خالص يغنينا عن التفصيل فإن فيه من الفظائع ما تتفطر منه الأكباد ويذيب الفؤاد .

ومنه يعلم القارئ أن سياسة الفاشيست في ذلك القطر ترمي إلى إبادة أهله فقد كان عدد الشعب الطرابلسي- البرقاوي قبل الاحتلال الإيطالي يربو على (١,٥٠٠,٠٠٠) نسمة وقد صرح الجنرال غراسياني قائد الحركات العسكرية إنه بعد الإحصاء الدقيق تبين أن سكان طرابلس - برقة لم يتجاوز عددهم (٧٠٠) ألف، ولا ريب من أنهم قد أفضوا على ذلك الشعب المسلم بين قتل وتهجير والبقية الباقية أيضًا محكومة بالفناء؛ لأن الضغط الشديد وشد الخناق على الأعناق لا بد أن يؤدي إلى تلك النتيجة، وعدا ذلك فإن مرافق الحياة في تلك البلاد قد استولى عليها جميعًا، فالمسلم لا يتمكن من الاشتغال بالزراعة ولا بالتجارة وبأية حرفة تؤمن معاشة فالتاجر لا يمكنه التوسع بالتجارة والتجول في البلاد لتوسيع نطاق عمله، بل أنهم يحددون له المبالغ التي يمكنه أن يتاجر بها والأيام التي يمكنه أن يتغيبها في الأقطار المجاورة وصنف البضاعة، وإذا تغيب عن الأجل المضروب له أو تاجر بأصناف غير مسموح له تسحب من يده إجازة ويعاقب؛ زد على ذلك أنهم أطفأوا نور العلم وتركوا ذلك الشعب يتخبط في دياجير الجهل فلم تكن في تلك البلاد إلا بضع مدارس ابتدائية أسست في عهد الترك يعلمون فيها الأطفال باللغة الإيطالية للوصول إلى إماتة اللغة العربية حتى لا تبقى ناحية من مقومات ذلك الشعب إلا ويقضى عليها القضاء المبرم.

ولما رأت الجاليات الطرابلسية البرقاوية التي تقطن مختلف الأقطار الإسلامية ما أحاط ببلادها من الأخطار فكرت في تأليف لجنة للدفاع عما حل ببلادها من الضيم الفظيع والظلم المريع وانتخبت هذه اللجنة ووضعت أساسًا لعملها «الميثاق الوطني» وهذه مواده:

١- تأليف حكومة وطنية ذات سيادة قومية لطرابلس - برقة يرأسها زعيم مسلم تختاره الأمة .

٢- دعوة جمعية تأسيسية لسن دستور البلاد .

٣- انتخاب الأمة مجلسًا حائزًا على الصلاحية التي يخوله إياها الدستور .

٤-اعتبار اللغة العربية اللغة الرسمية في دواوين الحكومة والتعليم .

٥- المحافظة على شعائر الدين الإسلامي وتقاليد القطرين في جميع أرجائه .

٦- العناية بالأوقاف وإدارتها من قبل لجنة إسلامية .

٧- العفو العام عن جميع المشتغلين بالسياسة داخل القطر وخارجه .

٨- تحسين العلاقات بين الأمة الطرابلسية البرقاوية والدولة الإيطالية بمعاهدة يعقدها الطرفان ويصدقها المجلس النيابي .

ومنذ تأسست هذه اللجنة أخذت على عاتقها القضية بشتى الوسائل الداخلية في حيز إمكانها فأذاعت على الملأ السياسة الهوجاء التي تتمشى عليها الدولة الإيطالية في تلك البلاد بواسطة الصحف والنشرات والرسائل وهي ترسل في كل موسم حج إلى مكة المكرمة عشرات الآلاف من النشرات لتحيط المسلمين في جميع الأقطار علمًا بما هو حادث في تلك الديار النائية ولم تكتف بذلك بل خاطبت طاغية الفاشيست وبينت له عقم سياسة الحديد والنار التي يتعقبها في طرابلس وبرقة ولكن نصحها له لم يزده إلا غرورًا وعتوًا كبيرًا، وقد اقتنعت بعدم الفائدة من مراجعة أولئك الطغاة الذين لا يرضيهم إلا تمزيق اللحوم والولوغ في دم البشر .

لذلك يتحتم على المسلمين الاهتمام بإخوانهم في الدين والقومية في تلك البلاد النائية أولئك المساكين الذين تقطعت بهم الأسباب وأعوزتهم الوسائل وسدت في وجوههم السبل إلا سبل الموت، وفي الموت راحة البائسين ولطالما ملأنا الفضاء بأصواتنا ورفعنا شكوانا إلى العالم الإسلامي ليصرخ في وجوه وحوش الفاشيست

عساهم يرجعون عن غيهم ويثوبون إلى رشدهم رحمة بالإنسانية وشفقة على البشرية، ولكن أنى للمسلمين الذين تفرقت كلمتهم وانحلت عرى جامعتهم أن يتضامنوا على القيام بمثل هذا الواجب، ولما كان المؤتمر الإسلامي الموقر من ضمن واجبه التفكير في مثل هذه الشئون الهامة فها أننا نبسط بين يديه قضية من أهم القضايا التي يجب العناية بها فإن ذلك الشعب المفجوع في وطنه ودينه إذا لم تشمله عناية المخلصين من إخوانه المسلمين الذين يهمهم أمر الدين سيصبح «لا سمح الله» أثرًا بعد عين وفي ذلك ما فيه من المسئولية الكبرى والبلاء العظيم .

فيا أيها السادة الكرام:

إن الشعب الواقف في وجوه أعدائكم منذ إحدى وعشرين سنة هو منكم، والدين المهان في تلك الديار هو دينكم . وأولئك الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل الله همّ شهداؤكم، هنالك في تلك الصحارى المحرقة والفيافي المقفرة أخوان لكم ﴿**صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ (الأحزاب: ٢٣).

أجل؛ إن إخوانكم في تلك الديار النائية يستصرخونكم ويناشدونكم الله أن تعملوا على معالجة شئونهم ونشلهم من براثن الأعداء قبل أن يقضى عليهم فيموتوا، وبذلك تفقدون قطرًا إسلاميًّا فتحه جدودكم الكرام ورفعوا فيه راية الإسلام منذ أربعة عشر قرنًا .

وقد أصبيت اليوم تلك التربة التي خضبت بدم الشهداء تخيم عليها سحابة سوداء تمطر ظلمًا وجورًا على إخوانكم البؤساء، هناك تسمعون الصراخ والعويل والبكاء والنحيب، هنالك الإنسانية المعذبة، هناك تحار الأفكار وتزيغ الأبصار، ولا منجد، ولا مغيث، ولا معين .

فإن في تلك البلاد طائفة من المسلمين لم يزالوا شاكين السلاح يذودون عن أوطانهم ويدافعون عن كيانهم وعدوهم الجائر يتربص بهم الدوائر، فنرجو أن تفكروا

فيما يخفف عنهم المصائب التي تحل قبل أن تمزقهم القوى الغاشمة ولا نخال إنها تعوزكم الوسائل لمد يد المساعدة لأولئك البؤساء وأنتم رجال الإسلام الذين يمثلون (٤٠٠) مليون مسلم في الكرة الأرضية، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه [١] .

رئيس اللجنة التنفيذية للجاليات
الطرابلسية البرقاوية
بشير السعداوي
٢٦ رجب سنة ١٣٥٠هـ
٦ كانون الأول سنة ١٩٣١م

لقد تزعم اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية السيد بشير السعداوي ويعتبر من الشخصيات الفريدة في التاريخ الليبي المعاصر، فقد قام بدور فعال في حركة الجهاد التي كانت تتصدى للاستعمار الإيطالي في ليبيا، وبعد أن أخضعت إيطاليا منطقة طرابلس بالكامل وتوقفت حركة الجهاد من الإقليم اختار بشير السعداوي العيش في المهجر ولكن نشاطه الجهادي السياسي المعادي للاستعمار الإيطالي في الخارج لم يتوقف، وظل يحرض الليبيين على الصمود في وجه الممارسات الإيطالية الغاشمة وأخذ يحث الدول والشخصيات العربية والإسلامية على مساندة الشعب الليبي، وتقديم كافة صور الدعم الممكنة له، واستفاد من عمله كمستشار للملك عبد العزيز في التعريف بالقضية الليبية .

استمرت الجمعية الطرابلسية البرقاوية في عملها وفي عام ١٩٤٠م أعيد تشكيل الجمعية من جديد في دمشق برئاسة الدكتور كامل عيد يضم إليه نخبة من أفاضل المجاهدين، كالسيد عبد الغني الباجقمي أمينًا للسر، وأبي بكر قدورة وغيرهما، وبقيت الجمعية تعمل من ذلك الحين تحت إرشاد الأمير إدريس وتوجيهاته [٢] .

---

(١) انظر: حاضر العالم الإسلامي، (٣/ ٣٨٥) .
(٢) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٣٧٥) .

خامسًا: إيطاليا تحتل الحبشة:

كانت إيطاليا تسعى حثيثًا لتحقيق طموحاتها الجنونية الهادفة إلى إنشاء إمبراطوريتها القديمة في إفريقيا الشرقية ولذلك أغارت على الحبشة واحتلتها بالقوة، وتمت السيطرة التامة في عام ١٩٣٦م وكان الليبيون المجندون من قبل إيطاليا وقودًا لتلك المعارك المحرقة، حاولت عصبة الأمم أن تنزل العقوبات الاقتصادية على إيطاليا ولكن بدون جدوى، وأصبحت الحبشة جزءًا من إمبراطورية إيطاليا واتخذ ملكها لقب إمبراطور أثيوبيا وكان من نتائج ذلك الاحتلال أن تغيرت العلاقات بين بريطانيا وإيطاليا لمصلحة المجاهدين في ليبيا .

وقامت بريطانيا بالاتصال بالأمير إدريس عن طريق الكولونيل برملو (بك) ورتب لقاءً بين إدريس السنوسي وأدميرال الأسطول الإنكليزي الرابض بالإسكندرية، وتحدث الأدميرال إلى الأمير السنوسي عن المستقبل الطيب الذي ينتظر بلاده ولكن تلك المقابلة والأحاديث لم تؤتِ ثمارها؛ لأن بريطانيا لا ترغب في إعلان الحرب على إيطاليا وكان رجال حكومتها شديدي الحرص على السلم في أوروبا باسم سياسة التسكين والتهدئة ولذلك رفعت العقوبات الاقتصادية عن إيطاليا نهائيًا في عام ١٩٣٧م، وترك أمر الليبيين لأهله، وهكذا منطق المصالح ينظر للأحداث .

ومع اقتراب الحرب العالمية الثانية أصبح البريطانيون يسعون لإيجاد تحالف قوي مع المعارضة الليبية ومدوا خيوطهم لكافة المعارضين، وخصوصًا أقواهم الأمير إدريس السنوسي .

* ■ *

المبحث الثاني
الحرب العالمية الثانية

إن الحرب العالمية الثانية آية من آيات الله في تصريف أمر الدول والشعوب والأمم وفق سننه وقوانينه في المجتمعات البشرية، ومن السنن الواضحة في حياة الأمم أنه عندما تتجبر أمة من الأمم وتعلو في الأرض ويصيبها البطر والكبرياء يهيئ الله لها أسباب الانهيار والزوال قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ۝١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (سورة الفجر، الآيات من ٦-١٤)

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾(سورة الإسراء، آية: ١٦) .

أي أمرناهم بالأمر الشرعي من فعل الطاعات وترك المعاصي ؛ فعصوا وفسقوا فحق عليهم العذاب والتدمير جزاء فسقهم وعصيانهم ، وفي قراءة ﴿أَمَّرْنَا﴾ (١) بالتشديد أي؛ جعلناهم أمراء ، والترف وإن كان كثرة المال والسلطان من أسبابه إلا أنه حالة نفسية ترفض الاستقامة على منهج الله وليس كل ثراء ترفًا (٢) .

إن هلاك الأمم يكون كذلك بفشو الظلم وعدم إقامة العدل، فلقد أمر سبحانه وتعالى بالعدل وحرم الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرمًا كما في الحديث القدسي: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم حرمًا فلا تظالموا)(٣) .

لقد اختلت الموازين وانعدمت القيم وتحكم الجبابرة الطغاة في المسلمين المستضعفين ووزع المجتمع بين سادة (الإيطاليين) وعبيد (الليبيين)، وأرادت حكمة

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥ / ٥٨) .

(٢) انظر: منهج كتابة التاريخ الإسلامي، للوابل، ص (٦٥) .

(٣) رواه مسلم (٤ / ١٩٩٤) رقم (٢٥٧٧) .

الله ومشيئته أن يخلص الشعب المظلوم من القوى الباغية فجاءت الأسباب التي قادت الأمم المتجبرة إلى الحرب العالمية الثانية .

بدأت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر ١٩٣٩م بالهجوم الألماني النازي على بولندة، وحرصت إيطاليا في بداية الأمر على عدم الدخول فيها حتى إذا رأت فرنسا تسقط أمام الجيوش الألمانية؛ أعلنت الحرب على إنكلترا وفرنسا في ١٠ يونيه ١٩٤٠م فمهدت بذلك العمل إلى زوال إمبراطوريتها الإفريقية وانهيار دولتها الفاشيستية في النهاية، وكان دخول إيطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا فرصة ثمينة بالنسبة لليبيين في المهجر وفي أوطانهم ينتظرونها للتحرر والخلاص، واسترداد حقوقهم التي اغتصبها العدو في أعوام طويلة، فما دخلت إيطاليا الحرب حتى شرع الليبيون في العمل، واتصل فريق منهم بالمفوضية الفرنسية بالقاهرة وغادروا مصر فعلاً إلى الجزائر حيث اتصلوا بالجنرال (نوجس) واتفقوا معه على أن يجهزوا حملة من الليبيين الموجودين في الجزائر وتونس للعمل ضد إيطاليا في ليبيا إلا إن هذا المشروع لم ينفذ بسبب استسلام فرنسا للزحف الألماني .

وكان الأمير إدريس في مصر يتحين تلك الفرصة بمجرد أن تحقق بأن الحرب العالمية لا محالة واقعة، فشرع بجمع زعماء الليبيين والتشاور معهم ودراسة احتمالات الموقف، ووضع الخطط المناسبة التي يجب أن يسيروا عليها وعقد الزعماء الليبيين اجتماعًا تاريخيًّا في منزل الأمير إدريس السنوسي بالإسكندرية لبحث المستجدات واتخاذ قرار نهائي وكان تاريخ ذلك الاجتماع ٦ رمضان ١٣٥٨هـ/ ٢٠ أكتوبر ١٩٣٩م اجتمع فيه حوالي أربعون شيخًا من رؤساء الليبيين وزعمائهم الموجودين بمصر في منزل الأمير إدريس في جهة فكتوريا برمل الإسكندرية، وظلوا يبحثون ثلاثة أيام بتمامها، وأسفر تبادل الرأي عن اتخاذ قرار بتفويض الأمير في أن يقوم بمفاوضة الحكومة المصرية أو الحكومة الإنكليزية بشأن تكوين جيش سنوسي مهمته الاشتراك في افتتاح الأقطار الليبية واسترجاع أرض الوطن عند دخول إيطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا، ووقعوا على وثيقة تاريخية مهمة في يوم ٩ رمضان ١٣٥٨هـ/ ٢٣ اكتوبر ١٩٣٩م جاء فيها:

(بعد حمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، قد اجتمع زعماء ومشايخ الجالية الطرابلسية البرقاوية المهاجرون بالديار المصرية في اليوم السادس من شهر رمضان المعظم ١٣٥٨هـ بالإسكندرية وتشاوروا في حالتهم الاستقبالية وقر قرارهم على انتخاب من يمثلهم في كل الأمور ويعرب عن آرائهم وبذلك وضعوا ثقتهم في سمو السيد محمد إدريس السنوسي الذي يمثلهم تمثيلاً حقيقيًّا ؛لما له من المكانة الرفيعة في نفوسهم حيث يرونه أحسن قدوة يقتدي بها . وقد قبل منهم ذلك على أن تكون هيئة منتخبة شورية مربوطة به ومربوط بها لتكون الأداة المبلغة والمعربة عن منتخبيها وهي التي تمثل جميعهم تمثيلاً صحيحًا، وأن يعين وكيلاً لها يقوم مقامه في حالة الغياب ويكون من أفراد الهيئة في حالة حضوره، وللهيئة الحق في تثبيت هذا الوكيل أو رفضه بأغلبية الأصوات وعليه حرر هذا التوقيع رؤساء القبائل الطرابلسية البرقاوية، والمولى سبحانه وتعالى يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه)[1] .

وكان عدد الذين وقعوا على هذا التفويض من ترهونة، ومصراته، وبنغازي، وورفلة، وغريان والقصور، والمنفة، والعواقير، والبراعصة، والعبيد، والمغاربة، والحاسة وغير ذلك من القبائل الطرابلسية البرقاوية واحدًا وخمسين شيخًا منهم من المجاهدين القدماء، عبد السلام الكزة عن قبيلة العواقير، وصالح الأطيوش رئيس قبيلة المغاربة، عبد الحميد العبار، وعون محمد سوف، وأحمد شتيوي، وعبد الحميد أبو مطاري، ومحمد توفيق الغرياني، وإبراهيم أحمد الشريف وغيرهم [2].

وبادرت (جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي) بعقد اجتماع في دمشق في يوم ٢٩ شوال ١٣٥٨هـ واطلعت على صورة القرار الموقع عليه من زعماء ورؤساء المجاهدين في مصر بتاريخ ٩ رمضان ١٣٥٨هـ/ ٢٣ اكتوبر ١٩٣٩م ووافقت عليه وقالت في بيان لها: (إن جميع الزعماء ورؤساء القبائل وكبار المجاهدين بدون استثناء اتفقت كلمتهم وتعاهدوا جميعًا على أن يدينوا بالولاء والطاعة والإخلاص لسمو الأمير

---

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٣٧٩) .
(٢) المصدر السابق نفسه، ص (٣٧٩) .

إدريس المهدي السنوسي، وأنهم عقدوا عليه الآمال في حالهم ومستقبلهم ليمثل أمام الحكومات والسلطات والهيئات أماني القطر الطرابلسي البرقاوي تمثيلاً حقيقيًا صحيحًا، ويتكلم باسم الجميع على أن تكون هيئة منتخبة منهم وله نائب يقوم مقامه عند مسيس الحاجة، وتليت التوقيعات فتبين أنها هي توقيعات من بأيديهم الحل والعقد في القطر الطرابلسي البرقاوي من الأحرار الذين عاهدوا الله على الدفاع عن الوطن وحقوق الأمة، فكان ما جاء فيه من الغاية السامية أبلغ الأثر في نفوس الجميع؛ لأنه حقق رغباتهم الصادقة في توحيد الكلمة، وبرهن على ثبات هذه الأمة في المطالبة بحقوقها وولائها بالإمارة أولاً وآخرًا وهو محط آمال الجميع في الحاضر والمستقبل لإخلاصه للوطن ودفاعه المجيد عنه ولا يوجد من يشذ عن آرائه الصائبة ولا من يخالفه في التضحية بالنفس والنفيس في سبيل سعادة الوطن والأمة وإعلاء كلمة الله، قرر الجميع تأييد قرار إخوانهم الطرابلسيين البرقاويين في القطر المصري بدون قيد ولا شرط، وكلفت الهيئة تنظيم هذا القرار الإجماعي للأعراب لسمو الأمير السيد محمد إدريس المهدي السنوسي في الثقة التامة به والولاء الكامل له ما دام متمسكًا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ متخذًا التأهبات اللازمة للقيام بعمل جدي حين تدعو الظروف إليه، وهذه تواقيعنا تشهد أمام الله والوطن بعهدنا هذا، ومن ينكث فإنما ينكث على نفسه، والله ولي الجميع) [(١)] .

وشرع إدريس السنوسي في مفاوضة الإنكليز، فأسفرت مباحثاته عن السماح له بتشكيل فصائل من القبائل الليبية المهاجرة لاسترداد حريتها واستخلاص بلادها من العدو الإيطالي، وإعادة الاستقلال للبلاد، ودعا الأمير إدريس مشايخ القبائل وزعماء المجاهدين الموجودين بمصر أو أولئك الذين كانوا في خارجه وذلك للاجتماع في مكان بالقاهرة في يوم الخميس ٨ أغسطس سنة ١٩٤٠م من أجل دراسة الأحداث والتطورات الأخيرة .

وانعقد الاجتماع قبل الموعد المعين بيوم واحد في أحد أحياء القاهرة واستمر

---

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٣٨٠) .

البحث طيلة يومي ٧،٨ أغسطس، وفي يوم ٩ أغسطس سنة ١٩٤٠م وصلت الجمعية الوطنية الليبية إلى القرارت التالية:

١- وضع الثقة في بريطانيا العظمى التي مدت يد المساعدة لتخليص الوطن الطرابلسي البرقاوي من براثن الاستعمار الإيطالي الغاشم .

٢- إعلان الإمارة السنوسية والثقة التامة بالأمير السيد محمد إدريس السنوسي المهدي المبايع له بالأمارة على القطرين .

٣- تعيين هيئة تمثل القطرين؛ طرابلس وبرقة تكون مجلس شورى للأمير المشار إليه .

٤- خوض غمار الحرب ضد إيطاليا بجانب الجيوش البريطانية وتحت علم الإمارة السنوسية .

٥- تعيين حكومة سنوسية تدير الشئون اللازمة في الوقت الحاضر مؤقتًا .

٦- تعيين هيئة للتجنيد يكون مقرها ضمن مقر الحكومة السنوسية .

٧- التوسل لدى الحكومة البريطانية بواسطة الأمير المشار إليه بطلب المخصصات اللازمة للتجنيد وإدارة الحكومة وتعيين ميزانية خاصة ونظام مؤقت مستمد من الميثاق الوطني حسب عوائد وتقاليد العرب .

٨- تفويض سمو الأمير بمراجعة الدولة البريطانية لعقد الاتفاقيات، والمعاهدات السياسية، والمالية، والحربية التي توفي هذه الغاية وتضمن للوطن حريته واستقلاله [١] .

وفي يوم ٩ أغسطس حضر الجنرال ويلسن إلى مكان الاجتماع فاستقبله سمو الأمير، وألقى الجنرال كلمة على الحاضرين قال فيها: (إن اشتراككم مع قوات صاحب الجلالة في سحق العدو المشترك هو تحرير لوطنكم واسترداد أملاككم

---

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٣٨١) .

وحريتكم واستقلالكم) ثم أضاف إنه على استعداد لتزويد الجيش بكل ما يلزمه من أسلحة وعتاد [١] .

وقد تحدث الأمير إدريس السنوسي بنفسه عن تلك الأحداث فقال: (عندما أعلنت إيطاليا الحرب على بريطانيا بتاريخ ١٠ يونيه ١٩٤٠م اتصل بي في مقر إقامتي بمنطقة الحمام الجنرال ويلسون، أمر القوات البريطانية في مصر تحت قيادة الجنرال ويفل، وطلب مني المساعدة في المجهود الحربي ضد الإيطاليين، فدعوت الزعماء الليبيين إلى عقد اجتماع بالقاهرة خلال شهر أغسطس، لمناقشة الإجراء الذي ينبغي لنا اتخاذه لتحديد موقفنا من الحرب، ولم يبد البرقاويون أي اعتراض على انتهاز الفرصة لاستئناف الجهاد ضد الطليان، باعتبار أنه لا يمكن أن يعود علينا إلا بالكسب، فنحن لن نخسر أكثر مما خسرنا على أي حال .

ولكن موقف الطرابلسيين كان أكثر حرجًا بسبب الخوف من أن تنتهي الحرب بانتصار دول المحور، فيأخذ عليهم الطليان أنهم حاربوا في صفوف الأعداء، وكنت شخصيًّا على يقين كامل من أن النصر النهائي سوف يكون من نصيب الحلفاء لأيماني بحتمية انتصار الحرية على الطغيان، وعملت جهدي لإقناع الحاضرين بأن يضعوا ثقتهم في قدرة بريطانيا بحيث نوحد كلمتنا في مساندتها في الحرب .

وجاء قرار الأغلبية (باستثناء بعض الطرابلسيين) معبرًا عن الثقة في الحكومة البريطانية، والاعتراف بي مفوضًا عن الليبيين في علاقتهم مع بريطانيا، والاتفاق على إنشاء جيش ليبي يسمى (القوة العربية الليبية) للقتال إلى جانب القوات البريطانية ضد الإيطاليين، فأصدرت تعليمات فورية بالبدء في تجنيد جيش من الليبيين المقيمين بمصر، وعُين قائدًا للجيش ضابط بريطاني برتبة كولونيل (أي عقيد) يدعى بروميلو سبق له العمل في خدمة القوات العربية العراقية، بينما أقيم مركز القيادة بفندق سميراميس في القاهرة، بينما أقيم ضابط الاتصال الكولونيل آندرسون

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص (٣٨٢) .

من خيرة المتخصص في الدراسات العربية، وقد أمضى فترة من الوقت، فخبرته بالشئون المحلية ساعدت كثيراً في تسهيل إنشاء الجيش .

وكان مكتبي في شارع بركات ومحل سكني شقة بالدور الأرضي في مبني من طابقين بشارع حشمت باشا في حي الزمالك . . . والقوة العربية الليبية تكونت في معظمها من البرقاويين اللاجئين بمصر، ومن ضمنهم بعض المجاهدين الذين فروا بعد اشتراكهم في مقاومة الإيطاليين، ولم يلبث الجيش أن وصل إلى قوة قوامها أربع كتائب قتالية وكتيبة أركان، وكان مستودع السلاح والذخيرة ومعسكر التدريب يقع عند الكيلو (٩) بجوار الأهرام، استغرقني العمل في الإشراف على تجنيد المتطوعين ومعالجة المشاكل العديدة المتعلقة برفع مستوى القدرة القتالية للجيش الذي كان على أحر من الجمر لخوض المعركة، وبعد أول هزيمة لحقت بجيش غراسياني قرب سيدي براني في ديسمبر ١٩٤٠م وقع في الأسر آلاف الليبيين المجندين بالجيش الإيطالي ونقلوا إلى معسكرات أسرى الحرب في منطقة قناة السويس ؛ فأخذت أتردد على تلك المعسكرات لمحاولة إقناعهم بالانضمام إلى القوة العربية الليبية وامتنع أغلب الطرابلسيين خوفًا من تعريض عائلاتهم لانتقام الطليان من جهة؛ ولأنهم من جهة أخرى كانوا سعداء بمجرد الخروج من خضم الحرب، وفي الوقت نفسه كانت وحدات الجيش الليبي الناشئ ترسل إلى خطوط القتال أولاً بأول حالما ينتهي تدريبها، ومنها كتيبتان شاركتا في معركة الدفاع عن طبرق عام ١٩٤١م [1] .

ووجه الأمير إدريس نداء نقلته أمواج الأثير إلى شعبه في ليبيا بين لهم فيه تحالفه مع بريطانيا ضد إيطاليا وحثهم على الجهد والعمل للتخلص من الاستعمار الإيطالي البغيض [2] .

أولاً: الليبيون في الحرب:

قدم الليبيون بقيادة السيد إدريس كل ما عندهم لدعم الحلفاء ضد المحور،

---

(١) انظر: السنوسية دين ودولة، ص (٦٤، ٦٥، ٦٦) .

(٢) انظر: إدريس السنوسي، للأشهب، ص (٧٦) .

وكانت كتائب المجاهدين قد قامت بدور بارز في حرب الصحراء، وكذلك الأهالي المدنيون فقد كانوا يقدمون للجيش البريطاني مساعدات جريئة بعد أن أصبحت بلادهم كلها ميدان قتال هائل مزروع بالألغام، وكانت قبائل برقة تأوي الجنود البريطانيين الفارين من الأسر، وقامت بتوصيلهم إلى مواقع وحداتهم التي ضلوا طريق العودة إليها في بعض الأوقات، وكان هذا الموقف عظيم الأهمية والفائدة للوحدات البريطانية العاملة خلف خطوط الأعداء، مثل مفرزة العمليات الصحراوية البعيدة المدى التي كانت تغير على المواقع الأمامية للإيطاليين في الصحراء الليبية، ومثل قوة بنياكوف لحرب العصابات التي اشتهرت باسم (جيش بوسكي الخصوصي).

وقد اعترف البريطانيون رسميًّا بأهمية المساعدات التي قدمها السنوسيون أثناء الحرب، وذلك حين نوه بها وزير الخارجية إيدن في تصريح أدلى به أمام مجلس العموم البريطاني بتاريخ ٨ يناير ١٩٤٢م [١] وفيما يلي نصه:

(اتصل السيد إدريس السنوسي بالسلطات البريطانية في مصر قبل مضي شهر واحد على سقوط فرنسا، بينما كان موقفنا في إفريقيا متأزمًا للغاية وبعدئذ تم إنشاء قوة سنوسية من بين أنصاره الذين فروا من الاضطهاد الإيطالي في فترات مختلفة خلال العشرين سنة الماضية، وهذه القوة أدت عدة مهام جديرة بالاعتبار أثناء المعارك الظافرة التي دارت بالصحراء الغربية شتاء عام ١٩٤٠- ١٩٤١م، كما أنها تقوم بدور فعال في سياق الحملة الجارية حاليًا وأود أن انتهز هذه الفرصة للتعبير عن مشاعر التقدير الحار التي تحملها حكومة صاحب الجلالة للمساهمة التي قدمها ويقدمها السيد إدريس السنوسي وأنصاره دعمًا للمجهود الحربي البريطاني، ونحن نرحب باشتراكهم مع قوات صاحب الجلالة في مهمة دحر العدو المشترك، وأن حكومة صاحب الجلالة المصممة على ألا يعود السنوسيون في برقة بأي حال من الأحوال للوقوع تحت السيطرة الإيطالية مرة أخرى لدى انتهاء الحرب) [٢] .

---

(١) انظر: الملك إدريس عاهل ليبيا، ص (٦٦،٦٧) .

(٢) انظر: الملك إدريس عاهل ليبيا، ص (٦٧) .

ثانيًا: وصف آثار الحرب على برقة:

كان غرب مصر وبرقة مسرحًا لأطول حملة في الحرب العالمية الثانية، وضربت المدن والموانئ والقرى والمطارات والطرق والتركيبات التي أقامها الطليان، وتحطم أمل إيطاليا في استعمار ليبيا، وخلال احتلال بريطانيا برقة سنة ١٩٤٠م-١٩٤١م واندحار الطليان أتيحت فرصة الليبيين للجهاد ضد الإيطاليين ومستعمراتهم فلم يقصروا في ذلك، وبهجوم روميل الألماني المشهور ربيع عام ١٩٤١م أجبر البريطانيين على التقهقر إلى مصر وبحلول شتاء ١٩٤١م - ١٩٤٢م عندما طردت جيوش المحور مرة أخرى من برقة كانت الديار الليبية ترزح تحت الدمار والخراب .

وقد كتب الصحفي البريطاني مورهيد عن ذلك فقال: المدينة الجميلة (درنة) قد أحرقت ونهبت وخربت المزارع الإيطالية، وأما بنغازي في شتاء ١٩٤١م (فلم تعد مدينة البتة) فقد حطمتها المتفجرات الثقيلة وتركتها خالية خربة ومحزنة باردة . وأغلقت المتاجر والأسواق، وتتابع الخراب بعد الخراب واستمر سلاح الطيران البريطاني مدة عام كامل يقصف المدينة ليل نهار حتى أصبحت أثرًا بعد عين [1] ومرة أخرى أجبر البريطانيون على التخلي عن برقة، ولم يعودوا لاحتلالها إلا في خريف ١٩٤٢م للمرة الثالثة والأخيرة، وأقلع الاستعماريون الإيطاليون الذين كانوا قبل سنوات أربع قد حاولوا أن يدفعوها بطابع الاستقرار، ولكنهم فرّوا إلى إيطاليا هاربين، أما بقية المدنيين منهم فقد رجعوا لبلدهم أو هربوا إلى طرابلس برًّا أو بحرًا أو جوًّا .

تسليم طرابلس:

وفي يناير ١٩٤٣م كان جيشان من جيوش الحلفاء يلتقيان حول طرابلس جيش مونتجمري الثامن وجيش فرنسي بقيادة ليكلرك الجنرال الفرنسي ويصف حاكم طرابلس الإيطالي الذي سلم المدينة للحلفاء تلك اللحظات الرهيبة بالنسبة له: (كانت تلك المقابلة أول مقابلة مع القوات البريطانية، وكنا نتصور أنها ستكون لحظة مهيبة أو

---

(١) انظر: تاريخ ليبيا، ص (١٧٢، ١٧٣) .

عنيفة، وكنا نتوقع عدوان المعتدي ونعد أنفسنا لما يجري وأصبح الحاكم واحدًا من الفاشيست الكثيرين الذين ذهلوا في ذلك الصباح، لقد ذهبوا كلهم القادة الذين أقسموا اليمين على الدفاع عن المدينة حتى آخر حجر - كلهم هربوا وأقلعت آخر سفينة إسعاف من زوارة، لا تحمل الجرحى، ولكن تحمل الضفائر الذهبية والصدور المحلاة بالحرير والأوسمة) ويضيف حاكم طرابلس الإيطالي في مرارة: (إن المدنيين الذين لا يحملون الأوسمة هم الذين بقوا هناك) وفي صباح ٢٣ يناير تسلّم (مونتوجمري) عند باب ابن غشير المدينة بصفة رسمية بحضور الحاكم ونائبه ورئيس البلدية واحتلت بقية البلاد وانتزعت من الهيمنة الإيطالية بينما الطبل الأجوف موسوليني يحث شعبه على تحمّل خسارة طرابلس (بشجاعة ورجولة رومانية) وحينها كان وزير الدولة البريطاني لشئون الشرق الأوسط يعلن بأن قادة الفاشيست بليبيا سيعتقلون، وأن المنظمات الاجتماعية والنوادي الإيطالية ستغلق وأن المدارس الفاشستية ستنتهي .

ثالثًا: أثر الليبيين في القتال:

لعب الجيش الليبي دورًا نشيطًا في حملات ١٩٤٠ - ١٩٤٣ وساعد المدنيون الليبيون جيوش الحلفاء المقطوعة خلف خطوط المحور ، وترك المجندون الجيش الإيطالي كلما واتتهم الفرصة، والتحقوا بالبريطانيين وقد انتقد بعض القادة من الليبيين سياسة إدريس في تأييد بريطانيا قبل أن يحصل على ضمانات أكيدة باستقلال ليبيا، وزاد ضغطهم لدرجة إن بعض القادة اضطر أن يهدد بالانسحاب من التعاون مع بريطانيا، وكان كل ما وعد به البريطانيون علانية هو أن أعلن إيدان وزير الخارجية في مجلس العموم في ٨ يناير ١٩٤٢ (بأن حكومة صاحب الجلالة مصممة في نهاية الحرب على أن لا يرجع السنوسيون في برقة بأي حال تحت السيطرة الإيطالية) .

وإعلان (إيدان) المذكور لم يعد حتى باستقلال برقة، فضلاً عن عدم ذكره لمنطقة طرابلس، والواقع يمكن أن يفهم منه الإنذار المسبق بنية السيطرة البريطانية وقوة أخرى ومع ذلك وبعد الرفض البريطاني لحق إدريس في المطالبة باستقلال ليبيا في فبراير

١٩٤٢م قنع إدريس بالوعود الشفوية التي أعطيت له [١] ومعلوم أن الضعيف لا يستطيع أن يملي شروطه في عالم السياسة والهيمنة على الشعوب، ولكن الضعيف إن دخل في هذه اللعبة عليه أن يسمع ويطيع وينفذ ويرضى بالفتات على الموائد .

لقد اعترفت بريطانيا بالدور الخطير الذي قام به الليبيون في الحرب العالمية الثانية ضد المحور، وتحدثت الصحافة في تلك الفترة عن دور الليبيين في تلك الحرب، فبعنوان (صفحة جديدة في تاريخ ليبيا للمستر هـ . م فوت H.M.Foot، مساعد المعتمد البريطاني في عمان، ونائب الحاكم العسكري البريطاني في برقة سابقًا (مجلة المنتداء الفلسطينية العدد السابع (أكتوبر سنة ١٩٤٣م) قال:

قليل من الناس يذكر حملة الصحراء الغربية المصرية في الحرب الماضية أيام كنا نحارب عدوًا غير جيش ألمانيا الإفريقي وغير الجيوش الإيطالية ، نعني بهذا العدو جماعة صغيرة من الأعراب كانت تركب الإبل وليس لديها من السلاح إلا النزر اليسير، ولكنها مع ذلك شغلت جزءًا هامًا من القوى البريطانية طول الحرب الماضية تقريبًا، ولم يكن بين هؤلاء الليبيين وبين بريطانيا العظمى خلاف، ولكنهم عقدوا النية على طرد الإيطاليين من بلادهم فتصدوا لمنازلة قوى الحلفاء الجبارة .

إن المقاومة التي أبداها هؤلاء العرب القلائل ضد الفرق الإيطالية تلك المقاومة الطويلة الباسلة، لهي قصة رائعة من قصص البطولة، فقد أمضوا في كفاحهم ثلاثين عامًا بين تلال برقة وصحاريها، وفي أثناء ذلك علق زعماؤهم على أعواد المشانق وصودرت أملاكهم وقتلت مواشيهم .

أما الأهالي أنفسهم فإنهم سيقوا مع أطفالهم إلى معتقلات كبيرة في صحراء العقيلة ومع كل ذلك لم يدب اليأس في قلوبهم، وإنه ليتسنى للذين خالطوا هؤلاء العرب منا واستمعوا في مضاربهم إلى حديث الثورة التي أشعلوا نيرانها ضد الطليان أن يتفهموا قوة كفاحهم وما ينطوي عليه من مجد وفخار، فكثير من رجالهم

---

(١) انظر: تاريخ ليبيا، جون رايت، ص (١٧٥، ١٧٦) .

ما زالوا يحملون آثار جراح بليغة، ويندر أن تجد عائلة منهم لم تصب في فرد من أفرادها على يد الإيطاليين .

إن تلك الشجاعة التي اشتهر بها الليبيون عن جدارة واستحقاق قد تبدت مرة أخرى في الحملات الأخيرة، فنحن لا نزال نجهل قسطًا كبيرًا من المساعدة التي قدموها لنا خلف خطوط الأعداء، كما أن مساعدتهم الفردية لكثير من الضباط البريطانيين شواهد ناطقة على الكرم العربي وحب العرب للمجازفة .

يقول هؤلاء الضباط إن كل خيمة عربية كانت بمثابة ملجأ ، وإن كل عربي كان بمثابة دليل، ومن طريف ما يروى أن أحد المدفعيين البريطانيين أصيب بجرح فآواه عربي إلى أحد الكهوف وسهر على راحته ستة أشهر، فلما تماثل للشفاء حمله فوق جمله مسافة ٤٠٠ ميل وأوصله إلى العلمين، قام العربي بكل ذلك وسلم الجندي الجريح إلى إحدى الوحدات دون أن يعلن عن اسمه أو يطلب مكافأة، وليس هذا الحادث هو الوحيد من نوعه، فإنه ما كان ليتسنى لمئات من جنودنا أن يعودوا إلى وحداتهم دون مساعدة العرب، تلك المساعدة التي كانوا يقومون بها عن طيب خاطر والتي كانت تعرض حياتهم لخطر الموت، ولم يتطرق الوهن إلى قلوب العرب حين كنا نتراجع تراجعًا كليًّا وحين ظن الناس أن الدائرة قد دارت علينا، بل كانوا أبدًا على استعداد لتقديم المساعدة .

وقد جرى أثناء احتفال عظيم في درنة أقامه الطليان على أثر استيلاء المحور على طبرق أن كان بين النظارة ضابط بريطاني متخف، فلم يفكر واحد من الأهلين أن يكشف أمره ويفضحه .

ومن الطبيعي أن تتضاءل قوة العرب بعد كفاح دام ثلاثين سنة، فقد انتهت ثورتهم بسقوط كفرة عام ١٩٢٩م، وكانت النتيجة أن انتشر الليبيون المنفيون في أنحاء الشرق الأدنى، أما الذين بقوا منهم في برقة فقد أرغموا على قبول حكم الموظفين الطليان والقانون الإيطالي أيضًا، وشر من هذا أن اللغة الإيطالية حلت محل اللغة العربية في المدارس وأخذ الجيل الناشئ ينسى العربية .

ولقد كنت أخشى أن نجد فيهم شعبًا متخاذلاً جبانًا، ولكن الأمر كان لحسن الحظ عكس ذلك، فالشيوخ والزعماء مستقيمون في معاملاته، عادلون في أحكامهم، يتصفون بالشجاعة والصراحة ، نعم إن وقت التخلص من الاضطهاد قد جاء وكان مجيئه في الوقت الماسب - قبيل فوات الأوان - لو تأخر الخلاص نصف جيل لتمت عملية تحويل الشباب العربي إلى خدم أذلاء لإيطاليا .

ولو سئلت عن أهم ما يستلفت النظر في برقة لقلت إنه النشاط العجيب والعزيمة الماضية التي يتحلى بها قوم يجمعهم دين واحد، وتجمعهم شجاعة يمتاز بها كل واحد منهم ومقاومة مستمرة للاضطهاد، فقد مضى عليهم ثلاثون عامًا وهم يقاسون الأهوال، وترك ذلك في نفوسهم أثرًا سيئًا فهم لا يتحلون باللطف الزائد والدماثة التي يتحلى بها العرب في سائر الاقطار، وتنقصهم خبرة الآخرين ومعارفهم، أما التقاليد العربية القديمة وأعني لها الكرم والشجاعة فلا ينازعهم فيها منازع [(١)] .

وأما الأستاذ (ف . بنيكوف) فقد ألقى محاضرة أذيعت في محطة لندن اللاسلكية في ٣١ مايو سنة ١٩٤٧م بعنوان عرب ليبيا الكرام جاء فيها: اشتركت في القتال أثناء الحرب الماضية بين بلدان مختلفة مدة خمس سنوات متوالية ومازلت أستعيد ذكراها جميعًا بالغبطة والسرور لا لشيء سوى لأني رجل حرب وقتال ونزال ولكن المدة التي أحمل لها أطيب الذكريات هي تلك التي قضيتها في برقة بين الاحتلال البريطاني الثاني للجبل الأخضر وتحرير البلاد نهائيًا بعد معركة العلمين، ومن أسباب ذلك أنني وإن كنت إنكليزيًا وربيت في إنكلترا على الطريقة الإنكليزية إلا أني أجد الحياة مع العرب في الجبل الأخضر أخف ظلاً وأسعدها حالاً من الحياة في إحدى المدن الغربية الكبيرة، وهناك سبب آخر هو أني وثقت عرى الصداقة مع بعض رجال القبائل العربية هناك، وهم رجال يمتازون بذكاء ووقار وشجاعة عظيمة وخلال سامية وأخلاق فاضلة ولا تقل منزلتهم في نفسي عن منزلة أي شخص آخر من بنى وطني وجلدتي .

---

(١) انظر: ميلاد دولة ليبيا الحديثة، د. محمد فؤاد شكري، ص (١٠٧،١٠٨) .

ولعلي أحمل للجبل الأخضر هذه الذكـريات الطيبة لسبب ثالث وهو أن العرب هناك علموني طرقًا جديدة في فنون الحرب والقتال علمـتها بدوري فيما بعد لزملائي الجنود ومارسناها على نطاق واسع في إيطاليا وغيرها بنجاح وتوفيق .

زرت الجـبل الأخضـر لأول مرة عـندما احـتللنا مـدينة درنة في سنة ١٩٤١م، وهناك وثقت عرى الصداقة والمودة مع كثيرين من العرب، أخص بالذكر منهم الشيخ عبد القادر بوبريدان والشيخ علي بو حامد وكلاهمـا من قبيلة العبيدات، وبعد بضعة شهور منيت الجيوش البريطانية بنكسات مـتوالية، واحتل العدو برقة مرة أخرى حتى بلدة غزالة غربي طبرق، وكـانت هيئة القيادة البريطانية العليـا في القاهرة في حاجة مـاسة إلى مـعلومـات عن حـركات العـدو، فـأرسلت بناء على طلبي لجـمع تلك المعلومـات بمساعـدة العـرب في منطقة تمتـد من بني غـازي إلى غزالة، ومن المهـام الأخرى التي كلفت بها أن أنسف مستودعات العدو وطائراته .

أنزلتني إحـدى الدوريات مع جماعـتي في إحدى الأمـسيات بالقـرب من (بلدة الزلخ) ومن هناك امتطيت صهوة الخيـول والجمال إلى المكان الذي نقصده، وكان بين أفراد جماعـتي عربيان: أحدهما الملازم سعد علي رحـومة وهو من الجيش السنوسي التـابع للشـيخ السيـد إدريس السنوسي، والآخـر جندي عـادي، وزرت في المرحلة الأولى معظظم قبائل العبيدات الغربيـة وبعض قبائل البراعصة والدرسة، وقوبلنا في كل مكان بالترحيب الودي وكرم الضيافة رغم أن البلاد بأسرها كانت في قبضة العدو رغم ما يـتعرض له العـرب من أخطار محـققـة، إذا علم أنهم كانوا يأوون ضـابطًا بريطانيًّا، وآمل أن يكون كل من السيد عبد القادر بوبريدان والسيد على بو حامد ما زالا على قيد الحياة إلى الآن، وأن يذكرا مـجلسًا عقدناه في ذلك الوقت مع مشايخ قبـيلة العبيـدات الآخرين في مكان لا يبـعد كثيـرًا على درجة عظيـمة من الخطورة والأهمية، بل ويمكنني أن أقول الآن: إن الحرب في الصحراء ربما اتخذت شكلاً آخر بدون تلك المعلومـات، ويرجع مـعظم الفضل فـي ذلك إلى إخلاص العـرب الذين يرقبون بعين لا يغمض لها جفن طريق مرتوبة، وأولئك الذين أخذوا يتنقلون من بني

غازي إلى المرج إلى القبة إلى درنة إلى المخيلي العزيات للحصول على المعلومات عن حركات العدو وخططه الحربية .

وكان جمع المعلومات جزءًا يسيرًا من واجباتنا، فمن عملياتنا الهجومية الموفقة العديدة غزوة قمنا بها في شهر يوليو سنة ١٩٤٢م بمساعدة العرب الذين وضعوا خطتها بدقة ومهارة لنسف مستودع كبير للبترول خارج بلدة العقبة مباشرة، وكانت تدور في تلك الوقت معركة هامة في عين غزالة، وكان لخسارة العدو تلك الكمية الهائلة من البترول في هذا الوقت الحرج أكبر الأثر في عرقلة عملياته الحربية .

وأصبنا بعد ذلك بنكبات متوالية وفقدنا (طبرق) ولو لم تكن للعرب قلوب قدت من الصلب جرأة وشجاعة لاعتقدوا أننا فقدنا كل شيء ولحاولوا الفرار بأنفسهم، ولكنَّ أصدقاءنا العرب وقفوا إلى جانبنا قلبًا وقالبًا، ولم يخن من سكان الجبل الأخضر بأسره سوى شخص واحد يجدر بي أن لا أذكر اسمه لينطوي في زوايا العار والنسيان . وقد ذهب إلى الجنرال بياتي القائد الإيطالي وأطلعه على أمرنا وأمر محطتنا اللاسلكية، ولكن خيانته لم تجده فتيلاً لأن القبائل ناصرتنا، وطافت بدوريات الجنرال الإيطالي في كل مكان إلا المكان الذي كنا فيه فجعلت منهم أضحوكة الصحراء بأسرها .

ولقد غررنا بالعدو مرات عديدة لا يتسع بي المقام لذكرها الآن، ولكن أريد أن أتحدث عن مغامرة لنا قدر لها النجاح والتوفيق بمساعدة إخواننا العرب، وقد ذهبت في إحدى ليالي الصيف إلى درنة عقب سقوط طبرق وهناك رسمنا أنا والشيخ على البرعصي خطة لتهريب عدد كبير من الأسرى البريطانيين الموجودين في قبضة الطليان وكان بعضهم في المستشفي وبعضهم الآخر في المعسكر خارج المدينة التي كانت تعج بالجنود والألمان والطليان، وأنها كانت تضم بعض العناصر المعادية لبريطانيا في ذلك الوقت وكنت أثناء تلك الغارة أرتدي ملابس عسكرية كضابط محارب، فلم يكن عقابي إذا وقعت في يد العدو يتجاوز الاعتقال حتى نهاية الحرب، ولكن إذا قدر سوء الطالع لأحد زملائي العرب أن يقع في قبضة العدو لكان جزاؤه الموت على حبل المشنقة .

إن أنسَ لن أنسى مأدبة العشاء التي أقامها لي السيد علي قبل رحيلي حيث كنا على أحسن ما يكون من البهجة والسرور فيمكنني إذًا أن أخفي ما أشعر به من سعادة لذكريات الجبل الأخضر وأنا أعلم أن الأخطار والمشاق والأهوال لم توهن من عزائم رجاله قيد شعرة، بل أطلقت ألسنتهم بالفرح والفكاهات .

ولم أكن الشخص الوحيد الذي نعم في ظل العناية العربية الكريمة بالراحة والأمن والطمأنينة، فإن مئات من الطيارين والأسرى الفارين وغيرهم ممن ضلوا عن وحداتهم كانوا موضع عناية العرب وحسن ضيافتهم إلى أن أعادوهم سالمين إلى صفوفهم، وتتجلى قيمة هذه المعونة إذا عرفنا أن العرب أنفسهم في ذلك الوقت كانوا يعانون نقصًا فادحًا في جميع ضروريات الحياة، فلم يكن لديهم ما يكفي من الملابس، وكان الشاي والسكر أثمن من الذهب، ومع ذلك كانوا لا يتاونون عن التضحية بالقليل الذي لديهم عن رضى وطيب خاطر .

ولعلي أكون مبالغًا إذا قلت إن جميع جنود الجيش البريطاني الذي قاتلت في الجبل الأخضر يدينون بالشكر للعرب، فكثير منا مدينون لهم بحياتهم، وسوف لا ننسى كيف مهد ولاء العرب وإخلاصهم وتضحياتهم طريق النصر الأخير الحاسم.

لقد مر عرب برقة على وجه خاص بوقت عصيب حقًا، فقد خاضوا غمار حروب مستمرة متواصلة مدة ثلاثين عامًا فقدوا فيها نصف عددهم ولكن روحهم المعنوية ما زالت قوية جبارة، وما زالوا يعيشون كما عاش آباؤهم وأجدادهم من قبل رجالاً محاربين أحرارًا .

لقد أتيحت لي فرصة المعيشة مع هؤلاء القوم القليلين في العدد الأقوياء بالروح، وأستطيع أن أقول إني لا أثق في شعب آخر مثل ثقتي بهم، وأرجو أن تتاح لي فرصة زيارة أصدقائي في الجبل الأخضر، مرة أخرى، وآمل أن أراهم جميعًا في أحسن صحة وأسعد حال، وقد اتسعت مضارب خيامهم، وزادت أنعامهم، وأصلحت آبارهم ونشر السلام جناحيه على ربوعهم اليانعة الخضراء [(١)].

---

(١) انظر: ميلاد دولة ليبيا الحديثة، ص (١١٠، ١١١، ١١٢) .

هذه بعض الوثائق التاريخية المهمة من بعض ضباط الجيش البريطاني من الذين شاركوا في الحرب العالمية الثانية ضد دول المحور وهي تدلنا على الدور العظيم الذي قام به المجاهدون لتحرير بلادهم من إيطاليا .

رابعًا: إعلان مونتجمري بعد الاحتلال الثالث وحكم الإدارة البريطاني:

وفي أعقاب الاحتلال البريطاني الثالث لمنطقة برقة أعلن الجنرال (مونتوجمري) في ١١ نوفمبر ١٩٤٢م، في رسالة إلى الشعب، بأن المنطقة ستدار من قبل حكومة عسكرية بريطانية حتى نهاية الحرب العالمية، وليس حتى نهاية الحرب في شمال إفريقيا ، وأضاف قائلاً: (لن تتدخل الحكومة العسكرية في المسائل المتعلقة بالشئون السياسية الخاصة بالمستقبل ولكنها ستحكم بحزم وعدل وبالنظر إلى مصالح الشعب في البلد) .

وفي يناير ١٩٤٣م كانت ليبيا كلها قد احتلت، وأصبحت تحت الحكم العسكري لقوتين: البريطانية في منطقتي برقة وطرابلس، والفرنسية في فزان حسب اتفاق عقد بين الجنرال (إلكسندر) الإنكليزي والجنرال (ليكلرك) الفرنسي [١] .

الطريق نحو الاستقلال:

كان طريق ليبيا نحو الاستقلال فريدًا من نوعه بالمقارنة مع جميع البلدان الأخرى التي استقلت بعد الحرب العالمية الثانية، ففي سنة ١٩٤٣م أصبحت القوات الإيطالية، وكذلك سلطتها لا وجود لها في البلد وحلت محلها القوات والسلطات البريطانية والفرنسية ، وفي نهاية الحرب اشتركت كل من الولايات المتحدة وروسيا مع بريطانيا وفرنسا كقوى تريد (مصالح) لها في ليبيا، وتريد أن يكون لها دور في تقرير مصير مستقبلها وكنتيجة لذلك، وجهت حركة الاستقلال، لا كما حدث في المستعمرات الأخرى ضد القوى الاستعمارية الحاكمة، بل ضد المقترحات التي ظهرت في الحوار العالمي حول مستقبل ليبيا والنقطة التي اتفق عليها في هذا الحوار وهي

---

(١) انظر: تاريخ ليبيا، ص (١٧٦، ١٧٧، ١٧٨) .

اعتبار الليبيين غير أكفاء لحكم أنفسهم وكان الرأي الغالب أن تقسم ليبيا وتوضع تحت وصاية قوتين أو ثلاثة لمدة أربع سنوات بعد الحرب .

وفي سنة ١٩٤٥م، ظهر رأي قوى ضد استقلاق ليبـيا وبموافقة الاتحاد السوفياتي أيضًا، وكـان الضمان الوحيـد الذي أعطى الليبيين حـول مستقـبلهم هو بيان (إيدن) ولكن لم يطبق إلاّ في منع رجوع الإيطاليين إلى برقة، وكان شعبنا المنكوب في تلك الفترة خـاليًا من قيادة إسـلامية رشيـدة أو شخصيـات إسلامية فعـالة إذ جل القادة والدعاة استشهدوا وقتلوا وماتوا في الفترة العصيبة التي سبقت هذه الأحداث فلم تبق إلا بعض الشخصيات السياسية الوطنية الخيرة والجمعية المحلية وبعض القيادات الدينية الضعيـفة وزعماء الحـركة السنوسية الذين أصـبحوا يعانون من ضغـط الإنجليز وكان تعداد شـعبنا قد بلغ أكـثر من مليون بقليل، وكـانت تجربته السـياسية بسـيطة وكان مستوى التعلـيم بينهم منخفضًا . وكانوا فقراء للغاية . إذ كـان يقدر متوسط الدخل الفردي ١٥ جنيهًا في العام

وقد تلا الحرب انهيار اقتصادي وتضخم خطير وانتشرت البطالة وحطمت الحرب المدن والقرى والمنشـآت والطرق وخاصة في منطقة برقـة، وزرعت الأراضي بالألغام لذا كانت ليبيا سنة ١٩٤٥م - وهي تحت احتـلال جيوش ثلاثة - ضحية حرب وفي حاجة إلى مساعدات اقتصادية وطبية واجتماعية وفنية وغيرها .

وحكمت الإدارة الحربية البريطانية في منطقتي طرابلس وبرقة، والإدارة الفرنسية في فزان حـسب شروط اتفـاقيـة (لاهاي) لسنة ١٩٠٧م الخاصـة بالتصـرف الحربي والعسكري .

واعتبرت ليبـيا مقاطعة عدو محتلة، وكانت حكومـتها، حسب القانون الدولي، تقوم على أساس العناية والصـيانة ، وبقيت القوانين السارية المفـعول زمن الاحتلال الإيطالي هي نفسها السـارية المفعول بعد ذلك، مع تجريدها من العناصر الفاشـيستية ومن سـوء حظ بلادنا العزيزة أن تبـقى هذه الإدارات الأجنبـية العـسكرية طيلة تلك السنين العـديدة ، وأصبحت الـسلطات البريطانيـة العسكرية- التـشريفـية والإدارية

والسياسـية - كلها تصدر عن القائد العـام لقوات الشرق الأوسط وعين سنة ١٩٤٤م العميد (بلاكلي) حاكمًا لطرابلس، والعميد (ويوكان كمنج) في برقة [(١)] .

وسيطرت بريطانيا على نواحي البـلاد الإدارية واستعانت بعناصر ليـبية وطورتها وأعدتها إعدادًا يخدم مصالحها، وبالنسبة لفزان فعزلت عن طرابلس وبرقة وأصبحت تابعة لفرنسـا التي جعلت من فزان قلعة لها في الدفـاع عن مصالحها في إفريقـيا أما بريطانيا فكانت تنظر إلى منطقتي طرابلس وفزان على أنهما ذواتي أهمية استراتيجية. وأصبـحت طبرق أشـبه بوصلة في سلسلـة القواعد البـريطانية من جـبل طارق إلى سنغافورة، بينما صارت قاعدة العدم الجوية مركزًا مرحليًا على طريق جنوبي إفريقيا والمحيط الهـندي والشرق الأقصى وكـانت بريطانيا تفكـر في أن تصبح منطقـة برقة قاعدة بديلة في الشـرق الأوسط إذا ما جلت عن قناة السويس، عند انتهاء الاتفـاقية الأنجلو - المصرية .

وقبل نهاية الحـرب العالمية الثانية دخلت إلى ليبـيا قوة غريبة ثالثة بإقـامة قاعدة (للوجود الأمريكي) وهي قاعدة أم عتيقيـة حاليًا والملاحة سابقًا شرقي مدينة طرابلس وقد ذكرت صـحيفة (نيويورك تايمز) أنفـقت الولايات المتحدة الأمريكية حـتى فبراير ١٩٤٥م مبلغ مائة مليون دولار على تطوير قاعدة هويلس (سابقًا) .

وأصبحت القاعـدة الأمريكية الأولى في إفريقيا التي لعـبت في الخمسينات دوراً هامًا في استراتيجية الحرب الباردة، كـواحدة من سلسلة القواعد الأمريكية من غربي أوروبا وشمال إفريقيا وجنوب شرقي آسيا التي تحيط بالكتلة الشيوعية [(٢)]

وهذه الفوضى التي حدثت لبلادنا من أسبابها سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية التي حافظت على سلامة ديار المسلمين من نفـوذ النصارى والملاحدة لقرون عديدة، وإن الأمة الإسلاميـة بدون خلافة رشيدة على منهج النبوة لا تملـك لنفسها ضرًا ولا نفعًا، وتكون ألعوبـة في أيدي الدول الاستعمارية الكبرى بأنماط وأشكال اسـتعمارية

---

(١) انظر: تاريخ ليبيا، ص (١٧٨، ١٧٩) .
(٢) انظر: تاريخ ليبيا، جون رايت، ص (١٨٠، ١٨١) .

متجددة وتصبح لشعوبنا الإسلامية تبعية عمياء لغيرها في أمورها العسكرية والسياسية والاقتصادية والتعليمية، وما وصل إليه شعبنا من انحدار شديد في مجالاته المتعددة إلا لبعده عن عقيدته وإسلامه ودينه .

خامسًا: اعتراض الليبيين لموقف الدول الكبرى من قضيتهم العادلة:

عارض المجاهدون الليبيون موقف الدول الكبرى من قضيتهم، ووجهوا نقدهم وسهامهم إلى الدول الكبرى وخصوصًا الحكومة البريطانية التي لم تلتزم بعهودها مع الليبيين، وبرّر بعض الزعماء أسباب تحالفهم مع بريطانيا بأسلوب علمي أدبي رفيع وهذه وثيقة تاريخية تثبت ما ذهبت إليه وهي عبارة عن موضوع كتبه المجاهد عمر فائق شنيب في عام ١٩٤٥م بعنوان (ليبيا مهد البطولة) قال بعد أن افتتح موضوعه بالبسملة:

إذا استشفيت من داء بداء فاقتل ما أعلك ما شفاكا

كثر الأخذ والرد في قضية ليبيا الباسلة ذات الشعب المحارب في صفوف الحلفاء من سنة ١٩٤٠م، ليبيا التي لم ترضخ للاستعمار الإيطالي فحاربت ٢١ سنة بلا انقطاع، ليبيا التي اشترك جيشها وشعبها في طرد العدو منها، ليبيا المضحية بمليون نسمة من خيرة أبنائها في سبيل عروبتها واستقلالها وحريتها، ليبيا التي رفعت رأس العروبة عاليًا من سنة ١٩١١ إلى ١٩٤٥ وكثر عدد الطامعين فيها والمتزلفين إليها - بعد أن كان بعضهم علة شقاء عليها - وتعددت الدوافع فتباينت المنافع، وتضاربت الآراء فكثرت التكهنات وجلها - إن لم أقل كلها - لا يخلو من غايات ومناورات ومساومات بعيدة عن محجة الصواب كل ذلك على حساب ليبيا الدامية .

وكل يدعي وصلا بليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا

حتى أبهم الأمر لا على المنصفين الذين يهتمون بلب الحقائق ليأخذوا منها درسًا وعبرة أو يجابهوا الموقف على ضوئها؛ بل على الليبيين أنفسهم الذين أصبحوا في حيرة من أمرهم، وبمعزل عما يراد بهم، وهم الذين اشتهروا بالأفعال في ميادين النضال، لا بزخرفة الأقوال ولله در من قال:

إذا اشتبهت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى

لذلك رأيت لزامًا علي أن أصرخ بالحقيقة الناصعة ولو كانت مؤلمة جارحة من على منبر الصحافة العربية الحرة - التي أخذت في هذه الأيام تشد أزر ليبيا والليبيين- لأضع أمام الرأي العام العربي ولو صورة (مصغرة) عن حقيقة ما قدمه الشعب الليبي من تضحيات قاسية في سبيل حريته واستقلاله ومناصرته للحلفاء في هذا الصراع العالمي الذي قيل عنه إنه دفاع عن المبادئ الإنسانية الحرة للتخلص من الوحشية الغادرة، والاستعمار البغيض ليكون على بصيرة من قضية ليبيا العتيدة التي استهتر بها القريب وطمع فيها البعيد والتي لا تنفصل عن قضية العروبة المقدسة بأي حال من الأحوال .

١- أقول لإخواني الليبيين عامة - على اختلاف نزعاتهم وأهدافهم في الطرق الموصلة لوحدتهم واستقلالهم-: احذروا ولا تنخدعوا، ووحدوا صفوفكم تحت راية أميركم، وأن ما ترونه الآن في جو السياسة هو الدعاية، وأن ما تتصورونه منها هو الظن، وأن الظن لا يغني عن الحق شيئًا، فاعتمدوا على أنفسكم وأعدوا العدة لمستقبلكم واشكروا كل من يناصركم لمبدأ العروبة الصادق الذي يحمي الجار ولا يرضى العار .

٢- وتيقنوا أن كان هناك ثمة عتاب أو لوم أو ما يسمى بمسئولية عما يقع في ليبيا في الحال، أو ما يقع لها في الاستقبال فكل ذلك يقع بالدرجة الأولى على عاتق الدولة البريطانية، بل وعلى بعض رجالها الذين ائتمناهم على وطننا وأرواحنا، وسلمنا إليهم مقدراتنا وذلك أمام التاريخ والإنسانية والوجدان، وبالدرجة الثانية على أنفسكم أنتم فيما إذا تخاذلتم وتفرقتم وغرتكم الأقوال المعسولة فسبحتم في بحر الأماني المجهولة .

إن الاستقلال يؤخذ ولا يعطى فشجرة الحرية رويتموها بدمائكم وستثمر بمجهوداتكم وتضامنكم، فالدولة البريطانية هي الدولة الوحيدة التي اشتهرت ببعد النظر وتقدير العواقب، ولكنها مع ذلك في هذه القضية الهامة إن لم أقل أضرت بمصالحها الخاصة وبمصالح الليبيين عامة، أقول بصراحة إنها نسيت أو تناست لسوء

حالها أو لسوء حظنا موقفها في سنة ١٩٤٠ عندما كانت واقفة في الميدان تجاه القوة الغازية الفاشستية وحدها بلا حليف ولا معين، مصيرها معلق في كفة القدر، والعدو في إبان منعته وسطوته يتقدم في الأراضي المصرية بعد أن احتل موقع (سيدي براني) وقد طعنت يومذاك فرنسا التي يقول عنها زعيمها المحنك الجنرال ديجول اليوم: (يجب أن تعاد مستمرات إيطاليا إليها)! طعنت من الخلف فركعت على ركبتيها مسلمة للعدو، ولكن صدق من قال:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

ففي تلك الساعة العصيبة القاسية - على بريطانيا العظمى - كما قال عنها وزير خارجيتها المستر إيدن في تصريحه لمجلس النواب البريطاني يوم ٧ يناير ١٩٤٢ ما ندرجه بالحرف الواحد: (إني أصرح بأن السيد إدريس السنوسي اتصل بالهيئات المسئولة بمصر خلال شهر من انهيار فرنسا في وقت لم يكن الموقف العسكري في إفريقيا ملائمًا لنا على الإطلاق، فتألف جيش سنوسي يضم الذين تخلصوا من نير الظلم الإيطالي بين حين وآخر في خلال العشرين سنة الماضية وقام هذا الجيش بمساعدات قيمة أثناء القيام بتلك العمليات الحربية الموفقة في الصحراء الغربية في شتاء ١٩٤٠م و ١٩٤١م، وهو الآن يقوم أيضًا بنصيب قيم في الحملة العسكرية الحالية فأنتهز هذه الفرصة لأعبر عن التقدير العام الذي تحمله حكومة صاحب الجلالة البريطانية للنصيب الذي قام به وما زال يقوم به السيد إدريس السنوسي وأتباعه في المجهود الحربي البريطاني، وإننا نرحب بتعاونهم مع قوات صاحب الجلالة البريطانية في مهمة سحق العدو المشترك، وقد وطدت حكومة صاحب الجلالة البريطانية عزمها على أنه متى انتهت الحرب لن تسمح بوقوع السنوسيين في برقة تحت النير الإيطالي مرة أخرى بأي حال من الأحوال) .

قلنا في تلك الساعة العصيبة التي كانت فيها أعظم الدول ومنها فرنسا - لا الشعوب الصغيرة - ترتعد فرقًا وتنهار سراعًا تحت ضربات النازية الفاشيستية الخاطفة، نعم في تلك الساعة الرهيبة التي اقتنعت فيها الدول والشعوب بأن زوال

بريطانيا من الوجود شيء مقدور، بل وأصبحت تحدد لانهيارها الأيام، لا الشهور تقدم أمير ليبيا الشجاع غير هياب ولا وجل وعقد مجلسًا حربيًّا ضم ممثلي البلاد من قادة الحركة الوطنية قديمًا وحديثًا - وهم بقايا السيوف الأماجد ولم ينفض اجتماعهم التاريخي الذي حضره الجنرال ولسن يوم ٩ أغسطس ١٩٤٠ وخطب فيهم قائلاً: (إن اشتراككم مع قوات صاحب الجلالة في سحق العدو المشترك هو لتحرير وطنكم واسترداد أملاككم وحريتكم واستقلالكم) ثم أعلن الحرب على إيطاليا وانضم إلى الحليفة البريطانية في إبان محنتها وقدم لفخامة الجنرال ولسن قرار الجمعية الوطنية الليبية الذي رفعه بدوره إلى لندن، وبعد أن استعرض ما اتفق عليه زعماء المهاجرين بقيادة زعيمهم الأكبر إدريس السنوسي قال :

على هذا الأساس الواضح بني جهاد ليبيا لحريتها واستقلالها، وعلى هذا الأساس سلمت ليبيا بأرواح أبنائها وثروتها ومدنها لبريطانيا العظمى، ولم يمض على هذا القرار برهة وجيزة حتى تكون الجيش الليبي بضباطه وجنوده تحت علمه الوطني الذي استعرضه الجنرال ولسن في احتفال عسكري رسمي، حيًّا فيه العلمين: الإنجليزي والليبي فأعجب به، وقد اشترك هذا الجيش فعليًّا في كل المعارك الدامية في سيدي براني وفي حصار طبرق، وفي طرد العدو من الوطن، وفي كل موقعة رأت القيادة العامة البريطانية وجوده فيها ضروريًا خلف خطوط الأعداء وخارجها وفي الجبهة نفسها وعلى قناة السويس وفي فلسطين - وغيرها - بكل شجاعة وبسالة وحزم .

وهل اكتفى أمير البلاد المطاع بذلك؟ كلا ، بل أرسل الرسل إلى المدن والقرى ومواطن البادية ونشر في طول البلاد وعرضها أوامر كانت موفقة، ووقع النشرات التي كانت تلقى على الشعب من الطيارات، واستصرخ الشعب لمناصرة بريطانيا من محطات الأذاعة وزود ضباط الاستعلامات البريطانية الذين يعلمون خلف خطوط الأعداء سرًّا بالرجال الأمناء والتوصيات للزعماء وأهل الوطن لإخفائهم وإرشادهم ومدهم بالمساعدات والمؤن .

فهب الشعب الليبي على بكرة أبيه رجالاً ونساءً وشبانًا كل يعمل على قدر استطاعته خلف خطوط الأعداء في إخفاء ضباط الاستعلامات وتموينها وإنقاذ الجرحى وتمريضهم وإخفائهم وتهريب الأسرى من الضباط والجنود البريطانيين والطيارين الذين وقعوا في قبضة الأعداء وإبلاغهم مأمنهم وإظهار عورات الأعداء بواسطة الأدلاء على محال قواتهم واستحكاماتهم وطيرانهم ووقودهم، وتدمير أدوات حربهم ومؤنهم، حتى اضطر العدو أن يجعل في ليبيا قوة عظيمة خاصة لمراقبة السكان والتنكيل بهم حيث ثبت لديه أن ضباط الاستعلامات البريطانيين كانوا يحضرون اجتماعات الأعداء سرًّا بدون أن يعرفوا بينهم وذلك بفضل تدابير زعماء الوطن .

وقد استسلم ما ينيف عن ١٧,٠٠٠ جندي ليبي - كان قد جندهم العدو قسرًا- وذلك عندما شاهدوا أعلام وطنهم المقدسة تخفق على الدبابات ومزينة بها المصفحات وفي طلائع الجيوش ؛ ثم اشترك معظم هؤلاء مع إخوانهم في الدفاع عن أوطانهم وقد استشهد الكثير من جنود وضباط الجيش، كما أسر البعض منهم أثناء هذه الحرب برًّا وبحرًا، ولم يزل بعضهم مفقودًا والبعض لا يعلم عنه شيء منذ وقع في معتقلات الأعداء .

واستهدفت المدن للخراب الأبدي والدمار الذي لا يعوض كطبرق التي أصبحت أثرًا بعد عين، وبنغازي عاصمة برقة التي دمر ثلاثة أرباعها وقسمًا من درنة وسرت وطرابلس وغيرها، وتعرض الكثير من المدنيين العزل للقتل والشنق والنهب، حتى أن الفاشيست شنقوا في يوم واحد في مدينة واحدة وهي المرج (٣٠٠) رجل، وغير هذا كثير، حتى أنه في ذلك اليوم صادر الفاشيست جميع ما في الأسواق عنوة واقتدارًا وهدما ما يقدر بنصف ثروة التجار، وتبددت ثروة البلاد وتشتت الأهلون سنين في البراري والقفار بعد أن دمرت مدنهم وهدمت أملاكهم وقتلت نساؤهم وأطفالهم وضاعت ثروتهم ولا مجال الآن لإيضاح موقف الليبيين في انتصار العلمين، ذلك الانتصار الذي غير وجهة الحرب، وما قدموه من مجهودات كادت أن تقضي على

البقية الباقية من الليبيين حيث نسفوا مخازن البنزين ودمروا معدات الحرب التي أعدها الألمان والطليان كاحتياطي لهم في برقة يعتمدون عليها في تقدمهم على مصر، وهو ما يقدر بمئات الملايين، وسيخصص لذلك فصل مدعم بالأرقام والبراهين في الكتاب الأبيض الذي ينشر عن العالم قريبًا عن موقف ليبيا المشرف في هذه الحرب وعن معاملة أصدقائها الإنكليز لها، كما سيبين فيه عملهم ضد الطيارين الألمان الذين أنزلوا بعد الفتح بالبارشوات، أفبعد هذا كله، وبعد فتح ليبيا باشتراك أهلها وتضحياتهم هذه يجوز أن تكون ليبيا الباسلة موضع مساومة؟ أو يجوز أن تطبق فيها أحكام عسكرية جائرة وغير ملائمة لطبيعة أهلها؟ أو يطبق على شعبها المحارب في صفوف الحلفاء ما يسمونه بالقانون الدولي؟ ذلك القانون الذي لم يطبق منه حرف واحد في الحبشة لا، ولا حتى في بلاد العدو المحتلة التي سلمت إدارتها لأهلها تحت أشراف الحلفاء مع أن وضع الحبشة لا يختلف عن وضع ليبيا دوليًّا من حيث دخولها تحت الحكم الإيطالي واعتراف الدول بضمها إليه، وخروجها منه باشتراكها في هذه الحرب؟ أو يبدل في ليبيا استعمار باستعمار؟ أو تفكر إيطاليا الغادرة ناكثة العهود التي جربت حظها في ليبيا وخبرت ذلك الشعب العربي الأبي في حروب متواصلة معه ٢١ سنة أن تعود إليه؟ .

اللهم إن هذا بعيد عن العدل، بعيد عن الإنصاف، وحتى عن أحكام القانون الدولي الذي قبر من يوم احتلال الحبشة فشيعت جنازته عصبة الأمم التي التحقت به سنة ١٩٣٥م وعن كافة الوعود والعهود وعن الغايات السامية التي قيل إن الدول الحليفة حاربت من أجلها، وعن الشرف البريطاني الذي لا يقر مثل هذا العمل فيما أظن بوجه من الوجوه .

فلو كانت الدولة البريطانية أقامت للحق والعدل والعهود أقل وزنًا أو قدرت هذه الجهود والتضحيات حق قدرها أو إعادة النظر في موقفها سنة ١٩٤٠م - لأننا عند اشتراكنا معها لم تكن هناك روسيا ولا أمريكا ولا فرنسا - لما كانت في هذا المأزق الحرج الدولي من جهة، ولكانت ليبيا اليوم تتمتع بحكومة وطنية تحت إدارة أميرها،

مندمجة في الجامعة العربية، ولما كان اختلف وضعها عن وضع الحبشة من يوم طرد العدو منهما .

ولكن الدولة البريطانية بجحود بعض رجالها لهذه التضحيات وبميلهم للأعداء -لأنهم إفرنج - وتخليهم عن الأصدقاء - لأنهم عرب - أضروا بهذه القضية التي لها مساس بالسلم العالمي، وأساءوا لأهل ليبيا وهم الذين أخلصوا لهم في إبان محنتهم، بل وعاملوهم معاملة لا تمت للإنصاف والمروءة بصلة في كل مرافق الحياة الاقتصادية والسياسية والكرامة والعزة القومية، وفي نفس الوقت واجهوا وسيواجهون مشكلات عديدة كانوا في غنى عنها؛ لأن امتلاك القلوب أهم بكثير من استبعادها والسيطرة على الشعوب بدون إرادتها معناه الحقيقي تكوين عداوتها .

٣- بتر ليبيا بل والشمال الإفريقي من جسم الجامعة العربية يوم انعقادها في القاهرة كان أكبر محك دقيق للجامعة (فيما إذا كانت هي الجامعة) ولغاياتها أهدافها المقدسة عند الدول التي تهتم بمعرفة قوة الاتحاد العربي وضعفه بودنا يومئذ أن ألقينا أنفسنا في أحضانها بصفتنا أمة عربية مجاهدة أن تقف موقف المدافع عن الجميع والمطالب بحقوق الجميع وتضمنا إليها شاءت -السياسية الغامضة - الفرقة الجامعة - أم أبت فتكون بذلك أحيت عضوا منها تشد أزره في الملمات، لأن ليبيا هي القنطرة الوحيدة التي تعبر منها العروبة إلى الشمال الإفريقي، أما اليوم فلا أدري على الوجه الأصح هل يسمع صوتها بشأن ليبيا أم يصبح صرخة في واد بعد أن تقاربت السياسات الاستعمارية التي كانت متباعدة يوم انعقادها، وأخشى ما أخشاه أن العرب رغم يقظتهم ووحدتهم المبتورة سيواجهون تضحيات جديدة ومصاعب شديدة وسيلعب بهم دور آخر يكونون فيه هم كبش الفداء - لا سمح الله - لأن الغرب لا يرتد والشرق لا يتعظ .

٤- مع استنكارنا الشديد واحتجاجنا القطعي الذي ليس عليه مزيد للضربة التي كانت ذكرتها جريدة «التايمس» وبعض الصحف الاستعمارية الأخرى والتقولات التي تقع أحيانًا من بعض المغرضين بأن الليبيين يكرهون المصريين نقول بكل صراحة

ما دمنا نـقر الحقـائق: إنها وقـعت بعض غلطات مؤلمة من بعـض رجال الإدارة في الحدود الـغربية المـصرية ولم تزل تقع أحـيانًا منهم ومن غـيرهم، وربما كـانت تلك الغلطات مدبرة بعلة خفـيت عنهم لا يعلمها إلا الله والراسخون في تفـرقة الشعوب وهي أنه بعـد أن كـان المصـريون هم الذين آووا وأيدوا إخـوانهم الليـبـيين من سنة ١٩١١م إلى يومنا هذا، ولهم عليهم الأيادي البيضاء في جهادهم وهجرتهم، فعندما تقرر رحيل المـهاجرين إلى وطنهم بعد فـتحه كان الواجب يتحـتم أن يودعوا بما هو لائق في كرم وسـخاء وتسامح وصلة رحم وحق جوار، بل ومـساعدات قيـمة أدبية ومادية لمن هم منهم وإليهم شأن المصريين الذين جبلوا على هذه المزايا العالية في كل أدوار حيـاتهم، ولكن انعكست الآية فـتصدى للمـهاجـرين بعض الموظفين الذين لا يقدرون العواقب فجردوهم من أمتعتهم وأقواتهم وفتشوا نساءهم - بصورة مخجلة - وصادروا حلـيهن وما مـعهم من نقـود جنوها في هجرتهم أو جـلبوها معـهم عند التـجائهم واضطروهم بهـذا العمل لتـهريب مـا يسدون به الرمق أو مـا يستـرون به العورة؛ لأن الحالة وقتئذ في ليبـيا بلغت درجة إلى أن دفن أهالي ليبيا أمواتهم بدون أكفان، وأصبحت نساؤهم لا يجدون مـا يسترن به العورات بسبب منع التجارة عنهم والتضييق عليهم وما زالت أموالهم وأشيـاؤهم محجوزة عند السلطات المصرية بحجة التهريب ومخالفة القوانين، نعم وإن كان للموظفين بعض العذر وعلى الليبيين بعض الوزر للأسـباب الآنفـة الذكر إلا أن هذا العـمل الذي وقع بين شعب واحـد ووطن واحد - كما يعتقد الليبيون وأبناء مصر - جرأ الغير على الاستخفاف بالعلائق الحسنة بين الشعبين، وأن ما وقع من الليـبيين من تضحيات وما عانوه من مـشقات وأزمات هي بين سـمع إخوانهم المصـريين وبصرهم فـي وطنهم دفاعـًا عن بلادهم التي هي الحصن الحصين لمصـر العزيزة حيث كانت أرواحهم فـداء لها، لو تدبروا الأمر بعين المصلحة والأخوة ربمـا كانت تلك الغلطات مدبرة من الغيـر لتتخذ منهـا جريدة مثل «التايمس» والجـرائد الاستـعمارية مـادة للحط من قيـمة الروابط الودية بين الشـعبين المتجاورين لغاية بعيدة المرمى ستظهر نتائجها الأيام المقبلة .

وإني أعتقد عقيدة ثابتة أن الليبيين عامة والسنوسيين خاصة لم ينسوا ولن ينسوا فضل مصر ولا عطف مصر وزعماء مصر مهما حدث أو يحدث؛ لأن الشعب المصري الكريم بريء من تلك الغلطات المدبرة ومصر هي الملجأ الوحيد ليس لليبيين فحسب بل للعرب والعروبة لا سيما وتربط مصر وليبيا روابط لا انفصام لها من جهة الدين والجوار واللغة والنسب، ولا نريد أن نوضح أكثر من ذلك فعظماء مصر وأكابرها يعلمون أكثر من هذه الحقائق ويعلمون ما يكنه الليبيون من إخلاص ومحبة للتاج المصري وصاحبه المفدى، وسيأتي يوم يتضح فيه كل شيء بالوثائق؛ لأننا متنا هذه الروابط وأدلينا بما فيه المصلحة للطرفين في بدء الحركة سنة ١٩٤٠م وفي أثناء الحرب ١٩٤٢م قبل غيرنا ممن تبنى هذه المشاريع اليوم، ومع ذلك يشكر كل من يسعى لتوحيد الشعوب العربية ويعمل على إسعادها ولكل مجتهد نصيب.

كان بودنا أن لا تهمل الصحافة العربية الحرة ما قدمه الليبيون في هذه الحرب من تضحيات قاسية من سنة ١٩٤٠م حتى لا تفقد مادة قيمة تساعدها في الدفاع اليوم عن الحق المهضوم وتستعين بها على ما تسجله للتاريخ والأجيال المقبلة، ولكن السياسات التي كمت أفواه الصحف وكسرت أقلام الصحافيين حتى حظرت عليهم ذكر كلمة ليبيا كان جائرة عليها وعلينا وعلى التاريخ والإنسانية وها أننا نستبشر اليوم بتعويض ما فقدته الصحافة فلها خالص الشكر وعاطر الثناء .

وأخيرًا بصفتي - أحد قادة الحركة الوطنية وعضو الجمعية الوطنية التي ارتبطت مع بريطانيا يوم ٩ أغسطس ١٩٤٠م - أصرح بأن الوضع الحالي في ليبيا شاذ لا يتناسب في شيء مع العدل والإنصاف ولا مع وعود الحلفاء بأي وجه كان، بل أن ما يعانيه الشعب الليبي اليوم لا يختلف عن الاستعمار البغيض وإن الشعب الليبي يتطلب إقامة حكومة وطنية شرعية تحت إدارة أميره المطاع (إدريس السنوسي) بأسرع ما يمكن ليحق لها اختيار الجهة التي ترغب في الارتباط بها .

أقول هذا لدول الحلفاء عامة ولدولة بريطانيا العظمى خاصة قبل أن يعم الاستياء الذي أخذ يتسرب إلى النفوس وتتبدل وجهات النظر من الإخلاص والمحبة والتعاون

النزيه إلى المقت البغيض والمشاكسة ويطغى اليأس فتنعكس الآية ولا ينفع الندم، وإن ليبيا رغم قلة عددها وفقدان عددها ومعرفتها بأنها لا تقوى على مقاومة الدول المعظمة مع أنها جربت في حرب إيطاليا تفضل أن تضرب يوميًا بألف، بل بمليون قنبلة ذرية حتى ينقطع فيها النسل والذرية على أن يطأ أرضها إيطالي أو أن تمس كرامتها أو ينقص شيء من حريتها واستقلالها وحقها في الحياة، أو يقرر مصيرها الغير بدون إرادتها، وهي علمت الشعوب معنى التضحية في سبيل الحرية والاستقلال من سنة ١٩١١م إلى يومنا هذا والتاريخ شاهد عدل، وقد قلنا في بعض مذكراتنا لرؤساء الوفود في المؤتمر الذي كان منعقدًا في سان فرانسيسكو - بعد أن شرحنا لهم الحالة يومئذ بوجه التفصيل - هذه العبارات: (هذا إذا كان هناك ما يسمى عدلاً أو ما يسمى حقًّا، أما إذا كانت الوعود والعهود المقطوعة للشعوب الضعيفة هي بمثابة الطابور الخامس عند الحلفاء فلا حق لهذه الشعوب في المطالبة بالحق وليس لها إلا أن تموت) وسنعود للموضوع مرة أخرى، ومن لم يعرف ليبيا على حقيقتها فعليه بالاختبار فلا زال أشبال عمر المختار يعملون على ذلك الغرار .

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

هذا بعض ما كتبه ونشره السيد عمر فائق شنيب وهو كما قدم نفسه أحد قادة الحركة الوطنية، فبالإضافة إلى ذلك نقول أنه كان من خيرة أولئك القادة وقد لازم الحركة الوطنية الأخيرة منذ ٩ أغسطس ١٩٤٠ إلى أن توفاه الله سنة ١٩٥٣م، فقد عين أمينًا عامًّا لمكتب سمو الأمير، وكان ضمن أعضاء المؤتمر الوطني البرقاوي، وذهب إلى هيئة الأمم المتحدة عضواً ورئيسًا للوفد الوطني مرتين، ثم وقع الاختيار عليه ليكون عضواً بالجمعية الوطنية التأسيسية الليبية وانتخب نائبًا لرئيسها كما انتخب رئيسًا للجنة الدستورية، وعين وزيراً للدفاع بالحكومة الليبية المؤقتة التي عهد إليها أن تتسلم السلطات من الإدارتين (البريطانية والفرنسية) وأخيرًا عين رئيسًا للديوان الملكي، وكان قد وضع بحثًا مفصلاً عن القضية الليبية كان صريحًا في التفاصيل التي

تناولها في ذلك البحث، وقد أجاب فيه عن الكثير من الأمور الغامضة وقد لفت فيه نظر جهات معينة كان الكثير من حِسان الظن وقد تأثر بتصرفاتها وأراد طبعه سنة ١٩٤٩م في مصر إلا أن الرقابة المفروضة يومذاك قد حذفت الكثير منه ووافقت على طبع ما وافقت عليه فرفض شنيب الطبع إلا إذا كان كاملاً، ولا يزال ذلك البحث مفقودًا نأمل أن تتكاثف الجهود ليرى النور وتستفيد منه الأجيال الصاعدة [١] .

سادسًا: الجمعيات التي أسست خارج ليبيا:

وأسست جمعية في مصر بزعامة أحمد السويحلي وقامت بنشاط كبير وفتح عام ١٩٤٣م نادي طرابلس الغرب الثقافي وشكلت الجاليات الليبية التي تقطن مختلف أرجاء العالم الإسلامي لجنة للدفاع عن حقوق بلدها بزعامة بشير السعداوي واتخذت ميثاقًا وطنيًا بها قدمته إلى المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في القدس عام ١٩٣١م وطالبت اللجنة المسلمين في أقطار الأرض لتقديم المساعدة لإخوانهم المنكوبين في ليبيا .

وتحرك الأمير إدريس سياسيًّا مع بداية الحرب العالمية الثانية، ومن الشخصيات التي كان لها أثر سياسي في مصر في تلك الفترة بالنسبة للجالية الليبية أحمد السويحلي، وأحمد المريض، وعون سوف، وتوفيق الغرياني، ومحمد العيساوي وعبد السلام الكزة، وعبد الحميد العبار .

وشكل الأمير إدريس السنوسي جيشًا وفوض أمره إلى صفي الدين السنوسي الذي جند ١٤,٠٠٠ من المهاجرين الليبيين ، ١٢٠ ضابطًا، وشكلت الجمعية الوطنية الليبية التي قررت إعلان بيعة السنوسي، وتفويضه بدون قيد أو شرط وخوض الحرب إلى جانب بريطانيا ورفض بعض زعماء الليبين ذلك، وفي معركة العلمين حققت بريطانيا نصرًا حازمًا على ألمانيا بقيادة روميل . وشارك السنوسيون مع الإنكليز رافعين العلم السنوسي، وكانت المعارك السياسية مستمرة ومستعرة بين الليبيين ولكن الكفة رجحت لصالح السنوسيين .

---

(١) انظر: إدريس السنوسي للأشهب، ص (١٠١ إلى ١١١) .

وظهرت بعض الزعامات الوطنية المتناثرة في بلادنا وعادت إلى الظهور الأحزاب التي أسست أثناء المفاوضات الليبية الإيطالية في نهاية الحرب العالمية الأولى، وأسست أحزاب جديدة على أيدي القادمين من المهجر وكانت الأحزاب بليبيا امتداداً لتأثير الركات الحزبية في مصر وسوريا ولبنان وغيرها بواسطة العائدين من المهجر وكانت سرعة نموها كبيرة، لدرجة أن الليبيين وخاصة في منطقة طرابلس أصبحوا بعد ست سنوات يقومون بالمظاهرات مما يدل على نمو الوعي السياسي .

وظهر في عام ١٩٤٢م (نادي عمر المختار الرياضي) الذي كان له نشاط سياسي يهدف إلى توحيد برقة وطرابلس يقوده الشباب في تلك الفترة الحرجة من تاريخ بلادنا .

وفي مطلع عام ١٩٤٤م أصبح النادي يعلن بصراحة انتقاده للإدارة البريطانية ويظهر اتجاهًا وحدويًا مع الاتجاه الطرابلسي من أجل اتحاد وطني .

ولم يكن الاتجاه الإسلامي في هذه المرحلة المظلمة ممثلاً إلا في شخصية الأمير السنوسي بكونه الوريث الشرعي للحركة السنوسية، وبعض الأفراد القلائل والشيوخ التقليديين .

وفي سنة ١٩٤٧م أصبح البريطانيون يرون الحاجة إلى منح برقة نوعًا من الحكومة الذاتية تحت زعامة إدريس وأوصت لجنة بريطانيا ببرنامج استقلال على ثلاث مراحل، وتحت الأشراف البريطاني، أما في طرابلس فكان الوضع يختلف، وظهر الخوف هناك من عودة الحكم الإيطالي للمنطقة، وخاصة وجود الجالية الإيطالية الكبيرة بمطامعها وتطلعاتها .

واقتصرت غالبية الأحزاب والجماعات في منطقتي برقة وطرابلس على حاجتهم لدولة متحدة وأصبح (نادي عمر المختار) يشدد انتقاده ضد البريطانيين وضد سياسة إدريس المتحالف مع بريطانيا [١] .

---

(١) انظر: تاريخ ليبيا، ص (١٨١، ١٨٢، ١٨٣) .

سابعًا: حل الأحزاب وإنشاء المؤتمر الوطني في برقة واضطراب الأحزاب في طرابلس:

وقام إدريس بإيقاف نشاط نادي عمر المختار ومنع جميع الأحزاب السياسية عن العمل في ديسمبر ١٩٤٧م، وألف الأمير إدريس المؤتمر الوطني بحجة التحدث باسم أهالي برقة جميعًا ، إلا أن المؤتمر كان يتكون من الجيل القديم من قادة القبائل الموالين له وكان المؤتمر برئاسة أخيه محمد رضا السنوسي وفي طرابلس كانت الأحزاب السياسية في اضطراب وبلبلة، ووجد في المنطقة أكثر من عشرة أحزاب وجماعات ونوادٍ ذات أهداف مختلفة تسعى كلها للاستقلال وتوحيد مناطق طرابلس وبرقة وفزان، ولكن الاختلاف كان على من يقود هذا الاتحاد، وهل هو ملكي أو جمهوري وقد تكونت من الحزب الوطني الكتلة الوطنية بقيادة أحمد الفقي حسن لمناهضة السنوسية والدعوة لإقامة جمهورية وكان يوجد حزب الاستقلال ولجنة تحرير الليبية المتعاونة مع الجامعة العربية، ويرأسها بشير السعداوي.

وبقي في ليبيا ٤٨٠٠٠ إيطالي، ظهر بينهم حزب فاشيستي بدعم من روما، وحزب معاكس له إيطالي .

وأرسلت الدول الكبرى لجنة لتقصي وضع ليبيا فوجدوا رغبة عارمة في الاستقلال التام، وأوضح تقرير اللجنة الرغبة الليبية الاجماعية للاستقلال التام وأضافت الجنة الليبية لم تكن في وضع اقتصادي يمكنها من الاعتماد على نفسها، وإيضًا غير مؤهلة للاستقلال . . . وقالت اللجنة في تقريرها بأن حوالي ٩٤٪ من السكان أميوّن، ولا يوجد بها ما يزيد عن ١٥ ليبيًّا متخرجًا دون أن يكون فيهم طبيب واحد، وأن متوسط الدخل الفردي ١٥ جنيهًا في السنة، وأن نسبة الوفيات بين الأطفال ٤٠٪ ورأت بريطانيا أن تكون برقة تحت الرعاية البريطانية . وأن تكون منطقة طرابلس تحت الوصاية الإيطالية، وفزان تحت الوصاية الفرنسية .

أما الولايات المتحدة فقد اتخذت موقفًا مغايرًا، إذ اقترحت أن توضع ليبيا كلها

تحت وصاية الأمم المتحدة لمدة عشر سنوات، على أن تحتفظ أمريكا بقاعدة هويلس (الملاحة) الجوية والتسهيلات الحربية الأخرى وكانت بريطانيا مستعدة للموافقة على اقتراح الولايات المتحدة إلا أن فرنسا عارضت ذلك .

أما الاتحاد السوفياتي، فقد حبذ في البداية الخطة الأمريكية، بوصاية الأمم المتحدة، لكنه عارض فيما بعد الوصاية على منطقة طرابلس لمدة عشر سنوات، بحجة أنه لو حدث ذلك، فإن (النظام السوفياتي) لن يصل إلى منطقة طرابلس ولم تقبل بريطانيا أو فرنسا هذا العرض بارتياح .

وهكذا يا أخي القارئ كانت بلادك منذ خمسين عامًا لا تملك لنفسها خيرًا ولا نفعًا ولا حلاً ولا عقدًا . ومع نمو الوعي الوطني والحس السياسي قامت مظاهرات جماعية لم تدع شكًّا في الشعور العام المعادي للخطة . وسارت الجماهير الكبيرة المنظمة عبر شوارع طرابلس محتجة ضد الوصاية الإيطالية على طرابلس، وقدّر عدد الذين اشتركوا في المظاهرة بستين ألفًا، بما في ذلك مظاهرات جاءت من مدن أخرى، وكانت منظمة تنظيمًا محليًّا، وصاحب المظاهرات دعاية واسعة جلبت رأي عالمي وعربي للقضية الليبية .

وفي خلال هذه المظاهرات اتحد الحزب الوطني والجبهة الوطنية المتعددة وغيرهما في حزب المؤتمر الطرابلسي تحت قيادة بشير السعداوي واستمر حزب المؤتمر في تنظيم المظاهرات والاحتجاجات حتى رفضت نهائيًّا خطة (بيفن - سفورزا) من قبل الأمم المتحدة . وكان هذا سببًا في بروز الحزب على أنه القوة السياسية الرائدة في منطقة طرابلس، وفي الجمعية العمومية في ١٨ مايو ١٩٤٩م كانت كل الدلائل تشير إلى قرار الخطة سوف يحصل على أغلبية الثلثين في منح استقلال ليبيا ولكن مندوب هايتي (إميل لوت) عارض الوصاية الإيطالية على منطقة طرابلس وكانت النتيجة أن فشلت الخطة عند الاقتراع عليها، وذلك بسبب نقص صوت واحد كان مطلوبًا لتأمين الأغلبية التي أعطت أصواتها لقرار الخطة (٣٣ مقابل ١٧ وغياب ٨) وكان الذي أقنع (إميل لوت) بالوقوف مع الشعب الليبي الدكتور على العنيزي - رحمه الله تعالى.

واستطاعت الوفود العربية في الأمم المتحدة أن تقنع بسهولة الوفد السوفياتي وبعض الوفود الأخرى المعارضة لمصلحة استقلال ليبيا، وبفشل التصويت على وضع الوصاية الإيطالية لم يعد هناك سبب يدعو كتلة أمريكا اللاتينية لدعم بقية القرار واقترعت ضده بالفعل مما سبب له هزيمته بأغلبية ٣٧ صوتًا ضد ١٤ وغياب ٧ أصوات وقد دعم استقلال ليبيا دول إسلامية وعربية مثل باكستان وسوريا ولبنان وكذلك الهند لمصالحها .

وقد تغير موقف الروس بشكل ملفت للنظر، فبعد أم كانوا في وقت ما يريدون الوصاية السوفياتية على منطقة طرابلس، ثم إرجاع ليبيا لإيطاليا أصبحوا سنة ١٩٤٩م ينادون باستقلالها خلال ثلاثة أشهر وجلاء جميع القوات الاجنبية عنها .

وأصبحت بريطانيا ترى لمصلحتها استقلال ليبيا كلها، وخاصة إذا أمكن الحفاظ على القواعد البريطانية في منطقتي طرابلس وبرقة .

ورفضت خطة بيفن - سفورزا وأعلن إدريس، استقلال برقة بتأييد بريطانيا ونصب نفسه أميرًا عليها، وأصبحت الحكومة المحلية مسئولة عن الشئون الداخلية . أما الشئون القضائية والمالية فبقيت تحت مسئولية المستشارين البريطانيين، وكذلك ظلت الأمور الخارجية والدفاعية والأملاك الإيطالية تحت السيطرة البريطانية .

وأصبح استقلال ليبيا شيئًا لا بد منه بالنسبة للأمم المتحدة وأعيدت قضية ليبيا إلى اللجنة السياسية في صيف عام ١٩٤٩م وسمح لإيطاليا بالاشتراك بالنقاش، وكذلك لممثلين من المؤتمر الوطني البرقاوي، وحزب المؤتمر الوطني الطرابلسي، وممثلين من الجالية اليهودية بطرابلس، وفي أكتوبر بدأت لجنة فرعية في وضع قرار يتضمن جميع النقاط الرئيسية الواردة في مقترحات وفود الهند والعراق وباكستان والولايات المتحدة، واتفق على القرار بأغلبية ساحقة في الجمعية السياسية في ١٢ نوفمبر، ثم قدم بعد أسبوع إلى الجمعية العامة [١] .

---

(١) انظر: تاريخ ليبيا، ص (١٨٨-١٩٠) .

المبحث الثالث
قرار الأمم المتحدة بشأن ليبيا

وفي ٢١ نوفمبر ١٩٤٩م تبنت الجمعية العامة القرار الذي اقترحته وفود الهند والعراق وباكستان والولايات المتحدة وتبنته الجمعية بأغلبية ٤٨ صوتًا ضد صوت واحد (الحبشة) وغياب تسعة فيها فرنسا وخمس دول شيوعية .

ويتضمن القرار ما يلي:

١- أن تصبح ليبيا المكونة من مناطق برقة وطرابلس وفزان دولة مستقلة ذات سيادة .

٢- أن يصبح هذا الاستقلال ساري المفعول في أسرع وقت ممكن والا يتأخر بأي حال من الأحوال عن أول يناير ١٩٥٢م

٣- أن يقرر دستور ليبيا، يضم شكل الحكومة من قبل ممثلين عن سكان مناطق برقة وطرابلس وفزان يجتمعون ويتشاورون معًا في جمعية وطنية .

٤- ومن أجل مساعدة شعب ليبيا على وضع دستور وإقامة حكومة مستقلة يرسل مندوب من الأمم المتحدة إلى ليبيا، تعينه الجمعية العامة، ومعه مجلس لمساعدته ونصيحته .

٥- أن يقدم مندوب الأمم المتحدة، بالمشاورة مع المجلس، تقريرًا سنويًا مع التقارير التي يعتبرها ضرورية، ويضاف إلى هذه التقارير مذكرة أو وثائق يرغب مندوب الأمم المتحدة أو أي عضو في مجلس في أن يضعها أمام انتباه الأمم المتحدة.

٦- أن يتكون المجلس من عشرة أعضاء، وبالتحديد:

أ- ممثل ترشحه حكومة كل من البلدان التالية: مصر وفرنسا وإيطاليا وباكستان والمملكة المتحدة والولايات المتحدة .

ب- ممثل عن شعب كل من المناطق الثلاثة في ليبيا، وممثل عن الأقليات .

٧- أن يعـيين مندوب الأمم المتحـدة الممثـلين المذكورين في الفـقرة ٦-ب بعـد التشاور مـع القوى الإدارية ومع ممثلي الحكومات المذكورين في الـفقرة ٦-أ ومع الشخصيـات القيادية وممثلي الأحزاب السياسـية والمنظمات في المناطق المعينة .

٨- وإنجـازًا لمهامـه، يشاور مندوب الأمم المتـحـدة ويستـرشد بمشـورة أعضـاء مجلسـه، ويجب أن يكون معلومًـا أن بمكانه أن يقابل أشـخاصًا مـختلفين لسماع النصيحة بخصوص المناطق المختلفة أو المواضع المختلفة .

٩- يمكن لمندوب الأمم المتحدة أن يقـدم المقترحات إلى الجمعـية العامة، وإلى المجلس الاقتصادي والاجتماعي وإلى السكرتير العام فيما يخص الإجراءات التي يمكن أن تتبناها الأمم المتحدة خلال الفتـرة الانتقالية بخصوص المشاكل الاقتصادية والاجتماعية في ليبيا .

١٠- أن تقوم القوى الإدارية بالتعاون مع مندوب الأمم المتحدة:

أ- باتخـاذ جمـيع الخطوات اللازمة حـالاً لنقل السلطة إلى الحكومـة دستـورية مستقلة .

ب- إدارة المناطق بهدف مساعـدة أقسام الوحدة الليبية والاستـقلال والتعاون في تكوين الإدارات الحكومية وتنسيق نشاطاتها من أجل هذه الغاية .

ج- تقديم تقـرير سنوي للجمـعية العـامة حـول الخطوات المتحدة لتـطبيق هذه التوصيات .

١١- أن تدخل ليبيـا الأمم المتحدة حسب المادة (٤) من الميثـاق، بعد أن تصبح دولة مستقلة .

وبعد أسبوعين عـينت الجمعية العامة مسـاعد السكرتير العام (أدريان بليت، مندوبًا للأمم المتحدة في ليبيا) .

إن الخطوات المذكورة نحو الاستقلال -على حسب تقديري وفهمي للحقيقة- لا نعتبره استقلالاً بمفهومه الذي وضع له هذا المصطلح إن الأمة التي تحكم شرع ربها من ذاتيتها وشخصيتها وعقلها وقلبها وعقيدتها هي تلك الأمة الحرة المستقلة التي رضيت بالله ربًا وبالاسلام دينًا وبمحمدًا نبيًّا ورسولاً؛ بل انتقلت بلادنا من الاستعمار الإيطالي النصراني الحاقد إلى استعمار من نوع آخر في أموره الدستورية والسياسية والاقتصادية والتعليمية فإن إذن الاستقلال ولا زال أمر الله وحكمه مغيبًا في واقع شعبنا وحياته إلى كتابة هذه السطور ولذلك فهو يئن من وطأة الظالمين الذين حكموا شعبنا بقوانين أرضية طينية وغيبوا شرع الله عنه ظلمًا وبهتانًا وزورًا، وعلى الأحرار من أبناء شعبنا أن يعملوا ليلاً ونهارًا سرًّا وإعلانًا من أجل الاستقلال الحقيقي وكسر القيود المكبل بها شعبنا، ولا يتحقق ذلك إلا عندما يحكم شرع الله ودستور الإسلام الخالد على شعبنا المسلم الذي عانى ولا يزال يعاني من تكبيل حريته واستقلاله واتخاذ قراره وما ذلك على الله بعزيز .

وكان موعد استقلال ليبيا سيحل بعد ٧٠٠ يوم من وصول مبعوث الأمم المتحدة لبدء مهمته، وعندما وصل المبعوث (أدريان بلت) إلى ليبيا في رحلة استطلاعية لمدة أسبوعين في ١٨ يناير ١٩٥٠م، لخص مهمته على أنها لمساعدة شعب ليبيا على وضع دستوره وإقامة حكومة مستقلة [١] .

وكان أول واجب عليه هو أن يكمل عضوية المجلس المنصوص عليه في قرار الجمعية المكلف باستشارته، وقد عين ممثلو مصر وفرنسا وإيطاليا وباكستان والمملكة المتحدة والولايات المتحدة من قبل حكوماتهم المعنية وطلب (بلت) مرشحًا متفق عليه من كل المناطق الليبية الثلاثة وممثلاً للجاليات الإيطالية واليهودية واليونانية بمنطقة طرابلس وقدمت فزان مرشحًا واحدًا، إلا أن برقة قدمت ثمانية وطرابلس سبعة، والأقليات أربعة ، وبعد التشاور مع القوى الحاكمة الأجانب، عين (بلت) أسد الجربي ممثلاً لبرقة، ومصطفى مزران عن منطقة طرابلس ، وأحمد الحاج السنوسي عن فزان،

---

(١) انظر: تاريخ ليبيا، ص (١٩٣) .

وجياكو مو مارشينو الإيطالي للأقليات وأنشئ مجلس ليبيا (المشهور بمجلس العشرة) في ١٥ أبريل ١٩٥٠م، وكان يضم ثلاثة لبيين وممثلين عن دولتين إسلاميتين مستقلتين (مصر وباكستان) وإيطاليين (واحد يمثل إيطاليا والآخر يمثل الأقليات الأجنبية بليبيا) وثلاثة يمثلون ثلاثة قوى غربية هي: بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة، ولذلك يعتبر تكوين عضويته - أي المجلس - تحيزاً للغرب بمعدل سبعة مقابل ثلاثة، على اعتبار أن ممثلي برقة وفزان كانا خاضعين لتأثير بريطانيا وفرنسا، وأن الثلاثة هم ممثلوا مصر وباكستان وطرابلس أيضًا تابعة للقوى الأجنبية المسيطرة .

وكانت معارضة قوية جداً محتجة على دخول الإيطاليين والأقليات الأخرى في تقرير مصير الشعب المسلم في ليبيا ولوجود تخوف من تدخل الإدارة البريطانية في الانتخابات وبذلك ألغيت خطط (بلت) .

إلا أنه لم ييأس واستطاع استدراج بعض الشخصيات الدينية والوطنية وشكل جمعية وطنية من طرابلس وفزان وألغيت كثيراً من الاقتراحات وأخمدت الأصوات المعارضة[1] ، وبعد أن حازت الجمعية الوطنية السلطات كي تقرر الشكل التنظيمي والدستوري لمستقبل الدولة، وتختار من أعضائها لجنة لوضع الدستور عقدت الجمعية أول اجتماع لها في طرابلس في ٢٥ يناير نوفمبر سنة ١٩٥٠م وانتخب مفتي طرابلس رئيسًا لها واتفقت خلال أسبوع على أن تكون ليبيا دولة ديمقراطية فدرالية ذات سيادة، وأن تكون الدولة ملكية دستورية ودعم ممثلوا برقة وفزان الاتحاد بقوة وقبل الطرابلسيون ذلك .

وظهر بشير السعداوي كشخصية وطنية فذة وكان من أكبر المتحمسين للوحدة وكان له شعبية ومساندة معظم الوطنيين في تطلعاته نحو وحدة البلاد ووقف ضد الجمعية الوطنية وقادة حملات ضدها وتسائل بشير السعداوي رحمه الله عن أهلية الجمعية الوطنية في نداء وجهه إلى الأمم المتحدة والجامعة العربية، واستمر بشير

---

(١) انظر: تاريخ ليبيا، ص (١٩٨،١٩٩) .

السعـداوي يهاجم عدم أهلية الجـمعية الوطنيـة طيلة النصف الأول من عام ١٩٥١م وكسب تأييد عبد الرحمن عزام، وقام عزام أيضًـا بالهجوم على الجمعية الوطنية وأن قراراتهـا غير قـانونية ومخـالفة لرغـبات الشعب الليـبي وقررت اللجنة الدسـتورية للجامعة العربية بأنه لا حـاجة للاتحاد في بلد يوحده الجنس واللغة والعادات والدين وأكثر من ذلك فـإن الجمعية لم ينتـخبها الشعب ليس لهـا سلطة البت في أمور تؤثر على مستقبل البلاد وقام (بلت) بإرسال مفتي طرابلس وهو عضو من الجمعية الوطنية إلى مصر ليخطب ود الجامعة العربية وتلاشت عداوة الجامعة العربية بالتدريج .

وفي الرابع من ديسمبر ١٩٥٠م أقرت الجمعية الوطنية العلم الليبي وانتخبت لجنة الدستور علـى اساس ستة أعضـاء من كل منطقة لتحضـير وتقديم مسـودة دستور، وقامت اللـجنة، بدورها بتشكيل مـجموعـة عاملة من سـتة أعـضاء لكتـابة المسودة وتقـديمها فـصلاً بعـد آخر للجـنة وكان (بلت) وخـبراء آخـرون من الأمم المتحـدة مستعدين لتقديم الشورة عند أول اجتماع للمجوعة العاملة في ١١ ديسمبر. ودرست دساتيـر أحد عشر اتحـادًا منها الهند، وسويسرا وفنزويلا وقـورنت ببعضـها وأخذت دساتير مصر والعراق والأردن ولبنان وسوريا، وكـذلك حقوق الإنسان كنماذج لفعل الحريات الأساسيـة وغيبت عن المسلمين في ليبيا قـواعد النظام الأساسي في الإسلام ومن هذه القواعد التـي غيبت عن المسلمين مفهـوم الحاكميـة فمدلول لا إله إلا الله يعني أنه لا خالق ولا رازق ولا محـيي ولا مميت ولا نافع ولا ضار إلا الله، ويعني أيضًا لا مـشروع ولا مـحلل ولا محـرم إلا الله، وغاب عن المسلـمين في ليبـيا أن التحاكم إلى الدسـاتير الوضعيـة ووضع القوانين البشرية يتنافي مع بدهيـات التصور الإسلامي والعقيدة الإسلامية، إن الله الذي جعل الإسلام دينًا هو الذي جعله عقيدة ونظامًا وإن الله ليأبى علـى الناس أن يبتغوا لأنفسـهم دينًا غير هذا الدين ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ (سورة آل عمران، آية ٨٥) .

إن الذين أرادوا الفصل بين العـقيدة الإسـلامية والنظام الإسـلامي إنما هم أعداء الإسلام ونحن نقـول: إن الإسلام عـقـيدة وشريعـة، فإن العقـيدة والشريعـة أمران

متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر، وإن الفصل بينهما ضلال وكفر وردة فإن الإيمان بالعقيدة وترك الشريعة كفر، وإن الأخذ بالشريعة وترك العقيدة كفر .

وهذه الفعلة الشنيعة في الجري خلف الدساتير الأرضية وقوانين الدول الغربية العلمانية وغيرها يدل دلالة قاطعة على خطورة الأمر الذي وصلت إليه بلادنا من الضعف العقدي والشرعي .

قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً** ﴾ (سورة النساء، آية ٦٠) .

وقال تعالى: ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (سورة الشورى، آية ٢١) .

وليس لأحد من خلق الله أن يشرع غير ما شرع الله واذن به كائنًا من كان، والله وحده هو الذي يشرع لعباده بما أنه - سبحانه - هو مبدع هذا الكون ومدبره بالنواميس، ولا يتحقق هذا إلا حين يشرع الله المحيط بتلك النواميس، وكل ما عدا الله قاصر عن تلك الإحاطة بلا جدال فلا يؤتمن على التشريع لحياة البشر مع ذلك القصور .

ومع وضوح هذه الحقيقة إلى حد البداهة، فإن الكثيرين يجادلون فيها، أو لا يقتنعون بها وهم يجرءون على استمداد التشريع من غير ما شرع الله، زاعمين أنهم يختارون الخير لشعوبهم، ويوائمون بين ظروفهم والتشريع الذي ينشئونه من عند أنفسهم ، كأنما هم أعلم من الله وأحكم من الله، أو كأنما لهم شركاء من دون الله يشرعون لهم ما لم يأذن به الله، وليس أخيب من ذلك وأجرأ على الله [١] .

والذي دفعني إلى الوقوف عند هذه النقطة المظلمة من تاريخ بلادنا وهي اختيار دستورها من دساتير أرضية وتركهم لتشريع رب البرية هو كون شعبنا مسلمًا مؤمنًا

---

(١) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، (٢ / ٣٥١٢) .

وإنما فرض عليه ذلك من أعـدائه أعداء دينه وإلا موقف المسلم من ذلك بيّن وواضح وإليك موقف المسلم كما بينه القرآن الكريم قال تعالى: ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ**﴾ (سورة الأعراف، آية ٣) .

فالمسلم يهرع إلى شرع ربه ودستوره برضى وطواعية ورغبة وتسليم .

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (سورة النور، آية ٥١) .

فشريعتنا الإسـلامية ربانية شاملة شمول العلم الإلهي، مـحيطة بشاكلهم إحاطة العليم الخبير، لا تدع صغيرة ولا كبيرة إلا وقد أوجدت لها حلاً، وهي يسيرة سهلة تحقق اليسر والسهولة وترفع الحرج عن الناس؛ لأنها لا تكلفهم إلا وسعهم [(١)] .

وتدخل الأمم المتحـدة في مصـير الشعـوب باسم مصلحـة الشعوب وإسـعادها والأخذ بيـدها نحو الحـرية والاستقـلال والنور والديمقراطيـة يعلم الله إنهم لكاذبون ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ (سورة المائدة، آية ٥٠) .

والتاريخ البـشري يشـهد أن أسعـد الفترات التي كـانت تعيشـها البـشرية على الإطلاق، تلك الفترة التي تحكم فـيها بشريعة الله سبحانـه وتعالى حيث كانت تنعم بالأمن والإيمان والسلامة والسلام، وكان العدل والرخاء والاسـتقرار يسود المجتمعات التي حكمت بشرع الله [(٢)] .

والحكم معدود في كتبنا الفقهية مـن العقائد والأصول لا من الفقهيات والفروع، فالإسـلام حكم وتنفيذ، كـما هو تشريع وتعليم، كـما هو قانون وقـضاء، لا ينفك واحد منها عن الآخر .

لقد كـان الضغط على البلاد عظيمًـا ولذلك لم يستطع الأميـر إدريس، وكذلك القوى الوطنيـة المسلمة من جعل دستـور البلاد ربانيًـا نابعًا من الكتـاب والسنّة وفهم

---

(١) انظر : النظام السياسي في الإسلام، أبو فارس، ص (٣٠) .
(٢) المصدر السابق نفسه، ص (٣١) .

السلف الصالح وبحيث يكون الإسلام هو المصدر الرئيسي والوحيد الذي يستمد الشعب منه قوانينه ودستوره كيف لا والله تعالى يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة النحل،آية: ٨٩) ومعلوم أن الإسلام دين ودولة وصالح زمان ومكان .

والمصلح الإسلامي إن رضي لنفسه أن يكون فقيهًا مرشدًا يقرر الأحكام ويرتل التعاليم، ويسرد الفروع والأصول، وترك أهل التنفيذ يشرعون للأمة ما لم يأذن به الله، ويحملونها بقوة التنفيذ على مخالفة أوامره فإن النتيجة الطبيعية أن يكون صوت هذا المصلح صرخة في وادٍ ونفخة في رماد قد يكون مفهومًا أن يفتح المصلحون الإسلاميون برتبة الوعظ والإرشاد إذا وجدوا من أهل التنفيذ إصغاء لأوامر الله، وتنفيذًا لأحكامه، وإيصالاً لآياته وآحاديث نبيه ﷺ أما والحال كما نرى التشريع الإسلامي في وادي والتنفيذ في وادي آخر، فإن قعود المصلحين الإسلاميين عم المطالبة بالحكم جريمة إسلامية لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من الذين لا يدينون الإسلام الحنيف [١] .

ومضت المجموعة العاملة والمختصة من الجمعية الوطنية لمناقشة الجنسية الليبية واللغة وسلطات الملك، والمسئوليات الوزارية والبرلمان وتشكيل مجلس الشيوخ وقانون الانتخابات، وقد أجريت تعديلات عند تقديم الفصول إلى اللجنة وقدمت مسودة إلى الجمعية الوطنية في سبتمبر ١٩٥١م واستمرت المناقشات ثلاثة أسابيع وكان هناك عدة خلافات فكان البرقاويون يصرون على أن يكون بنغازي هي العاصمة، وأصر الطرابلسيون بتأييد الفزانيين على أن يكون طرابلس هي العاصمة واستقر الرأي على أن تكون طرابلس وبنغازي عاصمتين مشتركتين منعًا للنزاع، وأقر الدستور كله من ٢١٣ مادة بإشراف (بلت) مبعوث الأمم المتحدة .

وأشاد (بلت) بإنجاز الليبيين للدستور في مدى عشرة أشهر، وتزايدت قوة الشعور بالوعي الوطني الليبي واتحاد جميع الممثلين في قرارتهم لإنشاء ليبيا المتحدة

---

(١) انظر: رسائل حسن البنا، ص (٢٧٢) .

التي سماها الدستور (المملكة الليبية) وسميت المناطق، الولايات بدلاً من دول، وكانت السلطة التشريعية مخولة للملك ومجلس الشيوخ والبرلمان على أن يكون أعضاء مجلس الشيوخ ٢٤ عضواً ثمانية من كل ولاية نصفهم معين من قبل الملك والنصف الآخر منتخب، أما النواب فينتخبون من الذكور البالغين بمعدل واحد عن كل عشرين ألف من السكان، ويختار أعضاء الوزارة المركزية من البرلمان الاتحادي، ويعين الملك رئيس الوزراء ووالي كل ولاية .

وبدأ تخطيط نقل السلطات من الإدارات البريطانية والفرنسية للاتحاد الليبي في مطلع سنة ١٩٥١م وقسمت لجنة (بلت) نقل السلطات على أربع مراحل من سبتمبر إلى نهاية السنة ، وفي فبراير سنة ١٩٥١م أصدرت الجمعية الوطنية قراراً بتشكيل حكومات محلية لاستلام السلطة من السلطات الإدارية وفي ٣ مارس أصدرت الإدارة البريطانية بموافقة إدريس بيانًا بتأليف حكومة محلية في طرابلس ولم يكن حزب المؤتمر الوطني الطرابلسي راض عن سير الأمور بتحكم بريطانيا في إجراءات نقل الوضع إلى السلطات المحلية (١) .

وكان (بلت) قد دعا الأمم المتحدة منذ أول تقرير سنوي له إلى مساعدة ليبيا ماليًّا بسبب فقرها وحاجتها، قال: (ما لم توجد الوسائل لتحسين الزراعة وخلق رأسمال استثماري جديد، فهناك خطر كبير في انهيار الاقتصاد الليبي وتحوله إلى اقتصاد رعوي، مع ما يترتب على ذلك من نتائج اجتماعية وسياسية ربما تعرض وجود الدولة الجديدة للخطر) وقدمت الأمم المتحدة مساعدات للدولة الجديدة وقامت منظمة اليونسكو ومنظمة الصحة بمساعدة محدودة، واستطاعت المنظمة الدولية تقرير كيفية حصول ليبيا على الوسائل الإدارية والاجتماعية والاقتصادية لصيانة استقلالها المزيف وتعهدت بريطانيا بتقديم ما يسد العجز في الميزانية للسنة المالية ١٩٥٣/٥٢ لولايتي طرابلس وبرقة، وكذلك فرنسا لفزان وكان التعليم من أهم حاجات البلاد وحاول (بلت) أن يقدم ما في وسعه من أجل النهوض المطلوب للدولة الجديدة .

---

(١) تاريخ ليبيا، ص (٢٠٢، ٢٠٣) .

وأعلن استقلال بلادنا في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١م قبل أسبوع من الموعد النهائي الذي حددته الأمم المتحدة وأصبح الدستور معداً للتنفيذ وتولت الحكومة المؤقتة البلاد وأصبح لها صلاحيات كاملة .

وكان أول رئيس للحكومة المؤقتة محمود المنتصر وفتحي الكيخيا نائبًا له ووزيراً للعدل والمعارف، وأصبح عمر شنيب مديراً للديوان الملكي وعين الملك إدريس حكام الولايات الثلاثة، وتقدم بطلب انضمام ليبيا للأمم المتحدة واليونسكو وغيرها من المنظمات الدولية .

وأصبح المستر (بلت) صديقًا حميمًا لليبيين الذين اقتنعوا بالاستقلال وسمي باسم أدريان (بلت) شارعان مطلان على البحر في كل من طرابلس وبنغازي، وكان حصول ليبيا على استقلالها تحت اشراف الأمم المتحدة دعاية ممتازة للمنظمة الدولية وغاب في وقع الحياة في ليبيا دستورها الرباني المستمد من عقيدة الشعب ودينه [1] .

أولاً: أعضاء اللجنة التحضيرية المختصة بالإعداد للجمعية الوطنية:

١- الشيخ محمد أبو الأسعاد العالم .
٢- أبو الربيع الباروني .
٣- السيد سالم القاضي .
٤- السيد إبراهيم بن شعبان .
٥- السيد سالم المريض .
٦- السيد أحمد عون سوف .
٧- السيد علي رجب .
٨- السيد علي المخطوف .
٩- السيد طاهر الحريري .
١٠- الحاج علي بدوي .
١١- السيد أبو القاسم بوقيعة .
١٢- السيد أحمد الطبولي .
١٣- السيد محمد بن عثمان الصيد .
١٤- السيد المهدي (قاضي غدامس) .
١٥- السيد خليل القلال .
١٦- السيد عمر فائق شنيب .
١٧- السيد أحمد عقيلة الكزة .
١٨- الحاج عبد الكافي السمين .

---

(١) انظر: تاريخ ليبيا بتصرف، وزيادة وحذف، ص (٢٠٦،٢٠٧،٢٠٨) .

١٩- السيد الطايع البيجو . ٢٠- السيد محمود بوهدمة .

٢١- الحاج رشيد الكخيا [(١)]

ثانيًا: الجمعية الوطنية التأسيسية (لجنة الستين، كل من السادة):

١- عمر فائق شنيب . ٢- محمد السيفاط بوفروة .

٣- عبد الحميد دلاف . ٤- رافع بوغيطاس .

٥- أحميدة المحجوب . ٦- سالم الأطرش .

٧- خليل القلال . ٨- الطايع البيجو .

٩- أحمد عقيلة الكزة . ١٠- محمود بوهدمة .

١١- عبد الكافي السمين . ١٢- سليمان الجربي .

١٣- محمد بورحيم . ١٤- عبد الجواد الفريطيس .

١٥- المبروك الجيباني . ١٦- الكيلاني لطيوش .

١٧- طاهر العسبلي . ١٨- عبد الله عبد الجليل سويكر .

١٩- حسين جربوع . ٢٠- أبو بكر بوذان .

٢١- أحمد عون سوف . ٢٢- عبد العزيز الزقلعي .

٢٣- منير برشان . ٢٤- علي تامر .

٢٥- أحمد السري . ٢٦- مختار المنتصر .

٢٧- سالم المريض . ٢٨- محمد المنصوري .

٢٩- محمد الهنقاوي . ٣٠- محمد أبو الأسعاد العالم .

٣١- على الكالوش . ٣٢- عبد المجيد كعبار .

---

(١) انظر: مجلة الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا، جماد الآخرة ١٤١٢هـ، ديسمبر ١٩٩١م، السنة العاشرة، العدد ٣٩ .

٣٣- عبد الله بن معتوق .
٣٤- محمد الهمالي .
٣٥- إبراهيم بن شعبان .
٣٦- يحيى مسعود بن عيسى .
٣٧- أبو بكر بونعامة .
٣٨- محمود المنتصر .
٣٩- الطاهر القرمانلي .
٤٠- علي بن سليم .
٤١- السنوسي حمادي .
٤٢- علي بدوي .
٤٣- الفيتوري بن محمد .
٤٤- الشريف على بن محمد .
٤٥- طاهر القذافي بريدح .
٤٦- منصور بن محمد .
٤٧- المبروك بن علي .
٤٨- طاهر بن محمد .
٤٩- محمد بن عثمان الصيد [١] .
٥٠- محمد الأمير .
٥١- علي عبد الله القطروني .
٥٢- أبو القاسم بوقيلة .
٥٣- أحمد الطبولي .
٥٤- علي السعداوي .
٥٥- أبو بكر بن أحمد .
٥٦- السيد سعد .
٥٧- الأزهر بن علي .
٥٨- عبد الهادي بن رمضان .
٥٩- علي المقطوف .
٦٠- السيد العكرمي [٢]

ثالثًا: مبايعة الجمعية الوطنية التأسيسية للأمير محمد إدريس السنوسي ملكًا دستوريًا للمملكة الليبية المتحدة عام ١٩٥٠م:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ١٠) .

(١) مجلة الانقاذ الوطني، العدد (٣٩) ، جماد الآخر ١٤١٢هـ، ديسمبر ١٩٩١م، ص (٢٤،٢٥) .

(٢) المصدر السابق نفسه، ص (٢٦) .

نحن ممثلي شعب ليبيا من برقة وطرابلس وفزان، المجتمعين في طرابلس الغرب من جمعية وطنية تأسيسية بإرادة الله، والمزودين بالصلاحيات الكاملة المعترف بصحتها واستيفائها الشكل القانوني، والعازمين على تأليف اتحاد بيننا وتكوين دولة اتحادية ديمقراطية مستقلة ذات سيادة، نظام الحكم فيها ملكي دستوري نستهل عملنا بحمد الله وشكره على ما قد منّ علينا من نعمة في تحرير بلادنا واستقلالها، وإننا اعترافًا بإخلاص صاحب السمو محمد إدريس السنوسي أمير برقة المعظم وجهاده الطويل المثمر لخير ليبيا وشعبها، وتحقيقًا لرغبة الشعب العامة وإقرارًا للبيعات الشرعية السابقة التي صدرت من ممثلي الشعب الشرعيين لسموه، وحرصًا على سعادة بلادنا واتحادها تحت تاج ملك نجد فيه المثل الأعلى للصفات التي يتطلبها هذا المنصب السامي .

فإننا ننادي بسمو الأمير السيد محمد إدريس السنوسي أمير برقة العظيم ونبايعه ملكًا دستوريًّا للمملكة الليبية المتحدة، نرجو من جلالته أن يتفضل ويقبل ذلك .

وإننا قررنا انتقال الجمعية الوطنية التأسيسية بكامل هيئتها إلى بنغازي لرفع هذا القرار التاريخي لجلالة الملك المعظم، وتلقى قبول جلالته لهذه البيعة.

طرابلس الغرب

في يوم السبت ٢٢ صفر الخير سنة ١٣٧٠هـ

الموافق ٢ ديسمبر سنة ١٩٥٠م [١]

رابعًا: خطاب الملك إدريس بإعلان استقلال ليبيا يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٥١م:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى شعبنا الكريم: يسرنا أن نعلن للأمة الليبية الكريمة أنه نتيجة لجهادها وتنفيذًا لقرار هيئة الأمم المتحدة الصادر في ٢١ نوفمبر ١٩٤٩م قد تحقق بعون الله استقلال بلادنا العزيزة وإنا لنبتهل إلى المولى بأخلص الشكر وأجمل الحمد على نعمائه ونوجه

---

(١) انظر: الملك إدريس عاهل ليبيا حياته وعصره، ص (١٥٥) .

إلى الأمة الليبية أخلص التهاني بمناسبة هذا الحادث التاريخي السعيد، ونعلن رسميًّا أن ليبيا منذ اليوم أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة، ونتخذ لنفسنا من الآن فصاعدًا لقب صاحب الجلالة ملك المملكة الليبية المتحدة، ونشعر أيضًا بأعظم الاغتباط لبداية العمل منذ الآن بدستور البلاد كما وضعته وأصدرته الجمعية الوطنية في ٦ محرم سنة ١٣٧١ هجرية الموافق ٧ من أكتوبر ١٩٥١م، وإنه لمن أعز أمانينا كما تعرفون أن تحيا البلاد حياة دستورية صحيحة، وسنمارس من اليوم سلطاتنا وفقًا لهذا الدستور، ونحن نعاهد الله في هذه الفترة الخطيرة التي تجتازها البلاد أن نبذل كل جهدنا حتى تحتل بلادنا العزيزة المكان اللائق بها بين الأمم الحرة .

وعلينا جميعًا أن نحتفظ بما اكتسباه بثمن غال وأن ننقله بكل حرص وأمانة إلى أجيالنا القادمة .

وإننا في هذه الساعة المباركة نذكر أبطالنا ونستمطر شآبيب الرحمة والرضوان على أرواح شهدائنا الأبرار ونحيي العلم المقدس رمز الجهاد والاتحاد وتراث الأجداد راجين أن يكون العهد خيرًا وسلامًا للبلاد ونطلب من الله أن يعيننا على ذلك ويمنحنا التوفيق والسداد، إنه خير معين [١] .

وإن من أهم المراجع التي تكلمت عن المملكة الليبية ومعركة الدستور والاستقلال هي:

١- ليبيا في العصور الحديثة — د . نيقولا زيادة

٢- ليبيا الحديثة — د . مجيد خدوري ترجمة نيقولا زيادة

٣- السنوسية دين ودولة — د . محمد فؤاد شكري

٤- صفحات من المذكرات السرية — عبد الرحمن عزام .

٥- إدريس السنوسي، للأشهب .

---

(١) انظر: الانقاذ العدد (٣٩) ، جماد الآخر ١٤١٢هـ، ديسمبر ١٩٩١م .

خامسًا: قصيدة بمناسبة الاستقلال للشاعر الكبير أحمد رفيق المهدوي:

عيد عليه مهابة وجلال ... عيد وحسبك أنه استقلال
يوم عليه من السعادة بهجة ... وعليه من نور السرور جمال
يوم سعيد فيه نالت أمة ... ملكًا تمجد ذكره الأجيال
واستقبل التاريخ مظهر دولة ... فأهل برج السعود هلال
وبدا يسير إلى التكامل بدرها ... فتحققت بظهوره الآمال
وتحررت أعناقنا فتنفست ... أرواحنا وتبسم الإقبال
وتحطمت تلك القيود وكسرت ... تلك الكبول وفكت الأغلال
وإلى حياة حرة في عيدنا ... هذا تكلل بالنجاح نضال
أعظم بعيد السماء تهللت ... فرحًا به شهداؤنا الأبطال
وزها بتاج النصر شعب قاده ... ملك أغر كأنه الرئبال
يا أيها الشعب الكريم إلى العلا ... سر لا يعوقك في المسير كلال
سر كالزمان مع الزمان ملائمًا ... إن الزمان مسيرة استعجال
قد أصبح الطيار لا يرضي به ... عصره لعلم الضوء فيه مجال
أضحى جناح العلم قاب القوس ... من قمر السماء ودونه أميال
فابنوا على العلم البناء وأسسوا ... بالعدل ملكًا لا يليه زوال
قوموا بأمر الملك شورى بينكم ... إن التحكم والخلاف وبال
ومصائب الأوطان من أخرابها ... إن قام بين المفسدين جدال
وتخيروا النواب عنكم واحذروا ... من أن تقوم بأمركم جُهّال
الملك محتاج إلى تدبيره ... بعقول من عركتهم الأحوال
بالمخلصين وهم قليل فانظروا ... فيهم ولا تغرركم الأشكال
وإلى الشباب الحي خير تحية ... فهم الرجاء .. وفيهم الآمال
وعلى كواهلهم وفي أعناقهم ... عهد على أن يحفظوا ما نالوا
ما بالقليل ولا الصغير فإنه ... فضل عظيم إنه استقلال
نصر عزيز جل مانحه له ... من روحنا التكبير والإجلال
عاش المليك وشعبه وبلاده ... فيعز دستور زهاه كمال [1]

---

(١) انظر: إدريس السنوسي، للأشهب، ص (٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥).

المبحث الرابع
الملك إدريس رحمه الله وشيء من سيرته

أولاً: اهتمامه بالدين والعلم والأخلاق:

كان الملك محمد إدريس رحمه الله تعالى يرى أن الحياة السعيدة لا تقوم إلا على الدين والعلم والأخلاق ولنستمع إليه وهو يقول:

(إن سنن الإسلام السياسية تعتمد على دعائم متينة محكمة، فلو حفظت هذه السنن وسيست بها الحكومة الإسلامية لما أصاب دولة الإسلام ما أصابها. لا ريب أن ضعف المسلمين يرجع إلى إهمال هذا النظام وتركه، وإذا ما أراد المسلمون أن ينالوا مجدهم فليرجعوا إلى قواعد حكومتهم الأولى ولا يظنوا أن ذلك رجوعًا إلى الوراء؛ بل على العكس فهو التقدم والتكامل) [(١)] .

وقال أيضًا: (إن بعث الروح الإسلامية أمر يحدث قوة لا يستهان بها، ولا سبيل إلى بعث هذه الروح إلا إذا فرقنا بين المدنيتين الحقيقية والصناعية وأخذنا الأولى باليمين والأخرى بالشمال، وفتحنا باب الاجتهاد، ورجعنا إلى قواعد السياسة الإسلامية) [(٢)] .

وقال أيضًا: (فمن تخلق منا بغير الأخلاق الإسلامية نجده فاسد التربية منحطًا في مستواه الأخلاقي، معطل الاستعداد الفكري الحر ، مشوش العقل والاعتقاد، مقلدًا تقليدًا أعمى) [(٣)] .

وقال أيضًا: (إذا ما أراد المسلمون أن يصلحوا ما فسد من أحوالهم فليرجعوا إلى روح الإسلام؛ لأنه أكثر موافقة لرقي الأمم وسعادة الحياة ومدنيتها، ولن تتبدد هذه الغياهب المظلمة إلا بنور العلم ؛ فالإسلام هو الدين الإنساني الطبيعي المسالم لكل من أحب السلام) [(٤)] .

---

(١) انظر: إدريس السنوسي، ص (٢٤١) .
(٢) المصدر السابق نفسه، ص (٢٤١) .
(٣) انظر: إدريس السنوسي، ص (٢٤١) .
(٤) المصدر السابق نفسه، ص (٢٤١) .

لقد كان الملك إدريس رحمه الله تعالى نصيراً للدين والعلم والأخلاق ولذلك قام بتوجيه شعبه منذ تحرير بلادنا من الاستعمار الإيطالي إلى التعليم والإكثار من المدارس، والاهتمام بالأطفال، ولما تولى أمر المملكة الليبية وجه المسئولين إلى وجوب العناية بالتعليم وتعميمه واهتم بوزارة المعارف، وتبرع بقصر المنار لوزارة المعارف ليكون نواة للجامعة الليبية .

وفي عام ١٩٥٤م من شهر نوفمبر أصدر الملك إدريس توجيهاته إلى حكام الولايات الثلاث، برقة، وطرابلس، وفزان لاتخاذ السبل الكفيلة بضرورة تدريس العلوم الدينية على الطلبة في جميع المدارس كمادة أولية مفروضة، وفرض الصلاة في أوقاتها (الخمس) على طلاب المدارس من بنين وبنات في كافة أنحاء المملكة لإعداد هذا الجيل إعداداً إسلاميًّا رشيداً .

واهتم بتطوير معهد السيد محمد بن علي السنوسي حتى أصبح جامعة متميزة من حيث التعليم، والنظام والاستعداد، وكان يحث شعبه على الصلوات الخمس ويحذرهم من المعاصي والذنوب، وقام بتوجيه رئيس الوزراء ورئيس الديوان والولاة الليبيين وحملهم مسئولية تهاون موظفي الدولة في أداء الصلوات الخمس ومسئولية شرب الخمر، وحملهم المسئولية العظمى أمام الله ثم أمام الملك، وكانت حيثيات هذا التوجيه مدعمة بالأحاديث النبوية الشريفة، وكان الأنذار الذي يحمله هذا التوجيه شديداً[1] . وكان يرى أن أركان النصر للشعوب في ثلاثة ركائز بالتمسك بالدين الكامل، والخلق الفاضل والاتحاد الشامل؛ ولذلك قال: (أنصح العرب الأشقاء بالتمسك بالدين الكامل والخلق الفاضل، والاتحاد الشامل ؛ فلن يغلب شعب يحرص على هذه الأركان) [2] .

وقال: (الاتحاد العربي ضروري، والعصبية العربية مشروعة ومعقولة شريطة أن لا تتعارض مع الأخوة الإسلامية وأن لا تعتدي على حقوق الآخرين) [3] .

---

(١) انظر: إدريس السنوسي، ص (٢٤٣) .

(٢) المصدر السابق نفسه، ص (٢٤٦) .

(٣) المصدر السابق نفسه، ص (٢٤٦) .

وقال: (يجب على العرب والمسلمين أن يحرروا الفكر من قيود التقليد وأن يعتبروا الدين صديقًا للعلم) (١) .

وقال أيضًا: (لقد نبغ في العرب رجال لو أنهم تماسكوا وتضافروا لأوجدوا في البلاد العربية حركة فكرية) (٢) وقال: (إن كل شيء يمكن نيله إذا ما انتصرت حرية الفكر فبدونها لا يحصل أي تقدم ولا أي رقي ولا أي صلاح، لا يمكننا الوقوف إلى جانب القوى التقدمية إلا إذا عممنا التربية والتعليم كما ينبغي وبذلك ننشئ نَشْأً جديدًا يكون أهلاً للنظر وللفكر والعمل) (٣) .

إن الاهتمام بالدين والعلم والأخلاق عند الملك إدريس رحمه الله نابع من عقيدة الإسلام، ومن فهمه لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ويرى أن الحضارة الصحيحة هي التي تقوم على الدين والعلم والأخلاق وبهذه المقومات قامت الحركة السنوسية ؛ فعندما سأله كاتب دنمراكي أجرى معه مقابلة صحفية أثناء وجوده بالمنفى عن موقفه تجاه الاحتلال الإيطالي لليبيا آنذاك، فجاء رده مؤكدًا لنظرته للحياة الروحية باعتبارها أهم من الوجود المادي، إذ قال في معرض حديثه: إن الحضارة التي يريد الإيطاليون إدخالها إلى بلادنا تجعل منا عبيدًا للظروف، ولذا وجب علينا أن نحاربهم، فهي تبالغ في إضفاء الأهمية على قشرة الحياة الخارجية، كالتقدم الفني والآلي مثلاً وتعتبر مظاهر الأبهة والسلطان معيارًا لالحكم على قيمة الفرد أو الأمة، في حين تستهين بالنمو الداخلي للإنسان، وأستطيع أن أقول لك شيئًا واحدًا وهو أنه حيث تسود الدعوة السنوسية يستتب السلام والرضا من كل جانب (٤) .

ثانيًا: حبه للشعب وحب الشعب له:

عندما عينت الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية حكومة مؤقته في شهر أبريل عام ١٩٥١م برئاسة محمود المنتصر رأت الحكومة أهمية زيادة الملك إدريس لمنطقة

---

(١) المصدر إدريس السنوسي، ص (٢٤٦) .
(٢) انظر: المصدر السابق نفسه، ص (٢٤٦) .
(٣) المصدر السابق نفسه، ص (٢٤٦) .
(٤) انظر: الإنقاذ العدد (٣٩) ، ٢٩جماد الآخر ١٤١٢هـ، ديسمبر ١٩٩١م ، ص (٦٦) .

طرابلس تلبية لرغبة الشعب الطرابلسي لهذه الزيادة؛ ولبى الملك تلك الرغبة وابتهجت المدن الليبية في الغرب بهذه الزيارة واستقبلته الوفود من الرجال والنساء والشيوخ والشباب، وعندما وصل موكبه إلى طرابلس واخترق شارع عمر المختار كان بعض العملاء المندسين يتربصون بالملك الدوائر وقذف موكبه ببعض القنابل ولكن الله سلّم، وظهرت من الملك شجاعة نادرة، وثبات عجيب فلم يهتز من بدنه شعرة واحدة، وما كاد يذاع نبأ هذه المحاولة الفاشلة في ليبيا حتى اجتمعت جموع الشعب في أسرع من لمح البصر من شدة حبها لزعيمها وقائدها وشرعت تهنئ بعضها بسلامة قائدها وبهذه المناسبة قال أحمد رفيق المهدوي:

وقاك الله من شر الأعادي ... ودام علاك يا أمل البلاد

وعشت لأمة جعلتك رمزًا ... لوحدتها وروحًا للجهاد

حياتك بيننا لله نور ... أيطفئ نوره أهل الفساد؟

أتم الله نعمته علينا ... بحفظك واهتدائك للسداد

فدم ملكًا على عرش متين ... محاطًا بالمحبة والوداد[1]

وقد أجاب الملك إدريس عن هذه الحادثة فقال: إن هذه الحادثة لم تكن أبدًا من ليبي ولن يقدم عليها أحد من أبناء ليبيا، وإنني أحمد الله جلت قدرته الذي وقى هذه البلاد شر المصائب إلى أن قال: والضرر الذي يلحق بقضية البلاد أخطر من الضرر الذي يلحق بشخصنا أو بأي شخص آخر، وقال: إننا لسنا من أي حزب ولن نتحزب لحزب دون آخر، وإنما نحن للجميع ونسعى لخير الكل ولصالحهم، هذا هو مبدؤنا الذي فطرنا عليه وعملنا من أجله زهاء ثلاثين سنة، ونحن لا نعتبر أنفسنا إلا فردًا من أفراد هذا الشعب لا يهمه غير مصلحة الشعب ومستقبل البلاد[2] .

وقام بزيارة ترهونة والزاوية وغريان، ويفرن ومصراته وزليطن والخمس، وكان

---

(١) انظر: إدريس السنوسي، ص (١٩١) .

(٢) المصدر السابق نفسه، ص (١٩٢) .

يستقبل من الشعب بالحب والود والوفاء، وقام الشعراء بنظم القصائد تعبيرًا عن فرحتهم بهذه المناسبة فقد قال عبد الغني البشتي:

اليوم يوم المجد والعلياء ... اليوم يوم العزة القسعاء
اليوم يوم القطر من سلومة ... للبحر للسودان للخضراء
اليوم يومك ليبيا بل إنه ... يوم العروبة ساطع الأضواء
يوم قد انبعث له من يثرب ... الروضة الفيحاء باللألاء
يوم قد امتدت له من (مكة) ... أنوار طه من بني الزهراء
يوم المليك ومرحبًا بك يومه ... يوم أغر بليبيا الفيحاء
إدريس يا نسل النبي محمد ... اهنأ بملكك في سنى وعلاء
ملك قد اختار الاله مليكه ... من أشرف الآباء والأبناء
تاج على هام القلوب منصب ... ولواؤه في الشرق خير لواء
إني أرى الأملاك في عليائهم ... يتباشرون بسيد البطحاء
يتباشرون بملكه في رفرف ... عال من الأضواء واللألاء
لم لا؟ وأنت سليل أحمد من له ... ما يبتغيه المجد من علياء
الله أكبر عشت يافخر العلا ... للعرب، بل للشرق خير وفاء
تحمي حمى الإسلام ترفع صرحه ... وتعيد فيه بسيرة الخلفاء
مولاي شعبك روعت ألبابه ... يد أرعن يبغيك بالضراء
نفديك بالأرواح إن شئت الغداة ... ونجود بالأموال والأبناء
مولاي: أبقاك الاله لليبيا ... دهرًا سعيدًا في أعز علاء [(١)]

لقد كانت أعمال الملك من أسباب محبة الليبيين له، فقد أصدر أوامره بأن لا يعفى من الضريبة الجمركية كل من يرد إلى الدوان الملكي، وبأن لا يلقب بصاحب

---

(١) انظر: إدريس السنوسي، ص (١٩٢، ١٩٣).

الجلالة تقدسًا بذات الله جل جلاله وقال: إن الجلالة لله وحده، وما أنا إلا عبد من عباد الله [١] .

ويعتبر هذا الحدث سابقة تاريخية من أروع ما شهد في دنيا الملوك ولقد تأثر ريفلي رئيس جريدة «بريد طرابلس» التي كانت تصدر باللغة الإيطالية لهذا الحدث وكتب مقالاً جاء فيه: (إن الرغبة التي أبداها الملك إدريس ليست في حاجة إلى تعليق؛ لأنه عندما تبوأ العرش كان تواضعه معروفًا، وسهره المتواصل وعطفه ورعايته لشعبه فإن دل هذا على شيء فإنما يدل على الديمقراطية التي تجلت في أسمى معانيها، ولقد أتاح الحظ لليبيا - وهي لا تزال في بداية حياتها - أن تكون على رأسها شخصية صالحة مختارة تخاف الله العلي الأجل، وعندما قبل مهمته الصعبة الخطيرة بأن يقود شعبه إلى ما كتبه له القدر من مصير، فإن ذلك كان استجابة لأمر ربه الذي يمده بنوره فيما يتخذ من قرارات وفي أعماله وقد تبين له أن لقب (الجلالة) لقب ضخم لا يتفق مع أساسه الديني الذي يرى أن المولى وحده صاحب الجلالة العظمى وهو وحده العلي الأعلى . . . ولم يكن هذا التصرف بغريب على الملك محمد إدريس المهدي السنوسي الذي ينحدر من سلالة شريفة أراد الله تعالى أن يمكن في قلبها الإيمان والثقة به، وفي عالمنا هذا الذي يسير سيراً حثيثًا نحو المادية فإن تصرفًا مثل هذا يتعدى أي احتمال ويدل دلالة قاطعة على أن أي مسبب حتى وإن كان ذلك المسبب ساميًا يمكنه أن يكون وسيلة لإظهار تواضع منبثق عن عقيدة راسخة في عظمة الله) [٢] .

وقد حدثني السيد أحمد العرفي عندما كنا معًا في السجن السياسي بطرابلس عن حادثة تدل على تعظيم الملك إدريس للمولى عز وجل وهي أنه كان هناك مسجداً جديداً في مدينة البيضاء وجاء الملك لافتتاحه ومع مجيئه ودخوله المسجد شرع الناس في الهناف بحياة الملك إدريس، فغضب وأمر الناس بالصمت وقال لهم هذا المكان لا

---

(١) إدريس السنوسي، ص (٢٣٢) .

(٢) انظر: إدريس السنوسي، ص (٢٣٢، ٢٣٣) .

ينبغي أن يذكر فيه غير اسم الله واستشهد بقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن:١٨) ولذلك أحبه شعبه وأحب شعبه المسلم، كانت الإرادات السامية تصدر من الملك لتجسد هذه المعاني الرفيعة من التواضع والبساطة والبعد عن المظاهر وتحاشي الشبهات، فقد أصدر إرادة سامية بأن لا يطلق اسمه على الشوارع، والمؤسسات بقصد التمجيد والتخليد محتسبًا عند الله ما عمله لصالح أمته وشعبه، وأصدر إرادة سامية بأن لا تنشر صور ذاته على العملة أو على طوابع البريد ابتعاداً عن المظاهر الدنيوية الزائلة، وأصدر إرادة سامية بأن لا يتخذ من ذكرى ميلاده عيداً رسميًّا وأن لا تقام الاحتفالات بهذه المناسبة، وذلك لأنه ليست مما جرى به العمل في السلف الصالح رضوان الله عليهم (١) .

وأصدر أمراً بتعديل قانون البيت المالك، وألغى بموجب ذاك الأمر حصانات وامتيازات الأسرة، كما ألغى ألقاب الإمارة والنبل من أعضاء البيت السنوسي، وأمر أيضًا بأن لا يقبل أية هدية يرى الشعب فرادي أو جماعات أن يقدمها له في أية مناسبة تتعلق بذاته أو غيرها من المناسبات، وبهذه المناسبة صدر بلاغًا من الديوان الملكي يتعلق بأحد المواضيع التي نحن بصددها: (بالنظر لما أشيع من أن هناك هيئات حكومية وشعبية ستقوم بتقديم هدايا ثمينة إلى حضرة مولانا الملك المعظم وذلك بمناسبة قرانه السعيد فقد أمر حفظه الله بأنه لن يقبل هذه الهدايا بدون استثناء، ويطلب من الذين يرغبون في تقديمها إلى مقامه السامي أن يوزعوا المبالغ التي جمعت أو خصصت لهذا الغرض على الفقراء والمعوزين والله يجزي أجر من أحسن عملاً) (٢) .

كان الملك إدريس رحمه الله يقوم صباح كل يوم مبكرًا لأداء صلاة الفجر في وقتها ويشرع في قراءة القرآن الكريم وأوراده اليومية ويتناول إفطاره حوالي الساعة التاسعة، ثم يخرج إلى مكتبه حوالي الساعة العاشرة فيستقبل موظفي الديوان

---

(١) انظر: مجلة الإنقاذ العدد (٢٩)، ص (٧٦) .

(٢) انظر: إدريس السنوسي، ص (٢٣٤) .

والخاصة الملكية لتصريف الأعمال اليومية، ويستقبل زواره من الضيوف ورجال الحكومة وأصحاب الحاجات من الحادية عشر إلى الواحدة، ثم يتناول طعام الغداء بعد تأدية صلاة الظهر مباشرة، وكانت الجولة البرية من أحب الرياضات عنده وكان يستقبل بعض زواره قبل صلاة المغرب وبعد صلاة العشاء يتناول الشاي عادة مع موظفي القصر وضيوفه وينام عادة حوالي الحادية عشر مساءً .

وكان يحب المطالعة في مكتبته الخاصة ويعكف عليها طويلاً وأحب ما عنده قراءة القرآن، ودراسة كتب الحديث، ومطالعة كتب التاريخ العام، وكان يحرص في غالب الأحيان على استماع نشرات الأخبار من المذياع .

وكان لا يهتم بالمظاهر في تحركاته، وقد ذكر السيد عمر فائق شنيب قصة طريفة عندما كان رئيس الديوان الملكي: كان مولانا الملك يريد أن يتوجه من بنغازي إلى البيضاء وحضرت سيارات الحرس ولما شاهدنا قبل التحرك قال لي: لا داعي لأن تكن معنا في هذه السيارات ونكتفي بسيارة واحدة تحمل بعض الضروريات، وكان قد فاتني أن أصدر هذا الأمر إلى قائد الحرس وبينما نحن في الطريق لفت نظري الملك إلى أمره السابق وقال: لماذا يكون معنا هذا الحرس فقلت له يامولاي إن هذا لم يكن حرسًا لكم ولكنه محروسًا بكم [(١)] .

كان الملك رحمه الله في يوم ربيع ١٩٥٣م راجعًا من جولته التقليدية ورأى سيارة واقفة بسبب خلل فيها، وكان صاحبها الأستاذ محمد بن عامر، فأمر الملك سائق سيارته أن يقف حتى تلحق به سيارة الحرس وأمر هذه السيارة بأن تعود إلى الأستاذ ابن عامر لتحمله حيث شاء [(٢)] .

وخرج الملك إدريس ذات مرة في جولته المسائية المعتادة ولم يصحب معه حرسًا ودخل إلى بعض المزارع في منطقة البيضاء، وعندما دخل إلى أحد البساتين وجد صاحب البستان منهمكًا في سقايته فحياه بتحية الإسلام، وكان البستاني لا يعرف

---

(١) انظر: إدريس السنوسي، ص (٢٣٧) .
(٢) المصدر السابق نفسه، ص (٢٣٧) .

الملك شخصيًا ولم يخطر بباله أن الملك يصل إلى ذلك الموقع بمفرده كأي شخص ترمي به الطريق، وبدأ الملك يسأل البستاني عن أنواع الشجر والمحصول وما إلى ذلك، وكان صاحبنا يجيب عن كل سؤال في حين أنه منهمك في عمله، وعندما فرغ الملك من الأسئلة وأراد الانصراف سأله البستاني قائلاً: (من حضرتك من غيار صغاره) وهذا هو سؤال كل شخص في برقة لمن لا يعرفه، فأجابه الملك بقوله: (أنا إدريس) ولشدة دهشة الرجل عندما سمع الإجابة قفز مسرعًا وعانق الملك قائلاً، مرحبًا، مرحبًا، أنت سيدي إدريس ولد سيدي المهدي، مرحبًا، مرحبًا، وأخذ يرد الترحاب والتساؤل في استغراب [1] .

إن هذه الصفات الرائعة تدلنا على جوانب مضيئة في شخصية الملك إدريس الإسلامية وحبه لمعالي الأمور واهتمامه بالتواضع والبساطة، كما تدلنا على أنه تحصل على قسط من التربية الإيمانية من حركة أجداده الميامين الطيبين الطاهرين.

ثالثًا: نصحه لزعماء العرب، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر:

كان كثير الاتصال بجميع إخوانه ملوك ورؤساء العرب والمسلمين مسترشدًا مستعينًا أو ناصحًا أمينًا، وقد بذل جهودًا كبيرة ومساعي جليلة لدى كل من الملك عبد العزيز آل سعود والإمام يحيى حميد الدين أثناء الظروف العصيبة التي مرت بالسعودية واليمن وكان بينهما سوء التفاهم ما كاد أن يكون ثغرة يتسرب منها التدخل الأجنبي، كتب للملك عبد العزيز، والإمام يحيى ناصحًا أمينًا، وأظهر كل من الزعيمين تقديره لشعور إدريس السنوسي، وقد تبودل بينه وبينهما عدد من الرسائل في هذا الصدد وهذه صورة من رسالة أرسلها إلى الملك عبد العزيز رحمه الله: قال بعد البسملة: (إلى عين الملوك الكرماء وحامي حوزة الحنيفية السمحاء صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود أدام الله بدور سعوده، ولا زال يعمر الأنام بعدله العمري وجوده وبعد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، لقد بلغنا عن حكمة جلالتكم البالغة ما شرح صدر كل ودود، وكمد كل معاند حسود، وجعل كل

(١) انظر: إدريس السنوسي، ص (٢٣٨) .

موحد يرقص لصنعكم طربًا، مفتخرًا بجلالكم بين الملوك عجمًا وعربًا، فقد جاء حكم جلالتكم العادل في تلك القضية التي كانت بين حكومة جلالتكم وبين حكومة جلالة ملك اليمن كالصاعقة على رءوس الذي يصطادون في الماء العكر، وهم من بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر، فسقط بحمد الله في أيديهم ورد كيدهم في نحرهم، بعدما كانوا يعتقدون أن الدولتين واقعتان لا محالة في حرب، وكانت في نظرهم على قاب قوسين أو أقرب، ولكن الله سلم وكفى الله المؤمنين القتال، بما أوتيتموه من حكمة وروية فضربتم للناس خير مثال، وحمدنا الله كثيرًا على أن الدسائس لا تجد منفذًا لجانبكم الحصين، وذلك ليقظتكم وسهركم على مصالح الإسلام والمسلمين، فقد تداركتم الأمر بحكمتكم قبل الفوات، وحزتم بذلك من العالم العربي والإسلامي أصدق الدعوات، وإني أتقدم إليكم أيها الأخ الكريم بخالص شكري القلبي على عدم تفضيلكم المصلحة الخاصة دون المصلحة العامة مما جعل الألسنة تلهج بالدعاء لجلالتكم أبقاكم الله للإسلام ذخرًا وعضدًا، وللدين الحنيف ركنًا وسندًا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الإمضاء (محمد إدريس السنوسي) (١)

ب- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

بذل الملك إدريس رحمه الله ما في وسعه في القضايا التي تتنامى إلى سمعه، فيغضب لله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وإن كانت هناك أمور لم يتدخل فيها لكونها خارجة عن إرادته وقدرته بحكم الوجود البريطاني والأمريكي .

وإليك أخي القارئ هذه الرسالة التي وجهها إلى الحكومة الاتحادية في ١٣ يوليو ١٩٦٠م التي عممت على جميع الإدارات الحكومية، ثم نشرتها الصحف ووسائل الإعلام بسبب حصول ابن عمه عبد الله عابد السنوسي امتياز تنفيذ طريق فزان بكيفية مريبة، فأطلق الملك صرخته المدوية (لقد بلغ السيل الزبى) .

---

(١) انظر: إدريس السنوسي، ص (٢٢٧) .

وكانت الرسـالة موجهـة إلى رئيس الحكومة الاتحـادية والوزراء والوكلاء، وكل مسـئول بهـا، وإلى والي طرابلس، ووالي برقـة، ووالي فزان ونظارهن ومـديريهن ومتـصرفهن، وكل مـسئول فيـهن: إنه بلغ السيل الزبى، ومـا يصم الأذان من سوء سيرة المسئولين في الدولة من أخذ الرشوة سرًّا وعلانية، والمحسوبيـة القاضيتين على كيان الدولة وحـسن سمعتهـا في الداخل والخارج، مع تبذير أموالها سـرًا وعلانية، وقد قال الله تـبارك وتعالى: ﴿**وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (سورة البقرة، آية ١٨٨) .

ولقد قال رسول الله ﷺ في حديثه الشـريف: (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم) .

وقد قال رسـول الله ﷺ في حديثه: (من رأى منكم منكرًا فليغيـره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) .

وإنني بنعمة الله وقدرته سوف أغيره بيدي إن شاء الله ولن تأخذني في الله ولا في طهـارة سمـعة بلادي لومـة لائم والسلام) . وبالرغم من إن التـحقـيقـات التي أجريت قـد أثبتت براءة ذمة حكومة كـعبار من التـهم التي علقت بها، إلا أن الملك رأى أن نزاهة الحكم لا تتحمل وجود مثل تلك الشبهات، فطلب من الحكومة تقديم استقالتها، فتقدمت بها وقبلها الملك في ١٦ أكتوبر ١٩٦٠م[١] .

رابعًـا: أدب العبارة فـي خطاب الملك إدريس وسمـو معـانيهـا وتواضعهـا الجم والدعوة إلى الخير والتقوى:

تميزت خطـابات ملك ليبـيا السابق برصـانة الأسلوب، ومتـانة التعـبيـر، وقوة الحجة، وحرص الراعي على الرعية، ونصحه لشـعبه وكانت خطاباته عامرة بالدعوة إلى الخيـر والتقـوى ومكارم الأخلاق وهذا خطاب ألـقاه بمناسـبة توحيـد الحكم في المملكة وألغى الحكم الاتحادي في عام ١٩٦٣م يوم ٢٦ أبريل يؤكد ما ذهبت إليه:

---

(١) انظر: مجلة الانقاذ العدد (٢٩)، ص (٦٩، ٧٠) .

مواطنيَّ الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

في هذه اللحظات التاريخية التي تمر بها أمتنا المجيدة، وفي هذه المرحلة التي يجتازها ركبنا الصاعد يسرني غاية السرور أن أعلن للشعب الليبي الكريم انتهاء العمل بشكل الحكم الاتحادي والبدء رسميًّا في نظام الوحدة الشاملة الكاملة تطبيقًا للتعديل الدستوري الذي وافقت عليه المجالس النيابية والتشريعية بالإجماع، وإنني لأحمد الله تعالى كثير الحمد وأتوجه إليه بالشكر العظيم والثناء الجميل على ما منّ به سبحانه وتعالى من نعمة حتى مشاهدة ولادة هذا الأمل الوطني الكبير ووفقنا جميعًا بتأييده وعونه إلى تحقيق هذه الأمنية الغالية .

إن الوحدة التي تبدأ اليوم عهدها الميمون هدف جديد من أهدافنا الوطنية التي جاهدنا من أجلها وضحى شعبنا في سبيلها، فهي ثمرة طيبة للجهاد ووفاء لأجر الصابرين، وهي بعد ذلك، خير وبركة ورمز لاجتماع الكلمة وتآلف القلوب ووعاء للمحبة والتآخي والوئام ومبدأ يتبوأ مكان السمو في عالم الأخلاق والفضيلة، وحبل الله المتين الذي أمرنا سبحانه وتعالى بالاعتصام بعروته الوثقى، قال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا**﴾ (آل عمران: ١٠٣) وهو الدين القويم دين سيدنا محمد ﷺ وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾ (الأنفال: ٤٦) وقال رسول الله ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

فالحمد لله الذي جمع على المحبة قلوبنا ووحد على الوفاق بلادنا وجعلنا من أمة التوحيد التي هي خير أمة أخرجت للناس .

وإني لأنتهز فرصة إعلان الوحدة المباركة السعيدة فأوصيكم جميعًا بتقوى الله تعالى ومراعاة وجهه في السر والعلن، وأحثكم على مضاعفة الجهد وبذل المزيد من العمل حتى نوفر لبلادنا الازدهار والرخاء والرفاهية ونعيش جميعًا في ظل الوحدة أمة قوية في خلقها، عزيزة في شخصيتها، متينة في بنائها، نظيفة في سمعتها، إن

الوحدة تلقي على كواهلنا مسئوليات جسامًا وتضع نصب أعيننا واجبات كثيرة فعلينا أن نقوم بها ونحافظ عليها، كما نحـافظ على استقلالنا ونحوطها بالرعاية والحدب، ونغذيها بمشـاعر المحبة والوطنيـة حتى نستمـر في طريق النمو والاكتمـال، فالوحدة ليـست غاية في ذاتهـا وإنما هي وسيلة إلى عـمل الخيـر وطريق إلى آفـاق الإصلاح والفـلاح وواجبنا أن نأخـذ منهـا القاعـدة الصالحـة للانطلاق إلى الأهداف العليـا، ومصـباح النور الذي ينير مـواقع خطواتنا في طريق العمل الدءوب والسـعي المجدي والتعاون المثمر المفيد، إن كل مواطن مسئول عن حماية الوحدة وتفرض هذه المسئولية أن شعار الوحدة تحت لوائه الخفاق كل السواعد العاملة، والهمم المتوثبة، والكفاءات الخلاقـة، ويشمل كل بقعة تسـتظل بسماء هذا الوطن الـعزيز ويستمـتع كل مواطن بخيراتها العميمة، ويعيش في كنفها عيشة الطمأنينة والسعادة والاستقرار، أبلغ شكر لنعمة ضيافتها، وأسمـى مراتب الحق أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه، وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان . وفقنا الله جميعًا إلى ما يحبه ويرضاه، وألهـمنا الرشد والصواب، وجعل وحـدتنا فاتحة عهـد سعيد يفـيض خيره ويزيد نفعـه وتعم بركاته، ونبدأ مرحلة تنشط فـيها العزائم، وتـقوى الإرادات، فإنه تعالى أقرب مسـئول يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ومنه الهداية والتـوفيق وإليه الملجأ والمصير [١] .

إن هذا الخطاب مليء بأدب العبارة، وسمو المعاني، والتواضع الجم والدعوة إلى الخير والبر والتقوى .

خامسًا: اهتمام الملك إدريس بالثورة الجزائرية:

كان السنوسيون منذ زمن المؤسس الأول للحركة الإمام محمد بن علي السنوسي مهـتمين بأمر الجهـاد في الجزائر وواصل الملك إدريس جهـوده المادية والمعنوية لدعم ثورة الجزائر التي اندلـعت في ١/ ١١/ ١٩٥٤م وقد أثبتت الوثائق التـاريخية جـهوده العظيمة، وأعماله الجـسيمة في هذا الباب، فقد ذكر السيـد مصطفى أحمد بن حليم

(١) انظر: مجلة الإنقاذ العدد (٢٩)، ص (٦٣) .

في كتابه «صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي» في الباب التاسع تحت عنوان؛ ثورة الجزائر ودور ليبيا الخطير في مساندتها ما يقيم الحجة والبرهان على صدق الملك إدريس لدعمه للثورة الجزائرية، فقد ذكر السيد مصطفى بن حليم عندما كان بالقاهرة أن الرئيس جمال عبد الناصر اتصل به ودعاه لاجتماع منفرد معه، وفاجأه قائلاً: إنه يود أن يتحدث معه عن الثورة الجزائرية التي اندلعت، وشرح جمال عبد الناصر لمصطفى بن حليم أنه اتفق مع الملك سعود والأمير فيصل على أن تقوم المملكة العربية السعودية بتقديم كافة الأموال اللازمة لشراء السلاح والعتاد والإمدادات اللازمة للثورة الجزائرية، وأن يقوم رجال الجيش المصري والمخابرات بشراء ذلك السلاح والعتاد وإيصاله إلى الحدود الليبية وهو يأمل أن يشرف رئيس الحكومة (السيد مصطفى بن حليم) بنفسه بنقل ذلك السلاح والعتاد عبر ليبيا إلى الحدود الجزائرية حيث يستلمه منه ممثلو الثورة الجزائرية ثم قال جمال عبد الناصر لمصطفى بن حليم: أو لعلك ستخشى الفرنسيين وتخاف بطشهم؟) .

فرد عليه مصطفى بن حليم رئيس وزراء ليبيا سابقًا وقال له: (يا ريس لعلك لا تعرف أن جد الملك إدريس جاء إلى ليبيا من الجزائر هاربًا من الطغيان الفرنسي وأمضى حياته في نشر الدعوة الإسلامية وإيقاظ الأمة الإسلامية لتقاوم موجة الطغيان والتنصير الفرنسي، ووالد الملك إدريس ظل يقاوم تغلغل المد الفرنسي في تشاد والسودان والنيجر، حتى لقي وجه ربه والسيد أحمد الشريف والملك إدريس أفنيا عمرهما في الجهاد ضد الطليان . . .) [١] . ورد جمال عبد الناصر على هذه الإجابة المقنعة بقوله: (ألا تستوعب الدعابة؟ إنني أعرف كل هذا وأعرف أن الليبيين أبطال جهاد ولكنني أرغب أن أرى رد فعلك . . وتبين لي أنك مغربي حاد المزاج لا تتقبل الدعابة بروح مرحة) [٢] .

كانت القوات البريطانية المتواجدة في ليبيا والمنتشرة على طول البلاد من طبرق إلى غرب طرابلس والجواسيس الإنكليز يسيطرون على مراكز حساسة، وموظفون من

---

(١) ، (٢) انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، ص (٣٥١) .

الإنكليز أيضًا في شرطة ولاية طرابلس، وفرنسا لا تزال تحتل جنوب ليبيا (فزان) ولسفاراتها في طرابلس وبنغازي جهاز مخابرات من الطراز الأول وله أعوان وعيون منتشرة في طول البلاد وعرضها، بين السيد ابن حليم تلك الملابسات لجمال عبد الناصر الذي أجاب: (إنني على علم تام بأن ما أطلبه منك عمل ينطوي على خطورة كبيرة، ومغامرة خطيرة . . .) [(١)] ثم أضاف: (لولا أنني مطمئن لوطنية الملك إدريس ووطنيتك وحرصكما الشديد على تحرير الشمال الإفريقي من نير الاستعمار الفرنسي البغيض لما طلبت منكم ما طلبت، وعلى أية حال فأنا رهن إشارتكم لأي عون أو نصح أو مساعدة في سبيل هدفنا النبيل لتخليص الجزائر من ربقة الاستعمار) بعد ذلك قام جمال عبد الناصر بتعريف مصطفى بن حليم بالسيد أحمد بن بلاّ [(٢)] .

كان قائد قوة دفاع برقة الفريق محمود بوقويطين لا يثق في جمال عبد الناصر ويراه حريصًا على تفجير القلاقل وزعزعة النظام داخل ليبيا ولربما اتخذ من ستار مرور السلاح إلى الجزائر وسيلة لتوزيع السلاح داخل ليبيا ضد المملكة وعُرِض الأمُر على الملك رحمه الله فقال: (من ناحية لا يمكننا أن نرفض مساعدة ثوار الجزائر في جهادهم، هذا واجب ديني محتم علينا تلبيته ولا يمكننا أن نتردد في القيام به . . ومن ناحية أخرى فإنني لا أريد أن أعرّض استقلال هذا الوطن الذي ضحينا في سبيله بكل عزيز وغال واستشهد في سبيله مئات الآلاف من الليبيين، ولا أود أن أقامر بهذا الاستقلال خصوصًا مع فرنسا التي خرجت عن طورها وترتكب كل يوم الكثير من الجرائم والحماقات في قمع كل حركة استقلالية في الشمال الإفريقي . . . ومع توتر علاقتنا مع فرنسا بعد طلبنا إجلاء قواتها عن فزان فإنها ستلتمس أي عذر لترتكب معنا حماقة كبرى . .) [(٣)] .

لقد وافق الملك إدريس على تمرير السلاح من مصر عبر الأراضي الليبية وقام بتوجيه وزير الوزراء والمسئولين عن هذه الأمور باتخاذ الأسباب اللازمة للجمع بين

---

(١) ، (٢) انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، ص (٣٥٢) .
(٣) انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، ص (٣٥٣) .

الأمرين؛ مساعدة المجاهدين في الجزائر، وعدم تعريض استقلال البلاد لأي هزة من أي نوع كانت؛ وقام مدير عام قوة دفاع برقة الفريق محمود بوقويطين باتخاذ إجراءات الرقابة التي ستصاحب قوافل السلاح عبر برقة، واتخذ رئيس الوزراء مجموعة خيرة من ضباط مدينة طرابلس يشرف عليهم المجاهد العقيد عبد الحميد بيّ درنه للإشراف على هذه المهمة الخطيرة وباشر الليبيون مع إخوانهم الجزائريين تنفيذ ما اتفقوا عليه وتسرب السلاح من ليبيا إلى الجزائر تدريجيًّا واستمر هذا الحال في سرّية وكفاءة تامتين لمدة سنة تقريبًا وكان الملك رحمه الله يبارك تلك الأعمال الجبارة [١] .

ويحدثنا السيد مصطفى بن حليم عن قصة طريفة حدثت له مع السفير الفرنسي في ليبيا حيث قال: أذكر هنا قصة طريفة حدثت في منتصف سنة ١٩٥٥م، فقد كنا في أوائل الصيف وأذكر كان يوم خميس وكنت على موعد مع الأخ أحمد بن بلاّ (من زعماء ثورة الجزائر) وبعض مساعديه، دعوتهم للغداء ثم التباحث بعد ذلك في أمور السلاح والعتاد والثورة . . . وأثناء النهار اتصلت بي وزارة الخارجية الليبية تقول إن السفير الفرنسي يلح في طلب مقابلتي حاملاً رسالة من إدجار فور رئيس الحكومة الفرنسية، وبدون تفكير قلت ليحضر السفير الساعة الخامسة إلى المنزل (منزل رئيس الحكومة) ناسيًا موعدي السابق مع ابن بلاّ وجماعته، ورجعت إلى مسكني عند الثالثة وتناولت الغداء مع الأخ أحمد وجماعته والعقيد بيّ درنه ومساعديه، ثم بدأنا مناقشة طويلة لاختيار أحسن المواقع التي تخزن فيها شحنات السلاح القادمة، وأثناء انهماكنا في هذه المناقشة الدقيقة دخل كبير المباشرين، (وبرغم أوامري بعدم دخول أحد علينا في ذلك الاجتماع)، واستأذن وأسرّ في أذني أن السفير الفرنسي وصل وأدخله في الصالون المجاور!! وارتبكت ثم قلت للأخ أحمد بن بلاّ أستأذنكم لبضع دقائق فقد حان موعد كنت نسيته مع السفير الفرنسي! وأضفت لعله لم يسمع مناقشتنا . . ! وذهبت لاستقبال (مسيو دي مارساي) الذي كان يحمل لي رسالة عاجلة من رئيس وزراء فرنسا يرجو المساعدة في القبض عن طريق العدالة الفرنسية

---

(١) انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، ص (٣٥٤،٣٥٥،٣٥٦) .

على المدعو (بن بلاّ) وتمكنت بصعوبة كبيـرة من السيطرة على عضلات وجهي وكتم ضحكة ساخرة . . . وقلت للسفـير أرجو أن تحـضروا لنا صوراً للمـجرم (ابن بلاّ) صوراً مواجـهة وصوراً جانبيـة ووصفًا دقيـقًا للرجل وتقدموا هذه المعلومـات للسير يجادير جايلز بك في طرابلس وللفريق بوقويطن في برقـة، وسأصدر تعليماتي لهما بمساعدتكم بكافة الوسائل، وودعت السفير ثم أستأنفت الاجتماع فسألني الأخ أحمد عن سبب زيارة السفير قلت: أراد المسـاعدة في القبض عليك! قال: وماذا قلت له؟ قلت: وعدته بالمساعدة بعدما يقدم لي تفـاصيل كافية تمكن رجال الشرطة من القبض عليك وضحكنا كثيراً . .) [1] .

لقد تدهورت العلاقـات بين ليبيا وفرنسا بعدمـا تأكد للحكومة الفرنسيـة أن ليبيا تقف وراء حركة الجهاد في الجزائر مؤيدة لها قولاً وفعلاً، وتسربت الأخبار عن الدور السري الخطيـر الذي كانت تقوم به ليبـيا بزعامـة ملكها في مساندة الشـعب الجزائري ومده بالسلاح والعـتاد بالإضافة إلى التـأييد السياسي، والمعنوي إثر اعـتراض الطيران الفرنسي للطائرة التي كانت تحمل أحمد بن بلاّ ورفاقه وهم في طريقهم من الرباط إلى تونس، وأرغمت الطائرة على الهبوط في مطار الجزائر وتم اعتقالهم هناك [2] .

لقد استشاط غضبًا نواب اليمين في البرلمان الفرنسي ووصلت حملتهم على دور ليبـيا في نصرة حـركة الجهاد في الجـزائر حد الهسـتريا، الأمر الذي جـعل الحكومة الفرنسية تحاول التملص من تعداتها بالجلاء عن الجنوب الليبي في فترة أقصاها نوفمبر سنة ١٩٥٦م وقامت فرنسا بإرسـال السفير (بالائي) إلى الحكومة الليبـية وأبلغها بأن الحكومة الفرنسيـة لا تستطيع أن تنفذ جلاء قواتها عن فزان بعـد ما تبين لها مواقف الحكومة الليـبية المعـادية لفرنسا، وكـان رد رئيس الوزراء الليبي بأن حكومتـه سوف ترفع القضيـة إلى مجلس الأمن وطلبت من الرئيس أيزنهاور الأمـريكي لكي يتدخل وينصح حلفاءه الفرنسيين باحترام ميثاقهم مع ليبيا [3] .

---

(١) انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، ص (٣٥٧،٣٥٨) .
(٢) المصدر السابق نفسه، ص (٣٥٩) . (٣) المصدر السابق نفسه، ص (٣٦٠) .

لقد وقف الملك وحكومته وشعبه مع القضية الجزائرية، وكانت الحكومة الليبية شديدة الحرص على الادعاء بأنها تقف موقفًا محايدًا تمامًا، فبينما تعطف على آمال الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال إلا أنها لا تساعد على أعمال العنف! ولذلك فهي تدعو فرنسا وثوار الجزائر إلى الجلوس إلى طاولة المفاوضات للوصول إلى حل سلمي! كان كل هذا ستارًا دبلوماسيًّا؛ لأن مساعدات ليبيا للجزائر زادت نوعًا ومقدارًا، بل سمح للمؤسسات الشعبية في أنحاء ليبيا بتكوين جمعيات شعبية لنصرة الشعب الجزائري وجمع التبرعات، وإرسال برقيات التأييد للثورة الجزائرية، وبرقيات الشجب للحكومة الفرنسية، وكانت الحكومة الليبية برئاسة ابن حليم تدعى أن لا دخل لها بالأعمال الشعبية العفوية، وأن خير سبيل أمام فرنسا هو الاستجابة لنصائحها باتباع الطرق السلمية مع الثورة الجزائرية وإيقاف أعمال القمع والقتل والتشريد التي تقوم بها القوات الفرنسية في الجزائر [١] .

كان رئيس الحكومة الليبية مصطفى بن حليم متعاطفًا مع القضية الجزائرية ووجد دعمًا معنويًا من الملك نفسه، فمضى في طريقه بثقة واطمئنان حتى أنه لما زار عدنان مندريس رئيس وزراء تركيا ليبيا في عام ١٩٥٧م في شهر فبراير اختلى ابن حليم بعدنان مندريس وبدأ بحديثه عن دور الأتراك العظيم في نشر الإسلام وزعامتهم للأمة الإسلامية عبر قرون عديدة من التاريخ الإسلامي المجيد، وشدد على روابط الدين التي تربط الأتراك ببقية الأمة الإسلامية، وعلى أن لتركيا دورها الإسلامي العظيم بالرغم من دعاوي العلمانية، ثم عرّج بحديثه عن شمال أفريقيا وشرح لمندريس مدى الظلم والقتل والتشريد الذي يعاني منه شعب الجزائر المجاهد ومحاولات فرنسا قمع ثورته الإسلامية وتنصيره وفرنسته، ثم دخل في صلب الموضوع وقال لعدنان بك: (أنني آمل أملاً قويًا أن تمد تركيا الشقيقة المسلمة الكبرى يد المساعدة لشعب الجزائر المجاهد في محنته الراهنة) .

قال عدنان مندريس: إنه كمسلم يعطف بكل جوارحه على الشعوب الإسلامية

---

(١) انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، ص (٣٥٨،٣٥٩) .

جميعًا وبنوع خاص على شعوب الشمال الإفريقي وهو على إدراك تام بما يعانيه الشعب الجزائري في حربه الاستقلالية، ثم قال: ولقد بذلت تركيا الكثير من المساعي السرية الحميدة لدى حكومة باريس موصية وناصحة بأن مشكلة الجزائر لا تحل بالقوة والقمع بل بحلول سياسية وتفاوض مع ممثلي سكان الجزائر، وأضاف إنه على استعداد لمضاعفة هذه المساعي بل وتوسيعها بحيث تشمل ضغطًا وديًّا لدى دول حلف الاطلنطي الأخرى مثل الولايات المتحدة وبريطانيا وإيطاليا، وقام السيد مصطفي بن حليم يشكر عدنان مندريس على مساعيه الدبلوماسية الطيبة وحثه على المواصلة وقال له: (إن مساعدة شعب الجزائر تتطلب أكثر من المساعي الحميدة فهي تتطلب عونًا ماديًّا، مالاً وسلاحًا ونظر عدنان مندريس إلى مصطفى بن حليم وظهر على وجهه الاضطراب واختفت الابتسامة التي كانت تلازمة كثيرًا، ثم قال للسيد مصطفى بن حليم: يا أخي العزيز أنت تعرف أن تركيا عضو هام في حلف الأطلسي فكيف ترى أن تقدم لثوار الجزائر سلاحًا من سلاح الحلف (الأطلسي) لكي يحاربوا به عضوا هامًّا آخر من ذات الحلف أعني فرنسا؟ فقال مصطفي بن حليم: أنا أعرف أن تركيا من أقوى الدول الإسلامية وهي التي كانت تتولى القيادة والريادة للأمة الإسلامية لقرون عديدة، فكيف ترى أنت يا أخي العزيز ألا تمد تركيا العون المادي للجزائريين المسلمين الذين تقتلهم قوات فرنسا وتشردهم أو تعذبهم أنكل التعذيب؟ وما لهم من ذنب إلا أنهم يسعون لنيل حريتهم واستقلالهم؟

كرر مندريس مخاوفه الشديدة من عواقب اكتشاف أية شبهة بأن تركيا تمد الثورة الجزائرية بأي عون مادي . . وكرر عدة مرات بأن هذا سيسبب طرد تركيا من حلف الأطلسي وهو الركيزة الرئيسية التي يرتكز عليها دفاع تركيا في مواجهة الخطر الروسي العظيم، وكان ابن حليم يشعر بأن مخاوف عدنان مندريس حقيقية فهدأ من روعه وقال له : إن الثورة الجزائرية في أشد الحاجة إلى أنواع كثيرة من الأسلحة الحديثة وهذه الأسلحة متوفرة لديكم، فإذا أعطيتكم كشفًا مفصلاً بهذه الأسلحة وأهديتموه أنتم إلى شقيقتكم ليبيا فليس في هذا ما يثير أي شك أو ريب لدى فرنسا، وقال مصطفى لعدنان: إن الليبيين سوف يقومون بتسريب السلاح إلى

الإخوان الجزائريين تدريجيًّا وواعده بأن لا يعلم هذا السر إلا القيادة الجزائرية العليا، بل عدد قليل من أفراد تلك القيادة العليا وواصل ابن حليم حديثه مع ضيفه رئيس وزراء تركيا عدنان مندريس واستعرض له ماضي تركيا الإسلامي وتاريخها في الذود عن الإسلام، وإعلاء كلمته ومزج السياسة بالعاطفة الدينية، إلى أن قال عدنان مندريس: سنقدم لكم هدية السلاح، وأرجو الله أن يوفقكم في إيصالها لأولئك الذين يحتاجونها في الدفاع عن دينهم، أما نحن في تركيا فإننا نقدم الهدية لجيش ليبيا الشقيقة فقط، وشدد على المحافظة على السرية المطلقة، وبعد أسابيع قليلة وصلت هدية السلاح التركي واستلمها الجيش الليبي في احتفال عسكري ثم بدأ تسريبها تدريجيًّا إلى مجاهدي الجزائر [١] .

كان الملك إدريس رحمه الله بعيد النظر، فبعد أن استقال السيد مصطفى بن حليم من الحكومة في آخر مايو عام ١٩٥٧م عينه مستشاراً خاصًا له بمرتب رئيس وزراء وأصر على بقاء ابن حليم في خدمة الدولة، وشرح الملك لرئيس وزرائه السابق أنه سيحتاج إليه قريبًا، ثم عرض عليه أن يرسله سفيراً لليبيا في باريس، لأن علاقته الممتازة مع رجال الثورة الجزائرية، ولأن الحكومة الفرنسية قد وصلت لقناعة بأن قضية الجزائر لا تُحل عسكريًّا وإنما بالمفاوضة مع سكان الجزائر وعندما رد ابن حليم على الملك بقوله: إن الحكومة الفرنسية أصبحت على علمٍ تام بالدور الذي قام به في مساعدة الثورة الجزائرية وتهريب السلاح والعتاد لها، وإن الثقة منعدمة بينهم وبينه، رد الملك بأن هذا هو خير مؤهل يجعل الحكومة الفرنسية تستعمل مساعيك كقناة للوساطة مع الثورة الجزائرية لتأكدها من أن زعماء الجزائر سيتقلبون نصحك قبولاً حسنًا ويثقون بما تنقل لهم من اقترحات وأضاف الملك: (عليك أن تكمل رسالتك نحو الثورة الجزائرية) [٢] لقد كانت مهمة سفير ليبيا في فرنسا البحث مع الحكومة الفرنسية عن سبل سلمية لإعطاء شعب الجزائر حق تقرير مصيره،

---

(١) انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، ص (٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣) .

(٢) انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، ص (٣٦٤) .

وتشجيع الحكومة الفرنسية على انتهاج سياسة التفاهم والتفاوض مع جبهة تحرير الجزائر والإقلاع عن سياسة القمع والعنف والتشريد ضد الشعب الجزائري [١] .

وبدأ السفير مصطفى بن حليم بتنفيذ دوره الذي رسمه له الملك، وقام الملك إدريس بطلب رسمي من الجنرال ديجول الذي أصبح رئيسًا للجمهورية بأن يطلق سراح أحمد بن بلاّ ورفاقه من السجن، أو على الأقل أن يخفف وطأة السجن إلى إقامة جبرية أو شيء من هذا القبيل، وأجاب الجنرال ديجول على طلب الملك إدريس بواسطة سفير ليبيا بفرنسا مصطفى بن حليم الذي حمله ديجول رسالة إلى الملك إدريس بأن مسعاه لن يذهب سدى، وبعد أيام نُقل أحمد بن بلاّ ورفاقه إلى فيلا في ضاحية (شانتيي) بجوار باريس [٢] .

وفي يناير عام ١٩٦١م، زار ليبيا الكونت دوباري، موفدًا من طرف الجنرال ديغول رئيس الجمهورية آنذاك، واستقبله محمد عثمان الصيد بصفته رئيسًا للحكومة في طرابلس وكان الكونت دوباري يحمل رسالة خطية من ديغول للملك إدريس السنوسي، وأبلغ المبعوث الفرنسي السيد محمد الصيد رئيس الوزراء أن الجنرال ديجول يريد إبلاغ الملك إدريس عبر هذه الرسالة، أن فرنسا ستعمل قريبًا على إيجاد حل لقضية الجزائر يضمن مصلحة الجزائريين ويلبي المطامح العربية، لكنه يرجو من القادة العرب خاصة أولئك الذين تعرف عليهم إبان الحرب العالمية الثانية، ومنهم الملك إدريس تفهم ظروف فرنسا الداخلية، ومساعدته حتى يمكن إخراج هذا الحل إلى حيز الوجود، وبالفعل لم تمضِ أربعة أشهر حتى بدأت مفاوضات الاستقلال بين فرنسا والجزائر في ٢٠ مايو ١٩٦١م في إيفيان .

عقب إطلاق سراح أحمد بن بلاّ ورفاقه الأربعة، وكان يطلق عليهم (الزعماء الخمسة) من السجون الفرنسية، قام هؤلاء الزعماء بزيارة إلى ليبيا واحتفى بهم الليبيون حكومة وشعبًا احتفاءً كبيرًا، واستقبلهم الملك إدريس السنوسي، وحثهم على التضامن ونكران الذات وذكرهم بالحديث الشريف الذي يقول فيه الرسول ﷺ :

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص (٣٦٦) .

(٢) المصدر السابق نفسه، ص (٣٧٤، ٣٧٥) .

(رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) وطلب منهم الاهتداء بهذا الحديث ودعاهم إلى نبذ جميع أشكال الخلاف والشقاق والأنانية التي تضر إن وجدت بالجزائر واستقلالها .

كانت الحكومات الليبية المتعاقبة بعد حكومة ابن حليم تدعم ثورة الجزائر وكان من وراء ذلك التأييد غير المنقطع الملك إدريس بتوجيهاته المستمرة، وكان يكن في أعماقه عطفًا خاصًا على ثورة الجزائر الإسلامية .

إن المملكة الليبية بحكومتها وشعبها ساعدت ثوار الجزائر في معركتهم المقدسة ضد فرنسا وقاموا بمد الثورة بالسلاح والذخائر والمساعدات وقد حدثني السيد محمد القاضي عبد الكبير الذي كان معي في المعتقل السياسي بطرابلس عام ١٩٨٣م وكان حاكمًا لمنطقة فزان زمن المملكة فقد أخبرني عن أشراف الحكومة على مخازن الأسلحة وتوصيلها للمجاهدين في الجزائر، وقد توفي رحمه الله بعد خروجه من السجن وقد قضى في سجون ليبيا من عام ١٩٦٩م إلى سنة ١٩٨٨م وكان رجلاً عجيبًا في دينه وصفاء فطرته، حفظ القرآن الكريم بعد الخامسة والأربعين من عمره، وكان يتحدث الإنجليزية والفرنسية والإيطالية وكان شعلة من النشاط والاجتهاد والتعليم وقد جاوز الستين من عمره، وكان يحافظ على صيام السنن، والنوافل، والقيام والرياضة البدنية، وكان يقول لي: إن أمله في الله أن يغفر له ذنوبه وأن يكون سجنه تكفير للذنوب والخطايا، وأن السجن وقفة مع الذات وفرصة لمحاسبة النفس لا تعوض أبدًا وإن الذي أكرمني الله به في السجن لولا أن الله منّ علي به ما تحصلت عليه أبدًا وما وصلت إليه لقد كان فريدًا في سنه، وفريدًا في نشاطه، فرحمة الله عليه .

إن جميع الساسة والقادة العسكريين زمن المملكة الليبية والذين كانت لهم علاقة مباشرة بمد الثورة في الجزائر يشهدون أن الملك رحمه الله كان مساندًا لحركة الثورة، وحريصًا على نجاحها، ولم يقصر معها لا ماديًا، ولا معنويًا .

❋ ■ ❋

المبحث الخامس
نظرة في كتاب الملك إدريس رحمه الله في اتحاد العرب وائتلاف الموحدين وبعض المقابلات الصحفية

هذا الكتاب ذكره المؤرخ الليبي محمد الطيب الأشهب رحمه الله تعالى ونقل لنا منه نقولاً ولا ندري أين الكتاب الآن، كان هذا الكتاب قد وضعه إدريس السنوسي بقلمه كرسالة شاملة في عام ١٩٢٩م شكلت بحثًا سياسيًّا علميًّا عامًّا، تناول فيه الموقف الإسلامي العربي والدولي من جميع الوجوه على حقيقته، فجاء بحثًا متميزاً مدعومًا بالحجج العقلية، والبراهين المنطقية، والأدلة التاريخية وتحدث فيه عن العوائق، والمشاكل التي تواجه تقدم العالمين (الإسلامي والعربي) والأسباب التي أخرت المسلمين والعرب، والوسائل التي يجب اتخاذها لتمكين العرب من تحقيق وحدتهم التي يراها ضرورية، وتحدث عن الخلافة الإسلامية ومالها وما عليها، وعن سبب انهيارها، وتكلم عن المشاكل الدولية وعن الاستعمار وأهدافه، وعن المدنية الإسلامية والحضارة العربية، وعن دولة الإسلام وما تلاها من دول وحكومات عربية، وتحدث عن الأخطاء التي ارتكبت في مختلف عصور التاريخ الإسلامي والعربي، ثم انتقل من هذه المواضيع العامة إلى موضوع الوحدة العربية وما يقاسونه [(١)] .

أولاً: حديثه عن الوحدة العربية وحالة العرب:

قال رحمه الله: كل إنسان يعرف أن جزيرة العرب كانت قبل البعثة النبوية مضطربة بفعل الجهالة والفوضى والشقاق إلى أن قال: وكان لا بد من إصلاح أساس النظام، وعلى هذه الحاجة ظهر الإسلام .

وقال في موضع آخر من بحثه: صار العرب بعد زوال الحكومات العربية تابعين لكل متبوع ولم يعنوا برفعة أمتهم، ولم ينتبهوا من رقدتهم وبالأخص منهم من كانت دياره محتلة بالحكومات غير العربية لقد فسدت أخلاقهم وسجاياهم تحت

(١) انظر: إدريس السنوسي، ص (٢١٨) .

سيطرة الدول المختلفة، وظلوا ناسين عظمتهم ومدنيتهم وقد تعودوا طأطأة الرءوس للذل، ومن الطبيعي أن لا تحتفظ أمة ببأسها وسجاياها، وخصالها في سلطان حكومة مستبدة، وهكذا شرع العرب يتغيرون ويفسدون، على أن العرب لن ينسوا جنسيتهم وقتًا ما، وليس فيهم من خرج عن عروبته .

إن عروبة العرب الماضية لتؤثر تأثيرها النفسي الآن، وإن التاريخ يعيد نفسه، وإن العربية مثل الإسلام صبغة لا تزول، واستطرد إدريس السنوسي في بحثه إلى أن قال: فإذا نال العرب استقلالهم أو استقلت كل مقاطعة عربية إداريًّا، واتحدت مع بقية أخواتها فإنهن يقمن إمبراطورية عظيمة وحكومة متحدة على نسق واحد .

واستطرد في حديثه عن العرب إلى أن قال: إنهم محتاجون إلى تربية أخلاقية، وتنمية عقولهم المنهوكة منذ مدة من الزمن حتى يستردوا شملهم العربي وأخلاقهم العالية، وفي الحقيقة أن جملة البلاد العربية أصبحت في سبات عما يراد بها من الممالك الأخرى، ولن تستيقظ إلا على أصوات مدافع المستعمرين، ورب أمة لا تعرف نفسها حتى تصاب بمظالم الأجانب [1] .

ثانيًا: الأخوة الإسلامية والعروبة:

قال: حقًّا إن الإسلام يمنع تغلب الجنسية ولكن لا يأبي تكامل الأمم إذا لم يضر بسائر البلاد الإسلامية، ولم يضيع الأخوة الدينية والذي يمكنه الرقي في هذا العصر هو الذي يفهم الإحساس القومي، ولا يمكن الرقي بغير هذا؛ لأن الارتقاء رهين باتحاد الجماعات وتعاونها، والكمال لا يكون إلا بالأمة كلها، وما كان لرقي الأفراد إلى الآن فائدة كبيرة في الأمة، ولهذه الأمنية يربي السياسيون الأمم، والاتحاد القومي موجود بنفسه، ويكفي فيه أن يكون الإنسان عربيًّا، فإن الفرد من هذه الأمة العربية يدرك بفطرته وبفكره الأول أنه ابن هذه الأمة التي زلزلت الأرض حينًا من الزمن، وحق له أن يفهم ذلك، وهذا العصر هو عصر القوميات فلا تستطيع الأمة العربية أن

---

(١) انظر: إدريس السنوسي، ص (٢١٨) .

تقف بعيداً عن هذا التيار، والعرب هم أساس الإسلام ومنشؤه فإذا ما تماسكوا وتكاتفوا وشدوا أزرهم ينهض الإسلام بلا ريب، ولا خوف على المسلمين من تفرق الكلمة إذا ما عرب الجزيرة نهضوا، ومن أجل هذا نرى أن العصبية العربية معقولة ومشروعة، بل وضرورية، على شرط أن لا تتعارض مع الأخوة الإسلامية، وأن لا تتعدى على الآخرين وبهذه الوسيلة تقوى الأمة العربية ويقوى الإسلام معها [1] .

ثالثًا: الحجاز هو قطب رحى الجزيرة العربية:

قال الملك إدريس رحمه الله: لا ريب أن الحجاز هو قطب رحى الجزيرة العربية، ومنه منشأ الرجال الذين نشروا في العالم أسمى مبادئ الحرية وعلموا الناس أجمل معاني العدل، والتسامح، والعلم، والقابض الآن على أزمة أموره هو جلالة الملك عبد العزيز آل سعود، وفي بلاد اليمن جلالة الإمام يحيى بن حميد الدين، وهذان الملكان المستقلان المسيطران على صميم أحفاد عدنان وقحطان لا ريب في أنهما يشعران بثقل المسئولية أمام الله وأمام أهل الجزيرة وعموم المسلمين، وهما الآن أمام صحيفة يسطر لهما التاريخ فيها من جديد كما سطر لغيرهما في الماضي، ولا يعزب عن ذكائهما كيف يجب أن تدار دفة الأمور لإعادة مجد العرب والإسلام، وتعريف الأمم ما تجهله من مدنيتهم وآدابهم وحضارتهم، وليس هناك ما يقرب بين الشعوب ويعرف بعضها بالبعض الآخر غير الأعمال المجيدة النافعة والآخذة بأسباب الإصلاح من كل وجوهه المعلومة في هذا العصر، عصر المعارف والفنون، فعليهما أن يعرفا كيف يقودان صميم الأمة العربية من أحفاد عدنان وقحطان في القرن العشرين، إنهما يريدان أن يقفا بالأمة العربية في مستوى واحد مع الأمم التي سبقتهم الآن بمراحل، فعليهما إذن أن يستعدا للكفاح في معترك هذه الحياة، وعليهما أن يخلقا في أرض الجزيرة حيث لا امتيازات ولا عوائق مدنية جديدة وشعبًا قادراً على السير وحده، ولم يكن هذا بالشيء العسير؛ لأن الفرصة سانحة للعمل [2] .

---

(١) انظر: إدريس السنوسي، ص (٢١٨) .

(٢) انظر: إدريس السنوسي، ص (٢١٩) .

رابعًا: العمل الإصلاحي على وجهين: ديني ومادي:

وقال أيضًا: والعمل الإصلاحي على وجهين: ديني ومادي، أما الديني فهو تحرير الفكر من قيد التقليد، واعتبار الدين صديقًا للعلم وحاكمًا عليه، وفهم الدين على طريقة السلف الصالح ووضع ترتيبات ونظام للحج يكفل راحة الحجاج ورفاهيتهم وأمنهم، وأما المادي فهو: الاتحاد وتحسين المواصلات في البلاد العربية، ومد السكك الحديدية، وخطوط التلغراف، والتليفون وتعميمها، وتعبيد الطرقات لسير السيارات فبذلك ترتبط الممالك ارتباطًا منظمًا، ثم وضع برامج واسعة وثابتة لنشر المعارف في عموم أنحاء المملكة بتعميم المدارس الدينية والثقافية، وتأسيس جماعة عربية بمكة لتعمل على ترقية الأمة العربية فنيًّا وأدبيًّا ولتنظيم الوحدة ومتجه السير وحرية الرأي، ثم المداومة على عقد المؤتمر الإسلامي في كل سنة أوان الحج وتنظيم طرق الدعاية إليه ونشرها في عموم الأقطار الإسلامية والعربية (١) .

خامسًا: الزعيم الأساسي هو الذي يؤسس حكومة راسخة البنيان:

وقال: إن الزعيم الأساسي هو الذي يؤسس حكومة راسخة البنيان لا تزول بزوال الأفراد والأسر، وهو صاحب النظريات السامية التي تؤثر في حياة الأجيال مع المحافظة على دوام السلام بقدر المستطاع ومراعاة الظروف الواقعية حتى لا يعتري بنيانه الخلل وهو لا يزال وليدًا (٢) .

سادسًا: أيها العرب اتحدوا وكونوا كالبنيان المرصوص:

وقال أيضًا: أيها العرب اتحدوا وكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، فإن الواجب المقدس يدعوكم أن توحدوا صفوفكم وأن تجاهدوا جميعًا في سبيل الذود عن حياض بلادكم ودينكم، وليس الجهاد هو القتال فحسب، بل إن أول الجهاد هو أن تعرفوا معنى الأخوة العربية وتوحيد السبيل، ثم تدافعوا بكل ما استطعتم كلما

---

(١) انظر: إدريس السنوسي، ص (٢١٩) .

(٢) انظر: إدريس السنوسي، ص (٢٢٠) .

أمكنكم الدفـاع، وأوله باليـد، وليس معنى ذلك هو إشـهـار السلاح فـقط، ولكنه التعلم، تعلم كل ما يمكن أن تتفوقون به من الصنائع، وباللسان أي ببذل كا ماأوتيتم من النصيحـة والإرشاد، وبالقلم، أي بتأسيس الصحف وارتبـاطها ببعضها لتـوحيد الفكرة وتوجيه الرأي العام، وبعمل الملاجئ، والمستشـفيات للفقراء واليتامى والمرضى حتى لا يضطـرون إلى الالتجاء للمـؤسسـات الأجنبية التي قـد تدس لهم السم من عقائد دخيلة، ومـذاهب فاسدة مفسدة، ثم إنشاء المدارس الوطنية وتشـجيع التجارة الوطنية والاكتفاء بمصنوعات البلاد .

وبعد أن تحدث في هذا المـوضوع بإسهاب قال: والشـعب العربي هو الآن على أبواب نهضة عظيمة ستتجاوز بعون الله مـا كان عليه قبل قرون، وإن التاريخ سيعيد نفسه والأجفاد - كما قيل- هم سر الجدود .

إن الشعب العربي له مواهبه العظيمة في الحزب والسياسة، وفي العلم والإقدام، هذا ما لا ينكره أحـد، والبلاد العربية في نظر عـموم المسلمين متقدمـة، ولها المكان المرموق لوجود البيت الحرام وكذلك قبر النبي ﷺ وبيت المقدس (١).

وقال في مكان آخـر من البحث: إن الإسلام معناه الاتحـاد، والإسلام واحد لا يقبل التجزئة ولكن مع الأسف الشديد فقد أدى الجدل الكلامي إلى الاختلاف فتفرق المسلمـون إلى معتـزلة وأهل سنة، وتفرقت المعـتزلة شـعبًا، وتفـرق أهل السنة في الاجتهاد إلى مذاهـب وهذا الاختلاف تجاذبته الأغراض السياسيـة، ولا سبيل لحسم هذا الخلاف إلا بالعودة إلى الإسلام الذي بينه صـاحب الرسالة على بساطة أسلوبه وسمو معانيه وجوهره (٢) .

فلنفكر قليلاً في إنصـاف وتعقل، ولننظر إلى الحقيقـة، ولنرجع إلى أوامر النبي ﷺ وكنه الإسلام ونستعرض هذه المصـائب التي انتابتنا منذ عصور طويلة، فإنه لا يوجد شيء مـهلك كمنازعـتنا معـشر المسلمين . . . إلى أن قـال: إن هذه الفوضى

---

(١) انظر: إدريس السنوسي، ص (٢٢١) .
(٢) المصدر السابق نفسه، ص (٢٢١) .

أفسدت الجماعة الإسلامية جيلاً بعد جيل، وأفسدت الثبات والصبر والسعي المضطرد والاجتهاد والتفكير ثم قال: إن المسلمين لعدم تمسكهم بروح الإسلام أصبحوا في ضعف وانحطاط، وقد ذهب استعدادهم الفكري لانكبابهم على المنقولات، فالتقليد في الفكر لم يكن فضيلة، فكيف نقف هكذا صغاراً أمام الماضي؟ وكيف ننتظر من أسلافنا كل شيء كمن ينتظر الميراث ليعيش به؟ [1] .

هذه بعض النقولات من كتابه «اتحاد العرب وائتلاف الموحدين» يعطي الباحث خطوطًا عريضة في نظرة الملك إدريس رحمه الله لبعض القضايا التي تتعلق بنهوض الأمة وسعيها نحو التمكين .

وزيادة في إيضاح المنهج السياسي الذي كان يتبناه الملك إدريس ننقل هذه المقابلة الصحفية التي أجريت عام ١٩٤٢م بين الملك ومندوب جريدة «البصيرة» التي كانت تصدر في الإسكندرية حيث أجاب على عدة أسئلة تتعلق بالوحدة العربية، ونهوض الأمة فقال: من المشاهد الآن أن العالم يسعى إلى التكتل داخل مجموعات قوية كبيرة، والعرب في بلادهم المختلفة لا حياة لهم أقصد -حياة العز والقوة - إلا إذا اتحدوا داخل نطاق من التعاون التام، التعاون الذي يجمع بين الثقافة والصناعة والاقتصاد، وبذلك تستطيع المجموعة العربية الكبيرة المؤلفة من ثمانين مليونًا أن تحتفظ لنفسها بين الأمم العالمية بمكانة مرموقة محترمة، والوحدة العربية عندي أقرب إلى التحقيق في وقتنا الحاضر من اتحاد شرقي إسلامي، فإنه من المشاهد في بقاع الأرض المختلفة أن وحدة الدم واللسان والثقافة هي أكبر العوامل في تقارب الشعوب، واتحاد المصالح، وهذه الأمور جميعها متوفرة في الأمم العربية أكثر من توافرها في العالم الإسلامي، زد على هذا أن الأمم العربية متجاورة الحدود، ومتقاربة التخوم مما يجعل الاتحاد بينها أقوى أثرًا وأسرع تنفيذًا وأجاب عن سؤال آخر لنفس المندوب بقوله:

إن الواجب المقدس الذي يحتمه الدين وتفرضه الوطنية على كل عربي هو أن

---

(١) انظر: إدريس السنوسي، ص (٢٢١) .

يجاهد الطغيان بكافة الوسائل التي يملكها حتى يزول هذا الرعب الزاحف وتشرق شمس الحرية والكرامة الإنسانية على الأمم العربية والعالم أجمع من جديد (١) .

وعن سؤال آخر أجاب: إن الأهداف التي نرمي إليها والتي طالما سفكنا دماءنا في سبيل تحقيقها هي الحرية الكاملة، والاستقلال الشامل، ولا ننسى نحن الطرابلسيين واجباتنا حيال النهضة العربية الكبرى باعتبارنا وحدة من الوحدات التي تتكون منها المجموعة العربية . سنعمل كما عملنا في السابق متعاونين مع الأحرار العالميين على أن يسود الشرق العربي روح النهوض في المرافق العلمية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية حتى يؤدي رسالته الإنسانية ويستعيد مجده الغابر (٢) .

وعندما التقت به مجلة «صوت الشرق» في فبراير عام ١٩٥٧م وجهت له بعض الأسئلة فأجاب: إن ليبيا تمد يدها لكل بلد عربي شقيق بإخلاص، واضعة كل مالها وأناسها في سبيل نصرة حرية هذا البلد، وتأييده في الذود عن حياضه وعزته وكرامته، ولن ننسى أبدًا نصرة وتأييد البلاد العربية الشقيقة، والبلاد الحرة الصديقة لنا في جهادنا وكفاحنا في سبيل تحقيق استقلال ليبيا وتحريرها من الاستعمار إلى أن قال: أنصح العرب الأشقاء بالتمسك بالدين الكامل، والخلق الفاضل، والاتحاد الشامل، فلن يغلب شعب يحرص على هذه الأمور الثلاثة (٣) .

إن دراسة كتابه المذكور، وتصريحاته الصحفية تبين للباحث ضعف القول القائل بأن الملك إدريس لا يفهم في أمور السياسة وأقرب إلى أهل التصوف من كونه رجل دولة، ولا توجد لديه رؤية سياسية واضحة ولا يعرف كيف تساس أمور الأمم والشعوب .

إن حياة هذا الرجل لغنية بالعبر والدروس والمواعظ، التي تحتاجها الأجيال الصاعدة التي تستلهم من الماضي ما يفيدها في حاضرها ومستقبلها وفق رؤية وتصور نابع من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

---

(١) انظر: إدريس السنوسي، ص (٢٢٥) .

(٢-٣) المصدر السابق نفسه، ص (٢٢٦) .

سابعًا: مكانة الصحافة في زمن الملك إدريس، وحرية الكلمة في مجلس النواب:

إن كثيرًا من الحكام والملوك والقادة لا يتحملون النقد، ولا كلمة الحق الموجهة إلى حكوماتهم أو ذواتهم ويقتدون بفرعون مصر الذي قال الله فيه: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (سورة غافر: ٢٩) ويستعملون كافة الأساليب الوحشية لتكميم الأفواه، ومصادرة الحريات ويبررون مواقفهم أمام شعوبهم عند قمع الأخيار والمصلحين كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (سورة غافر، الآية: ٢٦) .

وهكذا كل الطغاة يقولونها عندما يواجهون المصلحين، وكلما تواجه الحق والباطل، والإيمان والكفر، والصلاح، والطغيان، على توالي الزمان واختلاف المكان.

وهكذا الطغاة في كل زمان ومكان يقدمون أنفسهم على أنهم الحريصون على الفضائل، الغيورون على الأخلاق، الراغبون في التعمير والتقدم، والأمن والازدهار، بينما يقدمون أهل الخير والصلاح على أنهم مفسدون مخربون، ضالون، مضلون، أعداء الله والأمة والوطن، وحلفاء الشيطان ورؤوس الفتنة، ودعاة الضلال، ولهذا يجب القضاء عليهم قبل تحقيق أهدافهم الخبيثة [1] .

إن الملك إدريس رحمه الله سمح للمصلحين أن يتكلموا وينقدوا الدولة والحكم وشجع الصحافة، والنواب على قول كلمة الحق، وحتى الذين يتجاوزون حدود القانون من المعارضة يعترفون بالمعاملة الحسنة التي يلاقونها من الشرطة، فقد ذكر الأستاذ محمد بشير المغيربي في كتابه: وثائق جمعية عمر المختار ما يدل على ما ذهبت إليه فقد قال: (لا بد أن أقول بعد كل ذلك إننا طيلة تلك المرحلة ونحن نعارض ونواجه بحدة وبشدة وتتخذ ضدنا إجراءات بالسجن والاعتقال والنفي وتحديد

(١) انظر: قصص السابقين للخالدي، (٥ / ١٠٥) .

الإقامة إننا لم نتعرض لإهانة أو إذلال معنوي أو جسدي، بل أن كل ما طبق علينا من تلك الإجراءات كان في جو من الاحترام وبما لا يجرح كرامتنا أو يحط من إنسانيتنا . .)[(١)] .

إن من يدرس دور الصحافة في فترة الملك يلاحظ أنها كانت حرة ولكل شخص الحق في حرية التعبير عن رأيه وفي إذاعة الآراء والأنباء بمختلف الوسائل وذلك في حقوق الحق الدستوري المنظم لقانون المطبوعات الذي ظهر عام ١٩٥٩م

كان قانون المطبوعات يشترط موافقة مجلس الوزراء على وقف إصدار الصحيفة مما أعطاها منعة وحصانة ضد أي قرار تعسفي في حالة تفرد جهة معينة بذلك، وأعطت الحكومة الليبية زمن الملك السابق رحمه الله حرية للصحف في مباشرة نشاطها دون تدخل أو تعويق إداري، ورغم أنه بدرت من الحكومة بعض الممارسات التعسفية في حق بعض الصحف إلا أن طبيعة النظام الحاكم كانت دائمًا تعطي مجالاً وبراحًا للأخذ والعطاء، كما أن دستورية المؤسسات تضمن للصحف والمجلات حقوقها، وعندما قامت الحكومة في عام ١٩٥٢م بإغلاق صحيفة «التاج» عارضت الصحيفة ذلك القرار، ورفعت دعوى ضد الحكومة وألقى الشاعر أحمد رفيق المهدوي قصيدة في تجمع لرفض القرار جاء فيها:

«التاج» يشكو لرب التاج ما لاقى ... من الوزارة تعطيلاً وإغلاق

وزارة جاوزت مالا يطاق فأكثرت ... على الشعب أعناقًا وإرهاق

وقد نشرت القصيدة في اليوم التالي في جميع الصحف ولم يتعرض الشاعر لأي أذى ويوم تعرضت صحيفتي «البلاغ» و«الميدان» للإغلاق ودخلت هذه الصحف في معارك قضائية عنيفة ضد وزارة الإعلام كانت هذه الصحف تدافع عن وجهة نظرها علانية أمام الجميع وفي المحاكم وكانت هناك نوعان من الصحافة حكومية وأهلية:

أ- فالصحافة الحكومية من أشهرها (ليبيا الحديثة، برقة الجديدة، فزان،

---

(١) انظر: وثائق جمعية عمر المختار، ص (٨) .

وطرابلس الغـرب) ومع كونها حكومـية إلا أنهـا لم تخل في مرات عـديدة من نقد واضح للسلطات الحاكـمة، رغم كونها من أدواتها الإعـلامية، ونذكر هنا بالقـصيدة الشعبية التي نشرتها صحيفة حكومية:

(وين ثروة البترول يا سمسارة اللى ع الجرائد نسمع بأخباره)

وقد تضمنت القصيدة رسالة جريئة وعنيفة في مهاجمة الحكومة [1] .

ب- أما الصحافـة الأهلية وهي قائمة على الشكل التجـاري فكانت تتلقى دعمًا غير مباشر من الحكومة على هيئـة (إعلانات - اشتراكات) وبقدر ما كان ذلك يشكل دعمًا ماليًّا عُد بمثابة ضغط غير مباشر وربما قيدها أحيانًا عن التمتع بحرية كاملة وقد ساهمـت في إنضاج الرأي العـام المحلي وتوعيـته سيـاسيًّـا، وقد عـرفت صحف «كالبلاغ» و«الرقـيب» بمقالاتها المنتقدة للحكومـة، كما اشتهـرت صحيفة «الحقـيقة» بأسلوبها الساخر في تناول الحكومة والتعريف بمسـاوئها، ولم تتوان الصحف بما فيها الحكوميـة عن نقدها وفـضحهـا لبعض مـشاريع الدولة حتى تلـك التي كان وراءها مقربون كعبد الله عابد السنوسي (مـشروع طريق فزان)، حيث نـشرت القصة لأول مرة في صحيفة «المســاء» في ٢٠/ ٨/ ١٩٦٠م تقــدمت المعارضة على أثرها بطلب إسـقـاط حكومـة عـبـد المجـيـد كـعـبـار عن طريق البـرلمان وهو مـا حـدث في ١٦/ ١٠/ ١٩٦٠م .

وأهم الصحف والجرائد التي ظهرت في زمن المملكة الليبية وقبلها بقليل هي:

١- صحيفة (الوطن) أنشأها مصطفى بن عامر ١٩٤٣م .

٢- صحيفة (التاج) لصاحبها عمر الأشهب ظهرت عام ١٩٥١م .

٣- مجلة (ليبيا) أنشأها مصطفى بن عامر ١٩٥١م .

٤- صحيفة (شعلة الحرية) أنشأها أحمد زارم ١٩٥١م .

٥- صحيفة (الصريح) أسسها إبراهيم أحمد البكباك ١٩٥١م .

---

(١) انظر: الإنقاذ ، العدد (٣٩) بقلم طاهر أحمد، ص (٧٨، ٧٩) .

٦- صحيفة (الليبي) أنشأها على محمد الديب سنة ١٩٥١م .

٧- صحيفة (المنار) مؤسسها عمر الأشهب ١٩٥٢م .

٨- صحيفة (الدفاع) أسسها صالح بويصير ١٩٥٢م .

٩- صحيفة (اللواء) أسسها على رجب ١٩٥٢م .

١٠- صحيفة (البشائر) مؤسسها على زاقوب ١٩٥٣م .

١١- صحيفة (الزمان) أسسها عمر الأشهب ١٩٥٤م .

١٢- مجلة (طرابلس الغرب) أصدرها مكتب المطبوعات والصحافة والنشر الحكومي سنة ١٩٥٤م .

١٣- صحيفة (طرابلس الغرب) رئيس تحريرها فخر الدين عبد السلام أبو خطوة ١٩٥٤م .

١٤- مجلة (صوت المربي) صدرت عن اللجنة الثقافية لرابطة المعلمين ظهرت عام ١٩٥٥م .

١٥- مجلة (النور) صاحب الامتياز عقيلة بالعون العدد الأول ١/ ٥/ ١٩٥٧م.

١٦- مجلة (الأفكار) ورئيس تحريرها راسم قدري ١٩٥٥م [١] .

١٧- صحيفة (الرائد) أنشأها بشير يوسف الطوبي سنة ١٩٥٦م .

١٨- مجلة (الضياء) صاحب الامتياز عمر الأشهب أول عدد ١/ ٣/ ١٩٥٧م.

١٩- صحيفة (العمل) أحمد حسين أبو هدمه ١٩٥٨م .

٢٠- صحيفة (الطليعة) سالم على شيته ١٩٥٨م .

٢١- صحيفة (الرقيب) رئيس تحريرها رجب المغربي ١٩٦١م .

٢٢- مجلة (الهدى الإسلامي) الشيخ محمد أمين هلال رجب ١٣٨١هـ - ١٩٦١م .

٢٣- صحيفة (البلاغ) لصاحبها على وريث ١٩٦٣م .

---

(١) الإنقاذ ، العدد (٣٩)، جمادى الآخرة، ١٤١٢هـ، ديسمبر ١٩٩١م، ص (٨٠) .

٢٤- صحيفة (الأمة) رئيس تحريرها عبد الله عبد المجيد ١٩٦٣م .

٢٥- صحيفة (الميدان) فاضل المسعودي ١٩٦٤م .

٢٦- صحيفة (الحرية) رئيس تحريرها محمد عمر الطاشاني ١٩٦٤م .

٢٧- صحيفة (الحقيقة) صاحبها محمد بشير الهوني ١٩٦٦م .

٢٨- صحيفة (الديلي نيوز) رئيس تحريرها عبد الرحمن خليفة الشاطر .

٢٩- صحيفة (الريبوتاج) رئيس تحريرها عبد القادر طه الطويل ١٩٦٧م .

٣٠- صحيفة (الشعلة) رئيس تحريرها حسين الكيلاني الضريريط ١٩٦٧م .

٣١- صحيفة (الفجر) محمد فريد سيالة .

٣٢- صحيفة (ليبيا الحديثة) رئيس تحريرها صالحين عبد الجليل عمر .

٣٣- مجلة الإذاعة، الكشاف، صحف برقة، طرابلس، الرأي العام، ليبيا تايمز[١] .

وهذا العرض لأسماء الصحف والجرائد يدل على نهضة فكرية وسياسية جيدة للغاية، كما يدل على مرونة الملك وحكومته وبعدهم عن مصادرة الأصوات المعارضة لسياسة الدولة .

الأستاذ مصطفى بن عامر وكلمة حول الميزانية العامة في مجلس النواب:

كانت العناصر الحية، والحريصة على مصلحة شعبنا تستطيع أن تتكلم بكل وضوح وصراحة في مجلس الأمة ويحفظ لنا التاريخ مرافعة مهمة في مجلس الأمة الليبي عام ١٩٥٥م وقد تكلم الكثير ممن نقدوا سياسة الحكومة من أمثال الشيخ عبد العزيز الزقلعي وغيره إلا أن مرافعة الأستاذ مصطفى بن عامر كانت أقوى بيانًا وأوضح حجة، وأدق عبارة، وأسهل أسلوبًا، ومرافعته التاريخية يلاحظ الباحث وجود حرية في القول والنقد، والتعبير تمتع بها نواب الشعب وتلك الحرية حسنة من حسنات ذلك النظام الذي كان يقوده الملك إدريس رحمه الله .

---

(١) الانقاذ، العدد (٣٩)، ص (٨٠، ٨١) .

وقد جاء في كلمة مصطفى بن عامر في مرافعته: (لقد سبق لي وأنا لست عضواً في المجلس حين وضعت المعاهدة البريطانية والاتفاقية الأمريكية أمامكم لتقولوا كلمتكم فيها، أن أبلغتكم آرائي عن هذين القيدين الحديديين اللذين صيغا للبلاد وأعدا لمنع تقدمها من طريق العزة والكرامة والحرية رغم ما قدمته بريطانيا وأمريكا إلى خزينة الحكومة من فتات الإعانات، وفضلات المساعدات التي ظهرت أرقامًا ضخمة في الميزانية الحالية والميزانيات السابقة، رلكن أي أثر أحدثته تلك الأرقام الضخمة في النهضة الاقتصادية، وفي العدالة الاجتماعية اللهم إلا إذا أحدثنا تعريفًا لحقيقة النهضة، وحقيقة العدالة وفسرناهما تفسيراً يتمشى مع الأوضاع السائدة التي تقوم على ترف الأقلية، وبؤس الاغلبية، واعتبار الفساد ضرورة لا بد منها، والإصلاح حلمًا من أحلام الطيش والغرور، لقد مددنا أيدينا للإنكليز والأمريكان وأخذنا منهم الشلنات والدولارات، وأعطيناهم أعز ما نملك وأكرم ما نحرص عليه فماذا عملنا بما أخذنا؟ لا شيء، .. أين موقفنا هذا من ذلك الموقف الذي كنا نقفه في وجه الإدارة البريطانية السابقة عندما كانت تدعي وجود عجز في الميزانية وما كان يبلغ نصف مليون جنيه وكنا نعتبر هذا العجز مفتعل نتيجة الأسراف المقصود لإقامة حجة علينا؟ ومع ذلك فقد عاشت ليبيا تحت حكم الإدارة البريطانية تسعة أعوام تخللتها سنون عجاف كان الجفاف فيها أشد من الجفاف الآن، لكننا لم نشاهد بؤسًا كما نشاهد اليوم ولم يمت أحد من الجوع مثلما حدث في هذا الوقت كما أعلن ذلك أحد النواب المحترمين في قاعة هذا المجلس بالرغم من وجود القمح الأمريكي الذي ظن أنه لن يترك بيتًا جائعًا .

والآن نريد أن نعرف ما معنى أن نصبح دولة مستقلة ذات سيادة ؟ معنى ذلك أن تضخم أرقام الميزانية حتى يقال أنها ميزانية دولة لا ميزانية مستعمرة ونبني المنازل لسكنى الوزراء ونقيم العمارات ونؤثثها وننشئ المكاتب الفاخرة ونستورد السيارات والسخانات وآلات التدفئة والمكانس الكهربائية ومكيفات الهواء وتنقل من عاصمة إلى عاصمة ونبعث بالسفراء والوزراء إلى أمريكا والشرق .

أمعنى ذلك أن يصبح جميعًا وزراء ونظاراً وأعضاء مجالس نيابية وتشريعية ورؤساء دوائر ومتصرفين ومدراء ومستشارين وسكرتيرين وكتابًا وطباعين ومباشرين ونتقاضى الرواتب والمكافآت والعلاوات ونتطاحن على التعيينات والترقيات والدرجات؟. أمعنى ذلك أن نشمخ بأنوفنا حينما نقلد منصبًا حكوميًّا ونمشي في الأرض مرحًا ونأبى أن نخاطب إلا بالعرائض ومن وراء حجاب ونمسي ونصبح وإذا هنا خلق لا عهد له بهذه الدنيا ومن فيها؟ لعل هذا هو المعنى الذي أدركه المسئولون من إعلان الاستقلال وقيام دولة وممارسة السيادة لعل هذا هو المعنى الذي أدركوه وطبقوه وتفهموا فقراته على من تصرف الأموال وعلى من تنفق؟ .

لا بل انظروا حواليكم أيها السادة، كم كلفكم هذا الأثاث الفخم الذي يحيط بكم؟ ألم تكن هناك مقاعد صالحة ولائقة قبل هذه وإن كانت غير جميلة ولا أنيقة ولكنها كانت كافية بل فوق الكافية؟ .

لِمَ أنفقتم آلاف الجنيهات في هذه المظاهر والمناظر وميزانيتكم تئن من العجز والأجنبي يحتل بلادكم وشعبكم يرزح تحت أثقال عيشة بائسة؟ أريد أن أعرف أهذا هو معنى الاستقلال أم هو الإسراف والتبذير والأبهة والترف؟ وأين الاقتصاد والإنتاج والعمل والاجتهاد؟ أريد الجلوس على الكراسي العادية والمناضد الخشبية قليلة التكاليف، فماذا يلحقنا من ضرر لو أننا فعلنا ذلك اللهم إلا الأجر عند الله والذكر الحسن عند الشعب ومن وراء ذلك خير الوطن ونفع البلاد، بل إني أستطيع أن أتطرق في التوفير وعدم التبذير إلى أبعد من ذلك .

وأتصور عندما أعلن استقلال ليبيا وقيل إن في ميزانيتها عجزاً يحتاج تغطية من المساعدات الأجنبية واجتمع أول مجلس نيابي يمثل البلاد أتصور أن هذا المجلس رفض أن يكلف ميزانية الدولة الناشئة أي شيء لحساب أثاث قاعة وفضل أعضاؤه المحترمون البساطة على كل ما عداها وأن يأتي الزوار من هنا وهناك لينظروا إلى ممثلي الشعب وهم يضربون أروع الأمثلة في التقشف والعزوف عن المظاهر على حساب الأمة الفقيرة وهم يباشرون أعمالهم لمصلحة أمتهم على هذه الصورة الرائعة

الخالية من الزخرف والبهرجة كأنهم في بيت من بيوت الله يعبدون الله بالعمل لصالح المجموع فنحن مسلمون وشعار الإسلام في كل عمل عبادة .

أيكون ذلك لو كان دليلاً على تأخر وانحطاط؟ لم لا يكون دليلاً على وعي كامل وشعور رفيع بالمسئولية وتفهم عال لحقيقة الاستقلال وبداية سليمة قوية في تشييد الكيان السليم القويم؟ ولعل عشاق المظاهر يرون في ذلك عاراً ومهزلة لا يليق أن توصم بهما دولتنا الفتية وليس من الكرامة والشرف أن يجتمع مجلس الأمة على تلك الصورة . وإلى أولئك أذكر أن العار الذي يطمس الشرف هو أن يسمح لأقدام المحتلين أن تدوس أرضنا وهي عرضنا مقابل حفنة من المال ننفقها على مظاهر كاذبة ومناظر زائلة والمهزلة التي تطيح بالكرامة هي أن نتجاهل قدر أنفسنا وحقيقة وضعنا وظروفنا وإمكاناتنا .

إني أشعر وأنا أتصفح الميزانية بأسى عميق وأسف شديد، إذ أن ذاكرتي تعود بي إلى الماضي القريب المليء بالآمال واستعرض الذكريات وأقارن بينها وبين الحاضر المشحون بالآلام وأتطلع إلى المستقبل فلا أملك إلا التوجه إلى الله أن يلطف بنا ويهيئ لنا من أمرنا رشداً .

أذكر أيها السادة ذلك اليوم الأغر الذي صدر فيه قرار هيئة الأمم المتحدة التاريخي باستقلال ليبيا (مساء ٢١ نوفمبر ١٩٤٩) وأذكر أن جريدة كتبت في اليوم التالي تعليق على هذا القرار: (منذ البارحة سيكون علينا أن نعمل وننتج أكثر مما قاتلنا وكافحنا، وسيكون علينا أن نكد ونجد حتى يفوق ما نصبه من عرق وما ذرفناه من دموع وأهرقناه من دماء أمامنا تركة عهدين يتطلبان التصفية النهائية حتى لا نكون بعد ذلك مطالبين بميراث عهد الإيطاليين الذين خرجوا من ديارنا بعد صراع عنيف وضحايا جمة وخلفوا ممتلكات مدمرة وعامرة ولكنها كلها ملك شرعي في أرض الوطن لأهل الوطن . . . وعهد البريطانيين الذين قسموا البلاد الواحدة واقتسموها سلبًا حلال، وضيعوا عليها الفرص وشوهوا معالمها ووضعوا في طريق نهضتها كل معرقل وعائق ، أمامنا هذه التركة أو هذه المشكلة التي يجب أن يوضع لها حد، ثم أمامنا ما أمام كل شعب مثلنا

من الحاجـة إلى إحصاء كـل ماله وما عليـه وتفهم كل دقيـقة من لوازمـه وضرورياته وتنسيق جميع متطلباته في جدول تراعي فيه الأهمـية والأسبقية ثم المباشرة في العمل بما يستحق من العناية والإتقان في صغير الأمور وكبيرها .

هذا الكلام قالته الجريدة منذ خمسة أعوام وكأنها تلخص برنامجًا يجب أن تسير عليـه الدولة الجديدة إذا أرادت أن تكون دولة، قـالت هذا وقلوب الجـميع مـفعـمة بالآمال، والآن أعـود لتلاوة مـا قلت ونفسي مـليئة بـالآلام، كيف لا أيهـا السادة؟ ونحن بدل أن نكد ونجد تخاذلنا وتكاسلنا، وبدل أن نقتصد ونجتهد أسرفنا ويذرنا أن نصفي التركة المتروكة لنا جميعًا نحن من أنفسنا تركة في الحاجة إلى تصفية .

وبدل أن نحل المشكلة التي تواجهـنا زدنا عليها مشـاكل لا يمكن حلها وبدل أن ننتج أصبحنا نستجدي الأغـاثة ونجلس في طلب الصدقة بدلاً من أن نحصي ونتفهم ضرورياتنا ولوازمنا صرنا نفرط في الكماليات حتى جعلناها ضرورة لازمة .

والاستقلال معناه أن نعيش في بلادنا ونملك أمر نفوسنا ولا نكن عالة على غيرنا في أي أمـر من الأمـور . . من أجل هذا الاستـقـلال بذلنا الأرواح وأهرقنا الدمـاء وذرفنا الدموع ولكي نحافـظ على هذا الاستقلال، بهذا المعنى كـان يجب أن نعصر أجسامنا عـرقًا نتيجة الكد والجهـد حتى نوفر المبالغ التي تسدد عـجزنا ولكننا عكسنا الأمر وقـبلنا الوضع، فلا بد من التضـحية ولا بد من نكران الذات وضرب الأمـثال للأجيال القادمة في الإخلاص والتفاني إلى أبعد الحدود [١] .

لقد كانت مرافـعة الأستاذ مصطفى بن عامـر في مجلس الأمة في سنة ١٩٥٥م مفـخرة تاريخية للأجـيال حيث أن من أجـدادنا من هو بهذه الشجاعـة والإخلاص والحرص على تحرير البلاد من الغاصبين والدعوة إلى الأخذ بالأسباب التي تؤدي إلى هذا السبيل، وإن شـعبنا في هذه الفترة الحـرجة من تاريخه الجهـادي لهو أحوج إلى أمثال الأسـتاذ مصطفى بن عامر لخـوض معارك التحريـر الفعلية في كافة مـجالاتها التشريعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية . . . . إلى آخره .

---

(١) انظر: وثائق جمعية عمر المختار، لمحمد المغيربي، ص (٤١٠، ٤١١، ٤١٢) .

فنحو أسلمة بلادنا الحبيبة وأرجاع عز الأمة التليد نحن ساعون وعلى ربنا متوكلون .

ثامنًا: استقالة الملك عام ١٩٦٥م الأولى واستقالته الثانية قبل الانقلاب العسكري بأشهر عام ١٩٦٩م:

مع مرور الزمن وتقدم السن رأى الملك إدريس أن يتخلى عن الملك وأن يقدم استقالته، ويترك إلى الشعب أو ممثله إسناد الأمر إلى من أحق منه أو أقدر على حمل الأمانة والقيام بالواجب المطلوب ولذلك لم يتردد الملك إدريس في عام ١٩٦٥م في عهد حكومة السيد محمود المنتصر الثانية أن يقدم استقالته بسبب التقدم في العمر، وخشيته نتيجة لذلك من التقصير في القيام بما عليه من الواجب والمسئوليات إلى البرلمان الليبي تاركًا له أن يتخذ ما يراه مناسبًا من نظام للحكم لصالح البلاد، ومن رئيس للدولة فيها ؛ ولكنه عندما تقاطرت إلى مدينة طبرق، حيث كان يقيم الملك الجماهير الغفيرة من مختلف أطراف البلاد، وفي مقدمتهم الكثيرون من كبار قادة البلاد بما في ذلك قادة المعارضة فيها، وأحاط الآلاف منهم بالقصر عدة أيام يطالبون بإلحاح الملك المحبوب بالعدول عن استقالته، وبقائه ملكًا لبلاده إلى ما شاء الله، فإنه لم يكن بوسع الملك سوى الرجوع عن هذه الاستقالة، موضحًا إن استقالته هذه كان قد تحدث بشأنها من قبل مع بعض رؤساء الحكومات الليبية، الذين كان من بينهم السيد مصطفى بن حليم، والسيد محمد بن عثمان الصيد، وهي كانت فقط بسبب تقدمه في السن، وخشيته من يؤدي ذلك إلى التقصير في حسن القيام بما عليه من المسئوليات، ولم تكن هذه الاستقالة بسبب خلاف مع الحكومة الليبية أو البرلمان الليبي، حيث كان كل منهما كما ذكر الملك قائمًا بواجبه، وباذلاً جهده في خدمة البلاد، ولكنه أمام معارضتهم لهذه الاستقالة فلا يسعه إلا العدول عنها، على أن يكون لهم الحق في رفع يده عن الحكم إذا ما شعروا، مستقبلاً بعجزه عن حمل ما عليه من الواجبات وتكليف من هو أقدر منه على حملها[1] .

---

(١) انظر: السنوسيون مخطوطة لم تر النور بعد طلب مني مؤلفها عدم ذكر اسمه .

وقـد كـانت استـقـالة الملك إدريس الثـانيـة والأخـيـرة هي تلك المؤرخـة في ١٩٦٩/٨/٤م، والتي وجهها أثناء رحلة استشـفائية إلى تركيا ثم اليونان إلى كل من رئيس وأعـضاء مـجلس الشيـوخ ورئيس وأعـضاء مـجلس النواب، ورئيس الوزراء ورئيس مجلس الشيـوخ عبد الحميد العـبار ورئيس مجلس النواب مفتـاح عريقيب، عندمـا جاءا إلى تركـيا في ذلك الوقت للاجـتمـاع بالملك بناءً على طلبـه وفي هذه الاستقـالة أكد الملك إدريس أنه «قد تقدم به العمـر حتى وهن العظم منه، وبلغ من العمر عتيًّا ولهذا فهو قد قرر التخلي عن العرش إلى الأمير ولي العهد الحسن الرضا السنوسي مشـترطًا موافـقة البرلمان على ذلك، ومـن ثم عليه حلف اليمين واعـتلاء العرش، ومطالبًا في هذه الاسـتقالة الشعب الليبي بتـقوى الله ومخافتـه وحمد الله تعالى وشكره على ما أكرم بلاده من النعم، وأفاض عليها من الخير، وأن عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ وذلك خـوفًا من أن يرفع الله تعالى عنها نعمـه وخيره ويوليها الأشرار من عباده.

وكان نص هذه الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العـالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. أما بعد ؛

يا إخواني الأعزاء رئيس وأعضاء مجلس الشيوخ وأعضاء مجلس النواب، يعني مجلس الأمة الليبية، ورئيس الحكومة الليبية .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أقدم لـكم هذا الخطاب قائلاً: منذ أن قلدتني هـذه الأمة الكريمة الليـبيـة ثقتـها الغالية بتبوئي هذا المقام الذي شغلته بعد إعلان استقلال بلادنا العزيزة ليبيا .

قمت بما قدر الله لـي مما أراه واجبًا عليّ نحو بلادي وأهلها وقـد لا يخلو عمل كل إنسان من التقـصير، وعندما شعـرت بالضعف قدمت استقـالتي قبل الآن ببضع سنوات فرددتموها فطوعًـا لإرادتكم سحبـتها، وإني الآن نسـبة لتقـدم سني وضعف

جسدي أراني مضطراً أن أقول ثانية أني عاجز عن حمل هذه الأمانة الثقيلة ولا يخفى أنني بليت في سبيلها خمسة وخمسين سنة قبل الاستقلال وبعده قد أوهنت جلدي مداولة الشئون وكما قال الشاعر:

(سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم)

وقد مارست هذه القضية وعمري ٢٧ سنة، والآن أنا في الثانية والثمانين ولله الحمد أتركها في حالة هي أحسن مما باشرت في بلائي بها، فأسلمها الآن لولي العهد السيد (الحسن رضا المهدي السنوسي الأول) على أن يقوم بعبئها الثقيل أمام الله وأمام أهل هذه البلاد الكريمة على نهج الشريعة الإسلامية والدستور الليبي بالعدل والإنصاف فاعتمدوه مثلي ما دام على طاعة الله ورسوله والاستقامة .

وبعد اعتماده من مجلس الأمة يحلف اليمين الدستورية أمام مجلس الأمة قبل أن يباشر سلطاته الدستورية، وإني إن شاء الله عقدت العزم الأكيد على اجتناب السياسة بتاتًا على ما أقول وكيل .

والذي اختتم به قولي بأن أوصي الجميع من أبناء وطني بتقوى الله في السر والعلن، وإنكم جميعًا في أرغد عيش وأنعم النعم من الله تبارك وتعالى .

فأحذروا من أن يصدق عليكم قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (النحل: ١١٢) فالله الله مما يغضب الله، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ولا تفرقوا، قال ﷺ لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته [١] .

محمد إدريس المهدي السنوسي
في ٢١ جمادى الأول ١٣٨٩هـ
الموافق ٤ أغسطس ١٩٦٩م

---

(١) انظر: الملك إدريس عاهل ليبيا، ص (١٦٥،١٦٦) .

تاسعًا: نزاهة ملك ليبيا وعفته وأقوال المؤرخين فيه ووفاته:

حينما وقع الانقلاب في سبتمبر ١٩٦٩م كان الملك في رحلة إلى تركيا واليونان ولم يكن معه مال خاص ينفق منه، ومع ذلك فحينما عرض عليه المسئول المالي للرحلة استلام ما تبقي في عهدته من مخصصات رفض الملك ذلك بعزة نفس وقال له: (يا بني أنا بالأمس كنت ملك ليبيا، ولكني لم أعد كذلك اليوم، وبالتالي فإن هذا المال لم يعد من حقي، ويجب أن يسلم إلى خزينة الشعب) .

تقول الملكة فاطمة في رسالة لها بتاريخ ١٣ سبتمبر ١٩٦٩م تصف فيها حالها ومآل زوجها الملك بعد وقوع الانقلاب: (إننا نحمد الله على أن تيجان الملكية لم تبهرنا قط، ولا نشعر بالأسف لفقدها، فنحن كنا دائمًا نعيش حياة متواضعة، ولم يغب عن أذهاننا مثل هذا اليوم، كما نحمد الله كثيرًا على أننا لا نملك مليمًا واحدًا في أي مصرف حتى يشغل بالنا المال، ولم نغير أبدًا معاملتنا لأصدقائنا وهي لن تتغير مع الأيام) [1] .

لقد تحدث الكثيرون عن سيرة ملك ليبيا السابق، ويجدر بنا أن نشير إلى بعض الذين عاصروه واتصلوا به شخصيًّا، واطلعوا عن قرب على الكثير من أخلاقه الرفيعة ففي مقال نشر في صحيفة «الشرق الأوسط» في عددها بتاريخ ٢٣ يونيو ١٩٨٣م نعى السيد مصطفى بن حليم رئيس وزراء ليبيا السابق الملك محمد إدريس السنوسي وتحدث عن جهاد ليبيا تحت قيادته وكان ضمن ما قاله عن شخصيته: (لقد عرفت الملك إدريس رحمه الله معرفة حميمة على مدى نصف قرن تقريبًا عرفته منذ كنت صبيًّا وعلمت معه وزيرًا ثم رئيسًا لحكومته ثم مستشارًا له، كما عرفته وأنا مواطن عادي، وكما عرفته وهو لاجئ في مصر وكنت دائم التردد عليه في ملجئه في القاهرة، وفي طول نصف القرن عرفت فيه المجاهد المسلم الزاهد المتواضع لم يعر مباهج الدنيا أي اهتمام، وكان الملك المؤمن الورع والأب العطوف والقائد الحكيم المتواضع، كما كان يحن دائمًا للهجرة إلى مكة والمدينة المنورة ليجاور في الأراضي

---

(١) انظر: الملك إدريس عاهل ليبيا، ص (١٥٣، ١٥٤) .

المقدسة، مرة واحدة رأيته يتلوى ألمًا ويبكى دمًا ويهدر هديرًا، وهو الهادي الصبور كان ذلك يوم سقوط القدس الشريف في أيدي الصهاينة، كان يخشى الله في السر والعلانية كان كريمًا ندي اليد، خجولاً طالما صرف مخصصاته الرسمية في أوجه الخير سرًّا ، وفي سنة ١٩٥٥م عندما أنشئت الجامعة الليبية تبرع بقصر المنار في بنغازي ليكون لها المقر وكذلك فعل سنة ١٩٥٦م تنازل عن قصر الغدير كمقر للكلية العسكرية كان دائمًا يتردد على الأراضي المقدسة للحج والعمرة [١] .

ويقول الدكتور مجيد خدوري عن دوره في إنشاء الدولة الليبية وتحقيق الوحدة الوطنية: إن الدور الذي قام به الملك إدريس في إنشاء الدولة الليبية بالغ الأهمية إذ إنه لم يكتف بأن أقدم على العمل بجرأة لتخليص برقة من إيطاليا في الحرب العالمية الثانية فحسب، بل استعمل نفوذه الشخصي وحنكته السياسية لإقناع أصحاب النفوذ من الزعماء الطرابلسيين بوجوب الالتفاف حول النظام الاتحادي الذي لولاه ما كانت لتتم وحدة ليبيا قط ولما كان حفيدًا وخليفة للسيد محمد السنوسي، فضلاً عن ذلك فقد كسب أيضًا ثقة زعماء القبائل البرقاوية وأحاط نفسه بنفر من الرجال المقتدرين الذين تفانوا في تأييده كان بعض هؤلاء الزعماء قد تبعوه إلى المنفى، والآخرين الذين ظلوا في البلاد لمقاومة الإيطاليين قاموا بذلك بتوجيهه، فلما عاد إلى برقة بعد الحرب لم يكن ثمة مجال للتساؤل عمن يمكن أن تؤول إليه الرئاسة في برقة، ولم يكن الزعماء الطرابلسيين يجهلون أثر الملك إدريس في توحيد البلاد، إذ أنهم أدركوا أنه الشخص الوحيد الذي يكن له الجميع الاحترام، لكنهم اختلفوا على شكل الحكومة المنوي إنشاؤها، وعلى الحدود الدستورية لاختصاصاته . . قبل عرش ليبيا بدافع من شعوره بالواجب الوطني ليزود البلاد المقسمة بالزعامة اللازمة لها) [٢] .

وأما المؤرخ دي كاندول صاحب كتاب «الملك إدريس عاهل ليبيا» فقد قال: (على الرغم من محاولات تشويه صورة الملك في أذهان الناس وتهويل بعض نقاط

---

(١) انظر: الإنقاذ ، العدد (٣٩)، ص (٦٤،٦٥) .
(٢) انظر: الإنقاذ ، العدد (٣٩)، ص (٦٥) .

الضعف التـي لا ينفرد بها عن بقـية البـشر، إلا أن الحقـبة الطويلة التي قـضاها في خدمة بلاده وأمته قد ترسخت في أعـماق التاريخ بما يكفي للصمود أمام كل المساعي الخبيثة .

إن الملك إدريس رمز لعـهد مضى ولن يعود، ولكـنه عهد زاهر يجدر بالليـبيين جميعًا والعرب عموماً أن يعتزوا به) [1] .

وقال أيضًا: (كانت الدعاية التي رافقت الانقلاب كاذبة مـفترية في مزاعمها ضد الملك الذي حاولت أن تصـوره مثل فاروق فاسـقًا متهـتكًا فاسد الذمة وهو أبـعد ما يكون عن تلك الصفات، فسمـعته الشخصية كانت فوق مسـتوى الشبهات سواء في بلاده أو في العالم العربي عامة كرجل شديد الورع والتقـوى كرّس حياته لحرية شعبه وكان في سلوكه الخاص مثلاً للاعتدال والاسـتقامة الكاملة، وإن الحملة الدعائية التي تواصلت ضده على ذلك النحو كانت من نوع الإسفاف الرخيص الذي لا يقوم على أساس) [2] .

وفاته:

استـقر الملك إدريس رحمه الله تعـالى في مصر حـيث بقي مدة حياته الأخـيرة بها، ولم يغادر مصر إلا مرتين ذهب فـيها إلى مكة للحج، وكانت وفاته في القاهرة بتاريخ ٢٥ مايو ١٩٨٣م وهو في سن الرابعة والتسعين [3] .

وقد دفن الملـك رحمه الله في المدينـة المنورة، وكان قد طلب من جـلالة الملك خالد بن عبد العزيز في لقاء لهما بموسم الحج سنة ١٩٧٧م أن يأذن بدفنه متى حانت المنية في البقيع فكفل الملك خالد للملك إدريس رغبته رحمهما الله ثم إن الملك فهد ابن عبـد العزيز أجاز ذلك بعـد وفاة الملك خالد بن عبـد العزيز، ونقل جثـمانه من القاهرة إلى المدينة المنورة في طائرة مصرية خاصة [4] .

---

(١) انظر: الملك إدريس عاهل ليبيا، حياته وعصره، ص (٤٥) .

(٢) انظر: الملك إدريس عاهل ليبيا، ص (١٤١) .

(٣-٤) المصدر السابق نفسه، ص (١٥١) .

فنسأل الله له الرحمة والمغفرة والرضوان ونقول ما قاله المولى عز وجل: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة الحشر، آية ١٠) .

لقد تركت ما يتعلق بالمملكة الليبية متعمداً في ذلك، إلى وقت آخر إن كان للعمر بقية وأذن الله في مواصلة هذه المرحلة الطويلة التي بدأتها من الفتح الإسلامي إلى هذا الكتاب؛ لأنني أشعر بضعف المادة التي أمامي فيما يتعلق بتلك الأحداث لأن قضايا ذلك العصر على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لملابساتها وآثارها الممتدة إلى عصرنا الحاضر وخصوصًا وأنني قد بحثت في أسباب سقوط المملكة بحثًا دقيقًا وطلبت من رجال عاشوا في تلك المرحلة ليساهموا معي في تتبع الأسباب التي أدت إلى سقوط المملكة الليبية، ولكن التفاعل كان ضعيفًا واعتذر البعض لأسباب أمنية وقد علمت بأن بعض الذين عاصروا تلك الأحداث قد كتبوا مذكرات مهمة عن المرحلة وينتظرون الوقت المناسب لنشرها؛ لذلك رأيت من الحكمة والتعقل التريث حتى يأذن الله في نشرها؛ لأنها سوف تساهم في إيجاد معلومات تساعد الباحثين على تقصي الحقائق للوصول إلى نتائج صحيحة مبنية على معلومات يقينية، ولا يفوتني في هذه الخاتمة أن أشيد بالمجهودات القيمة التي قام بها كل من الوزيرين السابقين : مصطفى ابن حليم ومحمد عثمان الصيد في كتابة مذكراتهم ثم نشرها بغية استفادة الأجيال منها .

إن الجهود التي قام بها الوزيران السابقان تستحق الثناء والتقدير؛ لأنها أصبحت مرجعًا مهمًّا لتلك المرحلة وأخذت قيمتها التاريخية والعلمية وتعتبر من المبادرات الرائعة والرائدة لأن أصحابها عاشوا تلك الأحداث وساهموا في صناعتها، كما أنهم حطموا جدار الصمت، وكتبوا تاريخهم السياسي الذي في حقيقته أصبح ملكًا للأجيال الصاعدة بغض النظر عن اختلاف الآراء حول تلك المذكرات .

إن فترة المملكة الليبية من عام ١٩٥١م إلى ١٩٦٩م غنية بالأحداث على المستوى

المحلي والإقليمي والدولي، وهي تحتاج إلى دراسة واعية وباحث مدقق يتوخى العدل والإنصاف ويعتمد على الله ثم على الوثائق والحجج والبراهين .

إن الاعتناء بتاريخ بلادنا وبلاد المسلمين تظهر أهميته في هذا العصر الذي استخدم فيه التاريخ كأداة لتوجيه الشعوب وتربيتها كما يريد القادة والساسة، بل استعان بهذا العلم أصحاب المذاهب الفكرية الهدامة في فلسفة مذاهبهم المادية وتدعيمها حتى أصبح هذا العلم عند الأمم المتقدمة في مكانة سامية لا يعلوها علم آخر .

إن دراسة التاريخ بوجه عام، وتاريخ الأمة المسلمة على وجه الخصوص لا ينبغي في دراسته تحقيق الرغبات، والحاجات الدونية، بل من أجل الوصول إلى القمة العلية ألا وهي إحياء الأمة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومعرفة كيفية التعامل مع سنن النهوض والصعود بالشعوب، واجتناب سنن السقوط والهبوط ولهذا قال تعالى: **﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ﴾** (سورة غافر: آية ٢١) .

هذا وقد انتهيت من كتابة هذه السلسلة التاريخية يوم الثلاثاء ١ ربيع الأول ١٤٢٠هـ الموافق ١٥ يونيو ١٩٩٩م، والفضل لله من قبل ومن بعد وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل قبولاً حسنًا وأن يكرمنا برفقة النبيين والصدقين والشهداء والصالحين وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: **﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** (سورة فاطر: آية ٢).

وبهذه الأبيات:

إليك وجهت يامولاي آمالي ... فاسمع دعائي وارحم ضعف أحوالي

أرجوك يا مولاي لا نفسي ولا ولدي ... ولا صديقي ولا أهلي ولا مالي

لما عرفتك لم أنظر إلى أحد ... فلا الرعية أرجوها ولا الوالي

فلا تكلني إلى من ليس يكلؤني ... وكن كفيلي فأنت الكافل الكالي[١]

---

(١) كلأه: إذا حفظه ﴿قل من يكلؤكم﴾

واســـقني كـــأس حب من ودادك يا ... مـولاي فهـو شـراب سلسل حـالي

فـلا وحـقك مـا للقلب من شـغف ... إلا بحـــبك فـــاشـرح لي بـه بالي

وفـيــــه سلوان قلـبي عن عـلائـقـه ... وسلســـبيـلـي وسلوائي وسلســـالي

ومنه أحـيـا ومن فـقـدي له مـرض ... ومـــــرهـمي أبدًا مـنه وإبـلالي[1]

أنا الفـقـيـر إلـى مـولاي يرحــمني ... إذ تقــضي بهـــول الموت إمـهـــالي

أنا الفـقـيـر إلـى مـولاي يرحــمني ... في بطن لحـد وحـيش مظلم خـالي

هناك لحـمي لـدود القـبـر فـاكـهـة ... والعظم مني رمـيـم في الثـرى بالي

أنا الفـقـيـر إلـى مـولاي يرحــمني ... يوم القـــيــامـــة من عـنف وأهوال

أنا الفـــيـر إلى مـولاي يحـــشـرني ... في زمــرة المصطفى المخــتـار والآل

صلـى الإله علـى أرواحــــهـم أبدًا ... ضـعفًـا على قـدر زخـار وهطال[2]

* ■ *

---

(١) الإبلال: الشفاء من المرض .

(٢) الزخار: صفة للبحر، وهطال: صفة للغيث .



الخُلاصـــة

- ولد محـمد إدريس السنوسي يوم الجمـعة في العشرين من شـهر رجب ١٣٠٧هـ الموافق ١٢ مارس ١٨٩٠م بزاوية الجغبوب .
- كان مولده يوم فرح وسرور لأتباع الحركة السنوسية، وخصوصًا أهالي الجغبوب، فعطل مـعهد الجـغبوب، والكتـاتيب القرآنيـة، ودور الأعمال، ونحـرت الجزر، ومدت الموائد، وقدمت الصدقات شكرًا لله تعالى .
- نشأ محمـد إدريس في رعاية أبويه وبعد وفاة أمه احتـضنته جدته لوالدته، واهتم والده بتربيته تربـية صالحة، وبدأ تحفيظه للقرآن الكريم بنـفسه مع دخوله في سن السابعة من عمره .
- تتلمذ على مجموعة من أفاضل العلماء اشـتهر من بينهم العلامة العربي الفاسي، وأحمد أبي سيف، والعربي الغمـاري، وحسين السنوسي، وأحمد الريفي وأحمد الشريف السنوسي .
- أتقن القراءات، وعلوم الحديث، كما أتقـن البخاري، ومسلم، ومسند أبي داود، والترمـذي، والنسائي، وابن ماجـه، وموطأ مالك، ومـسند أبي حنيفـة، ومسند الإمام أحمد، وكتاب الأم للشافعي، وغير ذلك من كتب الفقه والحديث والتفسير واللغة، وعلوم التاريخ، وتقويم البلدان، ونحصل على إجازات عدة .
- لما تقدمت به السن أصبح له مجلسًا عـامرًا بالعلماء والأدباء، وكان يحب العلماء ويجلهم ويكبر مـا في نفوسهم من العلم، وينزلهم منه منزلة خاصـة، ويحيطهم بعطفـه وكـانت أحب العلوم إليـه: الحـديث الشـريف، وعلم التـاريخ والأدب والسياسة .
- كان لا يتـحدث في مـوضوع إلا ويعلل رأيه فـيه بعـد تدقيق وتمحـيص ثم يأتي بالحـجج الدامغـة والبراهين القـاطعة، تارة من كـتاب الله، وطورًا من الحـديث الشريف، وحينًا من أقوال السلف الصالح وأئمة المسلمين .

- كان قوى الذاكرة، سريع الخاطر متين الحجة، وله اهتمام خاص بالفقراء والمساكين، وكان جميل المعشر، رحيمًا بأتباعه وخدمه، فيعود مريضهم بنفس متواضعة ويفصح عن المذنبين منهم مالم يكن الذنب مغضبًا لله ولرسوله وكان يميل إلى اقتناء جياد الخيل، وله شغف بجمع أنواع الأسلحة وبجمع الكتب .
- كان حريصًا على وحدة الصف السنوسي أمام أعداء الإسلام، فبعد أن بدأ الطليان هجومهم الغادر على الأراضي الليبية ورأي بعض الإخوان أن يسندوا الزعامة إلى إدريس السنوسي كحق موروث بدلاً من أحمد الشريف رفض إدريس ذلك العرض وبذلك اجتمعت كلمة المجاهدين على أحمد الشريف .
- سافر إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج عام ١٣٣٠هـ، ١٩١٢م وكانت تلك الرحلة مليئة بالدروس والعبر وأصبح لها أثر عميق في تفكيره حيث احتك بالحكومة المصرية، وبزعيم الثورة العربية الكبرى الشريف حسين وقادة الإنكليز في مصر وتكونت له قناعات مهمة فيما يتعلق بمجريات السياسية الدولية، وبطبيعة الصراع بين الأتراك والإنكليز واتخذ لنفسه منهجًا سار عليه لخدمة شعبه ووطنه وبلاده .
- رأى أنه ليس لمصلحة الحركة السنوسية الدخول مع الأتراك في حربهم ضد الإنكليز، وبعد رجوعه من الحج نصح أحمد الشريف بعدم الدخول في الحرب مع الأتراك ضد الإنكليز وأعلن رأيه ذلك بصراحة .
- بعد انتهاء المعارك بين أحمد الشريف وبريطانيا ظهر محمد إدريس على مسرح العمل السياسي الليبي وكان بروزه مصلحة للبلاد، لما تمتع به من صفات أهلته لزعامة لبرقة ؛ وآلت الأمور إلى أن بايعته القبائل في شرق ليبيا بالإمارة .
- دخل الأمير محمد إدريس السنوسي في مفاوضات مع الإنكليز لكي يتوصل معهم إلى اتفاق مؤقت يهدف به فتح الطرق مع مصر، حتى يتغلب على شبح المجاعة الذي هدد البلاد .
- اشترط الإنكليز للدخول في المفاوضات ضرورة دخول حليفتها في الحرب العالمية الأولى إيطاليا لتلك المفاوضات، واضطر الأمير إدريس للموافقة على ذلك الشرط.
- لم يكن موقف الأمير إدريس قويًا في المفاوضات بسبب هزيمة جيش السيد أحمد

الشريف في مصر بينما كان رصيده الوحيد في ولاء قبائل برقة، وحرص الإنكليز على كسبه لصفهم .

- كانت ثورة الأتراك ضد السنوسية من العوامل التي ساعدت في دفع محمد إدريس نحو التقارب مع السياسة البريطانية، وقد بدأت تلك الثورة في أواخر عام ١٩١٦م وانتشرت في جهات عديدة حتى توجت بالنصر على السنوسية في فزان خلال شهر سبتمبر عام ١٩١٧م وطردوا منها محمد عابد السنوسي الذي التجأ إلى الكفرة وترك واحة واو، وأصبحت فزان منذ ذلك الحين بيد الأتراك .
- استمر الأتراك في مضايقة محمد إدريس، وتضييق الحصار عليه وعملوا على الإحاطة به وأرسل نوري باشا بعثته الأولى الصغيرة إلى الكفرة لضرب النفوذ السنوسي هناك إلا أن تلك البعثة فشلت وانتهت بوقوع أعضائها في أيدي صفي الدين السنوسي الذي استطاع أن يكشف أمرهم بسرعة، وأودعهم السجن .
- كان الأمير محمد إدريس على قناعة راسخة أن النصر في الحرب العالمية الأولى سيكون للحلفاء ولذلك حرص على التقارب من بريطانيا، صاحبة التفوق في منطقة الشرق، ومن أجل تقليل الخسائر والمحافظة على كيان السنوسية الذي تعمل تركيا على تحطيمه في البلاد في تلك المرحلة، واتخذ قراراً بالانسحاب من الحرب ضد إيطاليا وبريطانيا ووافقه زعماء القبائل التابعين للحركة السنوسية على ذلك .
- كان أبناء البيت الإدريسي في مصر هم حلقة الاتصال بين الأمير إدريس والحكومة البريطانية وتم الاتفاق على سفر وفد بريطاني وإيطالي إلى إجدابية لعقد صلح بين الأطراف الثلاثة .
- وصل في أواخر عام ١٩١٦م إلى زويتينة وفد من الإنكليز والإيطاليين ومعهم من المصريين أحمد محمد حسنين أفندي، ومحمد الشريف الإدريسي وابنه محمد المرغني، وكانوا جميعًا ضمن الوفد الإنكليزي إضافة إلى الكولونيل تالبوت الذي له دراية كبيرة بشئون الشمال الأفريقي، والضابط اللفتنت هسلم، وكان الوفد الإيطالي يتكون من الكولونيل بيلا، والكومانداتور بياجنتيني، ومترجمهم .
- بدأت المفاوضات بين الأطراف الثلاثة خلال شهري أغسطس، وسبتمبر سنة

١٩١٦م، وكان الوفاق والتفاهم ظاهراً بين الجانبين الإنكليزي والسنوسي أما العلاقات الإيطالية فقد كانت مغايرة لذلك تماماً .

- كانت مهمة الوفد الإنكليزي يسيرة، فلم تكن هناك أية صعوبة في الوصول إلى اتفاق مع السنوسيين، ولكن الصعوبة تكمن في إصرار الكولونيل تالبوت رئيس الوفد على عدم التوقيع على أي اتفاق مع السنوسيين قبل أن ينتهي إدريس مع الاتفاق مع الإيطاليين ويتم التوقيع من الطرفين على هذا الاتفاق .
- في أوائل عام ١٩١٧م تمت اتصالات جديدة بين الإنكليز، والإيطاليين والسنوسيين وقد لعب محمد الشريف الإدريسي وابنه المرغني دوراً هامًّا في إنجاح هذا الاتصالات وموافقة جميع الأطراف على تجديد المفاوضات .
- طالت مدة المفاوضات، فاستغرقت الفترة ما بين شهر يناير إلى منتصف أبريل تقريبًا، والجلسات المعقودة، والحوار مستمر وكان لضغوط الإنكليز أثر على الطرفين الإيطالي والسنوسي حتى تم التوصل إلى اتفاق ارتضاه الجميع .
- كانت معاهدة عكرمة في طبرق خير وسيلة لتحقيق السلم وصون مصالح العرب المجاهدين في برقة، كما أنه أتيحت فرصة لمحمد إدريس لتنظيم القبائل تنظيمًا من شأنه أن يجمع الكلمة ويقضي على بذور الفتنة والاضطراب، كما ساعد ذلك الاتفاق على تأييد نفوذ محمد إدريس حتى بدأ الأهالي من ذلك الحين يلقبون محمد إدريس بالمنقذ .
- تركزت جهود الأمير إدريس بعد تلك المعاهدة على أمرين: إقامة الحكومة الوطنية الرشيدة التي تحفظ مصالح البلاد، وتتولى زعامة القبائل في برقة، وتطالب بكل حقوقهم، ومقاومة نفوذ الطليان ومنع اتصالهم بالعرب بكل الوسائل في داخل البلاد.
- اتخذ محمد إدريس إجدابية مركزًا لقيادته وذلك لعدة أسباب نجملها فيما يلي ؛ لما تميزت به من موقع استراتيجي هام، وقوعها في منتصف قاعدة مثلث رأسه في الكفرة وقاعدته النوفلية والجبل الأخضر، كما أنها تمثل الامتداد الطبيعي لواحات جالوا وأوجلة جخرة، والكفرة، وهذا يعطيها بعدًا استراتيجيًا هامًّا، ومن أهم

المناطق في تجارة القوافل، كانت موطنًا لمعظم القبائل التي كانت تؤيد الحركة السنوسية ولغير ذلك من الأسباب .

- قام محمد إدريس بوضع نواة لجيش نظامي واجتهد في تسوية الخلافات بين بعض القبائل، وتمكن من القضاء على عناصر السلب والنهب والقتل .
- قام محمد إدريس بتشكيل مجلسين أحدهما يضم كبار العلماء والإخوان ويقال عنه المجلس الخاص وله السلطات التشريعية والتنفيذية، وأما المجلس الثاني فكان أعضاؤه من شيوخ وأعيان القبائل ويقال له مجلس الأعيان .
- كان الأمير محمد إدريس يدير دفة العلاقات مع إيطاليا بمنتهى الحذر واللياقة، والكياسة، والدبلوماسية، والسياسية، وحرص على توثيق علاقته مع الوالي الإيطالي الكونت جاكومودي مارتينو، وعين عمر باشا منصور الكيخيا ممثلاً له في بنغازي، وكان لعمر باشا خبرة سياسية نادرة، حيث كان نائبًا في مجلس المبعوثان العثماني في إستانبول .
- كان الإيطاليون يرغبون في نقض الاتفاقات السابقة؛ لأنهم كانوا يطالبون بالسيادة التامة على ليبيا، وأنهم قبلوا بالأمر الواقع مؤقتًا، لذلك حاولوا أن يتقربوا من السكان، أملاً في أن ينتهي الأمر بهم إلى القبول بالسيادة الإيطالية .
- بعد انهزام تركيا في الحرب العالمية الأولى اضطر الأتراك للاستسلام وعقدوا مع الحلفاء معاهدة جزيرة موندروس في ٣١ أكتوبر عام ١٩١٨م تعهدت فيها تركيا بسحب قواتها من طرابلس الغرب وأن تقطع علاقتها بها .
- كان سقوط تركيا سببًا رئيسيًّا في ظهور فكرة الجمهورية الطرابلسية وطرحت على بساط البحث، واشترك فيها رمضان بك، وعزام بك، والباروني باشا، والأمير عثمان، ومختار بك كعبار .
- في يوم السبت الثالث عشر من صفر سنة ١٣٣٧هـ الموافق ١٦ نوفمبر سنة ١٩١٨م اجتمعت الوفود الطرابلسية في جامع المجابرة بمسلاته وهو أكبر جامع فيها.
- تشكل مجلس إدارة الجمهورية من سليمان الباروني، وأحمد بك المريض، ورمضان السويحلي، وعبد النبي بالخير، وشكل مجلس شورى الجمهورية، والمجلس الشرعي لها .

- قامت الحكومة بإرسال عدة بلاغات إلى كل من رئيس الحكومة الإيطالية، ورئيس أمريكا ولسن، ورئيس الوزراء الإنكليزي، ورئيس الجمهورية الفرنسية إلا أن تلك الدول لم تعترف بها .
- في ٣٠ سبتمبر سنة ١٩١٩م أعلن الطرابلسيون رسميًّا عن تأسيس حزب الإصلاح لأجل الدفاع عن مكاسب البلاد، وإيقاظ الوعي الجماهيري السياسي، وأسندوا رياسته إلى أحمد بك المريض، ورياسة شرفه إلى رمضان بك .
- انتهز الإيطاليون فرصة المهادنة ليلقوا بذور الفتنة بين العرب والبربر من جهة وبين البدو والحضر من جهة أخرى، وبين سكان البلدان المتجاورة .
- كانت من أكبر الفتن الحرب الطاحنة بين الزنتان والبربر فقدت بها طرابلس من أبنائها ما لا يعلم عدده إلا الله .
- استغل الإيطاليون ذلك الصراع وتلك الفتن، وتحركت جيوشهم للقضاء على الطرابلسيين، فاحتلوا فزان في ٣١ أكتوبر عام ١٩٢٢م، وفي ١٧ نوفمبر ١٩٢٢م، احتلوا غريان وبدأت المدن تتساقط أمام الجيوش الإيطالية .
- بعد التطورات الخطيرة، والانشقاقات العظيمة التي وقعت بين الزعماء رأى عقلاء طرابلس ضرورة الاجتماع في مؤتمر غريان ليتدارسوا الأوضاع الراهنة، ويتخذوا حيالها موقفًا مشتركًا .
- كانت الفتنة بين طرابلس وبرقة قد اشتدت مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، وحصل فتور بين البرقاويين والطرابلسيين، استمر لمدة خمس سنوات .
- كان عقلاء طرابلس وبرقة لا يرضيهم تلك الحالة المزرية التي لا يرضى عنها عقل ولا شرع ولا عرف فبادر السيد أحمد المريض بإرسال رسالة لأخيه الأمير محمد إدريس السنوسي، وكانت مليئة بالمعاني الرفيعة والعبارات السامية، ورد على تلك الرسالة الأمير محمد إدريس وترتب على ذلك اجتماع سرت العظيم بين الوفد الطرابلسي والبرقاوي .
- كانت الحكومة الإيطالية تتابع الأخبار وما يدور بين برقة وطرابلس، وخافوا أن يترتب على اتفاق طرابلس وبرقة مالا تحمد عقباه، فقرر وولبي احتلال مصراته قبل أن يصل الليبيون إلى نتيجة في مؤتمر سرت .

- بعد فشل المفاوضات بين إيطاليا والطرابلسيين في فندق الشريف في ١٠ أبريل سنة ١٩٢٢م رأى الطرابلسيون ضرورة إرسال وفد إلى الأمير محمد إدريس ليبايعوه بالإمارة تنفيذًا لما قررته هيئة الإصلاح المركزية في فندق الشريف .
- بادر الأمير محمد إدريس بمصافحة تلك اليد الممدودة وقبل البيعة دون تردد وأجاب على كتاب البيعة في ٢٢ ربيع الأول ١٣٤١هـ الموافق ٢٢ نوفمبر ١٩٢٢م .
- تغيرت العلاقات الإيطالية السنوسية وحدثت بعض الاشتباكات بين الطليان والعربان بسبب حرص الطليان على نزع السلاح منهم، ومرض الأمير إدريس مرضًا شديدًا ونصحه الأطباء بالذهاب إلى مصر للعلاج .
- قام الأمير إدريس قبل هجرته بتنظيم أمور الجهاد، وبحث الأمر مع زعماء ورؤساء برقة من جانب، ومع بشير السعداوي والوفود الطرابلسية من جانب آخر .
- عهد الأمير بالأعمال السياسية والعسكرية في برقة إلى عمر المختار نائبًا عنه في تنظيم معسكرات المجاهدين وعهد بالمسائل الدينية وما يتعلق بالأسرة السنوسية إلى أخيه محمد رضا .
- استطاع الإيطاليون بقواتهم الجرارة، وطائراتهم القضاء على حركة المقاومة رويدًا رويدًا، ثم هاجموا في آخر الأمر ورفلة وعندئذ انحلت المقاومة تمامًا، واضطر بشير السعداوي إلى مغادرة سرت في عام ١٩٢٤م بعد أن مكث بها سنة تقريبًا .
- كان السعداوي رحمه الله من أشد المجاهدين تحمسًا في هذه الفترة العصيبة، ومن أعظمهم مثابرة على الجهاد، وكان يتحلى برجاحة العقل، والرزانة والهدوء، ويتصف بالقدرة على النظر البعيد وتقليب وجوه الرأي في عواقب الأمور .
- أصبحت برقة وحدها تحمل على عاتقها عبء الجهاد منفردة ضد العدو، وكان والي برقة الجديد بونجيو فاني قد بدأ يحل الأدوار المختلفة في برقة عنوة واقتدارًا .
- بدأ الجهاد بقيادة عمر المختار في برقة ضد إيطاليا من غير هوادة أو لين، أو ضعف، أو خوار .
- ولد الشيخ عمر المختار من أبوين صالحين عام ١٨٦٢م، وقيل ١٨٥٨م وكان والده مختار بن عمر من قبيلة المنفة من بيت فرحات وكان مولده بالبطنان في الجبل الأخضر.

- بعد وفاة والده تولى تربيته الشيخ حسين الغرياني هو وشقيقه محمد، فأدخلهما مدرسة القرآن الكريم بالزاوية، ثم ألحق عمر المختار بالمعهد الجغبوبي لينضم إلى طلبة العلم من أبناء الإخوان والقبائل الأخرى .
- مكث في معهد الجغبوب ثمانية أعوام ينهل من العلوم الشرعية المتنوعة كالفقه، والحديث والتفسير، ومن أشهر شيوخه الذين تتلمذ عليهم، السيد الزروالي المغربي، والسيد الجواني، والعلامة فالح الظاهري المدني وغيرهم كثير .
- كان عمر المختار شديد الحرص على أداء الصلوات في أوقاتها وكان يقرأ القرآن يوميًّا، فيختم المصحف الشريف كل سبعة أيام منذ أن قال له الإمام محمد المهدي السنوسي: ياعمر وردك القرآن .
- إن من أسباب الثبات الذي تميز به عمر المختار حتى اللحظات الأخيرة من حياته إدمانه على تلاوة القرآن الكريم والتعبد به، وتنفيذ أحكامه، لأن القرآن الكريم مصدر تثبيت وهداية وذلك فيه من قصص الأنبياء مع أقوامهم، ولما فيه من ذكر مآل الصالحين، ومصير الكافرين والجاحدين وأوليائه بأساليب متعددة .
- ظهرت صفة الشجاعة في شخصية عمر المختار المتميزة في جهاده في تشاد ضد فرنسا، وفي ليبيا ضد إيطاليا، وقد حفظ لنا التاريخ رسالة منه إلى الشيخ الشارف الغرياني بين له فيها أنه لا يخاف طائرات العدو ولا مدافعه ولا دباباته ولا جنوده من الطليان، ولا يخاف حتى من السم الذي وضعوه في الآبار ووضعوه على الزروع النابتة في الأرض، كما ظهرت فيه صفة الكرم وكان يردد على ضيوفه مقولته المشهورة (إننا لا نبخل بالموجود ولا نأسف لمفقود) .
- تفوق عمر المختار على أقرانه بصفات عدة منها، متانة الخلق ورجاحة العقل، وحب الدعوة، ووصل أمره إلى الزعيم الثاني للحركة السنوسية محمد المهدي السنوسي فقدمه على غيره واصطحبه معه في رحلته الشهيرة من الجغبوب إلى الكفرة عام ١٨٩٥م .
- وفي عام ١٨٩٧م أصدر محمد المهدي قراراً بتعيين عمر المختار شيخًا لزاوية القصور بالجبل الأخضر قرب المرج، وقام عمر المختار بأعباء المهمة خير قيام، فعلّم الناس أمور دينهم، وساهم في حل النزاعات بين القبائل وعمل على جمع

كلمتهم وسعى في مصالحهم، وسار في الناس سيرة حميدة، فظهرت في شخصيته أخلاق الدعاة من حلم وتأنٍ وصبر ورفق وعلم وزهد .

- عندما اندلعت الحرب الليبية الإيطالية عام ١٩١١م كان عمر المختار وقتها بواحة جالو خفّ مسرعًا إلى زاوية القصور وأمر بتجنيد كل من كان صالحًا للجهاد من قبيلة العبيد التابعة لزاوية القصور .
- أعجب الضابط الأتراك بالمختار وبشجاعته وبالآراء السديدة التي تصدر عنه فكأنما هي تصدر من قائد ممتاز تخرج عن كلية عسكرية وكان قدومه إلى معسكرات المجاهدين مشجعًا وباعثًا للروح المعنوية في قوة خارقة .
- في شهر مارس عام ١٩٢٣م سافر إلى مصر لمقابلة الأمير محمد إدريس، وكان عمر المختار عظيم الولاء للسنوسية وزعمائها، وشيوخها .
- حاولت إيطاليا بواسطة عملائها بمصر الاتصال بالسيد عمر المختار وعرضت عليه عروضًا مغرية لترك الجهاد، واستمرت عروضهم حتى بعد رجوعه للبلاد وحاولوا استمالته بالمال الطائل، والمناصب الرفيعة، والجاه العريض في ظل حياة رغدة ناعمة ولكنهم لم يفلحوا .
- من أشهر المعارك التي خاضها المختار في تلك المرحلة معركة بئر الغبي، ومعركة أم الشفاتير عقيرة الدم .
- كانت المعسكرات التي يقودها عمر المختار على أساس قبلي ويعتبر الدور وحدة عسكرية، وإدارية، واجتماعية يرأسها قائمقام .
- كان مجئ بادوليو إلى ليبيا بداية مرحلة جهادية حاسمة بالنسبة للمجاهدين وكان تاريخ تعيينه في شهر يناير من عام ١٩٢٩م، وكان برنامجه يتلخص في تخفيض الجيش إلى القدر الذي يكفي للقيام بحرب العصابات، والمحافظة على هيبة الحكومة مع إنفاق الأموال المتوفرة في مد الطرق في الجبل الأخضر مما يسهل عليه التنقلات العسكرية، فإذا ما تم له ذلك قام بهجوم شامل كاسح على المجاهدين يقضي على المقاومة نهائيًا، ومن أجل ذلك سعت إيطاليا إلى مفاوضة السيد عمر المختار لتهدئة الأحوال .

- دخل عمر المختار في المفاوضات مع قناعته بأنها لا تجدي نتيجة لضغوط بعض قادة الجهاد، ولإقامة الحجة على الحكومة الإيطالية، وقد ظهر في تلك المفاوضات حرص المختار على رفض الخضوع لأي إدارة أو سلطة غير سلطة الله، وكان مصرًا في شروطه على تطبيق الشريعة الإسلامية بين المسلمين ورفض كل ما عداه من قوانين وضعية في مفاوضاته .
- أظهر بادوليو قبول الشروط ولكنه نكث بوعوده وأخذ يستعد للقضاء على المجاهدين، وشرع الطليان يبذرون بذور الشقاق في صفوف المجاهدين على أمل أن يضعفوا من قوتهم، وفي اجتماع سيدي رويفع ادعى سيشلياني أن لا يمكن إبرام الاتفاق النهائي إلا في بنغازي .
- أراد المجاهدون أن يقطعوا حجة الطليان فاتفقوا على أن يحضر اجتماع بنغازي السيد الحسن رضا السنوسي، وكان عمر المختار مقتنعًا بعدم جدوى الاجتماع ولكنه اضطر مكرهًا، وعاد الحسن يحمل شروطًا إيطالية مجحفة فرفضها عمر المختار والمجاهدون .
- كان عمر المختار بجانب إيمانه الراسخ واسع الأفق عالمًا بواقعه مدركًا لما يجري حوله متابعًا له، وقد كان ذلك أكبر عون له بعد الله على صحة مواقفه وقوتها التي فرضت الاحترام على أعدائه قبل أصدقائه .
- خاطب السيد عمر المختار المجاهدين وأبناء شعبه قائلاً: فليعلم إذًا كل مجاهد أن غرض الحكومة الإيطالية إنما بث الفتن والدسائس بيننا، لتمزيق شملنا وتفكيك أواصر اتحادنا ليتم لهم الغلبة علينا واغتصاب كل حق مشروع لنا كما حدث كثير من هذا خلال الهدنة .
- نقضت الحكومة عهودها وغدرت بالمجاهدين وكان السيد حسن الرضا أول من ذاق مرارة غدرهم .
- عين الجنرال غراسياني حاكمًا لبرقة ونائبًا للمرشال بادوليو الحاكم العام، وكان غراسياني معظمًا ومقدمًا عند قومه وقام بأعمال عسكرية في فزان شنيعة للغاية واستطاع أن يقضي على حركة الجهاد في فزان في ٢٥ فبراير ١٩٣٠م وكان حقودًا على الإسلام والمسلمين ولم يرقب في مؤمن إلاً ولا ذمة .

- سافر إلى روما ورجع بتعليمات من موسـوليني وحكومته هدفها القضاء المبرم على حركـة الجهاد، مهـما كلف ذلك، وبكل الطرق والوسائل للـقضاء على القضـية البرقاوية .
- لم يمضِ على وصول غـراسيـاني سوى أيام قلائل حـتى أنشأ مـا عرف في تاريخ الاستـعمار الإيطالـي الأسود باسم المحكمة الطائرة أبـريل ١٩٣٠م، ثم شرع في سياسة عزل الأهالي الخاضعين عن المجـاهدين وجمع الإخوان السنوسيين وشيوخ الزوايا وأئمة المسـاجد ومعلـمي القرآن بها مع ذويهم جـميعًـا، ومشايخ وأعـيان القـبـائل، وبكل من يربطه أي نـوع من أنواع الصـلات بأحـد المجـاهدين أو المهاجرين، جيء بهذه المجـموعات يساقون إلى مراكز التـعذيب ثم السجون ولم يشفع في أحدهم سن الشيخوخة الطاعنة، أو الطفولة البريئة أو المرض المقعد، أو الضرر الملازم .
- وأنشئت معتـقلات جديدة في بنينة والرجمة، والمقرون وسلوق والبـريقة والعقيلة وسيقت القبائل إلى تلك المعتقلات الشنيعة .
- غيّر عمر المخـتار خطته وطور أساليبه القتالية لما يتـماشى مع المرحلة واعتمد على عنصر المباغـتة وركن إلى مفاجأة القـوات الإيطالية في أماكن متـفرقة ونقل دائرة عملياته إلى الناحية الشرقية في الدفنا نظرًا لقربها من الحدود المصرية .
- عزم غراسيـاني على مد الأسلاك الشائكة في الحدود الليبيـة المصرية المصطنعة من قبل الاستعمار ما يزيد عن ٣٠٠ كم من البحـر المتوسط إلى ما بعد الجغبوب وقد كلف الدولة الإيطالية عشرين مليونًا فرنكًا إيطاليا .
- مع شدة قـبضـة الاستـعمار الإيطـالي على المدن إلا أن ذلك لم يمنع الأهالي من القيام بواجـبهم المقدس، واستطاعت المخابرات الإيطاليـة أن تقبض على عدد من الليبيين الذي زودوا حركة الجهاد بالمؤن والمعلومات وتم إعدامهم .
- بعد أن استطاعت الـقوات الإيطالية أن تعتقل قـبائل برقة في معـسكرات واسعة، وأخذ غراسـياني في مد الأسلاك الشائكة على طول الطريق على البـحر المتوسط إلى ما بعـد الجغـبوب ليفـصل برقة عن مـصر، وكان قـد شرع في جـمع قواته الضخمة من مختلف وحـدات الجيش الإيطالي والجيوش الملونة، من المرتزقة ومن

المعدات الحربية لاحتلال الكفرة وقد كتب غراسياني عن اهتمامه بإحتلال الكفرة، وعن الاستعدادات التي اتخذتها الحكومة الإيطالية أكثر من خمسة وأربعين صفحة.

- قام الأمير شكيب أرسلان بدور مشكور في كتابة المقالات عن ما حدث في برقة وطرابلس وقد اتصل به عمر المختار وأرسل إليه رسالة شكر عن دوره العظيم.
- قامت إيطاليا بتصعيد حملات الانتقام من الليبيين والمجاهدين خصوصًا، فقامت بسياسية التهجير، وسياسة القتل والرمي في البحر، وبهتك الأعراض وخصوصًا في الكفرة، وقتلهم لأهل العلم، وكبار الشيوخ ورمي الأبرياء من الطائرات، وانتزعت الأراضي من الأهالي، ورحلت الأطفال إلى إيطاليا، ونشطت حركة التنصير بين الأهالي .
- كان غراسياني يملك القوات الضخمة في البر والبحر والجو، والسلطة الغاشمة المستبدة في برقة، والخزائن المرصوفة بالأموال والسجون والمعتقلات والمشانق، ومع هذا يضعف ويسيطر عليه العجز أمام المجاهدين وقائدهم العظيم حتى دفعه تفكيره إلى حرق الغابات بعد أن تمكن من حرق الأكباد والأفئدة والأجسام، لقد وقع تحت تأثير عصبي حاد من جراء ما أصابه من الفشل الذريع وكان في طريقه إلى الاستقالة أو الإقالة لولا تقدير الله بوقوع عمر المختار في الأسر .
- ظل عمر المختار في الجبل الأخضر يقاوم الطليان على الرغم من هذه الصعوبات الجسيمة التي كانت تحيط به وبرجاله وفي صباح ١١ سبتمبر ١٩٣١م وقع من على جواده في إحدى المعارك فأصيب في إحدي يديه بجروح ثم وقع في الأسر ثم أرسل إلى سجن بنغازي .
- وفي الساعة الخامسة مساءً في ١٥ سبتمبر ١٩٣١م جرت محاكمة الشيخ عمر المختار وكانت محكمة صورية شكلاً وموضوعًا، وقد استغرقت المحاكمة من بدئها إلى نهايتها ساعة واحدة وخمسة عشر دقيقة فحسب وحكم عليه بالإعدام .
- في يوم ١٦ سبتمبر من صباح يوم الإربعاء من سنة ١٩٣١م عند الساعة التاسعة صباحًا نفذ الطليان في (سلوق) جنوب مدينة بنغازي حكم الإعدام شنقًا في شيخ الجهاد، وأسد الجبل الأخضر بعد جهاد طويل ومرير .

- قام المسلمون بتأبين الشيخ عمر المختار وقيلت القصائد في رثائه ومن أشهر ما قيل قصيدة أحمد شوقي، وقصيدة نعمان عبد الوهاب، والأستاذ أبو الخير الطرابلسي، والأستاذ حسن الغناي .
- بعد سقوط عمر المختار رحمه الله في الأسر تجمع المجاهدون بين يوم وليلة وأجمعوا على تنصيب الشيخ المجاهد يوسف بورحيل قائدًا للجهاد الإسلامي، ووكيلاً عامًّا للجهاد .
- حشدت إيطاليا قواتها وواصلت شن حملاتها بشراسة منقطعة النظير ضد المجاهدين فقتل حمد بوخير الله أحد الزعماء، وقتل يوسف بورحيل، وجرح عصمان الشامي فأخذ أسيرًا، وأما عبد الحميد العبار فاستطاع أن يجتاز الأسلاك الشائكة بجواده رغم مطاردة القوات الإيطالية له .
- وبهذه النهاية المؤلمة الحزينة انكسرت شوكة المجاهدين، وتعثرت خطواتهم وأخمدت حركة الجهاد وذهب الأجداد تاركين خلفهم تاريخًا بطوليًّا كفاحيًّا رائعًا من أجل العقيدة، والدين والشرف والكرامة .
- سعى الفاشيست إلى إعادة الإمبراطورية الرومانية الغابرة فقرروا لذلك امتلاك البلدان الإسلامية القائمة على شواطئ البحر الأبيض المتوسط ثم إبادة أهل هذه البلاد وإفنائهم وتحويلهم إلى رقعة لاتينية .
- هاجر الليبيون إلى تونس والجزائر، وتشاد، وسوريا، والأردن، ولبنان، ومصر، والحجاز، وتركيا وتركوا أوطانهم بسبب الظلم والجور الذي وقع من الطليان وشرعوا في جمع شتاتهم في المهجر استعدادًا ليوم قريب تتاح لهم فرصة تخليص بلادهم من الاحتلال الطلياني البغيض، وكانت قلوبهم تتقطع شوقًا للرجوع إلى ديارهم وتفجرت ملكاتهم الشعرية وتركوا لنا بعض القصائد المعبرة عن الشوق للأوطان .
- ذاق المهاجرون ألوان العذاب في المهجر ومع ذلك فقد واصلوا الجهاد وهم في ديار الهجرة حتى ضاقت بهم إيطاليا ذرعًا، وبرز من المجاهدين في مصر السيد إدريس السنوسي وفي بلاد الشام بشير السعداوي الذي أسس الجمعية الطرابلسية البرقاوية .

- مع اقتراب الحرب العالمية الثانية أصبح البريطانيون يسعون لإيجاد تحالف قوي مع المعارضة الليبية ومدوا خيوطهم لكافة المعارضين وخصوصًا أقواهم الأمير إدريس السنوسي .
- إن الحرب العالمية الثانية آية من آيات الله في تصريف أمر الدول والشعوب والأمم وفق سننه وقوانينه في المجتمعات البشرية ومن السنن الواضحة في حياة الأمم أنه عندما تتجبر أمة من الأمم وتعلو في الأرض ويصيبها البطر والكبرياء يهيئ الله لها أسباب الأنهيار والزوال .
- كان الأمير إدريس في مصر يتحين تلك الفرصة بمجرد أن تحقق بأن الحرب العالمية لا محالة واقعة شرع بجمع زعماء الليبيين والتشاور معهم ودراسة احتمالات الموقف، ووضع الخطط المناسبة التي يحب أن يسيروا عليها .
- عقد الزعماء الليبيين اجتماعًا تاريخيًّا في منزل الأمير إدريس السنوسي بالإسكندرية في ٦ رمضان ١٣٥٨هـ/ ٢٠ أكتوبر ١٩٣٩م اجتمع فيه حوالي أربعون شيخًا من رؤساء الليبيين وزعمائهم الموجودين في مصر وأسفر تبادل الرأي عن اتخاذ قرار بتفويض الأمير في أن يقوم بمفاوضة الحكومة المصرية أو الإنكليز بشأن تكوين جيش سنوسي مهمته الاشتراك مع الحفاء عندما تدخل إيطاليا الحرب إلى جانب المانيا ووقعوا على وثيقة تاريخية مهمة في يوم ٩ رمضان ١٣٥٨هـ/ ٢٣ أكتوبر ١٩٣٩م .
- بادرت جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي بعقد اجتماع في دمشق في يوم ٢٩ شوال ١٣٥٨هـ واطلعت على صورة القرار الموقع عليه من زعماء ورؤساء المجاهدين في مصر ووافقت عليه .
- شرع إدريس السنوسي في مفاوضة الإنكليز، فأسفرت مباحثاته عن السماح له بتشكيل فصائل من القبائل الليبية المهاجرة لاسترداد حريتها، واستخلاص بلادها من العدو الإيطالي .
- دعا الأمير إدريس مشايخ القبائل وزعماء المجاهدين الموجودين في مصر واجتمع بهم في يوم الخميس ٨ أغسطس سنة ١٩٤٠م من أجل دراسة الأحداث والتطورات الأخيرة .

- اتخذت الجمعية الوطنية الليبية عدة قرارات من أهمها: وضع الثقة في بريطانيا العظمى، وإعلان الإمارة السنوسية، تعيين هيئة تمثل القطرين طرابلس وبرقة، خوض غمار الحرب ضد إيطاليا، تعيين حكومة سنوسية مؤقتة .
- قدم الليبيون كل ما عندهم لدعم الحلفاء ضد المحور وكانت كتائب المجاهدين قد قامت بدور بارز في حرب الصحراء، وكذلك الأهالي المدنيون فقد قدموا للجيش البريطاني مساعدات جريئة .
- كان غرب مصر وبرقة مسرحًا لأطول حملة في الحرب العالمية الثانية وضربت المدن والموانئ والقرى والمطارات والطرق، والتركيبات التي أقامها الطليان.
- في يناير ١٩٤٣م كان جيشان من جيوش الحلفاء يلتقيان حول طرابلس جيش مونتجمري الثامن، وجيش فرنسي بقيادة ليكلرك الجنرال الفرنسي وقام حاكم طرابلس الإيطالي بتسليم المدينة للحلفاء .
- في أعقاب الاحتلال البريطاني الثالث لمنطقة برقة أعلن الجنرال مونتجمري بأن المنطقة ستدار من قبل حكومة عسكرية بريطانية حتى نهاية الحرب العالمية وليس حتى نهاية الحرب في شمال إفريقيا .
- عارض الليبيون موقف الدول الكبرى من قضيتهم، ووجهوا نقدهم وسهامهم إلى الدول الكبرى وخصوصًا الحكومة البريطانية التي لم تلتزم بعهودها مع الليبيين .
- في عام ١٩٤٧م أصبح البريطانيون يرون الحاجة إلى منح برقة نوعًا من الحكومة الذاتية تحت زعامة إدريس وأوصت لجنة بريطانية ببرنامج استقلال على ثلاث مراحل، وتحت الإشراف البريطاني، أما طرابلس فكان الوضع يختلف وظهر الخوف هناك من عودة الحكم الإيطالي للمنطقة، وخاصة في وجود الجالية الإيطالية الكبيرة بمطامعها وتطلعاتها .
- اقتصرت غالبية الأحزاب والجماعات في منطقتي برقة وطرابلس على حاجتهم لدولة متحدة وأصبح نادي عمر المختار يشدد انتقاده ضد بريطانيا وضد سياسة إدريس المتحالف معهم .
- قام الأمير إدريس بإيقاف نشاط نادي عمر المختار ومنع جميع الأحزاب السياسية عن العمل في ديسمبر ١٩٤٧م وألف المؤتمر الوطني بحجة التحدث باسم أهالي برقة جميعًا .

- أرسلت الدول الكبرى لجنة لتقصي وضع ليبيا فوجدوا رغبة عارمة في الاستقلال التام وأوضح تقرير اللجنة الرغبة الليبية الجماعية للاستقلال التام .
- أصبح استقلال ليبيا شيئًا لابد منه بالنسبة للأمم المتحدة وأعيدت قضية ليبيا إلى اللجنة السياسية في صيف ١٩٤٩م وسمح لإيطاليا بالاشتراك بالنقاش وكذلك الممثلين من المؤتمر الوطني البرقاوي، وحزب المؤتمر الوطني الطرابلسي، وممثلين من الجالية اليهودية بطرابلس، وفي أكتوبر بدأت لجنة فرعية في وضع قرار يتضمن جميع النقاط الرئيسة الواردة في مقترحات وفود الهند والعراق وباكستان والولايات المتحدة .
- في ٢١ نوفمبر ١٩٤٩م تبنت الجمعية العامة القرار الذي اقترحته وفود الهند والعراق وباكستان والولايات المتحدة وتبنته الجمعية بأغلبية ٤٨ صوتًا ضد صوت واحد هو الحبشة وغياب تسعة منها فرنسا وخمس دول شيوعية .
- أعلن استقلال ليبيا في ٢٤ ديسمبر عام ١٩٥١م وأصبح الدستور معداً للتنفيذ وتولت الحكومة المؤقتة البلاد وأصبح لها صلاحيات كاملة كان أول رئيس للحكومة المؤقتة محمود المنتصر، وفتحي الكخيا نائبًا له ووزيراً للعدل والمعارف وأصبح عمر شنيب مديراً للديوان الملكي، وعين الملك إدريس حكام الولايات الثلاثة، وتقدم بطلب انضمام ليبيا للأمم المتحدة واليونسكو وغيرها من المنظمات الدولية .
- كان الملك رحمه الله يرى أن الحياة السعيدة لا تقوم إلا على الدين والعلم والأخلاق ولذلك اهتم بهذه الركائز اهتمامًا عظيمًا ولذلك أحبه شعبه .
- كان الملك كثير الاتصال بجميع ملوك ورؤساء العرب والمسلمين مسترشداً مستعينًا أو ناصحًا أمينًا، وقد بذل جهوداً كبيرة ومساعي جليلة بين الحكام لإصلاح ذات البين وتقريب وجهات النظر، والدعوة للاتحاد .
- بذل الملك رحمه الله ما في وسعه في القضايا التي تتنامى إلى سمعه، فيغضب لله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكانت هناك أمور قد خرجت عن إرادته وقدرته بحكم الوجود البريطاني والأمريكي .
- تميزت خطاباته برصانة الأسلوب، ومتانة التعبير، وقوة الحجة، وحرص الراعي

على الرعية، ونصحه لشعبه وكانت خطاباته عامرة بالدعوة إلى الخير والتقوى ومكارم الأخلاق .

- كان السنوسيون منذ زمن المؤسس الأول للحركة الإمام محمد بن علي السنوسي مهتمين بأمر الجهاد في الجزائر، وواصل الملك إدريس جهوده المادية والمعنوية لدعم ثورة الجزائر التي اندلعت في ١/ ١١/ ١٩٥٤م وقد أثبتت الوثائق التاريخية جهوده العظيمة، وأعماله الجسيمة في هذا الباب .
- ترك الملك رحمه الله تعالى كتابًا يبحث في قضايا الأمم والشعوب والدول، تناول فيه الموقف الإسلامي العربي والدولي من جميع الوجوه على حقيقته، وتحدث فيه عن الأسباب التي أخرت المسلمين والعرب، والوسائل التي يجب اتخاذها لتمكين العرب من تحقيق وحدتهم التي يراها ضرورية، وتحدث عن الخلافة الإسلامية وما لها وما عليها، وعن سبب انهيارها، وتكلم عن الاستعمار وأهدافه ويعتبر هذا الكتاب مهمًّا لمعرفة عقلية الملك رحمه الله في التفكير .
- إن دراسة كتاب الملك المذكور، وتصريحاته الصحفية تبين للباحث ضعف القول القائل بأن الملك إدريس لا يفهم في أمور السياسة وأقرب إلى أهل التصوف من كونه رجل دولة، ولا توجد له رؤية سياسية واضحة ولا يعرف كيف تساس أمور الأمم والشعوب .
- كان الملك يؤمن بأهمية النقد الإيجابي في نهضة الشعوب وبناء الأمم ولذلك سمح للمصلحين أن يتكلموا وينقدوا الدولة والحكم وشجع الصحافة، والنواب على قول كلمة الحق .
- مع مرور الزمن وتقدم السن رأى الملك إدريس أن يتخلى عن الحكم وأن يقدم استقالته، ويترك إلى الشعب أو ممثليه إسناد الأمر إلى من أحق منه، أو أقدر على حمل الأمانة والقيام بالواجب المطلوب، فقدم استقالته عام ١٩٦٥م في عهد حكومة محمود المنتصر الثانية، ولكن الضغوط الشعبية اضطرته للرجوع عن هذه الاستقالة.
- كانت استقالته الثانية هي المؤرخة في ٤/ ٨/ ١٩٦٩م والتي وجهها إلى كل من

رئيس وأعضاء مجلس الشيوخ، ورئيس وأعضاء مجلس النواب، ورئيس الوزراء عندما كان في رحلته الاستشفائية في تركيا .

- حينما وقع الانقلاب في سبتمبر ١٩٦٩م كان الملك في رحلة إلى تركيا واليونان، ولم يكن معه مال خاص ينفق منه، ومع ذلك فحينما عرض عليه المسئول المالي للرحلة استلام ما تبقى في عهدته من مخصصات رفض ذلك بعزة نفس وقال له: (يا بني أنا الأمس كنت ملك ليبيا، ولكني لم أعد كذلك اليوم، وبالتالي فإن هذا المال لم يعد من حقي، ويجب أن يسلم إلى خزينة الشعب) .
- استقر الملك إدريس رحمه الله في مصر مدة حياته الأخيرة، ولم يغادر مصر إلا مرتين ذهب فيها إلى مكة للحج، وكانت وفاته في القاهرة بتاريخ ٢٥ مايو ١٩٨٣م وهو في سن الرابعة والتسعين .
- دفن الملك رحمه الله في المدينة المنورة وكان قد طلب من الملك خالد بن عبد العزيز في لقاء لهما بمراسم الحج سنة ١٩٧٧م أن يأذن بدفنه متى حانت المنية في البقيع فكفل الملك خالد للملك إدريس رغبته رحمهما الله ثم إن الملك فهد بن عبد العزيز أجاز ذلك بعد وفاة الملك خالد ونقل جثمانه من القاهرة إلى المدينة المنورة في طائرة مصرية خاصة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

* ■ *

أهم مراجع ومصادر البحث

(أ)

١- إدريس السنوسي، لمحمد الطيب الأشهب، دار العهد الجديد للطباعة، لصاحبها كامل مصباح، الطبعة الثانية، مكتبة القاهرة، بميدان الأزهر .

٢- أعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت، طبعة ١٤٠٧هـ.

٣- إيطاليا والسنوسية، يوسيرا فبريتز، ترجمة محمد السيد أبو مدين نسخة مخطوطة بشعبة الوثائق، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي .

(ب)

٤- برقة العربية أمس واليوم، محمد الطيب أحمد إدريس الأشهب، مطبعة الهواري شارع محمد علي بمصر .

٥- برقة الدولة العربية الثامنة، زيادة نقولا، بيروت طبعة عام ١٩٥٠م .

٦- برقة الهادئة، الجنرال رود لفو غراسياني، ترجمة إبراهيم سالم بن عامر، دار مكتبة الأندلس، الطبعة الثالثة، يناير ١٩٨٠م .

(ت)

٧- تاريخ ليبيا المعاصر، محمد عامر، منشورات جامعة دمشق، طبعة عام ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .

٨- تاريخ ليبيا، جون رايت، كتاب مصور، دار الفرجاني، طرابلس، طبعة عام ١٩٧٢م.

٩- تاريخ حرب طرابلس، إبراهيم لطفى، مطبعة مؤسسة الأمير فاروق بنها ١٩٤٦م.

١٠- تفسير القرآن الكريم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق عبد العزيز غنيم، وحمد أحمد عاشور، ومحمد إبراهيم البناء، مطبعة الشعب القاهرة.
١١- الثبات، د . محمد بن حسن بن عقيل، دار الاندلس الخضراء بجدة الطبعة الثانية ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

(ج)

١٢- جهاد الإبطال في طرابلس الغرب، الطاهر أحمد الزوي، ط٣، بيروت، دار الفتح للطباعة والنشر ١٩٦٢م .
١٣- جذور النضال العربي في ليبيا، محمد عبد الرازق مناع، ط٢، بنغازي عام ١٩٧٢م .
١٤- الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، محمد خير هيكل، دار البيارق، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

(ح)

١٥- الحركة الوطنية شرق ليبيا، مصطفي هويدي، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طبعة ١٩٨٨م .
١٦- حاضر العالم الإسلامي، تأليف لوثروب ستودارد الأمريكي نقله إلى العربية الأستاذ عجاج نويهض وعلق عليه الأمير شكيب أرسلان، دار الفكر .
١٧- حياة عمر المختار، محمود شلبي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٨٢م/ ١٤٠٢هـ .

(د)

١٨- الدولة العربية المتحدة، أمين السعيد، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه عام ١٩٣٨م .

(ذ)

١٩- ذكريات عزام، الحلقة ٨، مجلة المصورة، القاهرة عام ١٣٣٢هـ/ ١٩٥٠م .

(ر)

٢٠- رمضان السويحلي البطل الليبي الشهير بكفاحه للطليان، محمد مسعود فشيكه، دار الفرجاني، طرابلس - ليبيا، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

(س)

٢١- السنوسية دين ودولة، د . محمد فؤاد شكري، دار الفكر، طبعة ١٩٤٨م .

٢٢- السنوسيون في برقة، بريتشارد إيفانز، ترجمة عمر الديراوي أبو حجلة، طرابلس مكتبة الفرجاني .

٢٣- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، تحقيق عزت عبيد الدعاس، حمص، الناشر محمد السيد .

٢٤- سنن الترمذي لأبي عيسى الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة .

٢٥- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، د . عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .

٢٦- سنن النسائي، أحمد بن شعيب، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت .

(ش)

٢٧- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، تحقيق د . أحمد بن سعد حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض السعودية .

(ص)

٢٨- صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامي، على محمد الصلاّبي، دار البيارق عمان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .

٢٩- صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، دار الطباعة العامرة بإستانبول ١٣١٥هـ المكتب الإسلامي، إستانبول - تركيا .

٣٠- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الحديث، القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م .

٣١- صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، مصطفى بن حليم، وكالة الأهرام للتوزيع والنشر، مطابع الأهرام التجارية قليوب، مصر .

(ط)

٣٢- الطريق إلى الإسلام، محمد أسد، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة ١٩٨١م .

(ع)

٣٣- عبد النبي بالخير، داهية السياسة وفارس الجهاد، محمد المرزوقي، الدار العربية للكتاب، عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

٣٤- الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم، بيروت الطبعة الثالثة ١٣٨٩هـ.

٣٥- عمر المختار نشأته وجهاده من ١٨٦٢م إلى ١٩٣١م دراسات في حركة الجهاد الليبي، أعمال الندوة العلمية التي عقدها مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي بمناسبة الذمرى الخمسين لاستشهاد عمر المختار، إشراف الدكتور عقيل محمد البربار، كلية الآداب والتربية - جامعة قاريونس .

٣٦- عمر المختار، لمحمد الطيب الأشهب، سلسلة أبطال الجهاد والسياسة في ليبيا .

٣٧- الأعمال الشعرية الكاملة، أحمد شوقي، دار العودة، بيروت، طبعة ١٩٨٦م .

(ف)

٣٨- فقة التمكين في القرآن الكريم، على محمد الصلاّبي، رسالة دكتوراه، دار التابعين للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م .

٣٩- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشرق .

(ق)

٤٠- قضية ليبيا، محمد الشنيطي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥١م .

٤١- قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله، جلال العالم، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، طبعة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

٤٢- قواعد التعامل مع العلماء، د . عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار الوراق، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

(ك)

٤٣- كفاح الليبيين في بلاد الشام، تيسر بن موسى .

٤٤- ليبيا اليوم، محمد الطيب الأشهب، بغداد، مطبعة أسعد عام ١٩٥٥م .

٤٥- ليبيا في العصور الحديثة، نقولا زيادة، القاهرة، دار الرائد للطباعة ١٩٦٦م .

٤٦- ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال، د . نقولا زيادة، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، طبعة عام ١٩٥٨م .

٤٧- ليبيا الحديثة، مجيدي خدوري، ترجمة د . نقولا زيادة، دار الثقافة، بيروت .

(م)

٤٨- المغرب الكبير، جلال يحيى، الاسكندرية، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦م .

٤٩- الملك إدريس، عاهل ليبيا حياته وعصره، تأليف: ئي . آف . دي كاندول، قام بطباعتها وأشرف على ترجمتها محمد عبده بن غليون عام ١٩٨٩م .

٥٠- المغني لابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (موفق الدين، أبو محمد) على مختصر الخِرَقي ومعه الشرح الكبير على متن المقنع عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م .

٥١- المهذب، في فقه مذاهب الإمام الشافعي، إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزبادي الشيرازي - معه بأسفل الصفحة: النظم المستعذب في شرح غريب المهذب، محمد بن أحمد بن بطال الركبي، مطبعة عيسى الباب الحلبي .

٥٢- ميلاد دولة ليبيا، محمد فؤاد شكري، مطبعة الاعتماد القاهرة، عام ١٩٥٧م.
٥٣- مجلة الإنقاذ تصدر عن الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا، العدد ٢٩ .
٥٤- معجم معارك الجهاد في ليبيا ١٩١١م - ١٩٣١م، ط٣، خليفة محمد التليبي، دار الثقافة ١٩٧٣م .
٥٥- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى، السعودية .
٥٦- مذكرات مجاهد، محمود الجهني .
٥٧- مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، السنة السادسة عام ١٩٨٤م .
٥٨ . مجلة البيان، العدد الخامس عشر، ربيع الثاني، ١٩٨٨م .
٥٩ . مجلة المنار، ج٩، م٣ .
٦٠- منهج كتابة التاريخ الإسلامي، محمد صامل العلياني السلمي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .
٦١ . محطات من تاريخ ليبيا المعاصر، مذكرات محمد عثمان الصيد، إخراج طوب للاستثمار والخدمات، الرباط بالمغرب، الطبعة الأولى ١٩٩٦م .
٦٢- نونية القحطاني، لأبي محمد عبد الله بن محمد الأندلسي، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م مكتبة السوداي للتوزيع .
٦٣- النظام السياسي في الإسلام، د . محمد أبو فارس، دار الفرقان، عمان - الأردن، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .
٦٤- وثائق جمعية عمر المختار، محمد بشير المغيربي، مؤسسة دار الهلال، الطبعة الأولى يناير ١٩٩٣م .

* ■ *





الموضوع | الصفحة

الإهداء ٣
المقدمة ٥

الفصل الأول
محمد إدريس السنوسي

المبحث الأول: اسمه ونسبه وولادته وشيوخه ورحلته إلى الحجاز ١٧
المبحث الثاني: موقف الإسلام من المعاهدات مع العدو ٣٢
المبحث الثالث: الجمهورية الطرابلسية ٥٣

الفصل الثاني
عمر المختار رحمه الله نشأته وأعماله واستشهاده

المبحث الأول: نشأته وأعماله ١٠٤
المبحث الثاني: استمرار العمليات والدخول في المفاوضات ١٣٧
المبحث الثالث: الأيام الأخيرة من حياة عمر المختار ووقوعه في الأسر ثم إعدامه ١٨٢

الفصل الثالث
الليبيون بين المهجر والاستقلال

المبحث الأول: الليبيون في المهجر ٢٢٩
المبحث الثاني: الحرب العالمية الثانية ٢٤٧

المبحث الثالث: قرار الأمم المتحدة بشأن ليبيا.................. ٢٨١
المبحث الرابع: الملك إدريس رحمه الله وشيء من سيرته.......... ٢٩٦
المبحث الخامس: نظرة في كتاب الملك إدريس رحمه الله في اتحاد العرب
وائتلاف الموحدين وبعض المقابلات الصحفية.............. ٣١٨
الخلاصة........................... ٣٤١
المراجع والمصادر........................ ٣٦١
الفهرس........................... ٣٦٧


قامت بالجمع التصويري
والإخراج الفني لهذا الكتاب
دار التابعين للنشر والتوزيع
٢٥ ش احمد عصمت بعين شمس - برج التوحيد - الدور الأول
ت: ٤٩٣٨١٤٤ - فاكس: ٤٩٣٤٣٢٥